

ولب لباب لسان العرب

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادي

١٠٣٠ - ١٠٩٣

عبد السلام محمد هارون

الجزء الخامس

الطبعة الثانية

١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م

الناشر

مكتبة الخانجي بالقاهرة

دار الرفاعي بالرياض

صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصويرى

مكتبة الخانجى

ص . ب ١٣٧٥ القاهرة

مطبعة المدني

المؤسسة السعودية بمصر

٦٨ شارع العباسية - القاهرة . ت : ٨٩٧٨٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

التوابع

النعت

أنشد فيه :

وهو الشاهد الثانى والثلاثون بعد الثلثمائة ، وهو من أبيات إيضاح أبى على الفارسىّ :

٣٣٢ (رَبّاءُ شَمَّاءَ لايأوِى لقُلَّتِها   إلّا السَّحابُ وإلّا الأَوْبُ والسَّبَلُ[١])

على أنّ الموصوف قد يحذف فى الأغلب مع قرينةٍ دالّة عليه ، كما فى البيت . والتقدير : هو رجُلٌ ربَّاء هضْبة شمّاء . فحُذف الموصوف وأقيم الوصف مقامه فى الموضعين ، فإنّ ربَّاء فعّال ، وهو وصف مبالغة من قولهم : هو ربّاء لأصحابه بالهمز ، ربأ يربأ ، من باب منع ، إذا صار ربيئةً لهم ، أى ديدبانا . فى (الصحاح) : المربأة : المرقَبة ، وكذلك المربأ والمرتبأ . وربأت القوم ربئاً وارتبأتهم ، أى رقبْتهم ، وذلك إذا كنتَ لهم طليعة فوق شرَف ، أى موضع مرتفع . يقال ربأ لنا فلان وارتبأ ، إذا اعتانَ . وربأتُ المرَبأة وارتبأتها ، أى علوتها . والرَّبِىء والربيئة : الطليعة . انتهى .

---

(١) أمالى ابن الشجرى ٢ :٣٣ وابن يعيش ٣ :٥٨ وديوان الهذليين ٢ :٣٧ واللسان (أوب) .

وهو فعيل وفعيلة . فالربّاء وصف مبالغة ، والوصف لابدَّ له من موصوف . ومن المعلوم أن الذى يرقب الأعداءَ لأصحابه إنّما هو الرجل فى الغالب [١] . وقيل إنه من ربأت الجبل ، إذا صعِدته وعلوته ، فيكون رباء شمّاء كقولهم : « طلّاع أنجُدٍ » . وهو مضاف إلى شمّاء ، والشمّاء مجرورٌ بالفتحة ، وهو مؤنت أشمّ ، من الشَّمم ، وهو الارتفاع . أراد هضبة شمّاء ، فَحذف الموصوف ، بدليل « القُلَّة » وهى رأس الجبل . والهضبة : الجبل المنبسط على وجه الأرض . ومن المعلوم أيضاً أنّ التى لايأوى إلى قلتها إلاّ السّحاب والمطرُ لاتكون إلاَّ هضبة . وإضافة رَبّاء إلى شمّاء لفظيَّة . وقال السُّكَّرىُّ (فى شرح أشعار هذيل) : إنّ ربَّاء من ربأت الجبل ، إذا صَعِدته وعَلَوته ، فيكون مثل قولهم : طَلَّاع أنجُد ، لمن هو ركَّابٌ للصِّعاب من الأمور . وقال ابن يعيش (فى شرح المفصل) : الشاهد فى قوله ربَّاء شماء ، والمراد رجل ربّاء ربوةٍ شماءَ أو رابية شماءَ . وهو فَعَّالٌ من قولك : ربوت الرابية ، إذا علوتها . وضعَّف العين للتَّكثير ، والهمزة فى آخرهِ بدلٌ من واوٍ هى لامُ الكلمة ، كهمزة كِساء . ولم ينوِّنْه لأنّه مضاف إلى شمَّاء . وشَمَّاء فَعْلاء من الشمم ، يقال جبل أشمُّ ورابية شمَّاء ، أى مرتفعة .

٢٨٥

أقول : ليس فى هذا كثيرُ فائدة ، وهو مع تكلُّفه يدفعه قوله : لايأوى لقُلَّتها إلاّ السحاب إلخ . فتأمله .

وحكى الأندلسىُّ (فى شرح المفصل) عن الخوارزمى : قلة ربّاء وهضبة شَمَّاء ؛ لأنَّ الربَّاء هى العالية ، واشتقاقها من الربِّ لعلوِّه على المربوب .

أقول : لاوجه لما ذهب إليه الخوارزمىّ ، فإنَّ رباء من وصف الرّبِىء لا القُلَّة كما يأتى ، وهو فعَّال لافعلاء .

---

(١) تعليل لكون « ربيئة » وصفا للرجل .

وقال أبو البقاء (فى شرح الإيضاح لأبى على) : أنَّثَ ربَّاء لما أراد به الربيئة ، وهو الحافظ لأصحابه فى الأمكنة العالية .

أقول : هذا خطأ ، فإنَّ ربَّاء فعَّال لافعلاء .

ورواه بعضهم : « زنّاء شماء » بالزاى المعجمة والنون ، من زنأ فى الجبل يزنأ زنئاً وزنُوءًا ، بمعنى صعِد . وهو مهموز .

وقال بعضهم : إنَّ شمَّاء اسم هضبة ، وهو منقولٌ من الصفة إلى العلَمية ، مثل حَسَن ، فلا شاهد فيه .

أقول : كون شماء اسم هَضْبة ذكره أبو عُبيدٍ البكريُّ (فى معجم مااستعجم) ، قال : شماء على لفظ تأنيث أشم : هضبةٌ ببلاد بنى يشكر . قال الحارث بن حِلِّزة فى معلقتِه :

بعد عهدٍ لنا ببُرقة شَمَّا ءَ فأَدنى ديارِها الخَلْصاءُ

لكن الظاهر هنا أنَّ المراد بشمَّاء اسم جنس ، بدليل وصفه بقوله : لايأوى لقلتها إلخ .

فإنْ قلت : أجعل الجملة حالاً من شماءَ لتعريفها .

قلت : صاحب البيت هذلى ، وشمَّاء الهضبة المعروفة فى بلاد بنى يشكر ، مع أنَّ مقامَ المدح يقتضى أنه يربأ كلَّ جبلٍ موصوفٍ بهذا الوصف ، وليس فى جعلها علماً كثيرُ مدح .

وقوله : (لايأوى لقُلَّتها إلخ) هو من أوى إلى منزله يأوِى من باب ضرب أُوِيًّا ، بمعنى أقام . والمراد لايصل إلى قلَّتها . وروى السكرى : «لايدنو لقُلَّتها» .

وضمير قلَّتها لِشمَّاء . وقُلَّة الجبل : رأسه . وروى : «لقُنتَّها» بالنون . والقُنَّة هى القُلَّة .

وقوله : (إلاَّ السَّحاب) هو استثناء مفرَّغ ، أى لايقرب إلى قُلَّتها شيءٌ إلاّ السحاب . وكرَّر إلاّ فى قوله « وإلاَّ الأَوْب » للتوكيد . والأَوْب ، قال السكرى : هو النَّحل حين تؤوب : ترجع . ويؤيده أنَّه روىَ : «وإلاّ النُّوب» بضم النون ، وهو النحل ، وهو جمع نائب لأنَّها ترعى وتؤوب إلى مكانها ، أى ترجع ؛ وقيل : هو الريح ، ذكره الصاغانى (فى العُباب) . وقال الخوارزمى : هو المطرُ لأنَّه بخار ارتفع من الأرض ثم آب إليها أى رجع ، ولذلك سمِّى رَجْعا ، فسمَّوه أوباً ورجعا تفاؤلاً ليرجع ويؤوب . وقيل لأنَّ الله تعالى يَرجعه وقتاً فوقتاً . وإليه ذهب صاحب (الكشَّاف) عند قوله تعالى : ﴿والسَّماءِ ذَاتِ الرَّجع [1]﴾ وأنشد هذا البيت على أنَّ المطر تسمَّى رجعاً [2] كما فى الآية ، وأوْبا كما فى البيت ، تسمية بمصدرَىْ رجع وآب . وذلك أنَّ العرب كانت تزعم أنَّ السحابَ يحمل الماء من البحر ثم يرجعه إليه [3] . قال صاحب (الكشف) : جعل صاحب الكشاف الأوب والسَّبَل بمعنى المطر ، والأوْلَى ماقيل أنَّ الأوب النحل ، لأنَّها تؤوب إلى محالِّها بعد ما خرجَتْ للنجعة . والسَّبَل . بفتحتين : المطر المنسبِل ، أى النازل .

٢٨٦

قال ابن خلف (فى شرح أبيات الكتاب): السحاب اسم عامٌّ للغيم والماء ينسحب فى الأفق ، أى ينجرُّ ، نازلاً ماؤه وغيرَ نازل . والسَّبَل : المطر النازل ، فهو إذن أخصُّ من السَّحاب ، ولذلك جاء قوله تعالى : ﴿فترى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِن خِلاله [4]﴾ ، لمَّا كان الودق الماءَ النازل نفسه .

---

(١) الآية ١١ من سورة الطارق .

(٢) كذا وردت « تسمى » فى النسختين بجعل المطر مؤنثا . والذى فى الكشاف : « سمى المطر رجعا كما سمى أوبا » .

(٣) فى ش : « من بحار ثم يرجعه اليه » . وفى الكشاف : « من بحار الأرض ثم يرجعه الى الأرض » .

(٤) من الآية ٤٣ من النور و ٤٨ من الروم .

صاحب الشاهد وهذا البيت آخر قصيدةٍ عدّتُها عشرون بيتاً للمتنخِّل الهذَلّى ، تقدمت ترجمته فى الشاهد السادس والسبعين بعد المائتين (١) ، رثى بها ابنه أُثَيلة بضم الهمزة وفتح المثلثة . وهذان البيتان قبله :

أبيات الشاهد

(أقول لمَّا أتانى الناعيانِ به لايَبْعَدِ الرُّمحُ ذو النَّصلين والرّجلُ

رُمحٌ لنا كان لم يُفْلَلْ ننوءُ به تُوفَى به الحَرْبُ والعَزَّاءُ والجُلَلُ

ربّاءُ شمَّاء لا يدنو لقلتها ..... البيت)

قوله : « الناعيان به » فى الصحاح : الناعى الذى يأتى بخبر الموت .

قال الأصمعىُّ : كانت العرب إذا مات فيهم ميِّت له قدرٌ ركبَ راكبٌ فرسًا وجعل يسير فى الناس ويقول : نعاءِ فلاناً ، أى انعَه وأظِهْر خبرَ وفاتِه . وهى مبنية على الكسر مثل نزال . وقوله : « به » أى بنعيه ، حذف المصدر لدلالة النّاعيات عليه . والمصدر جاء على نَعْى بفتح فسكون ، ونعِىّ على وزن فعيل ، ونُعيان ، بضم النون . والضمير راجعٌ إلى أُثيلةَ المقتول ، وهو ابنُ المتنخِّل . وذلك أنّه كان خرجَ مع ابن عَمٍ له يقال ربيعة بن الجَحدر غازيينِ ، فأغارا على طوائف من فَهْم بن عمرو (٣) بن قيس عيلان ، فقُتِل أثيلةُ وأفلت ربيعة ، فقال المتنخل هذه القصيدة فى رثاء ابنه . وقوله : « لايبعَد الرُّمح » الرمح فاعل يبعَد ، يقال بعِد بَعَداً من باب فرح فرحاً ، إذا هلك . وعادة العرب أن تقول عند ذكر الميت : لايَبعَدْ فلان ! إمّا استعظاماً لموته ، وإمّا رجاءَ بقاءِ ذِكره . ويأتى شرح

---

(١) فى الجزء الرابع ص ١٥٠ .

(٢) ش : «توق به الحرب» بالقاف . وسيأتى فى الشرح التنبيه على الروايتين . واقتصر السكرى فى الشرح ٣ : ١٢٨٥ على رواية الفاء « توفى » .

(٣) كذا فى ش مع أثر تصحيح . وفى ط : « فقيم بن عمرو » تحريف . وليس لعمرو بن قيس عيلان إلا ولدان : فهم ، والحارث . انظر جمهرة ابن حزم ٢٤٣ .

هذا مبسوطاً إن شاء الله بعد أبيات . والنَّصل : حديدة الرمح الذى يُطعَن به ، وهو السِّنان ، ويقال لحِديدة السَّهم والسيف والسكين أيضاً . والحديدةُ التى يُركز بها الرُّمح فى الأرض من الطَّرَف الأسفل يقال لها الزُّجُّ ، بضم الزاى المعجمة وتشديد الجيم . وسَمَّى الزُّجُّ نصلاً بالتغليب فقال : النَّصلين ، وإنما غُلِّب على الزج لأنَّ العمل للنصل ، وإذا كان للرمح زُجٌّ كان أمكنَ للطَّعن به . وأراد به رمح المقتول .

وقوله : «والرجل» أراد الرجل الكامل [١] فى الشجاعة والفعل ، وهو ابنه ، وقيل أراد بالرمح ابنه ، شبهه بالرمح الذى له نصلٌ وزجّ ، ويؤيده قوله رمح لنا ، أى هو رمح لنا . وضمير كان راجعٌ إليه ، وجملة لم يفلل خبرها ، أى لم يُكسر ولم يُثْلم ، من الفَلّ بفتح الفاء ، وهو واحد الفلول ، وهى كسور فى الشىء .

وقوله : « تنوء به » أى ننهض به . يقال ناء بكذا أى نهض به مثْقلا . وقوله « توفَى به الحرب » أى تعلى به وتقْهرَ . وهو بالفاء ، وروى بالقاف أيضاً من الوقاية . والعَزَّاء بفتح العين وتشديد الزاء المعجمة : السنة الشديدة . والجُلَل بضم الجيم وفتح اللام : جمع جُلّى ، وهو الأمر الجليل العظيم ، مِثل كبرى وكُبَر ، وصُغرى وصُغَر .

٢٨٧ وفى هذه القصيدة أبياتٌ من الشواهد ، فينبغى أن نورد بقيَّتها مشروحة إجمالا . وهذا مطلع القصيدة :

(ما بالُ عينِكَ أمسَتْ دمعُها خَضِلُ كما وهَى سَرِبُ الأخرَابِ منبزلُ [٢])

---

(١) ش : « وقوله الرجل : الرجل الكامل » .

(٢) ط : « الأحزاب » صوابه فى ش وشرح السكرى . وقد رواه السكرى : «الأخرات» بالتاء فى آخره ، جمع خرت ، وهو الثقب ، ثم قال : « ويروى : الأخراب » .

هذا خطابٌ مع نفسه . وخَضِل : ندىّ . ووَهَى السقاء ، إذا تخرَّق وانشقّ . والأخراب : جمع خُرْبةٍ [١] بالضم ، وهى عروة المزادة وكلُّ ثقب مستدير . وسَرِب بفتح فكسر : السائل ، يقال سَرِبت المزادةُ من باب فرح ، إذا سالت . ومنبزلٌ : منشقّ . وقد أخذ ذو الرمة مَطلع قصيدته من هذا فقال :

مابالُ عينِك منها الماءُ ينسكبُ كأنَّـه من كُلَـى مَفْرِيَّــةٍ سَرِبُ

والكُلَى : جمع كُلية بالضم ، وهى جُليدة مستديرة تحت عرُوة المزادة تُخرزُ مع الأديم .

(لاتفتـأ اللَّيـلَ مَعْ دمـعٍ بأربعـةٍ كأنَّ إنسانَها بالصاب مكتَحِلُ[٢])

لاتفتأُ : لاتزال ، يقال جاءنا وعيناهُ بأربعة ، أى بأربعة مدامع أو مَسايل [٣] ، أى تسيل من نواحيها من المأقين واللِّحاظين . والصاب : شجرٌ له لبنٌ مرٌّ إذا أصاب لبنُه العينَ حَلبَها .

(تَبكى على رجلٍ لم تُبْلِ جدّتَه خَلَّى عَليكَ فجاجاً بينها خَللُ)

لم تُبْل جِدَّتَه : لم تستمتع بشبابه ، من الإبلاء . وروى : « لم تَبْلَ جدّتُه » من البِلَى وجِدَّتُه فاعل . وفجاجاً أى طرقا . بينها خَلَل ، أى فرجة أى كان يسدُّها .

ومعنى خَلَّى تركها . يريد أنَّه لم يمتَّعْ منه ، كما قال ابن أحمر :

لبِست أبى حَتىّ تملَّيتُ برهةً وبلَّيت أعمامى وبلَّيت خاليـا

(فقد عجبتُ وما بالدَّهر من عجبٍ أنَّى قُتِلتَ وأنتَ الحازمُ البطَـلُ)

---

(١) ط : «والأحزاب جمع حزبة» ، صوابه فى ش والسكرى .

(٢) عند السكرى : « من سح بأربعة » . وفى ط : « كأن أسنانها » ، صوابه فى ش والسكرى . وإنسان العين : ناظرها ، وهو المثال الذى يرى فى السواد .

(٣) ش : « مسائل » بالهمز ، والقياس التسهيل .

أى كيف قُتِلتَ مع كونك شجاعاً حازما . يقول : لاتعجبْ من الدَّهر ، فإن البَطل يُقتَل فيه ، والضّعيف ينجو فيه ، وفيه أمورٌ مختلفة .

(ويْلُمِّهِ رجلاً تأبَى به غَبَنا إذا تجرَّدَ لاخالٌ ولا بَخَلُ)

هذا البيت من شواهد أدب الكاتب لابن قتيبة . قوله : « ويلمِّهِ رجلا» هذا مدحٌ خرج بلفظ الذمّ ، يروى بكسر اللام وضمها . ورجلاً تمييز للضّمير . وقد تقدم الكلام على هذا مستوفى فى باب التمييز [1] . وتأبى مضارع أبى ، بمعنى تكرَه ، والجملة صفة رجلا . والغَبَن بفتح الباء : الخديعة فى الرأى ، وفعله من باب فرِحَ . وبسكونها : الخديعة فى الشِّراء والبيع ، وفعلهُ [2] من باب ضرب . يقول : تأبى أنت أن تَقبل به نقصانا . ومعنى التجرُّد ههنا التشمُّر للأمر والتأهُّبُ له . وأصل ذلك أنَّ الإنسان يتجرَّد من ثيابه . يقول : إذا حاول فعل أمرٍ أو الدُّخول فى حرب . فصار مثلا لكل من جدّ فى الشيء وإنْ لم يتجردّ من ثيابه . يقول : إذا أتيته قام معك وتجرَّد وجَدّ . وقوله : «لاخالٌ ولا بخل» فيه وجهان : أحدهما الخال الاختيال والتكبُّر ، فخال مبتدأ محذوف الخبر ، أى لافيه تكبُّرٌ ولابخل ، أو هو خبر بتقدير مضاف لمبتدأ محذوف ، أى لاهو ذو خال . وثانيهما : الخال المتكبِّر ، وذكر المصدر وأريد الوصف مبالغة ، أو هو وصف وأصله خَوِل ، فانقلبت الواو المكسورة ألفا كقولهم ، رجل مالٌ ويومٌ راح ، وأصلهما مَوِلٌ ورَوِح . ويؤيِّده أنّه روى : «ولا بَخِلُ» بكسر الخاء . فخال خبر مبتدأ محذوف ، أى لاهو خال ،

---

(١) الجزء الثالث ص ٢٧٣ ، ٢٧٩ .

(٢) ط : « وقوله » ، صوابه فى ش .

ولا ذو بخل ، فيقدرَّ فى بخل مضاف لأنّه مصدر . وإن أطلق على الوصف مبالغةً فلا تقدير .

(السالك الثُّغرةَ اليقظانَ كالئُها
مَشْىَ الهلوكِ عليها الخيعلُ الفُضُلُ (١))

أى هو السالك . ويجوز نصبه على المدح : أى أعنى السالك ؛ والثّغرة بالضم والثغر بمعنًى واحد ، وهو موضعٌ يُخاف دخول العدوِّ منه . وكالئها: حافظها . والهَلوك من النساء : التى تتهالك فى مِشيتها ، أى تتبختر وتتكسرَّ ، وقيل هى الفاجرة التى تتواقَع على الرجال . والخيعل ، بفتح الخاء المعجمة ، قال السكرى : هو ثوبٌ يخاط أحدُ شِقَّيه ويترك الآخر . والفُضل هو الخَيْعل ليس تحته إزار . وقال ابن الشجرى : الخيعل : القميص الذى ليس له كُمَّانِ ، وقيل : ولا دَخاريصَ له . ويقال امرأةٌ فُضلُ بضمتين ، إذا كان عليها قميصٌ ورداء وليس عليها إزارٌ ولا سراويل . و (فى العباب) : المِفْضَلَ والفُضل بضمتين . وفى هذا عن الفراءِ (٢) كالخيعل تلبسُها المرأة فى بيتها ، والمرأة فضلٌ بضمتين إذا لبسته . قال الأعشى :

ومستجيبٍ تخالُ الصّنج يُسمعِهُ   إذا ترجِّع فيه القينةُ الفُضلُ

المُستجِيب : العُود شبَّه صوته بصوت الصنج ، فكأنَّ الصنج دَعَاه . يقول : هو الذى من شأنه سُلوكُ موضع المخافة ، يمشى متمكِّنا غير فَروقٍ ولا هَيُوب ، كمشى المرأة المتبخترة الفضل (٣) .

---

(١) ش : « سالكهما » ، وصوابه فى ط وشرح السكرى .

(٢) كذا فى النسختين .

(٣) ط : « والفضل » ، والواو مقحمة .

قال ابن الشجرى (فى أماليه) :الوجه نصب الثُّغرة بالسالك ، كقولك الضارب الرجلَ ، ويجوز خفضها على التشبيه بالحسن الوجهِ . واليقظان صفة الثُّغرة نصبتَها أو خفضتها ، وارتفع به كالئها ، وجاز ذلك لعودِ الضمير على الموصوف . وقوله : مشىَ الهلوك ، منصوب بتقدير : تمشى مشىَ الهلوك . وإن شئت نصبته بالسالك ؛ لأن السَّالك يقطع الأرض بالمشى . انتهى.

وقال العينى : لايجوز نصبه بالسالك ، لأنّه موصوف باليقظان ، ولاتعمل الصفة بعد وصفها .

أقول : هذا سهو منه ، فإنّه قال : اليقظان صفة الثغرة كما نقلنا .

والفضل نعت للهلوك على الموضع ، لأنها فاعلة للمصدر الذى أضيف إليها . والتقدير : تمشى كما تمشى الهلوك الفضل . وبه أنشد ابن الناظم (فى شرح الألفية) . وزعم جماعةٌ أنه مرفوع على المجاورة للمرفوع الذى هو الخيعل . وهذا شىءٌ لم يقل به أحدٌ من المحقِّقين . وسيأتى الكلام عليه إن شاء الله تعالى بأوسع من هذا فى آخر هذا الباب .

وعلى تفسير الفراء والسكرى للفُضل يكون صفةً للخيعل .

وقد تكلَّم أبو علىّ (فى الإيضاح الشعرى) على المصراع الأول بغير ماذكرنا تمريناً للطالب ، أحببنا ذكره هنا ، قال : إن نصبت كالئَها لم يجز أن تجعلها حالا من السالك وأنت قد وصفته باليقظان ، لأنك حينئذ تفصل بين الصلة والموصول ،ولكن يجوز أن تنصبه حالاً عمًّا فى يقظان ، كأنّه يتيقَّظ فى حال حفظه إياها .ويجوز إذا نصبت كالئَها أيضاً أن تجعله بدلا من اليقظان.

فإن قلت : أفيجوز إذا نصبتُ كالئَها أن أجعلَ الكالىء حالاً من الموصول الذى هو السالك على أن لا أجعل اليقظان صفة للألف واللام ،

٢٨٩ ولكن أجعلهُ صفة للثغرة ، فلا يلزم حينئذ إذا جعلتُه حالا أن أكون قد فصلتُ بين الصلة الموصول .

(فالجواب) أنّ وصف الثُّغرة باليقظان ليس بالسَّهل ، لأنَّ اليقظان من صفَةِ الرجل دون الثغرة ، وهو مع ذلك مذكَّر ، والثغرة مؤنث .

فإن قلت : فهل يجوز أن أحمل على الاتساع فأقول:ثغرة يقظان ، وأنا أريد يتُيقَّظ فيها لشدَّة خوف السالك لها ، كما أقول:ليلٌ نائم أريدُ أنَّه ينُام فيه ، وأحمل التذكيرَ على المعنى ، لأنَّ الثغرة والثغر والموضع واحدٌ فى المعنى ؟ (فالجواب) : أنّك إن حملتَه على هذا لم يمتنع أن يكون كالئَها حالاً من اللام التى فى السالك المنتصب . وإن جعلت اليقظان على هذا الذى ذكرتَه من الاتِّساع جاز أيضا فى الكالئ أن تجعله حالاً مما فى السالك ، مما يعود إلى اللام . ألا ترى أنَّك إذا جعلت اليقظان وصفاً للثُّغرة ولم تجعله صفةً لِلاَّم لم تتم الصلّة ، وإذا لم تتمّ ولم يكن فى الكلام شىءٌ يؤْذن بتمامها من صفةٍ لها أو عطفٍ عليها أو تأكيدٍ يتبعها ، لم يمتنع أن تجعل كالئَها حالاً من الضمير كما وصفنا . فإنْ رفعت كالئُها ورفعت السالك ، جاز أن يكون السالك ابتداءً مثل الضارب هنداً حافظها . فإن نصبت السالك ورفعت كالئُها كان ارتفاع كالئُها باليقظان ، كأنه قال : السالك الثغرة المتيقظ كالئُها ، كأنَّه ثغرٌ مخوف ، يحتاج حافظه أن يكون متيقظا حذراً لايغفُلُ ولايدع التحرُّزَ من شدَّة الخوف فيها. ويجوز أن ترفع اليقظان وتنصبَ السالك وكالئُها ، فيكون اليقظان بدلاً من الذِّكر العائد إلى الألف واللام فى السالك ، فيكون كالئُها حالا من السالك. انتهى كلام أبى على.

وبعد خمسة أبيات قال :

(فاذهبْ فأىُّ فتًى فى الناس أَحرزه
مِن حتفه ظُلَمٌ دُعْجٌ ولاِ جَبلُ)

هذا الاستفهام معناه النفى ، ولذلك عطف عليه قوله:ولا جبل . وبهذا المعنى استشهد العلماء بهذا البيت ، منهم الفرَّاء (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ ومالنا أن لانقاتل [١]﴾ ، وقال : هذا البيتُ مما حمل على معنى هو مخالف لصاحبه فى اللفظ ، أى ليس يُحرز الفتى من يومه ظُلَمٌ دُعْجٌ ولاجبل . قال : ومثلُه قول الشاعر [٢] :

* ألا هل أخو عيش لذيذٍ بدائمِ [٣] *

أى ما أخو عيش . ومثله فى قراءة عبد الله : ﴿ كيف يَكُون للمشرِكينَ عهدٌ عِنْدَ الله ولاذمَّة [٤] ﴾ ، أى ليس للمشركين .

وقال الكسائىُّ : سمعت العرب تقول : أين كنتَ لتنجوَ منِّى ؟ أى ماكنت لتنجو منِّى [٥] . وذكر له نظائر كثيرة .

ولهذا أيضا أورده ابنُ هشام (فى مغنى اللبيب) فى الواو العاطفة . وأحرزه بمعنى جعله فى حِرز يمنع من الوصول إليه . ومن حتفِه متعلِّق به . والحتف: الهلاك . والظُّلَمُ بضمة ففتحة : جمع ظلماء ، وهى الليالى السُّود . والدُّعْج: جمع دعجاء ، وهى الشديدة السَّواد . والعرب تسمِّى الليلة الأُولى من ليالى المَحَاق الثلاثة فى آخر الشهر : دعجاء،وهى ليلة ثمانية وعشرين؛والثانية: السِّرار بالكسر؛

---

(١) الآية ٢٤٦ من سورة البقرة .

(٢) هو الفرزدق . ديوانه ٨٦٣ .

(٣) صدره فى الديوان ومعانى الفراء ١ : ١٦٤ :

* يقول إذا اقلولى عليها وأقردت *

والثالثة : الفلتة [١] بالفاء ، وهى ليلة الثلاثين . والجَبَل بالجيم والموحدة ، وروى : « الحِيل » بكسر المهملة ، جمع حِيلة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثلاثون بعد الثلثمائة :

٣٣٣ (وذُبْيَانيَّةٍ أوصَتْ بَنِيها بأَنْ كَذَبَ القَراطِفُ والقُروفُ)

على أنَّ الكذب مستَهْجَنٌ عندهم ، بحيث إذا قصدوا الإغراءَ بشىء قالوا : كذب عليك [٢] . أى عليكم بهما فاغتنموهُما . ٢٩٠

وقد بيَّنه الشارح المحقق فى باب اسم الفعل ، بأوضحَ من هذا ، ونزيد هناك ماقيل فيه ، إن شاء الله .

قال الزمخشرى (فى الفائق) عن أبى علىّ : هذه كلمةٌ جرت مجرى المَثل فى كلامهم ، ولذلك لم تَصرَّف ، ولزِمَتْ طريقةً واحدة فى كونها فعلاً ماضيا معلَّقا بالمخاطب ليس إلاّ ، وهى فى معنى الأمر ، كقولهم فى الدُّعاء : رحمك الله .

والمراد بالكذب الترغيب والبعث ، من قول العرب : كذَبتْه نفسُه ، إذا منته الأمانىَّ وخَيَّلت إليه الآمال مما لايكاد يكون [٣] . وذلك مايرغِّب الرجلَ فى الأمور ، ويبعثه على التعرُّض لها . انتهى .

ومضر تنصب بكذب ، وأهل اليمن ترفع به . قال ابن السكيت : يرفعون المُغْرَى به ، ومن نصب فعلى الأمر والإغراء .

---

(١) ط : « الفلبة » بالباء ، صوابه فى ش . وانظر تعليل تسميتها بالفلتة فى اللسان (فلت) .

(٢) أمالى ابن الشجرى : ٢٦٠ والسمط ٤٨٤ واللسان (كذب ، قرطف ، قرف) .

(٣) فى الفائق ٢ : ٤٠٢ : « وخيلت إليه من الآمال مالا يكاد يكون » .

وأورد صاحب (الكشّاف) هذا البيت عند قوله تعالى : ﴿ ووصَّينا الإنسانَ بوالديه حُسْنا [١] ﴾ على أنَّ وصَّى يجرى مجرى أَمَرَ معنى وتصرُّفا .
و(القراطف) : جمع قَرْطَفٍ كجعفر ، وهو القطيفة ، أى كساء مُخْمل .
و(القُروف) : جمع قَرْف بفتح فسكون ، وهو وعاءٌ من جلد يدبغ بالقرفة بالكسر ، وهى قُشور الرمَّان ، ويُجعَل فيه الخَلْع ويطبخ بتوابلَ فيفرَّغ فيه .
والخَلْع بفتح الخاء المعجمة وسكون اللام : لحم يُطبخ بالتوابل ثم يجعل فى القَرْف ، ويتُزوَّد به فى الأسفار . والواو واو رُبَّ . يقول : رب امرأةَ ذبيانيَّة أمرت بنيها أن يستكثروا من نهب هذين الشيئين إن ظفروا بعدوِّهِم وغنموا ، وذلك لحاجتهم وقلَّة ماهم . كذا فى (أبيات المعانى لابن قتيبة [٢]) وفى (نوادر ابن الأعرابى) .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة لمعقِّر البارقىّ ، مدح بها بنى نُمير وذكَر مافعلوا ببنى ذبيان بشِعب جَبَلة ، وهو يومٌ كانت فيه وقعة بين بنى ذبيان و [بين] بنى عامر ، فظهرت بنو عامر على بنى ذبيانَ فى ذلك اليوم .
ونمير : أبو قبيلة من قيس ، وهو نمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هَوازن ، وكان معقِّر حليفاً لهم ، وذكر مافعلوا ببنى ذبيان .

أبيات الشاهد

وبعد هذا البيت :

(تجهِّزُهم بما اسْطاعتْ وقالتْ بَنِيَّ ، فكلُّكُمْ بطَلٌ مُسِيفُ
فأخلفْنا مَودتَّها فقاظت وما فى عينها حَذِلٌ نَطوفُ)

وبنىَّ منادى ، أى يابَنِيَّ . والفاء فى « فكلُّكم » فصيحة ، أى إنْ تغزوا فكلُّكم إلخ .

---

(١) العنكبوت ٨ .
(٢) انظر المعانى الكبير ٣٨١ ، ٨٠٤ .

قال ابن قتيبة وابن الأعرابي : المسيف الذى ذَهب مالُه ووقع فى إبله السَّواف . يقال أساف الرجلُ ، أى هلك مالُه . والسَّواف بالفتح وقيل بالضم : مرض المال وهلاكُه . يقال : وقع فى المال سَوافٌ ، أى موت . تعنى أنَّ أولادها فقراءُ . تحرِّضهم على الغنيمة .

وقوله : « فأخلفْنا مودَّتها » الخ أى أخلفْنا هَواها ، وخيَّبنا مأمُولها . وقاظت : أى أقامت فى القيظ ، وهو الصَّيف . والحَذِل بفتح الحاء المهملة وكسر الذال المعجمة : المُوق الذى فيه بَثر وحُمرة . والمأقِى : لغة فى المُوق ، وهو طرف العين ناحيةَ الأنف . ونَطوفٌ أى سائل . يقال نطف الماء ينطِف بالضم والكسر ، إذا سال .

معقر بن أوس

ومعقِّر بضم الميم وفتح العين وتشديد القاف المكسورة ، وهو معقِّر بن أوس بن حمار ، على لفظِ واحدِ الحمير ، ابن الحارث بن حِمار [١] بن شِجنْة بن مازن بن ثعلبة بن كنانة بن بارق ، وهو لقبٌ ، واسمه سعد .

قال صاحب (العباب) : وبارق:أبو قبيلة من اليمن ؛ واسم بارق سعد بن عدىّ بن حارثة بن عمرٍو مزيقيا بن عامرٍ ماء السماء الأزدى . قيل : بارقٌ فى الأصل جبلٌ باليمن نزله بنو عدىٍّ بن حارثة فسمُّوا بهِ .

٢٩١

وكان قوم معقِّر قد حالفوا بنى نمير بن عامر فى الجاهليَّة ، لدمٍ أصابوه منهم ، وشهدوا يوم جبلة ، وكان [٢] معقِّر قد كُفّ بصره ؛ وكان قبل ذلك

---

(١) فى المؤتلف ٩٢ : « معقر بن الحارث بن أوس بن حمار » . وفى الأغانى ١٠ : ٤٤ « معقر بن أوس بن حمار » . وفى ١٠ : ٤٥ : « واسمه سفيان بن أوس . يعنى أن « معقرا » لقب له سمى به لقوله :

لها ناهض فى الوكر قد مهدت له ... كما مهدت للبعل حسناء عاقر

(٢) وكان ، ساقطة من ش .

من فرسان قومه وشعرائهم ، المشهورين يوم جَبَلة ، وكان قبل الإسلام بتسع وخمسين [١] سنة ، قبلَ المولد الشريف النبوى بتسع عشرة سنة . كذا فى الأغانى للأصبهانىّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون بعد الثلثمائة [٢] :

٣٣٤ (ولَيلٍ يقولُ النَّاس من ظُلُماتِه ... سَواءٌ صحيحاتُ العُيونِ وعُورُها
كأنّ لنا منه بيوتاً حَصينةً ... مُسُوحاً أعاليها،وساجاً كُسُورُها)

على أنّ مسوحاً وساجاً نعتان لقوله : بيوتا . وصحَّ النَّعت بهما مع أنّ كلاًّ منهما [٣] اسمُ جوهرٍ ، أى جسمٌ ، لتأويلهما بالمشتقّ . فالأوَّل يؤوَّل بسُوداً ، والثانى بكثيفا .

قال ابن مالك : رفع الأعالى والكسور بمسوح وساج ، لإقامتهما مقام سود .

وقال السيرافى : ذهب بمسوح إلى سُود ، وبساج إلى كثيف . انتهى .

وأورد ابن جنى هذا البيت (فى إعراب الحماسة) مع نظائرَ له ثم قال : وهذا يدلُّكَ مِنْ مذهبها [٤] على أنَّها إذا نقلت شيئاً من موضعه إلى موضع آخر مكَّنته فى الثانى . ألا ترى أنَّ هذه الأشياء كلَّها أسماءٌ فى أصولها ، ولمَّا

---

(١) ش : «بخمس وسبعين» ، ولايستقيم . وفى معجم البلدان : «بسبع وخمسين سنة وقبل مولد النبى ﷺ بسبع عشرة سنة» . وفى العقد ٥ : ١٤١ :« وكان يوم شعب جبلة قبل الإسلام بأربعين سنة ، وهو عام ولد النبى ﷺ » .

(٢) حماسة ابن الشجرى ٢٠٤ وزهر الآداب ٧٥١ .

(٣) ط : «وصح النعت بها مع أن كلا منها» ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٤) يعنى مذهب العرب .

نقلَتْها إلى أن وصفَتْ بها مكَّنتْها وثبَّتت أقدامَها فيه ، حتّى رفعتْ بها الظاهر ، وحتّى أنّثتْها تأنيث الصّفة ، وأجرتْها على ماقبلها جَرَيان الصّفات على موصوفاتها . وعكس ذلك ماأخرج من الصّفة إلى الاسم فمُكّن فيه ، نحو صاحب ووالد . ألا تراهم حمَوْا كلامهم أن يقولوا فيه : مررت بإنسان صاحب ، حتّى صار صاحب بمنزلة جار وغلام . انتهى باختصار .

و(المسوح) : جمع مِسْح بالكسر ، وهو البِلَاس بكسر الموحدة وفتحها ، وهو فارسىٌّ معرب أورده الجواليقى (فى المعربات) .وهو يُنسَج من الشَّعَر الأسود .

قال صاحب (الصحاح) : وأهل المدينة يسمُّون المِسْحَ بلاسا . ومن دعائهم : أَرَانيكَ اللهُ على البُلُس [1] ! وهى غرائر كبارٌ من مسُوح ، يجعل فيها التبْن فيشهَّر عليها من ينكَّل به ويُنادَى عليه .

(والساج) بالجيم : ضربٌ من الشجر لاينبُت إلاَّ بالهند والزّنج ، يجلب خشبُه ، وهو أسود . وإليه يشير تفسير الشارح له بِالكثيف . والساج أيضا : الطَّيْلسان الأخضر ، وهو ألوانٌ متقاربةٌ يطلق كلٌّ منها على الآخر . وبهذا المعنى فسَّر الساج ههنا .

صاحب الشاهد

قال غلام ثعلب (فى كتاب اليوم والليلة) : يقال إنَّ أشعَر ماقيل فى فى الظُّلمة قول مضرِّس . وأنشد هذين البيتين . ثم قال : يريد الطّيلسان .

وكذلك قال الشريف ضياء الدين هبة الله على بن محمد بن حمزة الحسينى (فى الحماسة) التى صنَّفها كحماسة أبى تمام ،وزاد عليه أبواباً كثيرة، وأورد

---

(١) فى اللسان : « البلس » بفتحتين . والصواب أن يكون بضمتين جمعا لبلاس .

فيها أشعاراً جيدة ، وقد أجاد فى الاختيار والنقد عندما أورد هذا الشعر فيها .
وعلى هذا يؤوّل الأوّل بسُودا كثيفة ، والثانى بأسودَ لطيف .

وإلى هذا أشار الحُصْرىُّ (فى زهر الآداب) بعد ماأورد البيتين بقوله :
أراد أنَّ أعلاه أشدُّ ظلاما من جوانبه . وهذا معلومٌ حِسًّا ، فإن الإنسان إذا
كان قائماً فى الظلام لايكاد يرى شيئاً ، وإذا لَطِىءَ بالأرض فربَّما رأى شيئاً . ٢٩٢

و(الكسور) : جمع كِسْر بكسر الكاف ، وهو أسفل شُقَّة البيت التى
تلى الأرض من حيث يُكسر جانباه ، من يمينك ويسارك . وفى جميع نسخ
الشرح : « ستورها [١] » بدل كسورها ، والظَّاهر أنَّه تحريف من الكتَّاب .
و(البيوت) : جمع بيت ، قال ابن الأنبارى (فى شرح المفضليات) : البيت
عند العرب هو مايكون من صُوف أو شَعَر ، والخيمة لاتكون إلاَّ من شجر .

وضمير أعاليها وكسورها راجعٌ للبيوت . شبَّه الليل بالبيوت الحصينة ،
للتحصين بهول الظَّلام ، فإنّه لايقدر أحدٌ أن يهجم على أحد .

وقوله : (وليل يقول الناس) إلخ ، من للتعليل ، (سواء) خبر مقدَّم ،
و(صحيحات) مبتدأ مؤخر ،والجملة مقول القول . أى العيون الصحيحة
والعيونُ العُور سواءً فى عدم رؤية شيء لتكَاثُفِ الظَّلام . وروى : (بصيرات
العيون) . والواو فى وليل هى واو رُبَّ ، وجوابها:تجاوزْته فى بيتٍ بعدهما ، وهو:

أبيات الشاهد (تجاوزْتُه فى ليلةٍ مدلهمَّةٍ يُنادى صدَاها ناقتى يَستجيرُها)

كأنه أراد بليلة قطعة منها . والمدلهمَّةُ : الشديدة السَّواد . وروى :

---

(١) ط : «سطورها» ، صوابه فى ش .

* تجاوزتُه فى هِمَّة مشمعلَّة *

أى سريعة . والصَّدى من طيور الليل ، وهو ذكر البُوم ، وإنَّما استجار بناقتِه لتفاقم هول الليل ، فأراد أن يصحبَها ليأمنَ . والأصل يستجير بها ، فحذف ووصلَ . قال الشريف [صاحب الحماسة] : من أحسن ماوصف به سوادُ اللَّيل هذه الأبيات . وقبلها بيتان (١) فى وصف اليَوْم وهما :

(ويومٍ من الشِّعرى كأنَّ ظباءه كواعبُ مقصورٌ عليها ستورُها
نَصبتُ له وجهى وكَلَّفتُ حَمْيَهُ أفانينَ حُرجوجٍ بطىءٍ فتورُها)

أى ربَّ يوم من أيام طُلوع الشِّعرى ، وهو الكوكب الذى يطْلع بعدَ الجوزاء ، وطلوعُه فى شدَّةِ الحَرِّ . والكواعب : جمع كاعب ، وهى الجارية التى يبدو ثديُها للنُّهود . وقَصَرت الستر : أرخيته . شبَّه الظباء الكانسة من شدّة الحَرِّ بعذَارَى أُرخِىَ عليهن السِّتْر لئلاَّ يراهنَّ أحد .

ونصبت له ، أى لذلك اليوم . ونصب الشىء : أقامَه ، وهو جواب ربَّ . وكَلّف يتعدَّى لمفعولين أوَّلهما : حَمْيه ، أى حَمْىَ ذلك اليوم ، وهو مصدر حَمِيت الشَّمس والنارُ مثلاً ، إذا اشتد حرُّهما . وثانيهما : أفانين ، وهو جمع أفنون بالضم ، وهو الجرى المختلط من جَرْىِ الفرسِ والناقة . كذا فى القاموس . والحُرْجوج ، بضم الحاء المهملة وجيمين أولاهما مضمومة ، وهى الناقة السَّمِينة ، وقيل الشديدة ، وقيل الضامرةُ الوقَّادة القلب . وبطىء بالجر صفةٌ سببيَّةٌ لحرجوج ، وفتورُها فاعل بطىء ، والضميرُ لحرجوج . والفُتور : مصدر فتر من باب دخل ، إذا ضَعف وتعب .

(١) ط : « وقيل بيتان » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

صاحب الشاهد

وهذه الأبياتُ لمضرِّس بن ربْعىّ ، وهو بكسر الراء وسكون الموحدة ، الأسدى . وهو شاعر جاهلى . وهو بضم الميم وكسر الراء المشددة فى اللغةِ : الأسد الذى يَمضَغ لحم فريسته ولا يبتلعه . وقد ضرَّس فريسته تضريسا ، إذا فعل بها ذلك . وقال أبو عَمرو : المضرِّس الذى قد جرَّب الأمور ، وقيل مشتقٌ من الضِّرس ، أى قد نبتَ [١] له ضِرس الحُلم .

مضرس بن ربعى

وهذا نسبُه من (المؤتلف والمختلف للآمدى) : مضرِّس بن ربعىٍّ ، بكسر الراء وسكون الموحدة وتشديد الياء المكسور ماقبلها ، ابن لَقيط بفتح اللام ، ابن خالد بن نَضْلة ، بفتح النون وسكون الضاد المعجمة ، ابن الأشتر بن جَحْوان بفتح الجيم وسكون الحاء المهملة ، ابن فَقْعَس بن طَريف بن عَمرو بن قُعين ، بضم القاف ، ابن الحارث بن ثعلبة بن دُودان ، بضم الدال ، ابن أسد بن خُزيمة . وهو شاعر محسِّن متمكِّن ، وهو القائل :

٢٩٣

فلا تُهلكنّ النفسَ لَوماً وحسرة على الشَّىءِ سَدّاهُ لغيرك قادرُه [٢]

ولا تيأسَنْ من صالحٍ أن تنالَه وإن كان بؤسا بين أيدٍ تُبادرُه

وما فات فاتركه إذا عزَّ واصطبر على الدهر إن دارتْ عليك دوائرُه [٣]

فإنّك لاتعطى امرأً حظَّ غيره ولاتعرف الشِّقَّ الذى الغيثُ ماطرُه[٤]

وربِعىّ : منسوب إلى الربيع . وأربع الرجلُ ، إذا وُلد له ولدٌ وهو شابٌّ.

---

(١) ط : «ثبت» ، صوابه فى ش .

(٢) ط : «أسداه» ، وأثبت مافى ش والمؤتلف ١٩١ . وفى اللسان : « واذا نسج إنسان كلاما أو أمرا بين قوم قيل : سدّى بينهم » .

(٣) ط : والمؤتلف : «عن الدهر» ، صوابه فى ش . وفى الكتاب العزيز : « واصطبر عليها » .

(٤) ويروى : « قاطره » كما فى حواشى المؤتلف . والى هنا ينتهى نص المؤتلف .

وولده ربعىٌّ . وأصاف فهو مُصِيفٌ ، إذا ولد له بعد ماكبر . وولده صَيفىٌّ.قال الراجز [١]:

إنّ بنىّ صِبيةٌ صيفيونْ أفلحَ مَن كان له رِبْعيُّونْ

وذكر الآمدى شاعراً آخر اسمه مضرِّس ، وهو مضرِّس بن قرطة [٢]بن الحارث المزنى ، شاعر محسِّن مُقِلٌّ ، وهو القائل :

وأقسمُ لولا أن تقولَ عشيرتى صبَا بسُليمى وهو أشمطُ راجفُ

لخَفَّتْ إليهاَ من [بعيد] مطِيَّتى ولو ضاعَ من مالى تليدٌ وطارفُ [٣]

ذكرت سليمى ذِكرةً فكأنّما أصابَ بها إنسانَ عينِىَ طَارفُ

ألا إنّما العينانِ للقلب رائدٌ فما تألف العينانِ فالقلب آلفُ

وليس فى الصحابة من اسمه مضرِّس إلاَّ مضرِّس بن سفيان بن خفاجة . كذا فى الإصابة [٤]

* * *

وأنشد بعده :

(ولقد أمرُّ على اللئيم يسبنى)

وتمامه :

* فمضيت ثُمَّتَ قلت لايعنينى *

وقد تقدم شرحه مستوفًى فى الشاهد الخامس والخمسين [٥].

* * *

---

(١) هو سعد بن مالك . انظر نوادر أبى زيد ٨٧ والمحتسب ٢ : ٤٩ .

(٢) وكذا فى المؤتلف بالطاء المهملة . وانظر سمط اللآلى ٨٩٣ .

(٣) فى النسختين:«لحقت» صوابها من المؤتلف . وكلمة :«بعيد» ساقطة من النسختين،وإثباتها من المؤتلف.

(٤) الحق أن فى الصحابة مضرسا آخر.هو مضرس بن عمرو، الثعلبى ذكره ابن حجر برقم ٨٠٠٣.

(٥) الخزانة ١ : ٣٥٧ .

وأنشد بعده :

(جاءُوا بمذقٍ هل رأيتَ الذّئبَ قطّْ)

وهذا أيضاً تقدم شرحه مفصلا فى الشاهد السادس والتسعين [١].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد س [٢]:

٣٣٥ (ونَظَرْنَ من خَلَلِ السُّتور بأَعينٍ   مَرْضَى مُخالِطِها السَّقامُ صِحاحِ)

على أنّ مخالطها بالجر صفة لأعيُن . قال سيبويه : سمعنا العرب تنشد هذا البيت جرًّا . ومرادُه الردُّ على يونسَ فى زعمه أنّ الوصف إذا كان للاستقبال يجب رفعُه على الابتداء ، ولايجوز إتباعه لما قبلَه . فلو كان كما زعم لرفع الوصف ، فدلَّ روايةُ الجر على جواز مازعمه [٣].

ونصُّ سيبويه : وبعضهم يجعله نصبا إذا كان واقعاً ، ويجعله على كلِّ حال رفعاً إذا كان غير واقع . هذا قول يونس .   ٢٩٤

وكلام سيبويه هنا فيه غموضٌ ، وقد لخَّصه الشارح المحقِّق وبيَّن المذاهب الثلاثةَ بألطفِ عبارة وأظهر بيان ، فلله دَرُّه ، ماأحسن استنباطه وأجود تقريره .

صاحب الشاهد   وهذا البيت من قصيدة لابن ميَّادة ، وقبله :

قرين الشاهد   (وارتَشْنَ حين أردْنَ أن يرمينَنا   نَبلاً بلا ريشٍ ولا بقداحِ)

وقوله : وارتشن ، أى اتخذن ريشاً لسهامِهنَّ . وهذا على طريق المثل ، جعل أعينهنّ إذا نظرن بمنزلة السِّهام التى يُرمى بها . ونبلاً إمّا منصوب بارتشن بمعنى

---

(١) الخزانة ٢ : ١٠٩ .

(٢) فى كتابه ١ : ٢٢٧

(٣) أى لا علَى وجوبه .

رشن ، وإمَّا منصوب بإضمار رشن ، كأنه قال : ارتشن فرشن نبلاً . تقديره : اتخَّذن ريشاً فرِشن به نبلا . والقداح : جمع قِدح بكسر القاف وسكون الدال ، وهو عود السَّهم قبل أن يُوضع فيه النَّصل والرِّيش . وروى :

* نبلاً مقذَّذة بغير قداح *

والمقذَّذة : السهام التى لها قُذّة ، بضم القاف وتشديد الذال المعجمة ، وهى ريش السهم . يريد أنّ السِّهام التى أصلحْنَها ورَمين بها ليست بسهامٍ من خشب ، وإنّما هى أعينُهنّ إذا نظرن بها إلى إنسان . وخَلَل الستور، بفتح الخاء المعجمة : الفُرَج التى فيها .

وأورده الزجاج فى معانى القرآن عند قوله تعالى : ﴿ واتَّخَذ اللهُ إبراهِيمَ خَليلاً ﴾ (١) قال : والخَلل : كلُّ فرجة تقع فى شىء ، فإنّ معناه نظرن من الفرج التى تقع فى الستور . انتهى .

وروى : « من خلل الخدور » جمع خِدر بالكسر ، وهو السِّتر . وجارية مخدَّرة ، إذا أُلزِمت (٢) السِّتر . أشار إلى أنّهنَّ مصونات لاينظرن إلاّ من وراء حجاب . والعيون المرضى : التى فى طرفها فُتور ، وجعل ذلك الفتور والضَّعف الذى فى نظرها بمنزلة السَّقام فيها وهى صحاحٌ فى أنفسها لاعلّة فيها . وإنما يفتر النظر من رُطوبة الجسم والنَّعمة والتُّرفَة . وصفَ نساءً يُصبن القلوب بفتور أعينهنّ وحسنهنّ ، فجعل نظرهنَّ كالسهام ، ووصف عيونَهن بالمرض لفتور جُفونهن ،ثم بيَّنَ أنَّ فتورها من غير علَّة . فقوله : ونظرن ، معطوف على قوله : وارتشن، ومن والباء متعلّقان به ،وذكَر (٣)لأجل وصفها المذكور،وإلّا فالنظر

---

(١) الآية ١٢٥ من النساء .

(٢) ط : « لزمت » ، وأثبت مافى ش .

(٣) يعنى ذكر « العين » .

لايكون إلّا بالعين . ومرضى : جمع مريض ، وصف الجمع بالجمع ، أو جمع مريضة . والسَّقام فاعل مخالط . والصحاح بالكسر : جمع صحيحة ، وهو وصف ثالث .

وابن ميّادة شاعر إسلامى ، تقدَّمتْ ترجمته فى الشاهد التاسعَ عشر من أوائل الكتاب [١].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثلاثون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد س [٢] .

٣٣٦ (حَمَيْنَ العراقيبَ العصا وتركْنَه   به نَفَسٌ عالٍ مخالطُــه بُهْــرُ)

على أنَّ مخالطه بالرفع صفة لنَفَس ، وبهر فاعله ، والإضافة لفظيَّة والتنوين مقدَّر لنية الانفصال ، كالبيت السابق .

قال سيبويه : وإن ألغيت التنوين [٣] وأنت تريد معناه جرى مثلَه منوّنا . ويدلُّ على ذلك أنَّك تقول:مررت برجل ملازمِك، فتجرّ ويكون صفة للنكرة بمنزلته [٤] إذا كان منوَّنا . وتقول : مررت برجلٍ مخالطٍ بدنَه أو جسدَه داء ، فإنْ ألغيت التنوين [٥] جرى مجرى الأوّل إذا أردتَ ذلك المعنى ، ولكنَّكَ تُلغى التنوينَ [٦] تخفيفا . فإنْ قلت:مررت برجل مخالطِ داء،وأردت معنى الأوّل جرى على الأوّل ، كأنَّك قلت:مررت برجل مخالط إياه داءٌ. فهذا تمثيلٌ وإن كان يقْبحُ فى الكلام . فإذا كان يجرى عليه إذا التبسَ بغيره ، فهو

---

(١) الخزانة ١ : ١٦٠ .

(٢) فى كتابه ١ : ٢٢٧ . وانظر ديوان الأخطل ١٩٨ .

(٣) فى سيبويه ١ : ٢٢٧ : «وإن ألقيت التنوين» بالقاف .

(٤) ط : «بمنزلة» ، صوابه من ش وسيبويه .

(٥) فى سيبويه : «فان ألقيت التنوين» بالقاف .

(٦) فى سيبويه : « تلقى التنوين » بالقاف

٢٩٥ إذا التبسَ به [١] أحرى أن يجرىَ عليه . انتهى .

وفى البيت ردٌّ على يونسَ فى زعمه أنّ الصفة إذا كانت للحال وجب نصبُها على الحال ؛ فإنّ الرواية برفع مخالطه على الإتباع ، مع أنه للحال لا للاستقبال . قال سيبويه : وأُنشدَ غيره ، أى غير ابن ميَّادة من العرب ، بيتاً آخر ، فأجروه هذا المجرى ، وهو قوله:

* حمين العراقيب العصا وتركنه *

والعمل الذى لم يقع والواقع الثابتُ فى هذا الباب سواء ، وهو القياسُ وقولُ العرب . انتهى .

وظهر من هذا أنَّ قول الشارح المحقق : وأنشد غيرُه ، داخلٌ تحت مقول قول سيبويه ، وإن كان ظاهرُ العبارة يُوهم أنَّ المنشد غير سيبويه . وقوله أيضاً : « وليونس أن يحمل رفعَه على الابتداء » هو تخريج الأعلم (فى شرح أبيات الكتاب) . قال : « ويجوز أن يكون رفعهما على الابتداء والخبر» .

وقول ابن خلف : ولم ينصب مخالطه على الحال لأنَّ المخالطَةَ فاعلها البهر ، ساقط ، وما المانع من كونه حينئذ حالاً سببيَّة ، والعراقيب والعصا مفعولان لحمين ، وتركنه معطوف على حمين بمعنى فارقنه . وجملة (به نفس عال) إلخ حالٌ من الهاء . و(البُهْر) بالضم : تتابع النَّفس من التعب . يعنى أَنَّهنّ سِرن سيراً شديداً ففُتْنَ الحادىَ ، فحمين عراقيبَهنَّ من ضربه بالعصا ، فأخذه البُهر لشدَّة عدْوِهِ خلفهنَّ . وقوله :« حمين العراقيب » جواب إذا فى بيتٍ قبله ، وهو :

(إذا اتَّزر الحادى الكميشُ وقوّمَتْ
سوالفَها الرُّكبانُ والحَلَقُ الصُّفْرُ)

---

(١) فى النسختين : « ألبس به » ، وأثبت ماف سيبويه .

واتّزر بمعنى لبس الإزار . والحادى : سائق الإبل . والكميش : السَّريع الماضى . وقد كمُشَ بالضم كماشةً ، فهو كمِشٌ وكميش . وقوّمَت : عدّلت . والسوالف : جمع سالفة ، وهى من الإبل والخيل : الهادية ، أى ماتقدّم من العُنق ، وهو مفعولٌ مقدّم ، والرُّكبان فاعل مؤخر . والحلق معطوف على الركبان ، وهو جمع حَلَقة بالتحريك أيضاً ، وأراد البُرَةَ ، وهى حَلْقة من نحاس تُجعل فى أنف الإبل ، لتذليلها . والصُّفر : النُّحاس بضم الصاد وكسرها .

وصف فى هذين البيتين سرعةَ الإبل .

صاحب الشاهد — وهما من قصيدة للأخطل ، وهو شاعرٌ نصرانىٌّ من شعراء الدولة الأموية ومادِحيهم . وقد تقدّمت ترجمته فى الشاهد الثامن والسبعين [٢].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثلاثون بعد الثلثمائة :

٣٣٧ (قولُوا لهذا المرءِ ذو جاءَ ساعياً هلُمَّ فإنَّ المشرفىَّ الفَـرائضُ [٢])

على أنَّ « ذو » الطائية إنما وقعت وصفاً وإن كانت على حرفين ، لمشابهتها لذو الموضوعة للوصف بأسماء الأجناس .

صاحب الشاهد — وهذا البيتُ أوّل أبياتٍ ثلاثة لقَوّالٍ الطائى ، أوردها أبو تمام فى الحماسة .

و(الساعى) : الوالى على صدقة الزكاة . يقال سعَى الرجل على الصَّدقة يسعى سعيا : عمِل فى أخذها من أربابها . و(هلمَّ) : أقبلْ وتعالَ . و (المشرفىُّ) بفتح الميم والراء هو السَّيف ، نُسب إلى المشارف ، وهى قرًى كانت السيوف

---

(١) الخزانة ١ : ٤٥٩ .

(٢) انظر الإنصاف ٣٨٣ والأشمونى ١ : ١٥٧ والحماسة بشرح المرزوق ٦٤٠ .

تُصنَع فيها . و (الفرائض) : جمع فريضة ، وهى الأسنان التى تصلح أنْ تُؤخذ فى الصَّدقات . قال صاحب الصحاح : الفريضة مافُرِض فى السائمة من الصَّدقة ، يقال أفرضَتِ الماشيةُ ، أى وجبت فيها الفريضة ، وذلك إذا بلغت نصاباً . يقول : أبلغا هذا الرجل الذى جاء لأخذ الصدقات : تعال [1] فإنّ لك عندنا السيفَ بدلاً من الفرائض .

٢٩٦ قال التِّبريزى : وهذا مأخوذٌ من المثل السائر : « خُذْ من جِذعٍ ماأعطاك » . وجذعٌ : رجل مُصَدِّق ،فطَلب منه فوق حَقِّه ، فقتله جذعٌ .

(وإنَّ لنا حمَضاً من الموت منقَعاً وإنّك مُخْتلٌّ فهل أنت حامضُ)

أى وقولا له : إنّ لنا حَمضا ، بفتح المهملة ، وهو من النَّبات ماله ملوحة ومرارة . والخُلَّة ، بضم المعجمة :ماكان حلواً من النبات .تقول العرب: « الخلة خُبز الإبل ، والحمضُ [2] فاكهتها »، ويقال لحمها . ومنه قولهم للرجُل إذا جاء متهدِّدا : « أنت مختلٌّ فتحمّض » . المختلُّ : الذى يرعى الخلَّة . قال التبريزى : وما فى البيت مثل ؛ يقول : قد مللتَ العافية والسَّلامة ، هلم إلى الشّر . والخلَّة مثل ضربه للحياة ، والحمض مثلٌ ضربه للموت ـ يقول : إن ضاق صدرُك من الحياة فأتنى مصدِّقا فإنّى أقتلك . والمُنقع بزنة اسم المفعول : الثابت . يقال « انقع له الشرَّ حتىّ يسأم » ، أى أَدِمْهُ .

(أظنُّكَ دونَ المال ذو جئت تَبتغى ستَلقاك بِيضٌ للنُّفوس قوابضُ)

المال : الماشية ، ودون متعلّق بأظنك لا بجئت ولا بتبتغى ، لأنّ معمول

---

(١) ش : «يقال» ، تحريف مافى ط . وفى شرح الحماسة : « أقبل وتعال » .

(٢) ط : « والحمضة » ، صوابها فى ش .

الصلة لايتقدّم على الموصول ، وذو هو المفعول الثانى للظن [١] بمعنى الذى . والبيض : السُّيوف . أراد التهكم ، وقد خلط به التوعُّد والاستهانة ، ولذلك قال : أظنك . وتبتغى جملة حالية ، ومفعوله محذوف ، والمعنى أحسبك الذى جاء دون المال تبتغى صدقاته ، سترى ما أُهَيِّئُ لك من سيُوف تنتزع الأرواح .

قوال الطائى

وقوّال الطائىّ بفتح القاف وتشديد الواو : شاعرٌ إسلامىٌّ فى آخر الدولة الأموية ، وقد أدرك الدولة العباسيَّة .

خبر الأبيات

وقال هذه الأبياتَ فى مصدِّق جاء يطلب منهم إبل الصدقة . وسببُها هو ماروا أبو رياش (فى شرح الحماسة) قال : كان من خبر هذه الأبيات أنّ معدان بن عبيد بن عدىّ بن عبد الله ، حدَّث أنه تزوّج امرأةً من بنى بدر بن فَزارة ، قال : وكان شبابٌ من بنى بدرٍ يزوروننا ، فأدرك الثمارُ فاجتمعوا على نبيذ لهم مع شباب منّا ، فأسرع فيهم الشَّراب ، فوقع بينهم كلام ، فوثب غلامٌ منا فضرب شابًّا من بنى بدر فشجَّهُ فمات منها [٢] ، فقلت للبدريين : لكم دية صاحبكم . فأبَوْا إلاَّ أن يُدفع الطائىُّ إليهم ، وأبيت أن أفعل ، فأتوا صاحبَ المدينة فى ذلك ، وكنَّا قد منعْنا الصّدقةَ حين وقعت الفتنة ، فكتب أميَّةُ بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان عاملُ صدقةِ الحليفَين : طيِّىء وأسد ، إلى مروانَ الحمار آخِرِ ملوك بنى أمية ، يخبره بمنعنا الصدقةَ وقَتْلِنا الرجل ، فكتب إليه : أنْ سيِّر إليهم جيشاً . وكتب إلىّ : أنْ مكّن البدريِّين من صاحبهم ، وأدِّ الصدقة ، وإلاَّ فقد أمرتُ رسولى أن يأتينى بك ، وإن أبيتَ أتانى برأسك ، ثم والله لأبيلَنّ الخيلَ فى عَرَصاتك ! فأمرتُ بضرب عنق

---

(١) ش : « لظن » .

(٢) وكذا عند التبريزى . والمراد : من الشجة .

الرسّول . فقال الرَّسُولَ : إنّ الرسّول لايُقتل ، وإنى لأسيرُ فيكم يامعشرَ طيِّيء استحياءً ! فقلت : قد صدقت ، وخلّيت سبيله ، وقلت له : قل لمروان : آليتَ تُبيل الخيلَ فى عرصاتى وبينى وبينك رملُ عالج (١) ، وعديد طيِّيء حولى ، والجبَلان خلفَ ظهرى ، فاجهَدْ جَهْدَك ، فلا أبقى الله عليك إن أبقيت .وكتبت إليه :

ألا مَنْ مبلغٌ مروانَ عنِّى　　على ماكان من نأيِ المزارِ
ألم ترَ لِلخِلافة كيف ضاعَتْ　　إذا كانت بأبناء السّرارى
إذا كانت بذى حُمق تراه　　إذا ماناب أمرٌ ، كالحمارِ ٢٩٧

وكتب إليه غالبُ بن الحُرِّ الطائىّ :

لقد قلتُ للركبان من آل هاشمٍ　　ومِن عبد شمس والقبائلُ تسمعُ
قفوا أيُّها الركبانُ حتى تَبيَّنوا　　ويأتيكم الأمرُ الذى ليس يُدفَعُ
وحتَّى تروّا أينَ الإمامُ وتشعَبوا　　عصا المُلك إذْ أَمسى وبالملك مَضيَعُ
أرى ضيعةً للمال أن لا يضمَّه　　إمامٌ ولا فى أهلـه المالُ يُودعُ

فكتب إلى عبدِ الواحد بن منَيعٍ السَّعدىّ من سعد بن بكر ، وإلى أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان : أن سِرْ بأهْل الشامِ وأهل المدينة وأهل البوادى وقيسٍ وغيرهم ، إلى مَعْدانَ حتّى تأخُذوا منه الصَّدقة وتُقيدوا البدريِّين من صاحبهم ، وأوطِئوا الخيلَ بلادَ طيِّئٍ وائتونى بمعْدان ! فسار أميَّةُ فى ثلاثين ألفاً من أهل المدينة والشام والوادى ، من قيس وأسد ، وبعث إلى كلِّ

(١) ط : « عاجل » ، صوابه فى ش وشرح التبريزى للحماسة فى مقطوعة أدهم بن أبى الزعراء ٢ : ١٧٠ .

صاحبِ ذَحْلٍ ودِمنةٍ [١] يطلبها فى طيِّئ ، وقدّم على مقدِّمته رجلاً يقال له الحريز بن يزيد بن حَمَل ، من الضِّباب ، وثارت قيسٌ تطلب الثأر من طيِّئ . قال معدان : وكنت فى اثنى عشر ألفا ، فلما انتهيت إلى عسكر أمية إذا جبالُ الحديد وعسكرٌ لايُرى طرفاه ، فرفع طيِّئٌ النار على أجأ فاجتمعوا ، فنحروا الجُزُر وعملوا من جلودها دَرَقا ، وطَعِموا من لحومها ، فقلت : يابنى خَيبرىٌّ ويامعشَر طيِّئ ، هو والله يومُكم لبقاءِ الدَّهر أو الهَلاك ، فإذا وقَعَ النَّبلُ عندكم فقبَحَ اللهُ أجزعَ الفريقين ! فصافَفْناهم فرمَوْا بالنَّبل ، ثمَّ شددنا عليهم شَدَّةَ رجلٍ واحد ، فما كان إلاَّ سيفٌ أوسيفان حتّى قُتل الحَريزُ وسِرْحانُ مولى قيس ، واستحرَّ القتلُ فى قيس لأنَّهم حامَوْا عن الحريز ، وكان يلى المعادن [٢] ، فقتل من قيس ثلثمائة ، وانهزموا أقبحَ هزيمة وأسوأها ، فأُتيتُ بأميَّة أسيراً فخلَّيت سبيله ، وأُتيت بجاريةٍ له فألحقتها به إلى المدينة ، وناديت أن لايتبْعوا مُدْبراً ولايُجهِزُوا على جريح ، وإنَّ الكتابَ الذى كتبه مروان لفى أيدينا مانحسن أن نقرأه ، وجَدْناه فى متاعه ، حتى قرأه بعضُ فتيانى فإذا فيه : اقتلْ واسْبِ . وبالله لو كنتُ علمتُ مافى الكتاب ماأفلتَ منهم صبىٌّ ! فكتب صاحبُ المدينة إلى مروان يخبره بما صنعَتْ طيِّئ من قتل الحريز وسِرحان ، وأسْر أمية وقتل ابنه ، ومالقيت قيس ، ومن أجاب دعوتَه . فوجَّه مروان من عنده ابن رَباح الغَسَّانى [٣] فى عشرة آلاف ، فكتب ابنُ هبيرة إلى مَرْوان بقتل ابن ضُبارة وفُصول قحطبة متوجِّها من الرى . فقال : ماتصنع

---

(١) الدمنة : الحقد الذى يدمن الصدر ويفسده .

(٢) المعادن : المواضع التى يستخرج منها جواهر الأرض ، والمشهور فى ذلك معادن القبلية من نواحى الفرع بالمدينة .

(٣) فى شرح التبريزى : « ابن رياح » بالياء التحتية المثناة .

بشَغْل عشرة آلاف فى قتال أعراب طيِّىء ! فصرَفهم إلى ابن هبيرة .

قال مَعْدان : وكتبتُ إلى قحطبة وبعثْتُ رسولاً فوافقه بهمَذان [١] والجيشُ بنهاوَنْد ، فكتب إلىَّ يسدِّد رأيى ويصوِّب أمرى ، ويُخبر أنه لو قدِم الكوفة بعث إلىَّ جندا .

ثم كان من أمر قَحطبة ماكان ، وقام أبو العبَّاس السَّفَّاح فقدِمت إليه فى مائتى رجل من طيِّئٍ ، فأمر لى بعشرين ألف درهم وخِلعة ، وأمر لأصحابى بثلاثمائةٍ ثلاثمائة ، وخصّ قوماً نحواً من ثلاثين رجلا بخمسمائة درهم لكلِّ رجل ، ولعشرةٍ منهم بألِفٍ لكلِّ رجل ، فوالله مارزأْنا مروان ولاجندَه ولاعمَّالَه شاةً ولابعيراً ، وإنَّا لأوَّلُ من نقَم عليه ونَصرَ آل محمد ، حتى انتهى ٢٩٨ إلينا صاحبُنا قحطبة بن شبيب بن خالد بن معدان ، ولجأ إلىَّ يومئذ فِراراً من الحرب عبدُ العزيز بن أبى دَهْبل الجعفرى ، وكنَّا أخوالَه ، فقال عبد العزيز يمدح معدان فى قطعةٍ :

وإنَّ امرأً مَعدانُ فى الحرب خالُه إذا ماالحتْنى من دونه لمنيعُ [٢]

وقيلت أشعار كثيرة فى تلك الوقْعة ، أورد بعضها أبو تمَّام فى الحماسة [٣].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون بعد الثلثمائة ، وهو من أبيات سيبويه [٤] :

---

(١) ط : « بهمدان » ، صوابه فى ش ، وهو بالذال المعجمة اسم للبلدة المعروفة لا للقبيلة .

(٢) ط : « ماالجتنى » ، وأثبت ماق ش مع أثر تصحيح . وفى التبريزى : « احتبى » .

(٣) يشير إلى الأرجوزة البائية التى أولها :

قد صَبحت معن بجمع ذى لجب قيسا وعُبدانهُـــم بالمنتهب

(٤) فى كتابه ١ : ٢٢٢ .

٣٣٨(ولا تَجعلِي ضَيفيَّ ضَيْفٌ مقرَّبٌ وآخرُ معزولٌ عن البيت جانبُ)

على أنّه يجوز القطعُ إلى الرفع فى خبر نواسِخ المبتدأ ، فإنَّ جَعَلَ هنا بمعنى صيَّر ، من نواسخ المبتدأ والخبر ، ينصبهما على المفعولية ، وضيفيَّ المفعول الأول وهو فى الأصل مبتدأ وهى مثنَّى مضافٌ إلى ياء المتكلم ، وضيفٌ مقرّبٌ وآخرُ ، بتقدير وضيفٌ آخر ، كانا فى الأصل منصوبين على أنّهما مفعولٌ ثان لَجعَل ، وفُرِق بينهما بالعطف لأجْل وصف كلٍّ منهما بصفة تغاير صفةَ الآخر ، فقطِعا من المفعولية إلى المبتدأ ، فيكون الخبر محذوفاً ، أى منهما ضيف مقرَّب ، ومنهما ضيف آخر إلخ . أوْ هما خبران لمحذوفٍ ، أى أحدهما ضيفٌ مقرَّب وثانيهما ضيفٌ آخر إلخ . وجملة المبتدأ والخبر فى محل نصب على أنها المفعول الثانى لجعل .

قال سيبويه بعد إنشاده هذا البيت:والنصبُ جيِّدٌ كما قال الجعدىّ:

وكانت قشيرٌ شامتاً بصديقها وآخرَ مزريًّا عليه وزاريا

قال الأخفش : يعنى النصب فى ضيف على البدل . ورفع جانب بتقدير : هو جانب .

أقول : صوابه النصب على أنّه مفعولٌ ثان لا على البدل ، وشامتاً فى البيت نصبٌ على أنه خبر كان . ولم يجعل الكلام تبعيضاً ، ولو رفع شامتا لكان التقدير منهم شامتٌ ، والجملة حينئذ خبرُ كان .

هجا قُشَيراً،وهى قبيلةٌ من بنى عامر،وكان بينه وبينها مهاجاة ،فجعل

منهم من يشمت بصديقهِ إذا نكب . وجَعَل بعضهم يرزأ بعضاً (١) ، للؤمهم واستطالة قويِّهم على ضعيفهم . وبنى مَرْزِيًّا على تخفيف الهمزة ، ولو بناه على الأصل لقال مرزوءا (٢) . وجانب بمعنى المجانب والمتنحِّى .

صاحب الشاهد

والبيت للعُجَير السَّلولى خاطب به امرأته . يقول لها : سوِّى بين ضيفىَّ فى التقريب والإكرام ، ولا تكرمى بعضاً وتهينى بعضا .

العجير السلولى

والعُجَير ، بضم العين المهملة وفتح الجيم ، كنيته أبو الفرزدق : وقال الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) : هو مولى لبنى هلال . ويقال هو العجير ابن عبد الله بن عَبيدة ، بفتح العين وكسر الموحدة ، ابن كعب . وأنهى نسبَه إلى مرَّة بن صعصعة . قال : وهم سَلول (٣) . انتهى .

وفى الأغانى (٤) : العجير بن عبد الله بن عَبيدة بن كعب ، ويقال ابن عُبيدة بضم العين ، واسمه عمير ، من بنى سَلول بن مُرة بن صعصعة ، أخى عامر بن صعصعة . وأُمُّ بنى مُرّة سَلولُ بنتُ ذُهل بن شيبان بن ثعلبة ، غلبت عليهم وبها يُعرفون . ويكنى العجير أبا الفرزدق ، وأبا الفيل . شاعرٌ من شعراء الدولة الأُمويَّة ، مُقِلٌّ إسلامىّ . انتهى .

---

(١) ط : « يزرى بعضا » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « مزرأ » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

وهذا كله لايتسق الا مع رواية الشنتمرى لآخر البيت : « مرزيا وآخر رازيا » والذى فى نسخ سيبويه وكذا الديوان ١٧٨ : « مزريا عليه وزاريا » ، من الزراية .

(٣) المؤتلف ١٦٦ . وفى جمهرة ابن حزم ٢٧١ : « بنو مرة بن سلول — وهم أمهم — ابن صعصعة بن معاوية » . ثم قال : « سلول هذه بنت ذهل بن شيبان بن ثعلبة » . فبنو مرة هؤلاء هم بنو سلول .

(٤) الأغانى ١١ : ١٤٦ .

قال ابن السِّيد (فى شرح أبيات الجمل) : عُجير : اسمٌ منقول .

٢٩٩ ويحتَمل أن يكون مصغر عَجُر من قولهم : عجر عنقه إذا لواها ، ويحتمل أن يكون مصغَّراً مرخَّما ، من أعجر ، وهو النَّاتىء السرَّة . وأمَّا سلَول فاسمٌ مرتجل غير منقول . انتهى .

وله خبرٌ مع بنت عمِّه ، يأتى إنْ شاء الله تعالى فى باب الجوازم [١].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثلاثون بعد الثلثمائة ، وهو من أبيات سيبويه [٢]:

٣٣٩ (فأصْبَحَ فى حيثُ التقينا شَرِيدُهم
طَلِيقٌ ومكتوفُ اليدين ومُزْعَفُ)

لما تقدَّم فى البيت الذى قبله ،من أنه يجوز القطع إلى الرفع فى خبر النواسخ ، فإنَّ أصبحَ هنا من أخوات كان ، وشريدهم اسمها ، وطليق ومابعده كان فى الأصل منصوباً على أنَّه خبر أصبح ، فقُطع عن الخبرية ورُفع على أنَّه مبتدأ وخبره محذوف ، أى منهم طليق ومنهم مكتوف إلخ ، أو خبر لمبتدأ محذوف ، أى بعض الشريد طليق إلخ . والجملة فى محلِّ نصب على أنَّها خبر أصبح ، ويجوز أيضا النصب كما قال سيبويه ؛ فيقال طليقا ومكتوفا ومزعفا .

فإن قلت : أيجوز أن يكون طليق مقطوعا عن الحالية ويكون خبر أصبح قوله : فى حيث التقينا ؟

قلت : لايجوز معنىً ، فإنَّ المقصود تقسيم الشَّريد وتبيين أنواعه بما ذكر ، لا أنه ذكر فى موضع الالتقاء .

(والشريد) واحدٌ يؤدِّى معنى الجمع ؛ لأنه واقعٌ على كلِّ من شرَّدته

---

(١) فى الشاهد السابع والتسعين بعد الستمائة ، وهو :

وما ذاك أن كان ابن عمى ولا أخى ولكن متى ما أملك الضر أنفع

(٢) فى كتابه ١ : ٢٢٢ . وانظر ديوان الفرزدق ٢٩٩ .

الحرب ، فهو يعمُّ ما ذكر . قال الأخفش : يريد : أصبحوا منهم قتيلٌ ومنهم مكتوف ، لا أنَّ الشَّريد وحدَه اجتمع فيه ماذكره . وقال ابن خلف : لايصِحُّ أن يكون فى حيث التقينا خبر أصبح،لأنَّ ظرف الزمان لايصحُّ أن يكون خبراً عن الجثَّة . وهذا سهوٌ ؛ لأنَّ حيث للمكان ، لا للزمان . و(الشريد) : الطَّريد . و(الطليق) : الأسير الذى أطلقَ عنه إساره . والإسار ، بالكسر : القِدّ ، ومنه سمِّى الأسير ، لأنهم كانوا يشدُّونه بالقِدّ ، ثم سمِّى كلُّ أَخيذٍ أسيرا وإنْ لم يشدَّ به . و(المكتوف) من كتفت الرجل ، إذا شددت يديه إلى خلفٍ بالكِتاف . قال ابن دريد : الكِتاف بالكسر : حَبلٌ يشدُّ به وظيفُ البعير إلى كتفيه . و(المزعَف) بالزاى المعجمة والعين : اسمُ مفعولٍ من أزعفته . قال الأصمعى : أزعفته وازدعفته ، إذا أقعصته . يقال ضربه فأقعصَه أى قتله مكانَه . وقال الخارَزنجى : أزعفت عليه ، إذا أجهزتَ عليه وتمَّمت قتله . وقال الأعلم : رواه حَملة الكتاب « مُزعِف » بكسر العين ، ومعناه : ذو زُعافٍ ، أى ذو صَرْع وقتل ، وليس بجارٍ على الفعل . وقال ابن خلف : ورواه غيرهم بفتح العَين ، من أزعفه الموتُ إذا قاربه ، وهو مأخوذ من قولهم : موت زُعاف وذُعاف ، أى معُجَّل . انتهى .

وإلى هذا ذهب الشارح المحقِّق . قال الصَّاغانى (فى العباب) : زعفه يزعفه زَعفْا من باب منع ، أى قتله مكانَه . وسمٌّ زعاف وذُعاف بضم المعجمتين ، أى قاتل .

صاحب الشاهد

وهذا البيتُ من قصيدةٍ طويلة ، عدَّتها مائةٌ وخمسة وعشرون بيتا ، للفرزدق ، وقد تقدمت ترجمته فى الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب [1].

وهى قصيدةٌ افتخاريَّةٌ هجا فى آخرها . ومنها وهو قبل البيت :

---

(١) الجزء الأول ص ٢١٧ .

(وأضيافِ ليلٍ قد نقَلْنا قِراهمُ إلينا فأتلفْنا المنايا وأتلفوا
قريناهُم المأثورةَ البيضَ قبلها يَثُجُّ العُروقَ الأَزْأَنِىُّ المثقَّفُ
فأصبح فى حيث التقينا شريدُهم البيت)

٣٠٠ قوله : وأضيافِ ليلٍ ، الواو واو ربّ ، والأضياف هنا كنايةٌ عن الأعداء الهاجمين عليهم ليلاً . قال الصغانى فى مادة تلف ، وقد أورد هذا البيت : هؤلاء غَزِىٌّ غزوهم . يقول : فجعلناهُم تلفاً للمنايا ، وجعلونا كذلك ، أى وقَعْنا بهم فقتلناهم ، أى صادفنا المنايا مُتلفة وصادفوها كذلك ، كما تقول : أتينا فلاناً فأبخلناه وأجبنَّاه ، أى صادفناه كذلك . انتهى .

فالهمزة فى أتلَفْنا للوِجْدان . وغَزِىٌّ فى كلامه : جمع غازٍ مثل قاطن وقَطِين ، وحاجّ وحجيج . أو هو بضم الغين وتشديد الزاى المفتوحة : جمع غازٍ أيضاً ، كسابق وسُبَّق .

وقوله : « قريناهم المأثورة » إلخ يقال قريت الضيفَ قِرًى ، أى أحسنت إليه . وهذا من قبيل الاستعارة التهكميَّة . قال صاحب الصحاح : المأثور : السَّيف الذى يقال إنَّه من عمل الجنّ . قال الأصمَعىُّ : وليس من الأُثْر الذى هو الفِرنْد . والبِيض : السُّيوف أى البيض المأثورة . ونَجَعت الماء والدَّمَ بالجيم ، إذا سيَّلته ، فالعروق مفعولٌ بتقدير مضاف ، أى دم العروق . والأزْأَنىّ فاعل . قال صاحب الصحاح : ذو يَزَنَ ملكٌ من ملوك حِمير تنسب إليه الرِّماح اليزنية ، يقال رمح يَزنىٌّ وأَزَنىٌّ ويزأنىٌّ وأزْأَنىٌّ . والمثقَّف : المعدَّل . والتثقيف : التعديل . وقوله : «قبلها» ، أى قبل المأثورة البيض . يقول : طاعنَّاهم بالرِّماح قبل أنْ جالدناهم بالسُّيوف .

وفى هذه القصيدة شاهدٌ آخر يأتى شرحه إن شاء الله تعالى فى باب العطف [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الأربعون بعد الثلثمائة :

٣٤٠ (كأنَّ حُمولَهمْ لمَّا استقلّتْ ثلاثةُ أكلبٍ متُطارِدانِ)

على أنَّ بعضهم أجاز وصفَ البعضَ دون بعض ، محتجًّا بهذا البيت .

لم أر هذا البيتَ إلاّ فى (كتاب المعاياة للأخفش) ، وهو على طريقة أبيات المعانى . ونصُّه : قال بعضهم : إنَّ هذا شعر وُضع على الخطأ ليعلم الذى يسأل عنه كيف فهمُ مَن يسأله . وقال بعضهم : لا ولكنه وصَف اثنين منها وأخبر عنهما بتطاردَ ، وأجاز مررت برجلين صالحٍ ، وصف أحد الرجلين وكفَّ عن الآخر ، ومررت بثلاثة رجالٍ صالحَيْنِ . ولايقول هذا كلُّ أحد . وقد يحتمله القياس . انتهى كلامه .

ويجوز أن يقرأ (متطاردان) باسم الفاعل ، وأن يقرأ (يتطاردان) بالمضارع . وعلى كلٍّ منهما هو وصفُ ثلاثة لكنْ بإلغاء واحدٍ منها . ويشبه هذا قول جَرير :

صارتْ حَنيفةُ أثلاثاً فثُلْثُهمُ من العَبيدِ وثُلثٌ من مواليها

قال ابن السيد (فى شرح كامل المبرد) : هذا مماَّ عيب عليه ، لأنّه لم يذكر الثالث .

قال الآمدىّ : لمَّا قال جرير هذا البيت قيل لرجلٍ من بنى حنيفة : من أىِّ الأثلاث أنت ؟ قال : من الثلث الملغَى . انتهى .

وأراد جريرٌ بالثلث المتروك أشرافهم وترك الثالث عمداً ، لأنّه فى مقام

---

(١) الشاهد ٣٥٧ .

الذم لايُثبت لهم أشرافاً صراحة . و(الحمول) بضم الحاء المهملة والميم ، هى الإبل التى عليها الهوادج ، كذا (فى العباب) . و(استقلّت) : ارتفعت . واستقلَّ القوم : ارتحلوا ومضَوا . و(التطارد) ، و (المطاردة): أن يَحملَ بعضُهم على بعضٍ فى الحرب . و (أكلب) : جمع كلب ، جمع قِلّة .

وفى هذا البيت مبالغةٌ من الهجو ، فإنَّ الإبل التى يعدُّونها عندهم كثيرةً عدَّتها ثلاثة لاغير ، وإنَّها صغيرةٌ فى الجثّة جداً ، حتّى إنّها مع ماعليها فى مقدار جِرْم الكلاب ، وإنها ليس عليها مايثقلها [1] من الأثاث والمتاع ، ولذلك تطاردت لخفَّة ماعليها ، وإنَّ بعضَها هزيلٌ جداً لا يَقدر على الطِّراد . هذا ماسنح لى [2] ، والله أعلم .

٣٠١

* * *

وأنشد بعده :

(ويأوِى إلى نِسوةٍ عُطّلٍ وشعثاً مَراضيعَ مثلَ السَّعالى)

على أنّ الأعرَفَ مجىءُ نعت النكرة المقطوع بالواو .

وتقدمَّ عن الشارح فى الشاهد الثالث والخمسين بعد المائة [3] أنّ شعثا منصوب على الترحُّم . قال سيبويه : كأنّه حيث قال نسوة عُطّل صِرن عنده ممن عُلم أنّهن شُعث ، ولكنه ذكر ذلك تشنيعاً لهنَّ وتشويها . قال الخليل رحمه الله : كأنّه قال : وأَذكرهنَّ شعثا ، إلاَّ أن هذا فعلٌ لايُستعمَل إظهاره . وإن شئت جررت على الصفة . وزعم يونسُ أنّ ذلك أكثر ، كقولك : مررت بزيد أخيك وصاحبك . انتهى

---

(١) ش : « ليس عليها مما يقلها » .

(٢) ش : « سنح الى » .

(٣) الخزانة ٢ : ٤٢٦ .

وفاعل يأوى ضمير الصيَّاد ، أى يأتى مأواه ومنزلَه إلى نسوةٍ بعد أن ذهب إلى الصيد ، فيجدهنَّ فى أسوأ الحال . وعُطّل : جمع عاطل ، أى لاشىء عندها . والشُّعث : جمع شَعثاء ، وهى المتغيِّرة من الجوع ونحوِه .

وتقدّم شرحه هناك مفصلاً فليرجع إليه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والأربعون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد س (1) :

٣٤١ (لايَبْعَدَنْ قومِى الذين هُمُ   سمُّ العُداةِ وآفةُ الجُزْرِ
النَّــازلين بكــلِّ مُعتَــرَكٍ   والطَّيِّبون مَعاقِدَ الأُزْرِ)

على أنَّه يجوز قطع نعت المعرفة بالواو ، كما يجوز قطع نعت النكرة بها . فقولها : والطيبون ، نعتٌ مقطوع بالواو من قومى للمدح والتعظيم ، بجعله خبر مبتدأ محذوف ، أى هم الطيبون . وإنّما حكم بالقطع مع أنّه مرفوع كالمنعوت وهو قومى ، لقطع النازلين قبله ، لما ذكرنا أيضاً ، بجعله منصوبا بفعل محذوف تقديره أعنى أو أمدح ونَحوهما . والعرب إذا رجعت عن شىءٍ لم تَعُدْ إليه .

وقال ابنُ السكيت (فى أبيات المعانى) : قال ابنُ الأعرابىّ : النازلين تابعٌ لقومى على المعنى ، لأنّ معناه النصب ، كأنه قال : لايُبعِد اللهُ قومى .

قال سيبويه (فى باب ماينتصب على التعظيم والمدح) : وإن شئت جعلتَه صفةً فجرى على الأوّل ، وإن شئت قطعته فابتدأته ، وذلك قول الله عز وجل :

---

(1) فى كتابه ١ : ١٠٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٨٨ . وانظر الجمل ٨٢ والمحتسب ٢ : ١٩٨ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٢٤٤ والإنصاف ٤٦٨ ، ٧٤٣ والعينى ٣ : ٦٠٢ / ٤ : ٧٢ والتصريح ٢ : ١١٦ ، ٢٠٤ والهمع ٢ : ١١٩ والأشمونى ٣ : ٦٨ ، ٢١٤ .

﴿ لكِن الرَّاسخون فى العِلْم مِنْهُمْ والمُؤمنونَ يُؤْمِنُون بما أُنزل إليك وماأُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ والمُقيِمِينَ الصّلاةَ والمُؤْتُون الزكاةَ [١] ﴾. فلو كان كلُّه رفعا كان جيِّداً .فأمّا المؤتون فمحمول على الابتداء . وقال تعالى : ﴿ ولكنّ البِرَّ مَنْ آمَنَ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ والمَلَائكةِ والكِتَاب والنَّبيِّينَ وآتى المالَ على حُبِّه ذَوِى القُرْبَى واليَتَامَى والمَسَاكِينَ [٢] ﴾ إلى قوله : ﴿ وَحِينَ البأس [٣] ﴾ . فلو رفَعَ الصابرين على أوّل الكلام كان جيِّداً ، ولو ابتدأ فرفعه على الابتداء كان جيِّداً كما ابتدأت : والمؤتون الزكاة . ونظيرُ هذا من الشِّعر قولُ الخِرْنِق :

* لايبعَدَنْ قومى الذين هم * (البيتين)

فرفعُ الطيِّبين كرفع المؤتين . ومثلُ هذا فى الابتداء قول ابن خَماط العُكْلىّ [٤] :

وكلُّ قومٍ أطاعُوا أمْرَ مُرشِدِهمْ إلاّ نميراً ، أطاعت أمرَ غاويها [٥]

٣٠٢ الظّاعنينَ ولمّا يُظعِنوا أحَداً والقائلون لمَنْ دارٌ نخلِّيها

وزعم يونس أنَّ من العرب من يقول : النازلون بكلِّ معترك والطيِّبين ، ومن العرب من يقول : الظاعنون والقائلين ، فنَصْبهُ كنصب الطيِّبين ، إلاّ أنَّ هذا شتمٌ لهم وذمٌّ كما أنّ الطيبين مدحٌ لهم وتعظيم . وإن شئتَ أجريت هذا كلَّه على الاسم الأوَّل ، وإن شئت ابتدأته جميعا فكان مرفوعا على

---

(١) النساء ١٦٢ .

(٢) البقرة ١٧٧ .

(٣) واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس .

(٤) فى سيبويه : « ابن خياط العكلى » . وانظر الإنصاف ٤٧٠ .

(٥) ط : « إلا نمير » ، صوابه فى سيبويه والانصاف .

الابتداء . كلٌّ هذا جائزٌ فى ذين البيتين ومأأشبههما. انتهى كلام سيبويه.

وقال الزجّاج : اختلف الناس فى إعراب المقيمين فقال بعضهم : هو نَسَقٌ على ما ، المعنى : يؤمنون بما أنزل اليك وبالمُقيمين الصلاة ، أى يؤمنون بالنبيين المقيمين الصّلاة. وقال بعضهم : نسَقٌ على الهاء والميم ،المعنى : لكن الراسخون فى العلم منهم ومن المقيمين الصلاة يؤمنون بما أنزل إليك . وهذا عند النحويِّين ردىء ، لايُنسَق بالظاهر على المضمر إلاَّ فى شعر . وذهب بعضُهم إلى أنّ هذا وهَمٌ من الكاتب . وقال بعضهم : فى كتاب الله أشياءُ ستصلحها العرب بألسنتها . وهذا القولُ عند أهل اللغة بعيدٌ جداً لأنّ الذين جمعوا القرآن أصحابُ رسول ﷺ ، وهم أهلُ اللُّغة وهم القُدْوَة ؛ وهم الذين أخذوه عن رسول الله ﷺ وجَمَعوه . وهذا ساقط عمن لايعلم بعدهم ، وساقطٌ عمن يعلم ، لأنَّهم يقُتَدى بهم ، فهذا مما لاينبغى أن يُنسَب إليهم . والقرآنُ محكَمٌ لالحنَ فيه حتَّى [1] يتكلَّم العرب بأجود منه فى الإعراب . ولسيبويه والخليل وجميع النحويّين فى هذا بابٌ يسمُّونه باب المدح ، قد بينّوا صحّة هذا وجودَته .

قال النحويُّونَ : إذا قلت مررت بزيد الكريم وأنت تريد أن تخلِّص زيداً من غيره فالخفض هو الكلام ، حتّى تعرف زيداً الكريم من زيد غير الكريم . وإذا أردت المدحَ والثناء فإنْ شئتَ نصبتَ وإن شئتَ رفعت . وجاءنى قومُك المطعمين فى المحل والمغيثون فى الشدائد ، على معنى أذكر المطعمين وهم المغيثون . وعلى هذا الآيةُ ؛ لأنّه لما قال : بما أنزل إليك ومأأنزل من قبلك عُلم أنهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، فقال : والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة

(١) ط : « بشىء » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

على معنى : أذكر المقيمين ، وهم المؤتون . وأنشدوا بيت خِرنق بنت هِفَّان :
لايبعدن قومى الذين هم ، البيتين ، على معنى أذكر النازلين وهم الطيبون ، رفعه ونصبه على المدح . وبعضهم يرفع النازلين وينصب الطيبين ، وكلّه واحدٌ جائزٌ حسَن . انتهى .

وقال ابن جنى (فى المحتسب) : القطع لكونه بتقدير الجملة أبلغ من الإتباع لكونه مفرداً . قال فى سورة فاطر : قرأ الضحّاك : ﴿ الحمد لله فَطَرَ السَّمٰوات ﴾ (١) . وهذا على الثناء على الله سبحانه وذِكرِ النِّعمة التى استحق بها الحمد . وأفرد ذلك فى الجملة التى هى جَعَل بما فيها من الضمير ، فكان أذهبَ فى معنى الثَّناء ، لأنّه جملة بعد جملة . وكلما زاد الإسهاب فى الثناء أو الذم كان أبلغ (٢) . ألا ترى إلى قول خِرْنق :

* لايبعَدن قومى الذين هم * (البيتين)

ويروى النازلون والطيبون ، والنازلين والطيبون ، والنازلون والطيبين . والرفع على هم والنصب على أعنى ، فلمَّا اختلفت الجمل كان الكلامُ أفانينَ وضروباً ، فكان أبلغ منه إذا أُلزِم شَرْجًا واحدا (٣) .فقولك : أُثنى على الله أَعطانا فأَغنى ، أَبلغ من قولك : أُثْني على الله المعطينا والمغنينا ؛ لأَنَّ معك هنا جملة واحدة ،وهناك ثلاث جمل .ويدلُّك على صحة هذا المعنى قراءة الحسن :

٣٠٣

(١) الآية الأولى من سورة فاطر . وهى قراءة الضحاك والزهرى كما فى تفسير أبى حيان ٧ : ٢٩٧ .وفى هامش ش : « الحمد لله فاطر » ، وهى قراءة الجمهور .

(٢) فى المحتسب : « كان أبلغ فيهما » .

(٣) ط والمحتسب : « شرحا » بالحاء المهملة ، صوابه بالجيم كما فى ش . يقال هما شرج واحد وعلى شرج واحد ، أى ضرب واحد .

﴿جاعلُ [١] الملائكة﴾ بالرفع. فهذا على قولك: هو جاعل الملائكة . ويشهد به أيضا قراءة خُليد بن نُشيط [٢] :«جَعَلَ الملائكة» . قال أبو عبيدة : إذا طال الكلام خرجوا من الرفع إلى النصب ومن النصب إلى الرفع . يريد مانحن عليه ، لتختلف ضروبه وتتباين تراكيبه . هذا كلامه .

وقد أورده سيبويه (فى باب الصفة المشبَّهة) أيضاً ، على أنَّ معاقدَ منصوبٌ بقوله : الطيِّبون على التشبيه بالمفعول به ، وليس مفعولا به ، لأنَّ عاملَه غير متعَدٍّ ، ولاتمييزاً كما زعم الكوفيون ، لأنّه معرفة .

فإن قيل : يكون تمييزاً من باب حسنٌ الوجهَ المنوىٌّ به الانفصال ، فيكون نَكِرة .

أجيب بأنه ليس منه فى شىء ، إنما إضافته من باب إضافة المصادر أو الأمكنة إلى مابعدها ، كقيام زيد ومقام عمرو ، فانّ إضافتهما معنوية .

وقولها : (لايبعَدن) معناه لايهلكن ، وهو دعاءٌ جاء بلفظ النَّهى . ويبعَدَنْ فعل مستقبل مبنى مع نون التوكيد الخفيفة ، وموضعه جزم بلا الدعائية وقومى فاعله ، يقال : بعِدَ من باب فرح إذا هلك . وإما الذى هو ضد القرب فهو بَعُد يبعد بضم العين فيهما ، ومصدره البُعْد ، وقد يستعمل فى الهلاك أيضاً لتداخل معنييَهما ، كقوله تعالى : ﴿أَلَا بُعْداً لمدينَ كما بَعِدَتْ ثمود [٣]﴾.

قال اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) : واسم الفاعل منهما جميعاً بعيدٌ ، استويا فيه كما استويا فى المصدر،تقول:بَعُد وبَعِد بُعْدا وبَعَدا . وقال ابن السِّيد (فى شرح أبيات الجمل): فإن قيل :كيف دعت لقومها بأن لايهلكوا وهم قد

---

(١) وقراءة الجمهور « جاعل » بالجر ، كما فى تفسير أبى حيان ٧ : ٢٩٧ .

(٢) نشيط ، بضم النون فى ش والمحتسب .

(٣) الآية ٩٥ من سورة هود .

هلكوا ؟ فالجواب أنَّ العرب قد جرت عادتُهم باستعمال هذه اللفظة فى الدعاء للميت ، ولهم فى ذلك غرضان : أحدهما أنَّهم يريدون به استعظامَ موت الرجل الجليل ، وكأنهم لايصدِّقون بموته . وقد بيَّن هذا المعنى زهيرُ بن أبى سُلمى بقوله :

يقولون :حِصْنٌ ،ثم تأبَى نفوسُهمْ وكيفَ بحصنٍ والجبالُ جنوحُ
ولم تَلفِظِ الموتى القبورُ ولم تَزُلْ نجومُ السَّماء والأديمُ صحيحُ

يريد أنهم يقولون : مات حصن ، ثم يستعظمون أنْ ينطقوا بذلك ويقولون : كيف يجوز أن يموت والجبالُ لم تنسف ، والنجوم لم تنكدر ، والقبور لم تُخرج موتاها ، وجِرم العالم صحيح لم يحدُث فيه حادث ؟!

والغرض الثانى أنهم يريدون الدعاء ه بأن يبقى ذكره ولايذهب ، لأنَّ بقاء ذِكر الإنسان بعد موته بمنزلة حياته . ألا ترى إلى قول الشاعر [1] :

فأثنُوا علينا لاأبا لأبيكمُ بأفعالنا إنّ الثناء هو الخُلْدُ

وقال آخر يرثى يزيد بن مَزْيَدٍ [2] الشيبانى :

فإن تكُ أفنتْه الليالى فأوشكت فإنّ له ذكراً سيفنى اللّيّاليا

وقال المتنبى وأحسَنَ :

ذِكر الفتى عُمره الثانى ،وحاجتُه مافَاته ،وفُضولُ العَيش أشغالُ

وقد بيَّن مالك بن الريب المازنىّ [3] مافى هذا من المُحال ، من قصيدةٍ تقدّمت :

يَقولونَ لاتبعَدْ وهـم يَدفِنوننـى وأين مكـان البُعْـدِ إلأَمكانيـا

---

(١) هو الحادرة ، كما فى البيان ٣ : ٣٢٠ . وانظر حواشى البيان .

(٢) ط : « بن يزيد » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٣) ط : «المزنى» ، صوابه فى ش . وانظر الخزانة ٢ : ٢١٠ .

٣٠٤ وقال الفرَّار السُّلَمى :

ماكان يَنْفعنى مقالُ نسائهم وقُتِلْتُ دونَ رجالهم لاتَبْعَدِ

وقولها : (سمُّ العداة) الخ ، السم معروف ، وسينه مثلثة . و(العُداة) : الأعداء جمع عاد ، كقضاة جمع قاض ، حكى أبو زيد : أشمت الله عادِيَكَ أى عدوّك . ولايكون العداة جمع عدوّ ؛ لأنّ عدُوّ فَعول ،وفعول لايجمع على فُعَلة إنما يجمع عليه فاعل المعتل اللام . والأعداء : جمع عدوّ ، أجروا فَعُولا مجرى فعيل ، كشريف وأشراف . وقد جمعوا أعداءً على أعادىّ . و (الآفة) : العلَّة . و (الجُزْر) بضم فسكون : جمع جزور ، والأصل بضمتين ، كرسول ورسل ، فسكن الثانى تخفيفا . والجزور هى الناقة التى تُنحر . فإن كانت من الغنم فهى جَزَرة بفتحتين . وصفتْهم أوّلاً بالشّجاعة والنّجدة ، وأنّهم يقتلون أعداءهم كما يقتلهم السمّ . وثانيا بالكرم ونحر الإبل للأضياف ، فكأنّهم آفةٌ للإبل تصيبها فتهلكها .قال ابن السِّيد : فإنْ قيل : كيف قالت الذين هم ، وإنما يليق هذا بمن هو موجود ، وإنما كان ينبغى أن تقول كانوا ، كما قال الآخر :

كانوا على الأعداء نارَ محرِّق ولقومهم حَرَماً من الأحرامِ [(١)]

فالجواب عنه من وجهين : أحدهما أنّ العرب كانت تضمِّن [(٢)] كان ، اتّكالاً على فهم السامع ، كقوله تعالى : ﴿ واتَّبَعُوا ماتتلُوا الشّياطِينُ على مُلْكِ سليمان [(٣)] ﴾ ، قال الكسائى : أراد ما كانت تتلو . وثانيهما أنها إذا دعَت ببقاء الذِّكر بعد موتهم صاروا كالموجودين ، وكانوا موصوفين بما كانوا يفعلونه .

وقولها : (النازلين) الخ ، قال ابن خلف : يجوز فى النازلين والطيبين

---

(١) ط : « نارا محرقا » تحريف ، صوابه فى ش .

(٢) ش : « تضمر » مع أثر تصحيح .

(٣) البقرة ١٠٢ .

أربعة أوجه: رفعهما ، ونصبهما، ورفع أحدهما مع نصب الآخر مقدّما ومؤخّرا ، على القطع ، غير أنّك إن رفعتَهما جاز أن يكونا نعتين لقومى ، فيكون الرافع لهما رافع قومى بعينه ، والكلام جملة واحدة ، وجاز أن يكونا مقطوعين فى التقدير بإضمار مبتدأ ، فيكونا جملتين . والرافع والنّاصب المقدّران [١] لايجوز أن يظهر واحدٌ منهما لفظا ، إنما يكون مُقدّراً أبداً منويًّا ، وامتناعُ إظهاره إشعارٌ باتّصاله بما قبله وتشبيهٌ به ، فلو ظهر أمكن أن يكون جملةً قائمة بنفسها مستقلّة ، وليس الغرض ذلك .ويجوز أن يكون الطيّبون معطوفاً على سمّ العداة وآفة الجزر ، وأن يكون على الضمير فى النازلين . ويجوز الرفع على إضمار مبتدأ كما ذكر فى الكتاب . ولايجوز أن يكون النازلون رفعاً صفة لمجموع قومى وسمّ العداة ، لاختلاف العاملين .

فإن قيل: هل الأقيس [٢] أن يكون نعتاً لقومى أو لسمّ العداة ؟ فالجواب : لقومى ، لأنه محض الاسم ، فهو أولى بالوصف من الصفة . انتهى

وإنما كان سمّ صفة لتأويله بالقاتل .

ثم قوله : وفى نصب النازلين اختلاف ، فالزجاجى يذهب إلى أنه نصب على إضمار أعنى ، وعلى قياس قول سيبويه نصبٌ على المدح — ساقط ؛ إذ لااختلاف معنى ، فإنَّ هذا ونحوه منصوب على المدح سواء قدّر أمدح أو أعنى أو نحوهما .

والباء فى (بكل) ظرفية متعلّقة بالنازلين . و(المعترك) ،وكذلك المعرك كجعفر ،والمعركة :موضع القتال .وهذا مشتقٌ من عَرَكتِ الرَّحا[٣]الحبَّ،

(١) ط : « المقدرين » صوابهما فى ش .

(٢) ش : « فان قيل فالأقيس » .

(٣) الرحا ، تكتب بالألف وبالياء . وفى اللسان : « الرحا معروفة وتثنيتها رحوان . والياء أعلى » .

إذا طحنتْه . أرادوا أنَّ موضع القتال يَطحن كما تَطحن الرَّحا مايحصل فيها ، ٣٠٥
ولذلك سمَّوه رحاً . قال عنترة :

* دارت على القوم رحاً طَحُونُ *

وقد بيَّن ذلك زُهير بن أبى سُلمى بقوله :

فتعركْكُمُ عركَ الرَّحَا بثِفالها وتَلقَحْ كِشافاً ثم تحمل فتَفْطِمِ (١)

وقولها : (النازلين بكلِّ مُعتَرَك) يعنى أنَّهم ينزلون عن الخيل عند ضيق المعتَرَك فيقاتلون على أقدامهم ،وفى ذلك الوقت يتداعون : نَزَالِ ! كما قال ربيعة بن مقرومٍ الضَّبِّىّ (٢):

ولقد شهدتُ الخيلَ يومَ طِرادها بسليم أوظفةِ القوائم هيكلِ
فدعَوْا نزالِ فكنتُ أوّلَ نازلٍ وعلامَ أركبه إذا لم أنـزلِ

وقال ابن السِّيد : النزول فى الحرب على ضربين :أحدهما ماذكر ،والثانى فى أول الحرب ، وهو أن ينزلوا عن إبلهم ويركبوا خيلهم (٣) . قال اللخمى:وإنَّما ينزلون عن الإبل إلى الخيل فى الغارات ، يقودون خيولهم ليريحوها ؛ ويركبون إبلهم ، فإذا قربوا من عدوِّهم وأغاروا نزلوا عن إبلهم إلى خيلهم ، مخافة أن يُتَّبعوا فيدركوا . وزعَم ابن سيده فى نزولهم إنما هو من الإبل إلى الخيل . وليس كذلك .

وفى قولها: (النازلين)إلخ إشارة إلى أنّ حالهم فى القتال على الخيل كحالهم

---

(١) كذا وردت الرواية هنا ، ولم أجدها فى مرجع آخر . وفى هامش ش : « ترضع » مقرونة بالرمز « صح » . ويروى : « ثم تنتج » .

(٢) من الحماسية التاسعة بشرح المرزوقى ٦١ .

(٣) ش : « ويركبوا » فقط بسقوط : « خيلهم » .

فى القتال على الأقدام ،وأنهم لايكِعُّونَ عن النزول [١]، إذ أحوال الناس فى ذلك مختلفة ، ولاينزل فى ذلك الموضع إلاّ أهل البأس والشدّة. ولذلك قال مهلهل :

لم يُطيقــوا أنْ ينزلــوا فنَزلنــا وأخو الحرب مَن أطاقَ النُّزُولا

وقولها : (والطَّيبون) أرادت أنَّهم أعفَّاءُ فى فروجهم ؛ لأنّ العرب تكنى بالشىء عما يحويه أو يشتمل عليه ، كقولهم : ناصح الجيب ، يريدون الفؤاد ، فكنوا عنه بالجيب الذى يقع عليه أو قريباً منه . تقول : لايحلُّون أزرهم على ماليس لهم . قال اللخمى : وقال ابن خلف : إذا وصفوا الرجل بطهارة الإزار وطيبه فهو إشارة وكناية عن عفة الفرج ، يراد أنّه لايعقد إزاره على فرج زانية . وكذلك طهارة الذيل . وإذا وُصِف بطهارة الكُمّ أو الرُّدن وهو الكمُّ بعينه ، أرادوا أنّه لايسرق ولايخون . وإذا وصفوه بطهارة الجيب أرادوا أنَّ قلبَه لاينطوى على غشّ ولا مَكْر . وقد يكنون عن عفة الفرج بطِيب الحُجْزة ، كما قال النابغة :

* رقاق النعال طيب حُجُزَاتهم *

(والمعاقد) إما جمع مَعْقِد بكسر القاف ، وهو موضع العَقْد ، وإمَّا جمع معقَد بفتحها وهو مصدر ميمى . قال اللخمى : المعاقد الحجَز . والحجزة بضم المهملة وسكون الجيم بعدها زاى معجمة ، وهى حيث يثنَى طرف الإزار فى لَوْث الإزار أى طيِّه . وحكى ابنُ الأعرابى حُزّة بضم المهلة وتشديد الزَّاء ،كما ينطق بها العامة . وقيل المعاقد للأزُر ، والحُجز للسَّراويلات . والحُجَزُ للعَجَم وملوك العرب كما قال النابغة ، والمعاقد للعرب لأنها لاتكاد تلبس إلا الأزُر ؛ وهو جمع إزار ، وسكن الزاء أيضاً تخفيفا والأصل ضمها . والإزار عند العرب : ماستر النِّصف الأسفلَ من الإنسان ، والرداء : ماستر النصف الأعلى منه.

---

(١) يكِعُّون : يجبنون . وفى ط : « يكفون » ، صوابه فى ش.

ولبس السراويل عند العرب نادر . يروى أنّ أعرابيا مرّ بسراويلَ مُلقاةٍ فظنَّها قميصا ، فأدخل يديَه فى ساقيها وأدخل رأسه فلم يجد منفذاً ، فقال: ماأظنُّ هذا إلاّ من قُمُصِ الشَّياطِين ! ثم رماها .

٣٠٦

وهذان البيتان من قصيدة لخرنِق بنت هِفَّان ، رثت بها زوجها بشر بن عمرو بن مَرثد الضُّبَعىّ ، وابنهَا علقمة بنَ بشر ، وأخويه حسانَ وشرَحبيل ، ومَنْ قُتِلَ معه من قَومه ، وكان بشرٌ غزا بنى أسد بن خُزيمة هو وعمرو بن عبد الله بن الأشلّ ، وكانا متساندين : بشرٌ على بنى مالك وبنى عتاب بن ضبيعة ، وعمرو على بنى مالك وبنى زُهْم . ومعنى التساند والمسانَدَة أن يَخرج كلُّ رجل على حِدَته وانفراده ، ليس لهم أميرٌ يجمعهم .فأغار على بنى أسد فتقدَّمتهم بنو أسد إلى عَقَبة يقال لها قُلاب ، فقُتِل بشر بن عمرو وبنوه ،وفرّ عمرو بن عبد الله بن الأشلّ فسمى ذلكَ اليوم يوم قلاب [1] . كذا قال ابن السيد واللَّخمى .

صاحب الشاهد

وبعد البيتين :

قومٌ إذا ركبوا سمِعتَ لهم لغَطاً من التَّأييهِ والزَّجْرِ

فى غيرِ ما فُحْشٍ يُجاء به بمَنَائح المُهُرات والمُهْرِ

إن يشربوا يَهبُوا وإن يَذرُوا يتواعظوا عن مَنطِق الهُجْرِ [2]

والخالطين نَحيتَهم بنُضارهم وذوِى الغنى منهم بِذى الفقرِ

هذا ثنائى مابقيتُ عليهمُ فإذا هلكتُ أجَنَّنى قبرى

(١) قلاب ، بالضم : جبل فى ديار بنى أسد . وانظر لهذا اليوم معجم البلدان .

(٢) ط : « وان يزدوا » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، والعينى ٣ : ٦٠٣ .

واستدلّ بعضهم بهذه الأبيات على أنّ ماتقدَّم دعاءٌ لمن بقىَ من قومها ، أى لاأبعدَ الله مِن قومى كبُعد من مضى منهم .

ويردُّ عليه قولها فى القصيدة :

لاقَوا غداة قلابَ حتَفهمُ سَوق العَتير يساق للعَترْ

واللَّغط بفتح المعجمة وسكونها : الأصوات المختلطة . والتأييه : الدُّعاء . يقال أيَّهت بالرجل ، إذا دعوته ، وأيَّهْتُ بالفَرس . وفى الحديث : « أنّ ملك الموت سُئل : كيف تقبض الأرواح ؟فقال : أُوَيِّه بها كما أُوَيِّهُ بالخيل فتجىء إلىَّ » .

وقولها : فى غير مافحش إلخ ، مازائدة .قال ابن السكيت :تقول يزجرونها بعفاف من ألسنتهم ، لايذكرون الفُحش فى الزجر .

وقولها : إن يشربوا يهبوا ، ليس بمدح تامّ ، لأنَّها جعلت العلّة فى كرمهم شربَ الخمر . وقد عِيب على طرفة قولُه :

فإذا ما شربوها وانتشَوْا وهَبوا كلّ أمونٍ وطِمِرّْ

وعيب على حسَّان قولُه :

ونشربها فتتركنا مُلوكاً وأُسداً مايُنَهْنِهُنا اللِّقاءُ

وقد قال البحترىُّ فى هذا فأحسن :

تكرَّمتَ من قبل الكئوس عليهم فما اسطَعن أنْ يُحدثنَ فيك تكرُّما

وأول من نطق بهذا امرؤ القيس فى قوله :

سماحةَ ذا وبرَّ ذا ووَفاء ذَا ونائلَ ذا إذا صحا وإذا سكِرْ

(١) قبله فى ديوانه ١٩٣ :

وتعرف فيه من أبيه شمائلا ومن خاله ومن يزيد ومن حُجُرْ

فاخبر أنّه جوادٌ فى الحالين جميعاً : فى حال الصَّحْو وفى حال السُّكر . وهذا هو المدح التامّ . ثم اتَّبعه زهير فقال :

أخو ثِقَةٍ لاتُتْلِف الخمرُ مالَه ولكنّه قد يُهلِك المالَ نائلُه

والهُجْر بالضم : الكلام القبيح .

وقولها :والخالطين نحيتهم إلخ ،النّحيت بفتح النون وكسر المهملة:الخامل الساقط الذكر. والنُّضار بضم النون بعدها ضاد .معجمة :الخالص النّسب العزيز الشَّهير .يقول: إنهم خلطوا خاملَهم برفيعهم، وفقيرَهم بغنيِّهم ، فاكتسبوا منهم الغنى والخصالَ الحميدة؛فليس فيهم خاملٌ ولافقير .ومثله قولُ زهير:

على مُكْثِرِيهم حقُّ من يعتريهمُ وعند المُقِلِّين السَّماحةُ والبذْلُ

وهذا البيتُ وقع فى شعر حاتم الطائى(١)،قال أبو عبيدة:والصواب أنّه لخرنق.

والعروض فى هذا البيت على متفاعلن تامّة ؛ وهى فى جميع الأبيات على فَعِلُنْ حَذّاء ، ولايجوز ذلك . والشِّعر من الضرب الرابع من الكامل .

وقولها:فإذا هلكت إلخ ،أجنَّني :ستَرنى .قال ابن السِّيد :كلامٌ لافائدة فيه على ظاهره ، والمعنى فإذا هلكت قام عُذرى فى تركى الثناء عليهم لهلاكى، فهو مما وضع السبب فيه موضع المسبَّب (٢) .

وقولها : لاقَوْا غداة إلخ ، الحتف : الهلاك . وسَوقَ مفعول مطلق ، أى سيقو إلى الحتف سوقا كسَوق العتير ، وهو بفتح العين المهملة وكسر المثناة الفوقية : مايُذبح للأصنام فى رجبَ فى الجاهلية ، تعظيماً لأصنامهم . والعَتْر ، بفتح العين المهملة : ذبح العتيرة ، فهو مصدر .

---

(١) من مقطوعة فى ديوانه ١٦١ عدتها ستة أبيات أولها :

إن كنت كارهة معيشتنا هاتى فحلِّى فى بنى بدرِ

(٢) ش : « فى موضع المسبب » .

وقلاب يضم القاف وتخفيف اللام وآخره باء موحدة ، قال أبو عبيدٍ البكرى (فى معجم مااستعجم) : هو جبلٌ من محلَّة بنى أسد على ليلة .وفى عَقَبة قلابٍ قتلت بنو أسدٍ بشرَ بن عمرو ، زوْجَ خرنق ، وابنهَا منه علقمة بن بشر فقالت [1] :

مُنَتْ لهم بواثلـة المنايـا — بحرف قلابَ للحَيْنِ المَسُوقِ [2]

ثم إنَّ بنى ضُبيعة أصابوا بنى أسد بهَرْشَى وأدركوا بثأرهم ، فقال وائل بن شرحبيل بن عمرو بن مرثد :

أبِى يومَ هَرْشى أدرك الوِتْرَ فاشتفَى — بيوم قُلاب والصُّروفُ تَدورُ

انتهى . ومُنَتْ أصله مُنيت ، أى قُدِّرت المنايا لهم ، فحذفت الياء .

وهو آخر بيت من أبيات ، وهى :

لا وأبيكَ آسَى بعد بشرٍ — على حىّ يموت ولا صديقِ

وبَعد الخيرِ علقمةَ بنِ بشرٍ — إذا ماالموت كان لدَى الحُلوقِ

ومال بنو ضُبَيعة بعد بشر — كما مال الجذوعُ من الحريق

فكم بقُلابَ من أوصالِ خِرقٍ — أخى ثقة وجُمْجمةٍ فليقِ [3]

---

(١) سقطت هذه الكلمة من ش ، كما سقط منها « زوج خرنق » السابقة .

(٢) وكذا فى معجم ياقوت : « واثلة » بالثاء المثلثة قال : « مأخوذ من الوثيل وهو ليف النخل ، وهى قرية معروفة » وفى ش : « وابلة » بالباء ، تحريف ، وفى معجم مااستعجم : « بوالبة » ، ولم أجد لهذا المكان ذكرا إلا فى هذا الموضع من معجم مااستعجم .

(٣) ط : « أوصاف خرق » ، صوابه فى ش ومعجم البلدان لياقوت ، حيث أنشد هذه الأبيات مع زيادة ونقص .

وآسى : أحزن .ولا محذوفة ، أى وأبيك لاأحزن بعد بشر . والحلوق : جمع حَلق ،وهو مجرى الطعام. ومال بنو ضُبيعة ، أى تساقطوا بعد بشر . والخِرْق بكسر المعجمة ، من الفتيان : الظريف فى سماحة ونجدة .

خرنق بنت بدر

وخرنق بكسر الخاء المعجمة وسكون الراءِ المهملة وكسر النون بعدها قاف،هى امرأة شاعرة جاهليَّة .قال أبو عبيدة :هى خِرنق بنت بدر بن هِفَّان،من بنى سعد بن ضُبيعة رهط الأعشى.كذا (فى العباب) للصاغانى. وفى كتاب (التصحيف للعسكرى) و (شروح أبيات الكتابِ والجمل): خرنق بنت هِفان القيسيَّة ، من بنى قيس بن ثعلبة بن عُكابةَ بن صَعب بن علىّ بن بكر بن وائل ، بحذف « بدر» . وقالوا :هى أخت طرفة بن العبد لأمّه . وقال يعقوب بن السكيت (فى أبيات المعانى) :هى عمّة طرفة بن العبد .والله أعلم .

٣٠٨

وقيس هو رهط الأعشى أيضاً ، وإليه ينسب فيقال أعشى قيس .

وخرنق من الأسماء المنقولة ،لأنَّ الخرنق فى اللغة ولدُ الأرنب .والخرنق أيضاً :مَصنْعة الماء، وهو نحو الصِّهريج ، والنون أصليَّة .

وأما هَفَّان بفتح الهاءِ وكسرها وتشديد الفاء ، فهو اسم مرتجل غير منقول ، مشتقٌ من الهفيف ، وهو سُرعة السيَّر .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والأربعون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد سيبويه [1] :

٣٤٢ (وما الدَّهرُ إلاَّ تارتان فمنهما أَموتُ وأخرى أَبتَغِي العَيْشَ أَكْدَحُ)

---

(١) فى كتابه ١ : ٣٧٦ . وانظر ديوان ابن مقبل ٢٤ والمقتضب ٢ : ١٣٨ والكامل ٧٣٨ والحيوان ٣ : ٤٨ والمحتسب ١ : ١١٢ والهمع ٢ : ١٢٠ وحماسة ابن الشجرى ١٨٣ .

على أنَّ الموصوف محذوف ، أَى منهما تارةٌ أموت . هكذا قدَّرَ سيبويه وأورده فى باب حذف المستثنى ، نحو قولك ليس غير وليس إلاَّ أنّه ، كأنَّه قال : ليس إلاَّ ذاك ، وليس غير ذاك . قال : وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقول : مامنهما مات حتى رأيته فى حالٍ كذا ، وإنما يريد : مامنهما واحدٌ مات . انتهى .

وأورده الفراء أيضاً (فى تفسيره) عند قوله تعالى :﴿ ومن آياته يُرِيكم[1]﴾ ، قال : من أظهر [2] أَنْ فهى فى موضع اسم مرفوع ، كما قال : ﴿ ومن آياته مَنَامُكم باللَّيل [3] ﴾ ، فإذا حذفت أنْ جعلت مؤدِّية [4] عن اسم متروك يكون الفعل صلة له ، كقول الشاعر :

وما الدهر إلاّ تارتان .... البـــيت

كأنّه أراد : فمنهما ساعةٌ أموتُها وساعةٌ أَعيشها ، وكذلك : ومن آياته آيةٌ للبرق وآية لكذا . وإنْ شئت : يريكم من آياته البرق ، فلا تضمر أَن ولا غيره . انتهى .

وكذلك أنشده الزجاج (فى تفسيره) عِند قوله تعالى :﴿ مِنَ الذين هَادُوا يُحَرِّفون الكلمَ [5]﴾أى قومٌ يحرِّفون ، كهذا البيت . والمعنى منهما تارةٌ أَموت فيها،فحذف تارةٌ وَأَقام الجملة التى هى صفتها نائبة عنها،فصار :أموت

---

(١) من الآية ٢٤ فى سورة الروم .

(٢) فى النسختين : « أضمر » ، صوابه فى معانى الفراء ٢ : ٣٢٣ .

(٣) من الآية ٢٣ فى سورة الروم .

(٤) فى النسختين : « جعلت مورية » ، وصوابه وإكماله من معانى الفراء .

(٥) من الآية ٤٦ من النساء .

فيها ،فحذف حرف الجر فصار التقدير : أموتها ، ثم حذف الضمير فصار أموت . ومثله فى الحذف من هذا الضَّرب ، بل هو أطولُ منه :

تَروَّحى ياخَيرة الفَسِيــــل تروّحى أجدَرَ أنْ تَقيلى [(١)]

أصله : ائتى مكاناً أجدرَ بأن تَقيلى فيه، فحذف الفعل الذى هو ائتى لدلالة تروَّحى عليه، فصار مكاناً أجدر بأن تقيلى فيه ، ثم حذف الموصوف الذى هو مكاناً ، فصار تقديره أجدرَ بأن تَقِيلِي فيه ، ثم حذف الباء أيضاً تخفيفا ، فصار أجدر أن تقيلى فيه . ففيه إذن خمسة أعمال ، وهى حذف الفعل الناصب ، ثم حذف الموصوف ، ثم حذف الباء ، ثم حذف فى ،ثم حذف الهاء .وهنا عمل سادس [(٢)] وهو أنَّ أصله ائتى مكانا أجدر بأن تقيلى فيه من غيره ، كما تقول : مررت برجل أحسنَ من فلان ، وأنت أكرم علىَّ من غيرك . انتهى .

وهذا البيت من قصيدة لتميم بن أبىّ بن مقبل ، وهو شاعر إسلامى صاحب الشاهد تقدمت ترجمته فى الشاهد الثانى والثلاثين من أوائل الكتاب [(٣)] . وقبله يصف القحط :

(ألم تعلمى أن لايذُمُّ فُجاءتى دخيلى إذا اغبرَّ العِضاهُ المجلَّحُ ٣٠٩
وأن لا ألومُ النَّفسَ فيما أصابنى وأن لا أكادُ بالذى كنتُ أفرحُ

---

(١) لأحيحة بن الجلاح . وانظر المحتسب ١ : ٢١٢ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٣٤٣ والعينى ٤ : ٣٦ والتصريح ٢ : ١٠٣ الأشمونى ٣ : ٤٦ .

(٢) ش : « وهناك وجه سادس » ، صوابه فى ط .

(٣) الجزء الأول ص ٢٣١ .

وما العيش إلا تارتان فمنهما
أموتُ وأُخرى أبتغى العيشَ أكدَحُ [1]
وكلتاهما قد خُطَّ لى فى صحيفةٍ
فلا العيشُ أهوى لى ولا الموتُ أروَحُ)

أن فى المواضع الثلاثة مخفَّفة من الثقيلة ، والفعل بعدها مرفوع ، وفجاءتى مفعول مقدَّم . والفُجَاءة بضم الفاء والمد:مصدر فجأه الأمر كضربه ، وفجئه كعلمه ،إذا أتاه بغته .ويقال أيضاً فاجأهُ الأمر مفاجأة وفِجاءً . ودخيلى أى ضيفى ، فاعل مؤخر ، والدَّخيل :الضيف إذا حلَّ بالقوم فأدخَلوهُ . يقول :إذا جاءنى بغتةً ضيف فى أيام القحط فلا بدَّ من إطعامه وإكرامه ولاأدعه يذمُّنى . واغبرَّ :صار بلون الغُبرة .والعِضاه بكسر العين المهملة بعدها ضاد معجمة وآخره هاء : شجرٌ عظيم شائك تأكل الماشية ورقَه .والمجلَّح بالجيم ، قال صاحب الصحاح : المأكول ، ومنه قول ابن مُقْبل :

* إذا اغبرَّ العضاهُ المجلَّحُ *

وهو الذى قد أُكِل حتى لم يُترك منه شىء .

والكَدْحُ : الكسب والسَّعى ، وجملة أكدح حالٌ مؤكِّدة لعاملها ، وهو أبتغى .وتارة المحذوفة مبتدأ وجملة أموت صفتها ،والعائد إلى الموصوف محذوف ،أى فيها .ومنهما خبر مقدم ،وأُخرى صفة مبتدأ محذوف ، أى تارة أخرى .وليس فى هذا شاهد.وجملة أبتغى العيش خبر المبتدأ والعائد محذوف

---

[1] فى الديوان :« فى صحيفتى » . وفيه أيضا : « فللعيش أشهى لى وللموت أروح » والصواب ماهنا ، وهو المقارب لما فى الحيوان وحماسة البحترى .

أيضاً ، أى فيها . يقول : لاراحة فى الدنيا لأنَّ وقتها قسمان : إمَّا موت ، وهو مكروه عند النفس ، وإما حياة وكلُّها سعيٌ فى المعيشة .

* * *

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والأربعون بعد الثلثمائة :

٣٤٣ (وكلَّمتُها ثِنتين كالماءِ منهما وأُخرى على لَوحٍ أحرَّ مِنَ الجَمْرِ[1])

لما تقدَّم قبله ، أُعنى أنَّ الموصوف محذوف إذا كان بعضاً من مجرورٍ بمن ، سواء تقدَّم المجرور كما مضى ، أو تأخر كما هنا ، ولهذا كرر الشاهد ، فإنَّ التقدير :كَلَّمْتُها كلمتين ، منهما كلمة كالماء ، وكلمة أخرَى أحرُّ من الجمر. وتقدُّم المجرور أكثرىٌّ .

وهذا ثالث أبياتٍ ثلاثة أوردها الجاحظ (فى كتاب البيان والتبيين)وهى:

أبيات الشاهد

(لقِيتُ ابنة السَّهمىِّ زينبَ عن عُفرٍ ونحن حرَامٌ مُسىَ عاشِرةِ العَشرِ
وإنى وإيَّاهـا لحَتْمٌ مَبيتنـــا جميعاً وسَيرانا مُغِذٌّ وذُو فَتْرِ
فكلَّمتها ثنتين كالثلج منهُما على اللَّوح،والأخرى أحرُّ من الجمر)

السَّهمى : نسبة إلى سهم ، بفتح السين المهملة:قبيلةٌ من قريش ، وقبيلة فى باهلة أيضاً .وزينبَ بدل من ابنةَ ، وعُفْر بضم العين المهملة وسكون الفاء وبضم الفاء أيضاً، قال الجاحظ:يقال مايلقانا إلا عن عُفْر ، أى بعد مدَّة. وكذلك قال القالى (فى أماليه):قوله عن عفر أى بعدَ حين ،يقال ماألقاه إلاّ عن عُفر ، أى بعد حين.وقال الزمخشرى(فى مستقصى الأمثال): لقيته عن عفر، أى بعد شهر ونحوه ، والأصل قلّة الزيارة ،مِن تعفير الظَّبية ولدَها ،وهو

---

(١) البيان ١ : ٢٨٠ وأمالى القالى ١ : ٩٨ ودرة الغواص ٧٢ .

أن ترضعَه ثم تدعَه ثم ترضعَه ثم تدعَه، وذلك إذا أرادت أن تفطمه .وعَكَس

٣١٠ المأخذَ (١)صاحبُ الصحاح فقال: والتعفير فى الفطام أن تمسحَ المرأةُ ثديَها بشىءٍ من التراب تنفيراً للصبىّ.ويقال هو من قولهم:لقيت فلانا مِن عُفر بالضم أى بعد شهر ونحوه ، لأنَّها ترضعه بعد اليوم واليومين (٢)، تبلُو بذلك صبرَه . وقوله : « ونحن حرام » قال القالى : أى محرمون . قال صاحب الصحاح:ورجلٌ حَرام بالفتح أى مُحْرِم،والجمع حُرُم مثل قَذال وقذل.انتهى. وإنما لم يجمعه هنا لأنّه فى الأصل مصدرٌ يستوى فيه الجمع[والتثنية والمفرد(٣)]. وجملة ونحن حرام حالٌ من الفاعل والمفعول. وقوله «مُسْىَ عاشرة»الخ مُسْىَ بضم الميم وسكون السين،وكسر الميم لغةٌ :اسمٌ للمَسَاء ، كالصُّبح اسمٌ للصباح، ولهذا قال الجاحظ : أى وقت المساء.وهو ظَرفٌ لقوله لقيت .وعاشرة العَشْر هو اليوم العاشر من ذى الحجة،يريد أنّه لِقيهَا بعرفات عشيَّة عرفة،وهى مُسْىُ عاشرة العشر.

وقوله : «لحتمٌ مبيتنا»الحتم ،بفتح الحاء المهملة: اللازم .يريد إنَّ مبيت النَّاس بالمزدلفة حتمٌ لايتجاوزها أحد. وجميعاً حال من المضاف إليه، وهو ضمير المتكلم مع الغير. وقوله : « وسيرانا » إلخ ،سيراً : مثنى سير، حذفت نونه للإضافة ،ونا ضمير المتكلم مع الغير .وروى : «مسرانا» بالإفراد .قال صاحب الصحاح :وسريت سُرى ومَسرًى وأسريت بمعنىً ، إذا سِرتَ ليلاً(٤). وأما السَّير فلا يختص باللّيل .قال صاحب الصحاح :سار يسير سيرا ومَسِيرا، يكون بالليل وبالنهار، ويستعمل لازما ومتعدِّيا .ومُغِذٌّ بالغين والذال المعجمتين

---

(١) الحق أنه لم يعكسه ، وإنما جمع بين المأخذين ، كما يفهم من نهاية النص .

(٢) فى الصحاح : « بين اليوم واليومين » .

(٣) هذه التكملة من هامش ش مقرونة بكلمة « صح » .

(٤) فى النسختين : « سريت » ، صوابه من الصحاح .

اسم فاعل من أَغَذَّ فى السير إغذاذاً ،أى أسرع فيه وجَدّ .والفتر ، بفتح الفاء، بمعَنى الفترة والفتور ، أى الانكسار والضَّعف .قال القالى : أى سيرى أنا مسرعٌ ،وسيرُها ذو فتور وسكون ،لأنها يُرفَقُ بها. ولم يرو القالى (فى أماليه) إلاّ هذين البيتين عن أبى بكر بن دريد .

وقوله : (فكلَّمتها ثنتين) إلخ الصواب رواية الجاحظ ،وهى (كالثلج) بَدل (كالماء) . والمِصْراع الثانى كذا :

* على اللَّوْح والأخرى أحرُّ من الجَمْرِ *

وكذا رواه الزمخشرى : (فى المستقصى) . واللّوح بفتح اللام وآخره حاء مهملة :العطش .قال الجاحظ : لاح الرحل يلوح لَوحا،والتاح يلتاح التياحا ، إذا عطش . انتهى .

وعلى بمعنى مع .يريد :إنّى كلمتها كلمتين ، كانت إحداهما كالثلج مع العطش زال بها ماأجد من الحرارة ، وكانت الكلمة الأخرى أحرَّ من الجمر ، فالتهب قلبى من حرارتها .

قال الحريرى (فى درة الغواص) : أراد بالكلمة الأولى تحية القدوم ، وبالأخرى سلام الوَدَاع .

وجعل الزَّمَخشَرىُّ أحرَّ من الجمر من الأمثال ، وأنشد له هذا البيت مع البيت الأوَل عن الجاحظ ، لكن روى المصراع الأول هكذا :

* فقالت لنا ثنتين كالثلج منهما *

وهذا أنسب بما قاله الحريرى .

وقوله :ثنتين منصوب على المفعول المطلق ، أى تكليمتين ، والأخرى

مبتدأ بتقدير موصوف ، أى والكلمة الأخرى ؛ وأحرٌّ من الجمر خبر المبتدأ.

صاحب الشاهد وهذه الأبياتُ نسبها الجاحظِ والقاليُّ والحريرىُّ إلى أَبى العَمَيْثل عبد الله ابن خالد [١] والعميثل ،بفتح العين المهملة والميم وسكون المثناة التحتية وفتح الثاء المثلثة. والعميثل فى اللغة يأتى لمعانٍ منها الأسد الضَّخم،والسيِّد الكريم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والأربعون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد س [٢]:

٣١١ **٣٤٤** (لو قُلتَ مافى قَومِها لم تِيثَمِ يَفْضُلها فى حَسَبٍ ومِيسمِ)

على أنَّ جملة يفضلها صفة لموصوف محذوف هو بعض المجرور بفى .
قال سيبويه : يريد مافى قومها أحدٌ يفضلها ، كما قالوا : لو أَنّ زيدا ههنا ، وإنما يريدون لكان كذا . انتهى .

وأَنشده الفراء (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ من الذينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ [٣] ﴾ على أَحد وجهين ، وذلك من كلام العرب ، أَن يضمروا مَنْ فى مبتدأ الكلام بمنْ ، فيقولون : منّا يقول ذاك ومنّا لايقوله . وذلك أَنّ مِنْ بعضٌ لما هى منه ، فلذلك أَدّت عن المعنى المتروك . قال الله تعالَى : ﴿ وما مِنَّا إلا له مَقَامٌ مَعْلوم [٤] ﴾ ، وقال : ﴿ وإنْ مِنْكُم إلاّ

---

(١) من شعراء الاعراب . توفى سنة ٢٤٠ ، انظر حواشى الحيوان ١ : ١٥٥ .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٧٥ . وانظر الخصائص ٢ : ٣٧٠ وابن يعيش ٣ : ٥٩ ، ٦١ والعينى ٤ : ٧١ والتصريح ٢ : ١١٨ والهمع ٢ : ١٢٠ والأشمونى ٣ : ٧٠ .

(٣) الآية ٤٦ من النساء .

(٤) الآية ١٦٤ من الصافات .

وَارِدُهَا (١) ﴾. ولايجوز إضمار مَنْ فى شىءٍ من الصفات إلاّ على هذا الذى نبأْتُكَ به . وقد قالها الشاعرُ فى فيِ ، ولستُ أَشتهيها ، قال :

لو قلتَ مافى قومِها لم تأثم   يَفضُلها فى حَسبٍ ومِيسَمِ

ويروى أيضاً : «تيثم» لغة .وإنما جاز ذلك فى فيِ لأنك تجد معنى مَنْ أنَّه بعضُ ماأضيفت إليه . ألا ترى أنَّك تقول : فينا الصالحون وفينا دون ذلك ، فكأنَّك قلت : منَّا .ولا يجوز أنْ تقول فى الدار يقول ذاك،وأنت تريد فى الدار مَنْ يقول ، إنما يجوز إذا أضيفت فى إلى جنس المتروك . انتهى كلامه.

وأراد بمَنْ المضمرةِ النكرةَ الموصوفة لا الموصولة ،فإنها لاتحذف وتبقى صلتها، أو أنها هى المرادة عنده فإنَّه كوفىٌّ ، والكوفيون يجوِّزون حذف الموصول .

وقد بيَّن الضابط فى حذف الموصوف مع المجرور بمن وفى ،إلاّ أنَّه جعل الثانىَ دون الأول ، ووافقه السِّيرافىُّ فقال :أكثر مايأتى الحذف مع مِن ، لأنَّ مِنْ تدلُّ على التبعيض . وقد جاء مثله مع فى ، وليس مثل مِنْ فى الكثرة . انتهى .

وقوله : (لم تيثم) جواب لو الشرطية ، أى لم تكذب فتأثم ، وأصله تأثم فكسر التاء على لغة من يكسر حروف المضارعة إلا الياء للكراهَة ، وهم بنو أسد. قال ابن يعيش : وذلك إذا كان الفعل على فَعِل نحو يعلم ويسلم.انتهى. وقبل كسر التاء قلبت الهمزة ألفا،وبعد كسر التاء قلبت الألفُ ياء لانكسار ماقبلها . وقوله : (مافى قومها) خبر لمبتدأ محذوف ، وهو الموصوف بقوله يفضلها. وقدَّره ابنُ يعيش بإنسان يفضُلها ، والجملة المنفيَّة مقول القول .

---

(١) الآية ٧١ من مريم .

وقوله : (فى حسب) متعلّق بيفضلها .والحسب : مايعدُّه الإنسان من مفاخره ، وأراد به الشرف النَّسَبى وهو شرف الآباء ، وأراد بالميسم الشرَفَ الذاتىّ ، فإنَّ الميسم الحسن والجمال ، من الوَسْم ، وهو الحسن .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من رجزٍ لحكِيم بن مُعَيَّة الرَّبَعى ، من بنى رَبيعة بن مالك بن زيد مناةَ بن تميم . وهو راجزٌ إسلامىٌّ كان فى زمن العجّاج وحُميدٍ الأرقط . نسبهُ إليه سيبويه فى موضع آخر من كتابه (١) . وبعده :

(عفيفة الجيب حَرامُ المَحْرَمِ
من آل قيسٍ فى النِّصاب الأكرمِ)

والنصاب وكذا المنصب : الأصل .

وكان يفضّل الفرزدق على جرير ، فهجاه جرير لذلك .

ونسب ابنُ يعيش البيتَ الشاهد للأسود الحِمّانى . والله أعلم .

و (مُعَيَّةُ) بضم الميم وفتح العين وتشديد التحتيةِ : مصغّر معاوية . والحِمَّانى بكسر الحاء المهملة وتشديد الميم : نسبة إلى حِمَّان (٢).

* * *

وأنشد بعده :

٣١٢ (أنا ابنُ جَلَا وطَلّاعُ الثَّنايا مَتَى أضعِ العِمامَةَ تَعرِفُونِى (٣)

على أنَّ الاسم الموصوف بالجملة لايحذف بدون مِنْ أوفى،إلا فى الشعر كما هنا ، فإنَّ أصله : أنا ابن رجلٍ جلا . فجلا فعلٌ ماض بمعنى كشف الأمور،

---

(١) كذا . ولم أجد هذا الموضع .

(٢) هم بنو حمان بن عبد العزى بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . الجمهرة ٢٢٠ .

(٣) الجزء الأول ص ٢٥٥ . وانظر أيضا المعانى الكبير ٥٣٠ والكامل ١٢٨ ٢١٥ والمجمل ٢١٢ والمقرب ٦١ وشرح شواهد المغنى ١٥٧ ، ٢٥٤ .

أو بمعنى انكشف أمره . وفيه ضمير يعود على الموصوف المحذوف لضرورة الشعر . وهذا على أحد التخريجين المشهورين فى هذا البيت.والتخريج الثانى لسيبويه ، وهو أنّ جلا مع ضميره المستتر جملة محكية جُعِلت علما ، ولاشاهد فيه على هذا.ولنا عليه كلام أسلفناه فى الشاهد الثامن والثلاثين من أوائل الكتاب.

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والأربعون بعد الثلثمائة [1]:

٣٤٥ (مالَكَ عِندى غَيْرُ سَهْم وحَجَرْ وغَيْرُ كَبْداءَ شديـدةِ الوَتَـرْ

* جادت بكَفَّىْ كانَ من أرمى البَشَرْ *)

على أنّ جملة كان مع ضميره المستتر صفةٌلموصوفٍ محذوف ضرورة ، أى بكَفَّىْ رجل أو إنسان كان. والأوْلَى بكَفَّىْ رامٍ ، للقرينة . قال ثعلب (فى أماليه) : لم أسمعْ مِنْ فى موضع الاسم إلاّ فى ثلاثة مواضع : قوله:

جادت بكَفَّىْ كان مِنْ أرمى البَشر

وقوله :

* ألاَ ربَّ مِنْهم منَ يقوم بمالِكا *

وقوله :

* ألا ربَّ منهم دارعٌ وهو أشْوَسُ *

انتهى . وإنما قال لم أسمع لأنّ كان فعل ، وربَّ حرف ، ولايليهما إلاّ الأسماء . وبهذا يستدلُّ على حرفيةِ من التبعيضية ، لأنَّ ربَّ لاتجر إلاّ النكرة .

---

(١) انظر المقتضب ٢ : ١٣٩ ومجالس ثعلب ٥١٣ والخصائص ٢ : ٣٦٧ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١٤٩ والإنصاف ١١٤ وشرح شواهد المغنى ١٥٧ .

وأقول : لولا وقوع هذا الموصوف مضافاً إليه هنا لجاز أن يكون من قبيل :

* وكلّمتُها ثنتين كالماء منهما (١) *

وقال ابن جنى (فى الخصائص) : روى أيضاً بفتح ميم مَنْ أى بكَفَّىْ من هو أرمى البشر ، وكان على هذا زائدة . انتهى .

أقول : جعل مَنْ على هذه الرواية نَكرة موصوفة أولى من جعلها موصولة .

وقوله : (مالك عندى) إلخ لك ظرف مستقرّ وغير فاعله ، وعندى متعلق بلك . (كبداء) أى قوس كَبداء ،وهى التى يملأ الكفَّ مقبضُها .و(جادت) أى أحسنت . وهذه رواية ثعلب وابن جنى وغيرِهما ، ووقع فى رواية ابن هشام (فى المغنى) : « ترمى » بدل « جادت » .ويروى فى بعض نسخ هذا الشرح « كانت » ، وهذا لايناسب المعنى .

وقوله :(بكفَّىْ) متعلق بمحذوف على أنَّه حال ، وهو مثنَّى كفٌّ ، وحذفت النون للإضافة .

وهذا الشاهدُ قلَّما خلا منه كتابٌ نحوىّ ؛ لكنَّه لم يعرف له قائل . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والأربعون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد سيبويه (٢) :

---

(١) انظر الشاهد ٣٤٣ ص ٥٩ .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٧٥ . وانظر المقتضب ٢ : ١٣٨ وابن يعيش ١ : ٦١ — ٣ : ٥٩ ، ٦٠ والعينى ٤ : ٦٧ والأشمونى ٣ : ٧١ وديوان النابغة ٧٩ .

٣٤٦ (كأنَّكَ مِنْ جمالِ بنى أُقَيشٍ يُقعقَعُ خَلْفَ رِجلَيْهِ بِشَنِّ)

على أنَّ حذف الموصوف هنا بدون أن يكون بعضاً من مجرور بمن أوفى ، لضرورة الشعر ، والتقدير : كأنَّك جمل من جمال بنى أقيش . وهذا مثالٌ لقيام الظروف مقام الموصوف لضرورة الشعر ، والبيتان قبله لقيام الجملة مقامه كذلك .

٣١٣ وقد أورده ابنُ الناظم والمرادى (فى شرح الألفيَّة) كما أورده الشارح المحقق . وفيه أَنَّ البيت من القسم الأوَّل ،وهو أَنَّ الموصوف بالجملة أو الظرف إذا كان بعضاً من مجرور بمن أَو فى يجوز حذفه كثيراً . وبيانه أنَّ الموصوف يقدَّر هنا قبل يُقعقع ،والجملة صفة له ، أى كأنك جملٌ يقعقع ، وهو بعضٌ من المجرور بمن ، ويكون قوله من جمال بنى أُقيش حالاً من ضمير يقعقع الراجع إلى جمل المحذوف .

وقد أورده الزمخشرى (فى المفصل) وصاحب (اللباب) فيما يجوز حذف الموصوف منه ، إلا أنهما جعلاه خبراً لكان كالشارح المحقق . وهما فى ذلك تابعان لسيبويه ، فإنَّه قال (فى باب حذف المستثنى استخفافاً) ،قال : وذلك قولك ليس غير ، وليس إلاّ ، كأنَّه قال : ليس إلاَّ ذاك وليس غير ذاك ، ولكنهم حذفوا ذلك تخفيفاً واكتفاءً بعلم المخاطب مايُعنَى . وسمعنا بعضَ العرب الموثوق بهم يقول :مامنهما مات حتى رأيته فى حال كذا ، وإنما يريد مامنهما واحدٌ مات . ومثل ذلك قوله تعالى جدُّه : ﴿ وإنْ من أَهلِ الكِتاب إلاّ لَيُؤمِنَنَّ به قَبْلَ موته [1] ﴾ ، ومثل ذلك من الشعر :

* كأنك من جمال بنى أقيش *

---

(١) الآية ١٥٩ من النساء .

أى كأنّك جمل من جمال بنى أقيش . ومثل ذلك قوله أيضاً :

* لو قلت مافِى قومها لم تيثم *

البيت . انتهى

وليس فى كلامهم مايُشعر كونَه من قبيل الضَّرورة ، بل جعله الزمخشرى وصاحب (اللباب) من قبيل ما إذا ظهر أمرُ الموصوف ظهوراً يُستغنى معه عن ذكره فحينئذ يجوز تركه وإقامةُ الصِّفة مقامه . ولم يذكر ماذكره الشارح [١] المحقِّق من جواز حذفه كثيراً إذا كان بعضاً من مجرور بمِن أوفى .

وقوله (بنى أقيش) بضم الهمزة وفتح القاف وآخره شين معجمة. قال أبو عمرو:هو حىٌّ من عُكْل ،وجِمالهم ضعاف تنفر من كل شىء تراه.وقال ابن الكلبى:بنو أُقيش:حىٌّ من الجنّ،وإنما أَراد:إنّكَ نفورٌ وليس لك معَقودُ رأْى. وقال الأصمعىُّ :جمال بنى أُقيش حُوشيَّة ليست ينتفع بها، فيضرب بنفارها المثل .

ورأَيت فى (جمهرة الأنساب) : أقيش بن مِنقر بن عُبيد بنُ مقاعس بن عمرو بن كعب [٢] . وأَنشد هذا البيت . وقيل بنو أُقيش فخذ من أشجع ، وقيل حىٌّ من اليمن .

و(يقعقع) بالبناء للمفعول . والقعقعة : تحريك الشىء اليابس الصلب . و(الشَّنّ) بالفتح : القِربة البالية ، وجمعها شِنان ، وتَقعقُعُها يكون بوضع الحصا فيها وتحريكِها فيُسمع منها صوت ، وهذا ممَّا يزيدها نفورا . ووقع مثله فى شعر صخَر بن حَبْناء ، يخاطب أَخاه المغيرة :

تجنَّيتَ الذنــوبَ علىَّ جهــلا لقـد أُولــعتَ ويحكَ بالتَّجَنِّــى
كأَنَّك إذْ جَمعت المال عَيرٌ يقعقَع خلـفَ رجليـه بشَنِّ

---

(١) ش : « ماذكر الشارح » .

(٢) وقع فى جمهرة ابن حزم ٢١٦ : « أنيس » بالنون ، ويبدو أن ماهنا صوابه .

ومنه المثل : «فلان مايُقعقَع له بالشِّنان» ، يضرب لمن لايتّضع لما ينزل به من حوادث الدهر ، ولا يروعُه ما لا حقيقة له .وقال الزمخشرى (فى المستقصى): يضرب للرَّجل الشَّرس الصعب ، أى لايهدَّد ولاينْزِع .وقال الحجاج على مِنبر الكوفة : « إنى والله ياأَهلَ العراق مايُقعقَع لى بالشِّنان » .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ للنابغة الذبيانى . قال ابن السيرافى (فى شرح أبيات سيبويه) :سبب هذا الشعر أنّ بنى عبس قتلوا رجلاً من بنى أسد ، فقتلت بنو أسد رجلين من بنى عَبس ، فأراد عُيينة بن حِصن الفَزارىُّ أن يُعِينَ بنى عبس عليهم وينقضَ الحلفَ الذى بين بنى ذبيان وبين بنى أسد ،فقال له النابغة: أتخذُل بنى أسد وهم حلفاؤنا وناصرونا، وتعينَ بنى عبسٍ عليهم .انتهى.

٣١٤

أبيات الشاهد

وهذه أبياتٌ من القصيدة بعد ثمانية أبيات من أوَّلها :

(أتخذلُ ناصرى وتُعِزَّ عبساً أيربوعَ بنَ غَيظٍ للمِعَنِّ [1]

كأنّك مِن جمالِ بنى أُقيشٍ يُقعقَع خلف رجليه بشَنِّ

تكون نعامةً طوراً، وطوراً هُوِىَّ الريح تنسِجُ كلَّ فنِّ

إذا حاولتَ فى أَسدٍ فجوراً فإنِّى لستُ مِنك ولستَ منِّى

همُ درعى التى استلأَمْتُ فيها إلى يوم النِّسار وهم مِجنِّى

وهُمْ وردُوا الجفارَ على تميم وهمْ أصحاب يوم عكاظ إنِّى

شهدتُ لهم مواطنَ صادقاتٍ أَتيتُهُمُ بنصح الصَّدْرِ منِّى

بكلِّ مجرّب كاللَّيث يسمو على أَوصالِ ذَيالٍ رِفَنّ

ولو أنّى أطعتُكَ فى أُمور قَرعتُ ندامةً من ذاك سِنِّى)

(١) ش « بن قيظ » ، تحريف .

وهذا آخر القصيدة . وقوله :

* أتخذل ناصرى وتُعزّ عبسا *

هذا خطابٌ لعيينة بن حصن ،وأرادَ بناصره بنى أسد.وقوله :

* أيربوع بن غيظ للمِعَنّ *

هذا خطاب آخر ليربوع بن غيظ بن مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، وهو من قوم النابغة .والمِعَنّ بكسر الميم وفتح العين المهملة :المعترض فى الأمور [(١)] ، وعنى به عيينة بن حصن ، يقال عنّ يعنّ ، وإنّك لتعِنّ فى هذا الأمر أى تَعرَّضُ فيه .واللام فى للمعنّ متعلّقة بمحذوف ،أى تعجب يايربوع من هذا المتعرِّض .

وقوله : (كأنّك من جمال) إلخ هذا خطابٌ لعيينة أيضاً ، يقول:أنت سريع الغضب والنُّفور ،تنفر مما لاينبغى لعاقلٍ أن ينفر منه . وقيل معناه إنّك جبانٌ فى الحرب لاتقدر على الطِّعان والضراب ، بل تنفر عنها كما ينفر الجمَل عن صوت الشَّنّ وقعقعته .

وقوله : «تكون نعامة» ،قال أبو عَمرو : يقول :تتخيَّل مرّة كذا ومرّة كذا . وقوله : « هوىَّ الريح » يريد طوراً تهوى هُوىَّ الريح . والفنّ : اللون ، والجمع الفنون . وقال الأصمعىّ : كأنّه يهوى هوىّ كل فن ، أى كلَّ ضربٍ من الجرى .

وقوله : « إذا حاولت فى أسدٍ فجوراً » ،استشهد به الزمخشرى عند قوله تعالى : ﴿ وربائبكم اللاَّتى فى حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائكم [(٢)]﴾.

---

(١) ط : « المقبوض فى الأمور » ، صوابه فى ش .

(٢) الآية ٢٣ من النساء .

وقوله : «درعى التى» إلخ اللأْمة بالهمزة :الدرع . واستلأمتها: تحصنت فيها . والمجنّ : التُّرس . والنِّسار ، بكسر النون : اسم ماء لبنى عامر مِن بنى تميم ، وفيه وقعة كانت لأسد وغطفان على تميم .

وقوله : «وردوا الجفار» البيتين ، فى البيت التضمين ، وهو عيبٌ ، وهو أن يتوقَّف على البيت الثانى ، فأَن خبر إنّ هو أَوّل البيت الثانى . والجفار بكسر الجيم : اسم ماءٍ لبنى تميم بنجد .

وقوله «بكل مجرب كالليث» الخ أَى بكلِّ شجاع مجرَّب فى الحروب . ورِفَنّ بكسر الراء المهملة بعدها فاء ، قال أبو عمرو : هو السريع .والذيَّال: الطويلِ الذنب .والأوصال : المفاصل ، أَى على أوصال فرسٍ يَذِيل فى مشيته سابغ الذَّنَب .

٣١٥

والنابغة الذُّبيانى شاعرٌ جاهلى قد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الرابع بعد المائة (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والأربعون بعد الثلثمائة (٢):

٣٤٧ (والمؤمِنِ العائذاتِ الطَّيرَ يَمسَحُها

رُكْبانُ مَكَّةَ بينَ الغِيل والسَّنَدِ)

على أنَّ العائذات كان فى الأَصل نعتاً للطير ، فلمَّا تقدم وكان صالحاً لمباشرة العامل أعرب بمقتضى العامل ، وصار المنعوت بدلا منه ،فالطير بدل من العائذات،وهو منصوب إن كان العائذات منصوباً بالكسرة على أنَّه مفعول به للمؤمن ،ومجرور إن كان العائذات مجروراً بإضافة المؤمن إليه.والأَصل على الأَول:والمؤمن الطير(٣)بنصب الأَول بالفتحة والثانى بالكسرة.وعلى الثانى:والمؤمن

(١) الخزانة ٢ : ١٣٥ .

(٢) ديوان النابغة ١٥ وابن يعيش ٣ : ١١ .

(٣) كلمة « الطير » ساقطة من ش .

الطير العائذات ، بجرِّهما بالكسر ، فلمَّا قدِّم النعت أعرب بحسب العامل وصار المنعوت بدلاً منه .

هذا محصَّل كلام الشارح المحقق ، وهو فى هذا تابعٌ لأبى علىّ (فى الإيضاح الشعرىّ) ،وهذه عبارته :مَنْ كانت الكسرة عنده جرَّة ، على هذا الحسن الوجهِ جرَّ الطير ،لأنَّ العائذات مجرورة .ومن كانت الكسرة عنده فى موضع نصب على قولك الضارب الرجل نصب الطَّير ، والطير فى هذا الموضع بدل أو عطفٌ ،وإنّما كان حدُّه:والمؤمن الطيرِ العائذات أو الطيرَ العائذات ، فقدَّم العائذات وأخَّر الطير.و (المؤمن) هو الله سبحانه ، وهو اسم فاعل من آمن كما قال: ﴿ الذى أطْعَمَهُمْ من جُوعٍ وآمَنَهُمْ مِنْ خوف [1] ﴾ أى آمنهم من الخوف لكونهم فى الحَرَم وحُلولهم فيه . انتهى .

ولم يرضَ الزمخشرىُّ هذا (فى المفصل) فى باب الإضافة:أنَّ العائذات كان فى الأصل الطير العائذات ،فحذف الموصوف وجعل العائذات اسماً لا صفة، فلمّا جعلت اسماً احتاجت إلى تبيين ،فأجرى عليها بالتبيين . قال : وليس هذَا من تقديم الصفة على الموصوف .

ولايخفى أنَّ هذا تكلُّف ، ولهذا أعرض عنه الشارح .

وزَعم بعضُهم أنَّ الطير بدلُ بعضٍ من العائذات ، لأنَّ العائذات عامٌّ يقع على الطير والوحش وغيرهما .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ للنابغة الذبيانى ، وهو أحسن شعره ، ولهذا ألحقوها بالقصائد المعلَّقات ، مدح بها النُّعمان بن المنذر ملكَ الحيرة ، وتبرَّأ فيها مما اتُّهِم به عند النعمان .

---

(١) الآية ٤ من سورة قريش .

وتقدَّمَ أبياتٌ منها فى باب الاستثناء ،وفى خبر كان وفى غيرهما.

وهذه أبيات منها :

أبيات الشاهد

(فلا لعَمْرُ الذى قد زُرْتُهُ حِجَجاً ... وماهُرِيقَ على الأنصاب من جَسَدِ

والمؤمنِ العائذاتِ الطّير .... البـيت

ماإن أتيتُ بشىءٍ أنت تكرهُه ... إذَنْ فلا رفَعَتْ سَوطِى إلىَّ يدى

إذَنْ فعاقَبَنى رَبِّى معاقبـةً ... قَرّتْ بها عينُ من يأتيك بالحسَدِ

هذا لأبرأَ من قولٍ قُذِفتُ به ... طارت نوافذهُ حَرَّى على كبدى)

قوله : «فلا لعمر الذى» إلخ لا الداخلة على القسم قيل نافية منفيُّها محذوف ، أى ليس الأمر كما زعموا ، وقيل زائدة زِيدت توطئةً لنفى جواب القسم ، وعمر مبتدأ محذوفُ الخبر وجوباً ، أى قسمى.وحِجَجاً : جمع حِجّة، بكسر المهملة فيهما ، وبعدها جيم ، وهى السَّنة .أقسَمَ بالبيت الذى زاره فِى سنين متعدِّدة ، وهو البيت الحرام.وقوله: «وماهُرِيق على الأنصاب» هريق بمعنى أريق ،والهاء بدل من الهمزة . والأنصاب:حجارةٌ كانت العرب فى الجاهليَّة تنصبها وتذبح عندها. والجسَد بفتح الجيم ، هو الدم . ومامعطوف على الذى،وكذا قوله: والمؤمن.وزعم من لم يطّلع على البيت الأوَّل أنّ الواو واو القسم .والعائذات:ماعاذَ بالبيت من الطيرّ،قال ثعلب:أراد بالعائذات الحمامَ،لما عاذت بمكة والتجأت إليها حرَمٌ قَتلهَا وآمنها مِن أن تُضام.وقد أغْرب بعضُهم بقوله : العائذات جمع عائذ،وهى الحديثة النتاج من الطيور والبهائم، وهو مِن عُذت بالشىء : التجأت إليه،لأنّ الحامل إذا ضربها المخَاضُ عاذت.وهو فى الأُصل من باب الكناية.انتهى

٣١٦

وفيه أنّ العائذ بالمعنى المذكور خاصٌ بالناقة .

والطّير :جمع طائر ، مثل صحْب وصاحب ،وقد يقع على الطّير الواحد، وجمعه طيور وأطيار . ورُكبان : جمع رَكب ،وجملة «يمسحها ركبانُ مَكَّةَ » حالٌ من الطيّر . والسَّنَد ، بفتحتين : ماقابلك من الجبَل وعلا عن السفح [(١)] . وروى أبو عبيدة الغيل بكسرِ الغين المعجمة ،وقال : هى والسنّد أجمتان كانتا بين مكة ومنى . وأنكرها الأصمعىُّ وقال :إنَّما الغيل بالفتح ، وهو ماءٌ . يعنى النابغةُ ماءً كان يخرج من أّبى قُبيْس .كذا فى شرح ديوان النابغة . ولم يذكر أبو عبيد هذا (فى معجم مااستعجم [(٢)])

وقوله :« ماإنْ أتيت بشيء » إلخ هذا [هو] جوابُ القسم. واستشهد به ابن هشام (فى المغنى) على أنّ « إنْ » تزاد بعد ما النافية . يقول : مافعلت شيئاً تكرهه أنت ، وإلاَّ فلا رفعت يدى إلىّ سوطى ، أى شلَّت يدى ولم تقدر على رَفْع السوط .

وقوله :« إذَنْ فعاقبَنى ربِّى » إلخ هذا دعاءٌ آخر على نفسه .

وقوله : « هذا لأبرأ » إلخ أى هذا القسم لأجل أن أتبرَّأ مما اتُّهمت به . والنوافذ تمثيل ، من قولهم : جرح نافذ . أى قالوا قولاً صارَ حَرُّه على كبدى وشَقِيتُ به .

* * *

وأنشد بعده :

(وليلٍ أقاسيهِ بطىء الكواكبِ)

على أنَّه يجوز أن توصف النكرة بالجملة قبل وصفها بالمفرد إذا اجتمعا ،

---

(١) ط : « من السفح » ، صوابه فى ش واللسان (سند) .

(٢) ش : « فى المعجم فيما استعجم » .

كما هنا ، فإنّ ليلا قد وُصِفَ بجملةِ أقاسيه قبل وصفه بقوله : بطىء ، وليس مجروراً بالعطف على همٌّ فى صدر البيت ، وهو :

* كِلينى لهَمٍّ ياأُميمةَ ناصبِ *

يقول : دعينى واتركينى لهذا الهمّ المتعِب ومقاساةِ الليل البطىء الكواكب .

وهذا البيتُ مطلع قصيدةٍ للنابغة الذبيانى أيضاً تقدَّم الكلام عليه مفصَّلا فى الشاهد السابع والثلاثين بعد المائة [1] :

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الثامن والأربعون بعد الثلثمائة [2] :

٣٤٨ (ألا أيُّها الطَّيرُ المُربَّة بالضُّحَى على خالدٍ لقد وَقَعْتِ على لَحْـمِ)

على أنّ الصفة ربَّما تنوَى ولم تذكَرْ ، للعلم بها كما هنا . فإنَّ التقدير : على لحم أىّ لحم .

وكذا أُوردَه فى (التفسيرين [3]) عند قوله تعالى :﴿ أُولئك عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهم [4] ﴾على تنكير هدًى للتعظيم ، أى هدى عظيم ، كتنكير لحم فى هذا البيت ، أى لحم عظيم . والفرق بينهما أنَّ الأول مفهومٌ من اللفظ المحذوف ، والثانى من الفحوى ، والمحوِجُ إلى هذا استقامة المعنى ، ولولاه لكان لَغـواً ٣١٧

(١) الخزانة ٢ : ٣٢١

(٢) ديوان الهذليين ٢ : ١٥٤ . وسيأتى فى ٣ : ١٨ بولاق .

(٣) هما تفسيرا الزمخشرى والبيضاوى . وقد شرح شواهدهما معا « خضر الموصلى » .

(٤) الآية ٥ من البقرة .

لا يفيد شيئاً ، ولهذا اعتُبر ، سواء كان بالطريق الأولى أم الثانية .

ولجوازهما قدَّر الشارح المحقق هنا الوصف ، واعتبرو هناك من التنكير لما فيه من الإبهام المقتضى للتفخيم والتعظيم .

ونُقل عن الزمخشرى أنّه كان إذا أُنشد هذا البيت يقول : ماأفصحك من بيت !

صاحب الشاهد

وصدر البيت لم أره كذا إلاَّ فى رواية الشارح المحقق . والبيت من شعرٍ مذكور فى أشعار هذيل ذُكر فى موضعين منها ، ذكر فى الموضع الأول ستة أبيات ، وفى الموضع الثانى اثنين وثلاثين بيتاً . أما الرواية الأولى ، والشعر منسوبٌ لأبى خراش فهى هذه :

(إنَّكِ لو أبصرتِ مصرع خالدٍ بجنب السِّتارِ بين أظْلَمَ فالحَزْمِ
لأيقنتِ أنَّ البَكرَ ليس رزيَّة ولا النَّابَ ، لااضطمَّتْ يداكِ على غُنْمِ
تذكَّرتُ شجواً ضافنى بعدَ هَجعةٍ على خالدٍ فالعينُ دائمةُ السَّجْمِ
لَعَمْرُ أبى الطَّيرِ المُرِبَّةِ بالضُّحي على خالدٍ لقد وَقعْتِ على لَحْمِ
كُليهِ ، وربِّى ،لاتجيئِينَ مِثْلَه غداةَ أصابتْهُ المنيَّةُ بالرَّدْمِ
ولا وأبى لا تأكلُ الطَّيرُ مِثْلَه طويلَ النِّجاد غير هارٍ ولا هَشْمِ)

قوله : « إنكِ لو أبصرتِ » ، هذا خطابٌ لعشيقة خالد بن زُهيرٍ الهذلى ، قُتِل بسببها كما يأتى بيانُ قتله . وخالدٌ هو ابن أخت أبى ذُؤيب الهذلى . والسِّتار ، بكسر السين المهملة بعدها مثناة فوقية وآخره مهملة ، قال البكرى (فى معجم ما استعجم):هو جبلٌ معروف بالحجاز. وأنشد هذا البيت. وأظْلَمُ

على وزن أفعل التفضيل من الظُّلم [١] ، قال البكرى : هو موضعٌ قريبٌ من السِّتَّار . والحَزم ، بفتح المهملة وسكون الزاى المعجمة ،هو موضعٌ يقال له حزم بنى عُوَال .-ووقوع هذه الفاء بعد بَيْنَ قد شرحه الشارح المحقق فى الفاء العاطفة .

وقوله : «لأيقنتِ أَنَّ البَكْر » هو بالفتح : الجمل الشابُّ . والنابُ : الناقة المسنَّة . يقول : لو رأيتِ هلاكَ خالدٍ لعلمتِ أَنَّ ذهاب البكر والنابِ ليسا بمصيبة ، واستخففتِ مُصابَهما. وقوله : «لااضطمَّتْ» إلخ هو دعاءٌ عليها ، وهو افتعلت من الضّمِّ ، أى لاغنِمتْ يداكِ بل خيَّبكِ الله ، إذ صِرت تحزَنينَ على هذا البكر .

وقوله : «تذكَّرتُ شجواً» هو بضم التاء. والشَّجْو :الحزن. وضافنى : نزلَ بى كالضَّيف . والهَجْعة : النَّومة .والسَّجم : السَّكب .

وقوله : «لعمر أبى الطير» قال السكرى (فى شرح أشعار هذيل [٢]):قوله : لقد وقعتِ على لحم:كان ممنوعاً . والطيرِ مضبوط بالكسرة فى نسختى،وهذه نسخة قديمة صحيحة ، تاريخ كتابتها فى سنة مائتين بعد الهجرة،وعليها خطوطُ العُلماء منهم ابن فارس صاحب (المجمل) فى اللغة ، كتب على ظهرها سَنَد روايته . ولعمر مبتدأ محذوف الخبر،أى قسمى ، وقوله: «لقد وقعت» جواب القسم،وهو خطابٌ للطير على الالتفات. وروى : «لقد عَكَفن»بدله من العكوف بالغَيبة،والنون ضمير الطير، وعليه لا التفات. وأراد

---

(١) الذى فى معجم مااستعجم : « من الظلمة » .

(٢) شرح السكرى ١٢٢٦ .

بأبى الطَّير خالداً [١] سمَّاه به لوقوعها عليه ، كما يقال أبو تراب ونحوه . وقيل أُراد : أبا الطَّيْرِ [٢] الواقعَةِ على لحمه ، واستعظمها بالقسَمِ بها لاستعظام لحم خالدٍ العظيم ، ففيه تعظيم للإقسام عليه بنفسه ، كما قال أُبو تمام :

٣١٨ * وثناياكِ إنَّها إغريضُ [٣] *

و(المرِبَّة) : اسم فاعل ، صفة الطير ، من أربَّ بالمكان ، إذا أقامَ به . وروى (فى التفسيرين) :

* فلا وأبى الطير المرِبَّة بالضُّحى *

فلا : ردٌّ لما يُتوهَّم من تحقيره بأكل الطير له ، وقيل زائدة . وزعم بعضهم أن أبى بياء المتكلم ، والطيرُ بالرفع . وبعض آخر أنَّ أَبى أصله أبينَ بالجمع حذفت نونُه للإضافة . ولا يخفى ركاكته .

وقال السعد (فى حاشية الكشاف) : وروى برفع الطير على أنَّه فاعل فعل يفسِّره لقد عكفن .

وقوله : « كُليه ورَبِّى » أمرٌ للطير بالأكل ، يرغِّبها فى أكلها إياه فإنّها لاتجيء إلى مثله ولا تظفَر به .

وقوله : « ولا وأبى لا تأكل الطير » إلخ هارٍ أَصله هائر ، أى ضعيفٌ ساقط ، فقلبَ وحذف بالإعلال ، مثل شاكى السلاح أصله شائك . والهشيم [٤] : الرِّخو الضعيف .

---

(١) ط : « خالد » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : «أرادبالطير » ، صوابه فى ش .

(٣) مطلع قصيدة فى ديوانه ١٨١ يمدح بها أبا الغيث موسى الرافقى . وعجزه :

* ولآلٍ تُومٌ وبرقٌ وميضُ *

(٤) كذا . والذى فى البيت « الهشم » فلعله « والهشم والهشيم » .

وأبو خراش : شاعرٌ إسلاميٌّ صحابى ، تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثانى والسبعين [١] .

وأما الرواية الثانية بعد ثمانية أوراق [٢] بعد هذا [٣] ، ونسبها الأخفش لخراش ابن المذكور . والقصيدة هذه :

(أرقتُ لهمّ ضافَنى بعد هجعةٍ ... على خالدٍ فالعينُ دائمةُ السّجْمِ [٤])

إذا ذكرتـه العيـنُ أغرقَهـا البُكـا ... وتشرقُ من تَهْمالها العينُ بالـدمِّ

فباتت تُراعِى النّجمَ عينٌ مريضة ... لِمَا عالها واعتادَها الحُزْن بالسُّقمِ

عالها : أثقلها وشقَّ عليها ــ

وما بعدَ أن قد هدَّنى الحزنُ هدَّةً ... تَضَالَ لها جِسْمى ورقَّ لها عَظمى

وأنْ قد أصابَ العظمَ منِّى مُخامرٌ ... من الدَّاء داءٌ مستِكنٌّ على كلْمِ

تَضالَ بمعنى صغُر وضعف ، وأصله بالهمزة بعد الألف ، فحَذَفها للضرورة . ومخامر : مخالط وملازم . والكَلْم بالفتح : الجرح ــ

وأنْ قد بدا منِّى لِمَا قد أصابنى ... من الحزن أنِّى ساهمُ الوجه ذُو هَمِّ

شديدُ الأسى بادى الشُّحوب كأنَّنى ... أخو جِنّةٍ يعتاده الخَبْلُ فى الجِسم

الساهم : المتغيِّر . والأسَى : الحزن . والشُّحوب : التغير . وجِنَّة بالجيم ،

(١) الخزانة ١ : ٤٤٣ .

(٢) كذا فى النسختين . والوجه « ثمانى أوراق » .

(٣) كذا وردت العبارة فى النسختين .

(٤) ديوان الهذليين ٢ : ١٥١ وشرح السكرى ١٢٢٣ .

هو الجنّ . ورُوىَ: « حيَّة » بمهملة ومثناة تحتية ، يعنى ملسوعا . والخَبْل ، بفتح المعجمة : فساد الجسم والعقل —

لِفقدِ امرئٍ لا يجتوى الجارُ قرَبه
ولم يك يُشْكَى بالقطيعة والظلْمِ

يعود على ذِى الجهل بالحلم والنُّهَى
ولم يك فحَّاشاً علَى الجار ذا عَذْمِ

— لا يَجتوِى بالجيم ، أى لايكره . والعذم ، بفتح العين المهملة وسكون الذال المعجمة : العَضّ (١) والوقيعة —

ولم يكُ فَظًّا قاطعاً لقرابةٍ ولكن وَصولاً للقرابة ذا رُحْمِ (٢)
وكنتَ إذا ساجرتَ منهم مُساجراً صفحتَ بِفضلٍ فى المروءة والعِلمِ

— هذا خطابٌ لخالد . وساجرتَ بالجيم ، بمعنى عاشرت . والسجير : العشير والصاحب —

وكنتَ إذا ماقلتَ شيئاً فعلته وفُتَّ بذاك الناسَ مجتمِعَ الحزمِ
وإن تكُ غالتك المنايا وصرَفُها فقد عشتَ مَحمودَ الخلائق والحِلْمِ
٣١٩ كريمَ سجيَّاتِ الأمور محبَّباً كثيرَ فضولِ الكفِّ ليس بذى وَصْمِ
أشمَّ كنصل السَّيف يرتاح للنّدى بعيداً من الآفات والخلُقِ الوَخْمِ

---

(١) العض ، بالعين المهملة ، كما فى اللسان عند إنشاد البيت .

(٢) فى شرح السكرى : « ذا رحم : ذا رحمة » . وفى اللسان : الرحم : العطف والرحمة .

جَمعت أموراً يُنفذ المِرْءَ بعضُهـا   من الحلم والمعروف والحسبِ الضَّخمِ [١]

— المِرءَ مفعول يُنفذ ، وبعضُها فاعله . يقول : بعض هذه الأُمور التى فيك تجعل المرء نافذاً فائقا لا يقدر على كسبها فكيف كلُّها [٢] ، وقد اجتمعت فيك . والمرء ، بكسر الميم ، فى لغة هذيل [٣] —

لعمر أبى الطَّيرِ المُرِبَّةِ غُدوة   على خالدٍ لقد عَكفنَ على لحم

— رواية هذا البيت هنا كذا وقعت ، وقال السكرىُّ هنا : أَراد التعجب ، أى أَىّ لحم وقعت عليه . ويروى :

لقد قلتُ للطَّير المرِبَّة غُدوةً   على خالدٍ لقد وقعتِ على لحمِ

والمُرِبَّةُ : المقيمة . انتهى —

ولحمِ امرىءٍ لم تَطعَمِ الطَّيرُ مثلَه   عشيَة أمسى لايُبين من البَكْمِ

أراد البَكَمَ بفتحتين فَخفَّف —

فكَلاَّ وربِّى لا تعودى لمِثله   عشيـةَ لاقَتْـهُ المنيَّـةُ بالـرَّدْمِ

فلا وأَبى لا تأْكل الطيرُ مثلَه   طويلَ النِّجاد غير هارٍ ولا هَشْمِ

أَبعدكَ أرجُو هالكاً لحياتِـه   لقد كنتُ أَرجوه وماعشتُ بالرُّغمِ

فوالله لاأنساكَ ماعشتُ ليلة   ضَفىٌّ من الإخوان والولدِ الحَتْمِ

---

(١) فى ديوان الهذليين وشرح السكرى : « المر » . وقال السكرى : « المر لغتهم ، يريد المرء يا هذا » . لكن فى اللسان (مرأ) أنشد البيت بالرواية المثبتة هنا . وقال : « هكذا رواه السكرى بكسر الميم وزعم أن ذلك لغة هذيل » .

(٢) فى الديوان وشرح السكرى : « تجعل المرء نافذا فكيف كلها » .

(٣) انظر التعليق السابق .

ــ الضّفى : فَعول من ضفا يضفو ، إذا كُثر . والحَتْمُ : الحقّ ــ

تُطِيف عليه الطَّيرُ وهو ملحَّبٌ خِلافَ البُيوت وهو محتمل الصِّرِمِ

ــ الملحَّب : بفتح الحاء المهملة : المقطَّع . والصِّرم ، بالكسر : الحىّ ــ

فإنّكِ لو أَبصرتِ مَصرعَ خالدٍ بجنب السِّتّارِ بين أظلمَ فالحَزْمِ

لأيقنتِ أنّ النـابَ ليست زريَّـةً ولا البَكْرَ ، لا التفَّت يداكِ على غُنْمِ

ــ هذا خطابٌ مع المرأة ، يقول : إنَّ المصيبةَ قتلُ ذاك ، ليس المصيبةُ ناباً تُصابِين بها . ثم دعا عليها : لا زرَقَ الله يديك خيراً تلتفُّ عليه ــ

وأيقنتِ أن الجـودَ منـه سجيَّـةٌ وما عشتِ عيشاً مثلَ عيشكِ بالكُرْمِ

أَتتـه المنايـا وهـو غضٌّ شبابُـه وما للمنايا عن حِمَى النفس من عَزْمِ

ــ ما نافية . والكُرم بالضم : العزَّة . والعَزْم هنا : الصَّبر ــ

وكلُّ امرئٍ يوماً إلى الموت صائرٌ قضاءٌ إذا ماحانَ يُؤْخَذ بالكَظْمِ

ومـا أَحـدٌ حَىٌّ تأخَّـرَ يومُـه بأخلدَ ممَّن صار قبلُ إلى الرَّجمِ

ــ والكَظم بالفتح : الحَلْق ، وقيل الفم ، وقيل مخرج النَّفس ، وأصله بفتحتين فسكِّن ضرورة . والرَّجْم بالفتح : القبر ، وأصله أيضاً بفتح الجيم فسكِّن ــ

سيأتى عَلَى الباقين يومٌ كما أتى عَلَى مَن مَضَى حتمٌ عليه من الحَتْمِ

٣٢٠ جزى الله خيراً خالداً من مُكافِئٍ عَلَى كلِّ حال من رَخاء ومن أَزْمِ

فلست بناسيهِ وإنْ طال عهده وما بعده للعيش عندىَ من طَعْمِ

وهذا آخر القصيدة . والأزْم :الشِّدّة .وإنَّما سقتُها بتمامها لِحُسْنها وانسجامها ، ولأنَّ شرَّاح شواهد التفسير زعموا أنَّ البيت الشاهد ليس هو إلاَّ من أبيات أربعة ، لعدم اطِّلاعهم .

وروى السكرى فى آخر أشعار الهذليين (١)فى بيان سبب قتل خالد المذكور ، أنَّ البيت الشاهد ومامعه من الشعر لخاله أبى ذؤيب الهذلى .

وهذه قصة قتلهِ ، قال: زعموا أنَّ رجلاً من هُذيل كان يقال له وَهْب بن جابر ، هوِىَ امرأةً من هذيل ، كان يُقال لها أمّ عمرو ، فاصطاد يوما ظبية فقال يخاطبها (٢) :

فمالكِ ياشبيهَةَ أُمِّ عمرو إذا عايَنْتِنا لا تأمَنينا
فعينكُ عينُها إذ قمتِ وَسْنَى وجيدُك جيدُها لو تَنطقينا
وساقُكِ حَمْشةٌ ولأمِّ عمرو خَدَلَّجةٌ تُضِيقُ بها البُرينا
ورأسك أزعرٌ ولأمِّ عمرو غدَائــرُ يَنعفِـرْنَ وينثنينا

ــ تُضيق من الإضاقة . والبُرِينَ : جمع بُرَة ، وهى الخلخال ــ

ثم خلَّى سبيلَها ، فبلغ ذلك أُمَّ عمرو فعطفَتْ عليه ، فاستمكن منها وكان رسولها إليه أبا ذؤيب الشاعر ، فلما أيفَعَ أبو ذؤيب وكان جميلاً رغبتْ فيه واطَّرحَتْ وهباً ، ففشا أمرُهما فى هذيل وقصَّر عن بعض زيارتها وأخفى أمرَها خشية أن يُرصَد فيُغتال ، فانطلق إلى ابن أخت له يقال له خالد بن زهير فأخبره بأمرِ أُمِّ عمرو ، وقال له : هل لك أن تكونَ رسولى إليها وتعاهدَنى

(١) فى النسختين : « أبيات الهذليين » ، وأثبت مافى هامش ش مقرونا بكلمة « صح ». وانظر ماسيأتى فى آخر القصة التالية .

(٢) فى ش :«كان يقال لها أم عمرو فقال » فقط .

على أن لاتَغدرَنى [(١)].فأعطاه خالدٌ مواثيقَه واختلف بينهما ،فلم تلبث أَنْ عشِقتْ خالداً وتركت أبا ذؤيب،وكان أبو ذؤيب يرسل خالداً إليها فينطلق فيتحدث إليها بحديث نفسه ، فإذا انصرف قال لأبى ذؤيب :لم ألجْ إليها الخباءَ ، وجدتُها وسْنَى ! وكان ينصرف عنها ملطَّخا بالطِّيب ، فارتاب أَبو ذؤيب من ذلك ، وجعل يمسُّ خدَّه ويشمُّ ثوبَهُ فيجد منه ريح الطِّيب ، وأَنكر ذلك خالدٌ من خاله فقال خالد لأمِّه ، وهى أُخت أبى ذؤيب :

ياقوم مَنْ لى وأبا ذؤيبِ　　كنت إذا أَتَوْتُه من غَيْبِ
يشمُّ خدِّى ويبُزُّ ثوبى　　كأنَّنى أَرَبْتُه بريبِ
* مِن أَجل أَنْ يرمِيَنى بغَيْبِ *

فقال له أبو ذؤيب يوماً:انطلقْ إليها ياخالد،فإنى أُريد أَنْ آتيَها السَّاعةَ . فانطلق خالدٌ إليها فعانَقَها وقضى ماأَراد من لهوه وضاجَعَها ، وذهب بهما النَّوْم فجاء أَبو ذؤيبٍ بعد ذلك فأَخذ سهمَين من سِهامه ، فوضعَهُما عند رءوسهما وأَرجُلِهما ثم انصرف ، فلما انتبه خالد عَرَفَ السَّهمين،فأعرضَ عن أَبى ذؤيب إذْ عرف أَنّه قد أيقن بغَدْره. وأَقبل أَبو ذؤيب على أُمِّ عمرو فقال :

تُريدين كيما تجمَعِينى وخالداً　　وهلْ يُجْمع السَّيفانِ ويحكِ فى غِمْدِ

فأَجابه خالدٌ من شعر :

فلا تسخَطَنْ من سُنَّةٍ أنتَ سِرتَهَا　　فأَوَّلُ راضٍ سِيرةً مَنْ يَسيرُها

وجَرَى بينهما أَشعارٌ مذكورة فى أشعار الهذليين .فلمَّا رأى وهبُ بن جابر فسادَ مابينَهما بعث ابنه عمرَو بنَ وهب،فبذلَ لأمِّ عمرٍو ذاتَ يده، فعطَفَها على نَفْسِهِ بالطَّمَع ، وكان عمرو من أعظم شَباب هذيل،واستمسكت

---

(١) يقال غدره وغدر به ، يتعدى ولا يتعدى ، كما فى اللسان ، أى نقض عهده .

بخالدٍ لعِشْقِها إيَّاه ، فكان لِخالد سِرُّها ، ولعمرٍو علانيتُها،فبينا عمرٌو عندها ذات يومٍ إذ أتاها خالدٌ وهي وهو على شَرابهما ، فقام مستبطناً سَيفَه فولَجَ عليهما ، فضرب رأسَ عمروٍ ثم خرج هارباً، فمرَّ بأَبى ذؤيب ،وأبى خراش، وربيعةَ بن جَحْدر ، وهم يتصيَّدُون ، فقال أبو ذؤيب:ماوراءك ياخالد؟فقال: قتلتُ عمراً .قال:قد أوقعتَنِى فى شرٍّ طويل ، عليك بالحَزم[1]! فبلغ الخبرُ وهبَ بنَ جابر ، فركبَ وركب معه جَبَّار بن جابر فى رهطهما ،فمرُّوا بأبى ذؤيب وأبى خراش وربيعةَ بن جحدر ، فسأَلهم عنه فقالوا:لم نعلمه ،ولكن هل لك فى شياهٍ من الأَرْوَى [2] ؟قال : مالى بهنَّ من حاجة ! ومضَوْا فى طلب خالدٍ حتَّى لَحِقُوه بجبل يقال له أظلم ، فقتلوه ، فبلغ ذلك أبا ذؤيبٍ وخِراشا وربيعةَ بن جَحدر ، فعند ذلك قال ربيعة من شعر :

فوالله لا أَلقَى كيومٍ لخالدٍ حَياتىَ حتَّى يَعلوَ الرَّأْسَ رامسُ

وقال أبو ذؤيب يرثى خالدا :

لَعَمْرُ أبى الطَّير المرِبَّة فى الضحى على خالدٍ لقد وقَعْتِ على لَحمِ

ثم جمعَ أبو ذؤيب رهطَه فاقتتلوا قتالاً شديدا ، فقُتِل عروةُ بن جحدر ، ونجا خراش بن أبى جحدر ، فعند ذلك قال أبو جحدر :

حمدتُ إلهى بعد عُروةَ إذْ نجا خِراشٌ وبعضُ الشَّرِّ أهْوَنُ من بعضِ

ثم إنَّ القوم تحاجزوا ، والقَتْلَى [3] فى أَصحاب أبى ذؤيبٍ أكثر ، فطلَبوا خويلداً ، وهو أبو خراش بن وائلة الهذلى ، وهو فى الحَزمْ ، ومعه امرأتُه فلما علم بأَمرهم أمَرَ امرأتَهُ أَن تسير أَمامه ، وتقيم بمكانٍ وصفَهُ لها ، فأخبرها

(١) الحزم : اسم لعدة مواضع . وأصل الحزم المكان الغليظ .

(٢) ط : « من الأراوى » ، وأثبت مافى ش .

(٣) هذا مافى ش . وفى ط : « والقتل » .

أَنَّ قومَه يطلبونه بِذَحْلٍ ،فإن أَبطَأْتُ عليكِ فانْعينى لقومِك . فقصدوا خُويلداً حتّى خرجَ عليهم ، فتنكَّروا له ورحَّبوا به ، ففَطِن لهم وانصرفَ راجعاً ، فاتَّبعوه فسبقَهم ، ورَمَوْهُ بأسهمٍ فلم تصبْه .فهو حيث يقول :

رَفَونى وقالوا : ياخويلد لاتُرَعْ   فقلتُ وأَنكرتُ الوجوهَ :همُ همُ

هذا ماأورده السكرى فى آخر أَشعار الهذليين .

وأوردنا القصَّة هنا لأنّ فيها أَشعاراً فيها شواهدُ إذا جاءَت فيما سيأتى نُحِيل عليها .

وكانت هذه الوَقْعَةُ [1]قبل إسلام أَبى ذؤيب وأَبى خراش .والله أعلم.

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والأربعون بعد الثلثمائة [2]:

٣٤٩ (فإيَّاكُمْ وحَيَّةَ بطنِ وادٍ   همَوزِ النّابِ ليس لكم بِسِىٍّ)

على أَنَّ سيبويه استدلَّ به على جرِّ الجوار ، ردًّا على الخليل فى زعمه أنّه لايجوز إلاّ إذا اتَّفقَ المضافُ والمضاف إليه ، فى أُمور ذكرها الشارح المحقق : منها اتِّفاقهما فى التذكير والتأنيث ، وهذا البيت يردُّ عليه ؛ فإنَّ هَموزِ نعتُ الحيَّة المنصوبة ، وجُرَّ لمجاورته لأحد المجرورَين ، وهو بطن أَو واد [3].   ٣٢٢

وعيَّنه ابن جنِّى (فى شرح تصريف المازنى) فقال : جرّ هموز لمجاورته لوادٍ مع اختلاف المضاف والمضاف إليه تذكيراً وتأْنيثاً؛فإنَّ حيّة مؤنث ومابعدها مذكر . وفيه أَن كلاًّ من الحية ومابعدها مذكر .

---

(١) ط : « الواقعة » ، وأثبت مافى ش .

(٢) الخصائص ٣ : ٢٢٠ والمنصف ٢ : ١٥ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٣٤٢ وابن يعيش ٢ : ٨٥ واللسان (سوا ١٣٧) والحماسة بشرح المرزوقى ٤١٧ وديوان الحطيئة ٦٩ .

(٣) ش : « بطن وواد » .

أما الحية فقد قال صاحب الصحاح : الحية للذكر والأنثى ، وإنما دخله الهاءُ لأنه واحدٌ من جنسٍ ، كبطة ودجاجة . وفلانٌ حيَّةٌ ذكر . على أنَّه قد روى عن العرب : رأيت حَيًّا على حية ، أى ذكرا على أنثى .انتهى .

أما البطن فقد قال صاحب الصحاح أيضا : البطن : خلاف الظهر ، وهو مذكر ، وحكى أبو حاتم عن أبى عبيدة أن تأنيثه لغة . انتهى .

وأما الوادى فهو مذكر لا غير ، فيجوز للخليل أن يدَّعىَ توافق المضاف والمضاف إليه تذكيراً بجعل الحية للواحد المذكر من الجنس ؛وكذلك هموز فإنه فعول يُوصف به المذكر والمؤنث ، اللهم ألا أن يكتفى «س» للتَّخالف بالتأنيث والتذكير اللفظيَّين . هذا وسيبويه لم يستشهد بهذا البيت ، وإنَّما استشهد بقول العجاج :

* كأنَّ نسجَ العنكبوت المرْمَلِ *

ووجْه الاستدلال منه أنَّ العنكبوت مؤنث والمرمل مذكر ، لأنَّه وصف للنَّسج ، فقد اختلفا تأنيثاً وتذكيراً . وللخليل أن يمنع هذا أيضاً فإنَّ العنكبوت قد جاء مذكراً أيضاً ، نقل ذلك عن العرب . وأنشدوا :

على هَطَّالهمْ منهم بيوتٌ كأنَّ العنكبوت هو ابتناها (١)

وعلى تسليم أنها فى البيت مؤنثة فإنه تأنيثٌ ليس بعلامة ، إذْ ليس مؤنثاً بالتاء ولا بإحدى الألفين المقصورة والممدودة ، فأشبه التذكير ، إذ لم يظهر فيه من التنافر مايظهر فى التثنية .

وقد استدلّ لسيبويه بعضُهم بقراءة يحيى بن وثَّاب والأعمش:﴿إنَّ الله

---

(١) الهطال : اسم جبل ، كما فى معجم البلدان واللسان (هطل) عند إنشاد البيت .

هو الرزّاق ذو القُوَّةِ المتينِ [١] ﴾ بجرِّ المتِين . ورُدّ هذا أيضًا باحتمال أن يكون المتين صفة للقوّة ، لأنها فى معنى السبب فذكَّر على المعنى ، فلا يكون من باب الخفض على الجوار . وهذا نصُّ سيبويه فى باب النعت : وقال الخليل رحمه الله : لايقولون إلا هذان جُحْرا ضبٍّ خربان ، من قبَل أنَّ الضب واحد والجحر جحران،وإنَّما يغلطون إذا كان الآخر بعِدَّة الأول وكان مذكّراً مثله أو مؤنثا. وقالوا : هذه جِحَرةُ ضباب خربة ، لأنَّ الضِّباب مؤنثة ،ولأَنَّ الجحَرة مؤنثة والعدَّة واحدة ، فغلطوا. وهذا قول الخليل رحمه الله. ولانرى هذا والأَوَّل إلاّ سواء ، لأَنه إذا قال هذا جحر ضبّ متهدّم ، ففيه من البيان أَنَّه ليس بالضب مثلُ مافى التثنية من البيان أَنَّه ليس بالضب .قال العجاج :

* كأَنَّ نسجَ العنكبوتِ المرْمَلِ *

والمرمل مذكر ، والعنكبوت مؤنث .هذا كلام سيبويه

وقول الشارح المحقق: وقال بعض البصريين:إنَّ التقدير :هذا جحر ضب خرب جُحرهُ إلخ، هذا تخريج ابن جنى (فى الخصائص) قال فيه :الأَصل هذا جحر ضب خربٍ جحرُه ،حذف الجُحر المضاف إلى الهاء وأُقيمت الهاء فارتفعت، لأنَّ المضاف المحذوف كان مرفوعا ،فلما ارتفعت استتر الضمير المرفوع فى نفس خرب ، فجرى وصفاً على ضَبّ وإن كان الخراب للجُحر لا للضب على تقدير .

٣٢٣

وقال السيرافى :ورأيتُ بعض نحويِّى البصريِّين قال فى هذا حجر ضب خرب ، قولاً شرحتهُ وقوَّيتُه بما احتمله من التقوية . والذى قاله النحوىُّ أَنَّ معناه هذا جحر ضب خربِ الجحر ، والذى يقوِّيه أَنَّا إذا قُلنا خرب الجحر فهو من باب حسن الوجه ، وفى خرب ضمير الجحر مرفوع،لأن التقدير كان

---

(١) الآية ٥٨ من الذاريات .

خرب جحره.ومثله مما قاله النحويون :مررت برجل حسن الأبوين لاقبيحين ، والتقدير لاقبيح الأبوين وأصله لاقبيح أبواه ، ثم جعل فى قبيح ضمير الأبوين فثنى لذلك ، وأجرى على الأوّل فخفض ، واكتفى بضمير الأبوين ولم يُعِدْ ظاهرهما لما تقدَّم من الذكر . انتهى .

قال أبو حيان ، بعد أن نقل قولهما : ومذهبهما خطأ من غير ماوجه ، لأنه يلزم أن يكون الجحر مخصَّصا بالضبّ ، والضب مخصص بخراب الجحر المخصَّص بالإضافة إلى الضب ، فتخصيص كلٍّ منهما متوقّف على صاحبه ، وهو فاسدٌ للدَّور ، ولايوجد ذلك فى كلام العرب ؛ أعنى لايوجد مررت بوجهِ رجل حسنِ الوجه ، ولا حسنِ وجهه ، ولأنّه من حيث أجرى الخرِبَ صفة على النَّصْب لزم إبراز الضمير لئلا يُلبِس [1] .وقد فرق سيبويه بين حسن الوجه وحسن .ولأنَّ معمول هذه الصفة لايتصرَّف فيه بالحذف لضعف عملها. فأمّا قول الشاعر :

ويَضحك عِرْفانَ الدُّروع جلودُنا إذا جاء يومٌ مظلمُ الشمس كاسفُ

فلا يريد كاسف الشمس ،فيكون قد حذف معمول الصفة وإن كان قد ذهب إليه بعضُهم ، وإنَّما هو عندنا صفة لليوم نفسه ،لأنَّ الكسوف يكون فيه ،فيكون نحو قولهم :نهارك صائم وليلك قائم. ولأنَّ هذه الصفة لايجوز نقل الضمير إليها حتى يصحَّ نسبتُها إلى الموصوف على طريق الحقيقة .ألا ترى أنَّه لايصحُّ عندنا : مررت برجل حائض البنت ،لأنَّ الحيض لايكون للرجل. وكذلك الخرب لايكون للضَّبّ ،والمرمل لايكون للعنكبوت .وكذلك هموز الناب لايكون للوادى . والذى يقطع ببطلان ماذهبا إليه قولُ الشاعر :

---

(١) ط : « يلتبس » .

ياصاح بَلِّغْ ذوى الحاجاتِ كلِّهم
أن ليس وصلٌ إذا انحَلَّتْ عُرى الذَّنَب[١]

وقول أبى ثَروان فى المفضَّل « كان والله من رجال العرب المعروفِ له ذلك » بخفض المعروف على المجاورة . وفى كلام أبى ثروان ، وهو ممن تؤخذ عنه اللغة والعربية ، ردٌّ على من يقول بأنَّ الجوار لايكون إلاّ مع النكرة ؛ فإنَّ كُلاً من البيت ومن كلام أبى ثروان لايمكن فيه أن يكون تابعاً للمجرور الذى قبله بحال . وتشبيه السيرافى المسألة [٢] بنحو قول النحويين : مررت برجل قائم أبواه لا قاعدين ، تشبيهٌ غير صحيح . انتهى كلام أبى حيان .

وبيَّنه ابنُ هشام (فى المغنى) بعد نقل كلامهما ، بأنَّه يلزم استتار الضمير مع جريان الصفة على غير من هى له ، وذلك لايجوز عند البصريين وإنْ أُمِن اللبس. وقول السيرافى : إنَّ هذا مثلُ مررت برجل قائم أبواه لاقاعدين ،مردود ، لأنَّ ذلك إنَّما يجوز فى الوصف الثانى دون الأوَّل.انتهى.

وقوله:ولأنَّ هذه الصفة لايجوز نقل الضمير إليها حتى يصحَّ نسبتها إلى الموصوف ، إلى آخره ، هذا كلامُ السيرافى ، وهو معترف به ، فإنّه قال بعد مانقلناهُ [٣]: ولايشبه عندى : وحَيَّةَ بطنٍ واد هموز الناب ، على هذه العلّة لإنّا إذا خفضنا هموز الناب فهو محمولٌ على واد أو على بطن واد ، وليس هموز بمضاف إلى شيءٍ إضافتُه إليه تصحِّحه فى التقدير ، كما كان تقدير إضافة خرب الجحر توجب تصحيح الخفض . انتهى .

٣٢٤

---

(١) مجهول القائل . وانظر شرح شواهد المغنى ٣٢٥ والشذور ٣٣١ والهمع ٢ : ٥٥ . والشاهد فيه جر « كلهم » على المجاورة للحاجات ، وانما هى توكيد لذوى المنصوبة .

(٢) ش : « فى المسألة » .

(٣) ش : « بعد ما نقلنا » فقط .

وقد بيَّنَ الشارحُ المحقّق إضافة هموز إلى مايصحُّح إضافته فى التقدير ، وشرَحَه بمالا مزيدَ عليه ، وكأنَّه قصد بهذا البيانِ الردَّ على السيرافى .

واعلمْ أنَّ قولهم : جُحر ضبٍّ خربٍ مسموعٌ فيه الجر والرفع ، والرفع فى كلامهم أكثر .قال أبو حيان (فى تذكرته) : ينبغى أن لاتجوز مسألة التثنية والجمع ، لأنَّ جر الجوار لم يسمع إلاَّ فى المفرد خاصّة فلا يُتعدَّى فيه السماع. وقد قال الفرّاء وغيرُه : لايخفض بالجوار إلا ماستعملته العرب كذلك ، والمسموع منه ماتقدم ، وماسيأتى فى الشرح من بيت امرىء القيس ، وقول دريد بن الصِّمَّة :

فجئت إليه والرماحُ تَنوشُه كوقع الصَّياصِى فى النَّسيج الممدَّدِ
فدافعتُ عنه الخيلَ حتى تبدَّدتْ وحتى علانى حالكُ اللونِ أسودِ

وأسود نعت لحالك ، وجُرّ لمجاوته المجرور .

وقول آخر :

كأنَّما ضَربتْ قُدَّامَ أعينها قُطناً بمستحصد الأوتار محلوجِ [1]

ومحلوج نعت لقوله قطنا ، لكنَّه جرَّ بالمجاورة .

وقوله ذى الرمة :

تريك سُنَّة وجهٍ غيرِ مقْرِفة مَلساءَ ليس بها خالٌ ولا ندَبُ

وغير: نعتٌ لسنَّة المنصوبة، وجرَّ للمجاورة .ووُرى بالنصب أيضاً.قال الفراء: قلت لأبى ثروان ،وقد أنشدنى هذا البيت بخفض غير : كيف تقول :

* تريك سُنّة وجه غيرِ مقْرِفةٍ *

(١) فى النسختين : «كأنك ضربت» ، صوابه من الإنصاف ٦٠٥ : وفى ط : « بمستحصل » ، صوابه فى ش . والمستحصد : المحكم الفتل .

قال :

* تريك سُنّةً وجهٍ غيرَ مُقْرِفةٍ *

بنصب غير . قلت له : فأنشد بخفض غير ، فخفض غير ، فأعدت عليه القول فقال :الذى تقول أنت أجود ممَّا أقول أنا . وكان إنشاده على الخفض . انتهى

قيل : ومنه قوله تعالى :﴿اشتدَّتْ به الرِّيحُ فى يومٍ عاصِفٍ [١]﴾،لأنَّ عاصف من صفة الريح لا من صفات اليوم . وهذا القول للفرَّاء .قال :لما جاء العاصف بعد اليوم أتبعته إعراب اليوم ، وذلك من كلام العرب ، أن يُتبعوا الخفض إذا أشبهه .

قال أبو حيان (فى تذكرته) :قد أُوِّلَتْ هذه الآية . أقول :أوّلَها الفَرَّاء بتأويلين : أوّلهما وهو جيدّ قال: جعل العُصُوف تابعاً ليوم فى إعرابه ، وإنَّما العصوف للريح . وذلك جائز على جهتين : إحداهما أنّ العصوف وإن كان للريح فإنَّ اليوم يُوصف به ، لأنَّ الريح فيه تكون ، فجاز أن تقول يوم عاصف كما تقول :يوم بارد ،ويوم حارٌّ . وقد أنشدنى بعضهم :

* يومين غَيْمين ويوماً شَمْسا *

فوصف اليومين بالغيمين ، وإنَّما يكون الغيم فيهما .

والوجه الآخر : أن تريد فى يومٍ عاصف الريح ، فتحذف الرِّيح لأنَّها قد ذُكرت فى أوَّل الكلمة ، كقوله :

* إذا جاء يومٌ مظلمُ الشمس كاسفُ [٢] *

---

(١) الآية ١٨ من إبراهيم .

(٢) سبق البيت بتمامه فى ص ٨٩ .

يريد كاسف الشمس . انتهى

وقد تقدم ردُّ هذا فى كلام أبى حيان .

وجَرُّ الجوار لم يسمع إلاّ فى النعت على القلة . وقد جاء فى التأكيد فى بيتٍ على سبيل النُّدرة . قال الفراء (فى تفسيره) : أنشدنى أبو الجرَّاح العُقَيلىُّ: ٣٢٥

ياصاحِ بلِّغْ ذَوِى الزَّوجاتِ كلِّهم
أنْ ليس وصلٌ إذا انحلت عُرَى الذَّنَبِ[1]

فاتبع كلّ خفض الزوجات ، وهو منصوب ، لأنه توكيد لذوى .انتهى

وزعم أبو حيان (فى تذكرته) وتبعه ابن هشام (فى المغنى) أنَّ الفرَّاء سأَل أبا الجرَّاح فقال : أليس المعنى ذوى الزوجات كلَّهم؟ فقال:بلى ،الذى تقوله خيرٌ من الذى نقول . ثم استنشده البيتَ فأنشده بخفض كلِّهم . انتهى

والفراء إنَّما نقل هذه الحكايةَ فى بيت ذى الرمة السابق .

أبو الغريب النصرى

وهذا البيتُ لأبى الغريب . قال أبو عُبيدٍ البكرى (فى شرح أمالى القالى):هو أعرابىٌّ له شِعر قليل ، أدرك الدولةَ الهاشميَّة .قال أبو زِياد الكلابى : كَان أَبو الغريب شيخاً قد تزوَّج فلم يُولِم،فاجتمعْنا على باب خبائه وصِحنا:

أولِمْ ولو بيربوعْ أو لو بقردٍ مَجدُوعْ[2]

---

(١) سبق الكلام عليه فى ص ٩٠ .

(٢) كتبت فى ش : « أولم ولو بقرد مجدوع » ، ثم صححت فيها بقلم الناسخ بحذف كلمة « ولو » . وفى سمط اللآلى ٦٥٠ : « أو بقراد مجدوع » وكذا فى الاشتقاق ١٤٢ .

* قتلتنا من الجوعْ *

فأولمَ واجتمعنا عنده ، فأعرس بأهِله ، فلما أصبح غدَوْنا عليه فقلنا :

ياليتَ شعرى عن أبى الغريبِ إذْ بات فى مَجاسِدٍ وطيبِ

معانقــاً للــرَّشأ الربـــيبِ أأحْمَدَ المِحفارَ فى القليبِ

* أمْ كان رِخواً يابسَ القصيبِ *

فصاح إلينا : يابس القضيب واللهِ ، يابسَ القضيب ! وأنشأ يقول :

سَقياً لعهدِ خليلٍ كان يأدِمُ لى زادى ويذهب عن زوجاتِيَ الغضبا

كان الخليلَ فأضحَى قد تخوّنَه هذا الزمانُ ،وتَطعانِـى به الثُّقَبـا

وقال :

ياصاحِ بلِّغْ ذوى الزَّوجاتِ كلَّهِم
أنْ ليس وصلٌ إذا استرخت عُرَى الذَّنَبِ

انتهى . وأراد باسترخاء عُرى الذنب استرخاء الذكر .

وأما جرّ الجوار فى العطف فقد قال أبو حيان (فى تذكرته) : لم يأت فى كلامهم ، ولذلك ضعُف جداً قول من حمل قوله تعالى :﴿وامْسَحُوا برؤسِكم وأرجلِكم [١] ﴾، فى قراءة من خفض على الجوار [٢] . والفرق بينه وبين النعت كونُ الاسم فى باب النعت تابعاً لما قبله من غير وَساطةِ شيء ، فهو أشدُّ له مجاورة ، بخلاف العطف ، إذْ قد فَصَل بين الاسمين حرفُ العطف ، وجاز

(١) الآية ٦ من سورة المائدة .

(٢) قرأ نافع والكسائى وابن عامر وحفص: « وأرجلكم » بالنصب . وقرأ سائر القراء بالجر . وقرأ الحسن : « وأرجلكم » بالرفع على أنها مبتدأ محذوف الخبر ، أى اغسلوها إلى الكعبين . تفسير أبى حيان .

إظهار العامل فى بعض المواضع ، فبعُدَت المجاورة . وذهب بعضُ المتفقّهة من أصحابنا الشّافعية إلى أنَّ الإعراب على المجاورة لغةٌ ظاهرة ، وحمل على ذلك فى العطف الآية الكريمة ، وقوله تعالى : ﴿ لم يَكُنِ الذينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكتاب والمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّين [1] ﴾، قال : فخفض المشركين لمجاورة أهل الكتاب. وماذهب إليه يمكن تأويله على وجهٍ أحسن ، فلا حجّة فيه .انتهى.

وقال ابن هشام (فى المغنى) :وقيل به فى ﴿وحورٍ عِين [2] ﴾فيمن جرَّهما ، فإن العطف على ﴿ولِدانٌ مُخَلَّدُون [3] ﴾لا على ﴿أكوابٍ وأباريق [4] ﴾، إذ ليس المعنى أنَّ الوِلدان يطوفون عليهم بالحُور . وقيل العطف على جنَّات ، وكأنَّه قيل: المقرَّبون فى جناتٍ وفاكهةٍ ولحم طير وحُورٍ . وقيل على أكواب باعتبار المعنى ، إذْ معنى يطوف عليهم ولِدانٌ مخلَّدونَ بأكوابٍ: ينْعَمون بأكواب . انتهى . ٣٢٦

وأمَّا قوله فى البدل فقد قال أبو حيان أيضا : لم يُحفَظ ذلك فى كلامهم ، ولا خرَّج عليه أحدٌ من علمائنا شيئاً فيما نعلم . وسبب ذلك والله أعلم أنه معمولٌ لعامل آخر للعامل الأوّل على أصحِّ المذهبين ، ولذلك يجوز ذكره إذا كان حرف جرٍّ بإجماع ، وربما وجب إذا كان العامل رافعاً أو ناصبا . ففى جواز إظهاره خلاف ، فبعُدت إذ ذاك مراعاة المجاورة ، ونزِّل المقدَّر الممكن إظهارُه منزلة الموجود ، فصار من جملة أخرى . انتهى .

وقد آن لنا أن نرجع الى البيت الشاهد فنقول:هو من أبيات للحطيئة، صاحب الشاهد

(١) الآية الأولى من سورة البينة .

(٢) الآية ٢٢ من الواقعة .

(٣) الآية ١٧ من الواقعة .

(٤) نصها : « بأكواب وأباريق » ، من الآية ١٨ من الواقعة .

وقد تقدمت ترجمته فى الشاهد التاسع والأربعين بعد المائة [١] ،مدح بها عدىَّ ابن فزارة ، وعُيينة بن حصن ، وحذيفة بن بدر ، فقال بعد تسعة أبيات [٢] من الغزل :

(فأبلغْ عامراً عنى رسولاً رسالةَ ناصحٍ بكُمُ حفىٍّ
فإيَّاكم وحيَّةَ بطـنِ وادٍ حديدِ النَّاب ليس لكم بسِىٍّ
فحُلُّوا بطنَ عُقْمةَ واتَّقونا إلى نجرانَ فى بلدٍ رخىٍّ
فكمْ من دارِ حىٍّ قد أباحت لقومهم رِماحُ بنى عدىٍّ
فما إن كان عن ودٍّ ولكنْ أباحوها بصُمٍّ السَّمهرىِّ [٣])

وبعد هذا خمسة أبيات أُخَر .

وقوله : « فأبلغ عامراً » الخ قال أبو عمرو : يعنى عامر بن صعصعة ، وهو أبو قبيلة . والرسول: الرِّسالة . انتهى .فيكون على هذا قولُه: رسالة ناصح بدلاً من رسولاً ، وأجودُ منه أن يكون رسولا حالا من ضمير أبلِغْ . والحفِىُّ ، بالحاء المهملة ، هو المشفق اللطيف .

وقوله : (فإياكم وحَيةَ) إلخ إياكم محذَّر وحية محذَّر منه ، منصوبان بفعلين ، أى أبعدوا أنفسَكم واحذروا الحية . وأراد الحطيئة بالحية نفسه ، يعنى أنه يحمى ناحيتَه ويُتقَّى منه كما يُتَّقى من الحية الحامية لبطن واديها ، المانعةِ منه. والوادى : المطمئن من الأرض . وقوله : (حديدَ النَّاب) هكذا وقع فى رواية ديوانه ، وهذا لايدلُّ على أن المراد بالحية الذكر ، لأنّ حديداً فى الأصل

---

(١) الخزانة ٢ : ٤٠٦ .

(٢) ط : « من بعد تسعة أبيات » .

(٣) السمهرى : الرماح المنسوبة إلى سمهر زوج ردينة ، وكان مثقفا للرماح . والصم : جمع أصم . وهو الصلب المصمت . ط : « بضم السمهرى » ، صوابه فى ش والديوان ٦٩ .

مسند إلى الناب ، أى حديد نابه . والناب من الأسنان مذكَّر مادام له هذا الاسم ، والجمع أنياب ، وهو الذى يلى الرَّباعِيَات . قال ابن سينا : ولايجتمع فى حيوانٍ نابٌ وقرن . كذا فى المصباح . و(الحديد) : القاطع ، وروى بالنصب إتباعاً للفظ الحية ، والمشهور فى رواية النحويِّين (هَمُوزِ النَّاب) بالجر على المجاورة كما تقدم . و(الهموز): فعول من الهَمز بمعنى الغَمْز والضغط . وقوله : (ليس لكم بسيٍّ) ، هذا يدلُّ على تذكير الحية ، فإنَّ ضمير ليس عائد إلى الحية ، ولو أراد المؤنث لقال ليست .والسيُّ بكسر السين المهملة : المثل ؛ أى لا تَستوون معه ، بل هو أشرفُ منكم .

وقوله « فحلُّوا بَطْنَ عُقْمة » إلخ حُلُّوا أمرٌ من الحلول بمعنى النزول . وعُقْمَةُ ، بضم العين وسكون القاف ، قال أبو عُبيد البكرى (فى المعجم) : هو موضعٌ مابين ديار بنى جعفر بن كلاب وبين نَجْران . وأنشدَ هذا البيت .والمعنى: أتَّقُونا من ههنا إلى نَجْران . ونجران : مدينةٌ بالحجاز من شِقِّ اليمن . ورَخيّ : بعيد ، وقيل واسع مخصب .

وقوله : « فكم من دار حَيٍّ » إلخ حيّ هنا بمعنى القبيلة . وأباحت : بمعنى جعلتْهُ مباحا [1] .

وقوله:« فما إنْ كان عن ودٍّ » إلخ يقول : لم ينزلوا هذه المنازلَ عن مودَّةٍ بينهم وبين هؤلاء ، ولكن أباحتها لهم رماحُهم وسيوفُهم .

وأمّا بيت سيبويه ،وهو :

* كأنَّ نسجَ العنكبوتِ المُرْمَلِ *

(١) ط : « جعلت » ، صوابه فى ش .

فهو للعجَّاج . وبعده (١):

على ذُرَى قُلَّامِهِ المهدَّلِ سُبوبُ كَتّانٍ بأيدِى الغُسَّلِ

النسج :الغَزْل . والمرمَل : المنسوج ،والمَغْزول .والذُّرى : الأعالى ، جمع ذِرْوة بالكسر .والقُلّام بضم القاف وتشديد اللام : ضربٌ من النبت ، وضميرُ قلَّامِه راجعٌ إلى الماء ، فإنَّه فى وصف ماءٍ وَرَدَه . والمهدَّل :المُدلَّى (٢) . والسُّبوب : جمع سِبّ بالكسر ، كجذوع (٣). والسِّبُّ : ثوبٌ من كَتّان أبيض .والغُسَّل : جمع غاسل وغاسلة .يعنى أنَّ العنكبوت قد نسجت على القُلّام الذى نبت حول الماء .شَبَّهَ مانسجتِ العنكبوتُ عليه بثوبٍ رقيق من الكتّان .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخمسون بعد الثلثمائة (٤):

٣٥٠ (كَبيرُ أناسٍ فى بِجَادٍ مُزمَّلِ)

على أن قوله « مزمَّل » انجرّ لمجاورته لأناسٍ تقديراً ، لا لبجادٍ ؛ لتأخُّره عن مزمّلٍ فى الرُّتبة . فالمجاورة على قسمين : ملاصقة حقيقية كما فى البيت السابق ، وملاصقة تقديرية كما فى هذا البيت .

وفيه ردٌّ على شرّاح المعلقّات ومن تبعهم ، فإنهم قالوا : جرّ مزمّلا على الجوار لبجاد ، وحقه الرفع لأنه نعت لكبير .

---

(١) فى ديوانه ٤٧ . وانظر سيبويه ١ : ٢١٧ والخصائص ٣ : ٢٢١ والانصاف ٦٠٥ . ش : « وما بعده » .

(٢) ش : « المدل » ، صوابه فى ط .

(٣) أى كجذوع ، جمع جذع بالكسر .

(٤) الخصائص ١ : ١٩٢ / ٣ : ٢٢١ والمحتسب ٢ : ١٣٥ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٩٠ وسيعاد فى ٣ : ٦٣٩ بولاق .

ومن تبعهم أبو حيان ، قال (فى تذكرته) : خفض مزمَّلا على الجوار للبجاد ؛ وهو فى المعنى نعت للكبير ، تغليباً للجوار . ومنهم ابن هشام (فى بعض تعاليقه) قال : لما جاور المخفوض وهو البجاد خفض للمجاورة . ولايخفى أن المجاورة رُتْبيَّة كانت أو لفظية ، كافية .

وما قاله [(١)] الشارح المحقق لادَاعىَ لَه .

ولم يجعل أبو على هذا البيتَ من باب الجر على الجوار ، بل جعل مزمَّلا صفة حقيقية لبجاد ، قال : لأنه أراد مزمل فيه ، ثم حذف حرف البجر فارتفع الضمير واستتر فى اسم المفعول . انتهى

وقال الخطيب التِّبريزىُّ (فى شرح المعلقات) : وفى البيت وجهٌ آخر ، وهو أن يكون على قول من قال : كُسِيتْ جبَّةٌ زَيداً ،فيكون التقدير :فى بجاد مزمَّلِهِ الكساءُ ، ثم تحذف كما تقول : مررت برجل مكسوَّتِهِ جبةٌ ، ثم تكنى عن الجبَّة فتقول : برجل مكسوَّتِه ، ثم تحذف الهاءُ فى الشعر . هذا قول بعض البصريين [(٢)] . انتهى

ولايخفى تعسُّف هذا القول . وتخريج أبى علىّ أقرب من هذا .

والمصراع عجزٌ ؛ وصدره :

(كأنَّ ثَبيراً فى عرانينِ وَبْلِهِ)

والبيت من معلقة آمرىء القيس المشهورة .و(ثبير) : جبل بمكة [(٣)]. صاحب الشاهد

---

(١) ش : « وما قال » .

(٢) فى شرح التبريزى : « بعض النحويين » .

(٣) من أعظم جبال مكة ، بينها وبين عرفة ، سمى ثبيرا برجل هذلى مات فيه .

و(العرانين) :الأوائل ،والأصل فى هذا أنْ يقال للأنف عِرنين ،استعير لأوائل المطر ؛ لأن الأنوف تتقدم الوجوه . و(الوبل) : مصدر وَبَلت السماء وَبْلاً ؛ إذَا أتَت بالوابل ، وهو ماعظم من القَطْر . وضمير وبله راجعٌ للسحاب فى بيت قبله . و(البجاد) بالجيم بعد الموحَّدة المكسورة ، وهو كساءٌ مخطط من أكسية الأعراب من وبَر الإبل وصُوف الغنم . و(المزمَّل): اسم مفعول بمعنى الملفَّف [1] .قال الزوزنى (فى شرح المعلقات) : كأنَّ ثبيرا فى أوائل مَطِر هذا السحابِ سيِّدُ أناسٍ ملفَّف بكساءٍ مخّطط . شبَّه تغطِّيَه بالغُثَّاء [2] بتغطِّى هذا الرجل بالكساء . انتهى . ونقل الخطيب التبريزى عن أبى نصر أنَّ امرأ القيس شبَّه الجبل وقد غطاه الماء والغُثَّاء الذى أحاط به إلاّ رأسَه ، بشيخ فى كساء مخطط . وذلك أنَّ رأس الجبل يضرب إلى السواد والماءُ حوله أبيض . انتهى .

٣٢٨

وقال أبو حنيفة الدينورى (فى كتاب النبات) : شبَّهَ ثَبيراً برجل مزمَّل بالثِّياب ، لأنَّ المطر لمَّا سَحَّ ستَرَه .

وروى المبرد (فى الكامل) تبعاً للأصمعى :

كأنَّ أبانا فى أفانينِ ودقه كبير أناس ..... الخ

وقال :أبان: جبلٌ ، وهما أبانان : أبان الأسود وأبان الأبيض. وقوله : فى أفانينِ وَدْقِهِ،يريد ضروباً من ودقه . والوَدْق : المطر. قوله كبير أناس إلخ يريد مزمَّلا بثيابه ؛ قال تعالى : ﴿ يأَيُّها المزَّمِّل ۞ قُمِ اللَّيل [3] ﴾ ،

---

(١) ط : « المكتنف » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٢) الغثاء كغراب ، وبتشديد الثاء أيضا : مايجىء فوق السيل مما يحمله من الزبد والوسخ وغيره .

(٣) الآية الأولى من المزمل .

وهو المتزمِّل والتاء مدغمة فى الزاى . وإنَّما وصف امرؤ القيس الغيثَ . فقال قوم : أراد أنَّ المطر قد خَنَّق الجبل فصار له كاللِّباس على الشيخ المتزمّل . وقال آخرون : إنَّما أراد ماكساه المطر من خُضْرة النبت . وكلاهما حَسن . وذكر الوَدْقَ لأنَّ تلك الخُضرةَ من عمله . انتهى .

تتمتان

(إحداهما) : لم يذكر الشَّارح المحقق الرفعَ على المجاورة ، لأنَّه لم يثبت عند المحققين ، وإنَّما ذهب إليه بعض ضَعَفة النحويين فى قوله :

السالكُ الثُّغرةَ اليقظانَ كالئها مشىَ الهلوكِ عليها الخيعلُ الفضلُ[1]

أوَّلهم الأَصمعى ، ذكره على بن حمزة البصرى (فى كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة) قال : سأل الرياشىُّ الأَصمعىَّ عنه فقال : الفُضُل من نعت الخيعل ، وهو مرفوع ، وأصله أنَّ المرأة الفضل هى التى تكون فى ثوب واحد ، فجعل الخيعل فضُلاً لأنَّه لاثوب فوقه ولا تحته ، كما يقال امرأة فُضل . قال الرياشى : وهذا مما أُخِذ على الأَصمعىّ . ثم رجع عن هذا القول وقال بعد:هو من نعت الهلوك ، إلا أنَّه رفعه على الجوار كما قالوا: جحر ضب خرب. انتهى.

ومنهم ابن قتيبة ، قال (فى أبيات المعانى [2]) : الثُّغرة والثَّغْر سواء ، وهو موضع المخافة . والكالىء : الحافظ . والخيعل : ثوب يُخاط أحد جانبيه ويُترك الآخر . والهلوك : المتثنِّية المتكسرة . والفُضُل من صفة الهلوك ، وكان ينبغى أن يكون جراًّ ، ولكنه رفعه على الجوار للخيعل . ومثله :

* كأنَّ نسجَ العنكبوتِ المرمَلِ *

---

(١) للمتنخل الهذلى فى ديوان الهذليين ٢ : ٣٤ والخصائص ٢ : ٢٩٢ .

(٢) المعانى الكبير ٥٤٤ .

ومثله جحر ضبٍّ خربٍ . ومثله :

* كبير أناسٍ فى بجادٍ مزمَّلِ *

وأراد أنَّه آمنٌ لايَخاف ، فهو يمشى على هينته . انتهى .

وقد ردَّ العلماءُ هذا القول ، منهم ابن الشجرى (فى أماليه) قال : وزعم بعضُ من لا معرفة لهم بحقائق الإعراب ، بل لامعرفة لهم بجملة الإعراب ، أنَّ ارتفاع الفُضُل على المجاورة للمرفوع ، فارتكب خطأً فاحشا ، وإنَّما الفضل نعت للهلوك على المعنى ، لأنها فاعلة من حيث أسند المصدر الذى هو المشى إليها ، كقولك : عجبت من ضرب زيدٍ الطويلُ عمراً ،رفعت الطويل لأنَّه وصفٌ لفاعل الضرب وإن كان مخفوضاً فى اللفظ .فلو قلت :عجبت من ضرب زيدٍ الطويلَ عمرٌو فنصبت الطويل لأنَّه نعت لزيد عَلَى معناه من حيث هو مفعول فى المعنى كان مستقيما،كما عطف الشاعر عليه المنصوب فى قوله:

قد كنتُ داينت بها حَسَّانا مخافةَ الإفلاس واللَّيَّانـا[1]

ومثل رفع الفضل على النعت للهلوك رفع المظلوم على النعت للمعقِّب فى قول لبيدٍ يصف الحمار والأُتان : ٣٢٩

يُوفِى ويرتقبُ النجادَ كأنَّه ذو إرْبة كلَّ المرامِ يرومُ
حتَّى تهجَّر فى الرَّواح وهاجَها طلبَ المعقِّب حقَّه المظلومُ[2]

يوفى ، أى يُشْرِف . والنجاد : جمع نجد ،وهو المرتفع.أى يشرف

(١) لرؤبة فى ملحقات ديوانه ١٨٧ . وهو من شواهد سيبويه ١ : ٩٨ .

(٢) البيت من شواهد الخزانة . وقد سبق فى ٢ : ٢٤٠ .

عَلَى الأماكن المرتفعة ، كالرقيب، وهو الرَّجل الذى يكون ربيئة القوم،يربِض عَلَى نَشزٍ متجسسا[١] . والإربة : الحاجة

وقوله : « حتى تهجَّرَ فى الرَّوَاح » أى عجَّل رواحَه فراحَ فى الهاجرة . وهاجها ، أى هاج الأتان وطردها وطلبها مثلَ طلب الغريم المعقِّب حَقَّه؛ فالمعقِّب فاعل الطلب . ونصب حقه لأنَّه مفعول الطلب . والمظلوم صفة للمعقب ، على المعنى ، فرفعه لأنَّ التقدير : طلبَها مثل أن طلب [٢] المعقِّب المظلوم حقَّه . والمعقِّب : الذى يطلب حقَّه مرة بعد مرة . انتهى .

ومنهم أبو حيان (فى تذكرته) قال فى أولها : قال بعض معاصرينا : أكثرهم يعتقد الجوار مخصوصا بالمجرور ، وقد جاءَ فى المرفوع ، وأنشد :

السالك الثغرة اليقظان كالئُها ..... البيت

قال : رفعوا الفضل إتباعا لما قبله لقربه .

قال أبو حيان : قلت : وليس الرفع كما ذكر إتباعا للخيعل ، بل رفعه على النعت للهَلوك على الموضع ، لأنَّ معناه : كما تمشى الهلوك الفضل . وعليها الخيعل حال معمولةٌ لتَمْشِى ، أو جملة اعتراضية . انتهى .

واليقظان بالنصب : صفةٌ للثغرة ، وكالئُها فاعل اليقظان ، ومشىَ مفعول مطلق ، أى مشياً [٣] كمشى الهلوك . والفُضُل بضمتين : المرأة التى عليها قمِيصٌ ورداء ، وليس عليها إزارٌ ولا سَرَاويل .

---

(١) ش : « متحسسا » بالحاء المهملة ، وهما سواء ، وفسر قوله تعالى :« ولا تجسسوا » ، بقولهم : « ولا تحسسوا » . على أنها فى أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٢ :« متجسسا » بالجيم .

(٢) ش : « مثل طلب » مع أثر تصحيح بالخط على « أن » ، وهو الموافق لما فى أمالى ابن الشجرى .

(٣) ش : « ماشيا » .

وقال الفراء والحسن السكرى (فى الهذليات) : الفضل : ثوبٌ كالخيعل تلبسه المرأة فى بيتها . وعلى هذا فَلَا مجاورة ولا إتباعَ على المحلّ . يقول : هذا من شأنه سلوكُ موضع المخافة متمكّنا غيرَ خائف ، كمشى المرأة المتبخترة الفضل .

وقد تقدم الكلام على هذا البيت فى جملةِ شرح قصيدته فى الشاهد الحادى والثلاثين بعد الثلثمائة [1] .

(ثانيتهما) : قد ضُرب المثل بخفض مزمَّل فى كون الشريف يعاشر دَنيئاً فيسفُل بعشرته . قال الأمين المحلِّىُّ :

عليكَ بأرباب الصدور فمن غَدا ... مضافاً لأَرباب الصُّدورِ تصدَّرا
وإيّاك أن ترضى صَحابة ناقصٍ ... فتنحطَّ قَدرا من عُلاك وتُحقَرا
فرفع أبو مَنْ ثم خفض مزمَّل ... يبيِّـــن قولى مُغرِيـــا ومحذِّرا

وأورد ابن هشام هذا الشعر (فى مغنى اللبيب) فى الأمور التى يكتسبها الاسمُ بالإضافة . منها : وجوب التصدُّر . ومما له الصدَّارة كلماتُ الاستفهام يجب أن تتصدَّر فى جملتها ، فإذا أضيف إليها اسمٌ وجب تصدُّره أيضا ، وحينئذ لايعمل ماقبله فيه ، ولهذا وجب الرفع فى قولك : علمت أبو مَن زيد . وإليه الإشارة بقوله « فرفع أبو من » . والإشارة بقوله « ثم خفض مزمَّل » إلى بيت امرىء القيس الذى شرحناه . وقوله « مغريا » راجع إلى قوله أوّلاً : «عليك بأرباب الصدور » ، وقولُه : « محذِّرَا » راجعٌ إلى قوله ثانيا : « وإياك أن ترضى صحابة ناقص » .

---

(١) الصواب أنه الثانى والثلاثون بعد الثلثمائة . وهو أول هذا الجزء الخامس .

فإن قيل : « قوله:يُبيِّن قولى » ، إلخ لا يصح أن يكون خبراً عن مجموع قوله : فرفع أبو من ثم خفض مزمل ، إذ لم يقل يبيِّنان . ولا عن أحدهما لاشتمال الجملة على قيدٍ لايصح تعلُّقه بكلّ منهما . وذلك أنَّ رفع أبو من لايبيِّن قوله مغريا ومحذّرا ، وإنمّا يبين قوله مغريا ، وكذا الثانى .

٣٣٠

أجيب بأن قوله:« يبيِّن قولى » فقط هو خبر الأوّل ، وخبر الثانى محذوف ، وأنّ قوله : مغريا ومحذرا قيدانِ للمحذوف ، والتقدير فرفع أبو من يبيِّن قولى ، وخفض مزمَّل كذلك ، هما يبيِّنان قولى مغريا ومحذّرا . ومثل هذا الشعر قول ابن حزمٍ الظّاهرىّ :

تجنَّبْ صديقا مثل ما،واحذر الذى يكون كعمرو بين عُرب وأعْجَمِ[1]
فإنَّ صديق السَّوء يزرى،وشاهدى: كما شَرِقَتْ صدرُ القناةِ من الدمِ

قال ابن هشام (فى المغنى) فى المبحث الذى تقدَّم ذكره :مراده بما الكنايةُ عن الرجل الناقص ، كنقص ما الموصولة . وبعمرٍو الكنايةُ عن المتزيِّد الآخذ ماليس له ، كأخذ عمرو الواو فى الخط .

وقال فى (موقد الأذهان وموقظ الوسنان) وهى رسالة له ، بعد أن ذكر أنّه سئل عن الأبيات : يريد بالصديق الذى كعمرٍو المستكثر بما ليس له ،فإن عمراً قد أخذ الواو فى الخط فى الرفع والجر ، وليست داخلة فى هجائه ، ومن ثَم نسب الشعراء إلحاقَها له إلى الظلم . قال الشاعر :

أيُّها المدَّعى سُليماً سَفَاهـاً لستَ منها ولا قُلامةَ ظُفْرِ
إنما أنت من سُليمٍ كواو أُلحقَتْ فى الهجاء ظلماً بعمرو

(١) يقال رجل أعجم وقوم أعجم أيضا . وأنشد فى اللسان :
سَلُّوم لو أصبحت وسط الأعجم فى الروم أو فارس أو فى الديلم

وأما المشار إليه بما فهو الصديق الناقص [١] ، وذلك على أنه يريد ما الموصولة ، فإنها مفتقرة إلى صلةٍ وعائد ؛ وما الاستفهامية ، فإنها تنقص حرفاً إذا دخل عليها الجار . وهذا أحسن من قوله (فى المغنى) كنقص ما الموصولة . لأن ما الناقصة أعمُّ من الموصولة لشمولها الاستفهامية . وأما الموصوفة فهى كالموصولة.

وأما الشاهد الذى أشار إليه ابن حزم فهو قول الأعشى ميمون ، من قصيدة :

وتشرق بالقول الذى قد أذعتَهُ كما شَرِقَتْ صدر القناة من الدمِ [٢]

وبيانه أنَّ الفعل إنما تلحقه التاء إذا كان الفاعل مؤنثا ، ولايجوز قالت زيد ، فكان ينبغى أن لايجوز كما شرقت ؛ لأنَّ الصدر مذكَّر ، لكنه لما أضافه للقناة سرى منها التأنيث إليه . وعكس ذلك قوله :

إنارة العقل مكسوفٌ بطَوْعِ هوى
وعقلُ عاصى الهوى يزداد تنويرا [٣]

فكان ينبغى أن يقول مكسوفة ؛ لأنّ الإنارة مؤنثة ، ولكنه لما أضافها إلى العقل سرى إليها منه التذكير .

الأمين المحلى

والأمين المحلىُّ من الفضلاء المِصْرية ؛ له تأليفاتٌ فى علم العروض . والمحلّة : كورةٌ بمصر القاهرة .

---

(١) ش : « فهو للصديق الناقص » .

(٢) ديوان الأعشى ٩٤ . وفى ط : « قد أزعته » بالزاى ، صوابه فى ش والديوان . والبيت من شواهد سيبويه ١ : ٢٥ والمقتضب ٤ : ١٩٧ ، ١٩٩ . وانظر معجم شواهد العربية ١ : ٣٦٨ .

(٣) البيت لأحد المولدين . وانظر شواهد المغنى ٢٩٨ والعينى ٣ : ٣٩٦ والتصريح ٢ : ٣٢ والأشمونى ٢ : ٢٤٨ .

باب العطف

أنشد فى أوله :

(إلى الملكِ القَرمِ وابنِ الهمامِ وليثِ الكتيبةِ فى المزدَحَمْ) ٣٣١

على أنَّ الصفات يعطف بعضها على بعض ، كما هنا . وقد تقدم الكلام عليه فى الشاهد الخامس والسبعين فى باب المبتدأ والخبر [١].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والخمسون بعد الثلثمائة [٢] :

٣٥١ (يالهفْ زَيَّابةَ للحارِثِ الـ ـصَّابحِ فالغَانِمِ فالآيِبِ)

على أنَّ الصِّفاتِ يعطف بعضها على بعض كما هنا ، فانَّ الغانم معطوفٌ على الصابح ، والآيب معطوف على الغانم . وأشار بالبيتين إلى أن عطف الصفات يجوز بالواو إن قصد الجمع ، وبالفاء إن قصد التعقيب .

قال الخطيب التبريزى (فى شرح الحماسة) : لما كانت هذه الصفات متراخية حسُن إدخال فاء العطف ، لأن الصابح قبل الغانم،والغانم أمام الآيب . ويقبح أن تدخل الفاء إذا كانت الصفات مجتمعة فى الموصوف ،فلا يحسن أن يقال عجبت من فلان الأزرق العين فالأشمِّ الأنف فالشديد الساعد ؛ إلا على وجه يبعد ، لأن زرقة العين وشمم الأنف وشدة الساعد قد اجتمعن فى الموصوف . انتهى .

والصواب أن يقال متعاقبة بدل متراخية،فإنَّ التعاقب هنا كالتعاقب

---

(١) الخزانة ١ : ٤٥١ .

(٢) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٢١٠ وشرح شواهد المغنى ١٥٨ وهمع الهوامع ٢ : ١١٩ والحماسة بشرح المرزوقى ١٤٧ والتبريزى ١ : ١٤٢ .

فى قولك : تزوَّجَ زيد فوُلد له : وكذلك كل شىء بحسبِ حُصوله وإن كان فيه تراخ .

وقال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : أراد الذى يَصْبَح العدوَّ بالغارةِ فيغنم فيئوب سالما ، فعطف الموصول على الموصول ، وهما جميعا لموصوف واحد . والشىء لايعطف على نفسه ، من حيث كان العطفُ نظيرَ التثنية فى المعنى ، فكما لايكون الواحد اثنين كذلك لايعطف الواحد على نفسه . وعلَّة جواز ذلك قوَّة اتصال الموصول بصلته ،حتى إنه إذا أُريد عطف بعض صلته على بعض [جىء به [1]]هو معطوفا فى اللفظ على نفسه. ومثله [2] قول الله تبارك وتعالى : ﴿الذى هو يُطْعِمُنى ويَسْقِينِ * وإذا مَرِضْتُ فَهوَ يَشْفِينِ [3] ﴾ إلى آخر الآية .وهذا كلُّه صفةُ موصوفٍ واحد ، وهو القديم عزَّ اسمهُ . وقد تقصَّيت هذا فى كتاب [4] (المعرب) وهو تفسير قوافى أبى الحسن. فأمَّا قول الله تعالى : ﴿والعادياتِ ضَبْحاً * فالموريِاتِ قَدْحاً * فالمُغِيرَاتِ صُبْحاً [5] ﴾ فقد يمكن أن يكون ممَّا نحن فيه ؛ وقد يمكن أن تكون العاديات غير الموريات ، والمغيرات غيرهما ؛ فيكون عطف موصوفٍ على موصوف آخر حقيقةً لامجازاً كقولك : مررت بالضاحك فالباكى ، إذا مررت باثنين أحدهما ضاحك والآخر باكٍ . انتهى .

وأورد الزمخشرىُّ هذا البيتَ والذى قبله عند قوله تعالى :﴿والذينَ

(١) التكملة من اعراب الحماسة لابن جنى الورقة ٤٣ . وبدلها فى ش « حسبته » تحريف .

(٢) ش : « ومثل » ، صوابه فى ط واعراب الحماسة .

(٣) الآية ٧٩ ، ٨٠ من الشعراء .

(٤) ط : « كتابى » ، وأثبت مافى ش واعراب الحماسة .

(٥) الآيات ١ — ٣ من سورة العاديات .

يُؤمنُون بِمَا أنزل إليك (١)﴾ من سورة البقرة ؛فى توسُّط العاطف بينه وبين قوله تعالى قبله : ﴿الذينَ يؤمِنُون بالغيب﴾ فإنَّهما واحد؛ كما توسَّط بين الصفّات فى البيتين . وعطف الصِّفات على الصفات كثير ، بناءً على تغاير المفهومات وإنْ كانت متَّحدة بالذات . وقد يكون العطف بالواو كما فى الآية والبيت الأوَّل ؛ وقد يكون بالفاء كما تقدَّم بيانه .

قال صاحب (الكشاف) فى أول الصَّافَّات ،ونقله ابن هشام (فى المغنى) : للفاءِ مع الصفات ثلاثة أحوال : أحدها أنْ تدلَّ على ترتب معانيها فى الوجود ؛ كقوله : يالهف زيّابة البيت ؛ أى الذى صبَحَ فغَنِم فآب .

٣٣٢ والثانى :أن تدلّ على ترتُّبها فى التفاوت من بعض الوجوه ، نحو قولك : خذ الأكمل فالأفضل ، واعمل الأحسن فالأجمل .

والثالث : أنْ تدلَّ على ترتيب موصوفاتها فى ذلك ، نحو : رحم الله المحلِّقين فالمقصِّرين . انتهى .

قال الفاضل اليمنى : والقسمة الصحيحة تقتضى أربعة،لأنّه كما جاز فى الصفات الدلالة على ترتُّب (٢) معانيها فى الوجود ، كذلك يجوز فى الموصوفات ، كما تقول : حلَّ المتمتع فالقارنُ فالمفرِد (٣).

صاحب الشاهد وهذا البيتُ أوَّل أبياتٍ ثلاثة لابن زيَّابة ،مذكورة فى الحماسة .وبعده:

([و] الله لو لاقيتُه خالياً لآبَ سَيفانا مع الغالبِ (٤)
أنا ابنُ زيَّابة إن تدعُنى آتِكَ والظنُّ على الكاذبِ)

---

(١) الآية ٤ من البقرة .
(٢) هذا ما فى ط . وفى ش : « ترتيب » .
(٣) يقال حل المحرم من إحرامه يحل حلا بالكسر وحلالا ، إذا خرج من حرمه .
(٤) الواو فى أول البيت تكملة من ش والحماسة .

قال الجوهرى : يالهفَ : كَلِمةٌ يتحسَّر بها على مافات . ولهف منادى مضاف ، أى يالهف احضُرْ .

وزيَّابة بفتح الزاى المعجمة وتشديد المثناة التحتية وبعد الألف باءٌ موحَّدة : اسم أمِّ الشاعر .ومثل هذا البيت فى تلهيف الأمّ والتحسُّر على الفائت ، قول النابغة الذبيانىّ :

يالهف أمِّى بعد أسرةِ جَعْوَلٍ أن لا ألاقيَهم ورَهْطَ عِرارِ[1]

وزعم ابن هشام (فى المغنى) أنَّ زيابة أبو الشاعر ، ولم أره لغيره . وقال : أراد يالهف أبى على الحارث أن لاأكونَ لقيتُه فقتلتُه . وذلك لأنَّه يريد يالهفَ نفسى .

وفيه أنَّه يصح أن يكون الَّلهف من أمِّه وأبيه ، فلا حاجة إلى إقامة غيره مقام نفسه .

واللام فى (للحارث) للتعليل ، أى يالهف أمى من أجل الحارث . وجعلها ابنُ هشام بمعنى على .قال أمين الدين الطَّبرسىُّ (فى شرح الحماسة) : يجوز أن يكون أوردَ هذا الكلام على الحقيقة ، فلهَّفَ لما رأى من نجاحه فى غَزَواته ، وسلامته فى مَآبه . ويجوز أن يكون أوردَه على طريق الاستهزاء فوصفه بهذه الصفات والأمرُ بخلافه . والأشهر أنْ يوصف الرجلُ بما هو متَّصف بضده تهكُّما به وسخرية . وهذا من أشدِّ سباب العرب ، يقول الرجل لغيره . ياعاقلُ أو ياحليم ، إذا استجهله . ونحوه قوله تعالى : ﴿ ذقْ إنَّكَ أنتَ العزيزُ الكريم[2] ﴾ . انتهى

---

(١) البيت لم يرد فى ديوان النابغة برواية البطليوسى ولا برواية ابن السكيت .

(٢) الآية ٤٩ من الدخان .

وحمل أبو عُبيدٍ النمرى (فى شرح الحماسة) هذا الكلامَ على ظاهره فقال : يقول : يَصبَحُ أعداءهُ بالغارة فيغنم ويؤوب ، فوصفَهُ (١) بالفتك والظَّفر وحسن العاقبة . وهذا بيِّن واضح .

وردَّ عليه أبو محمد الأعرابىّ الأسود فقال:هذا موضع المثل: « اخطأتِ استُكَ الحُفْرة» .كيف يذكره بالفتك والظَّفر وهو أعدى عدوٍّ له؟ وإنَّما المعنى أنّه لهَّف أمَّه وهى زيابة،أنْ لا يلحقه فى بعض غاراته فيقتله أو يأسِره.انتهى.

ومنه تعلم أنَّ قول ابن هشام يالهف أبى على الحارث إذ صَبَح قومى بالغارة غير جيِّدٍ من وجهين : أحدهما تفسير زيَّابة بالأب ، والثانى تقييد صَبح بقوله قومى .

وقد ذهب إليه أبو عبيد البكرى (فى شرح أمالى القالى) فقال : تأسَّف أنْ صَبَحهم فغنم وآبَ سالما . والصَّابح :الذى يَصْبَح القوم بالغارة .

والحارث هذا هو الحارث بن همَّام بن مُرّة بن ذُهل بن شَيبان . وإنَّما قال ابن زيابة فيه هذا الشّعر جوابا عن شعر له فيه . وهذا شعر الحارث بن همَّام :

الحارث بن همام ٣٣٣

أيا ابنَ زيَّابة إنْ تلقَنى لا تلقَنى فى النَّعَمِ العازبِ
وتلقَنى يشتـدُّ بى أجـردٌ مُستقْدِم البِركةِ كالـراكِب

العازب :البعيد.يريد إنك لاتراني راعىَ إبل .والمعنى : إنما أنا صاحب فرسٍ ورمح ،أغير على الأعداء وأحارب من يبتغى حربى . ويشتد من الشَّدِّ ، وهو العدْو .والأجرد : الفرس القصير الشعر : والبركة بكسر الموحدة : الصَّدر ، أى متقدِّم الصَّدرِ مشرِفُه . كالراكب ، أى إشرافه إشراف الرَّاكب لا المركوب . وأيا حرف نداء ، وابن زَيَّابة منادى .

---

(١) ط : « وصفه » ، وأثبت مافى ش .

وقوله : « والله لو لاقيته خالياً » الخ ، يقول : لو لاقيتهُ لقتلته أو قتلنى ، ورَجَعَ السَّيفانِ مع الغالب . وفى هذا الكلام وصفٌ لنفسه بالشجاعة وقلة مبالاته بالموت ، وإنصافٌ للمحارَب .

وقوله : « إن تدعنى » إلخ هذا يحتمل وجهين .

أحدهما : إنَّك إنْ دعوتَنى علمتَ حقيقة ماأقول ،فادعُنى واخلُصْ من الظَّنّ ، لأنَّك لاتظنُّ بى العجز عن لقائك . والظَّنُّ من شأن الكاذب .

والآخر : أنْ يكون معنى قوله والظنُّ على الكاذب ، أى يكون عوناً عليه مع الأعداء ، كما تقول : رأيك عليك ، أى إنَّك تُسيئهُ فيكون كالمتظاهر عليك .هذا كلام الخطيب التبريزى .

وقال الطَّبْرِسىُّ : قوله والظنُّ على الكاذب ، جرى مجرى الأمثال ، ومعناه قولُ لبيد :

واكذِبِ النَّفسَ إذا حدَّثتْهَا إنَّ صِدْقَ النَّفس يُزْرِى بالأَمَلْ

والمعنى كلٌّ يحدِّث صاحبه بكذِبها ثمَّ الظنُّ على من لايتحقَّقُ أصله . ويجوز أن يريد : أنا المشهور المعروف ، إن تدعُنى لمبارزتك أجبتكَ ، فإن كنت تظنُّ غير هذا فظنُّك عليك ؛ لأنَّك تَكذِب نفسَك فيما تتوهَّمه من قعودى عنك ، ونكولى عن الإقدام عليك . ويجوز أن يريد : إن ظننت أن تكون الغالبَ فظنّك عليكَ لأنّك تكذب نفسك :

ابن زيابة

وابن زيابة : شاعرٌ من شعراء الجاهليَّة ، واختُلف فى اسمه ، فقال أبو رِيَاش (فى شرح الحماسة) : هو عَمْرو بن لأى ، أحد بنى تيم اللات بن ثعلبة ، وهو فارس مجلز [1] .

---

(١) فى القاموس : « ومجلز كمنبر : فرس عمرو بن لأى التيمى » .

وقال أبو محمد الأعرابى،والمَرْزُبانى : اسمه سلمة بن ذُهل .

وقال أبو عبيدٍ البكرى (فى شرح أمالى القالى) : اسمه عمرو بن الحارث بن همَّام ، أحد بنى تَيْم اللات بن ثعلبة .

وزيَّابة اسمٌ مرتجل ، قال ابن جنى (فى المبهج) : هو فعَّالة أو فيعالة أو فوعالة ، من لفظ الأزْيَب ، وهو النَّشاط . انتهى .

قال صاحب الصحاح عن ابن السكيت : الأزْيَب على أفعَل : النشاط ، ويؤنث ، يقال : مرَّ فلانٌ وله أزيبٌ مُنْكرة ، إذا مرَّ مراً سريعاً من النشاط . والأزْيب : الدَّعىّ . والأزْيب : العَدَاوة . والأزْيب : النكباء التى تجرى بين الصَّبا والجنوب . وقال أبو زيد : أخذنى من فلانٍ الأزْيَبُ ، وهو الفزَع .

وأخطأ محمد بن داود الجرَّاح فى ضبطه ابن زيَّابة [1] بباءين موحَّدتين خفيفتين ، قال :وهى فأرةٌ صمَّاء يشبَّه بها الجاهل ،قال ابن حِلِّزة :

وهُـمُ زَبـابٌ حائـر لاتسمعُ الآذانُ رَعدا [2]

وشعره يردُّ عليه [3] ، فإنَّه لايستقيم على ماقال . نقله أبو عُبيد البكرىّ.

٣٣٤ واللَّأْىُ ، بفتح اللام وسكون الهمزة بمعنى ، البطء . وتيم بمعنى عبد ، واللات صَنَم .ومِجْلَز بكسر الميم وسكُون الجيم وفتح اللام وآخره زاى معجمة : اسمُ فرسه ، وهو من الجلز ، وهو الفَتْل الشديد .

---

(١) ش : « ابن زبابة » ، ولكل منهما وجه .

(٢) ط : « زبابة حائر » ، صوابه فى ش والحيوان ٤ : ٤١٠ / ٥ : ٢٦٠ وعيون الأخبار ٢ : ٩٥ واللسان (زبب) .

(٣) أى شعر ابن زبابة ، وهو قوله :

أنا ابن زبابة إن تدعنى آتك والظن على الكاذب

ولابن زيَّابة شعرٌ جيد ، أورد منه المبرد (فى الكامل) هذه الأبياتَ ، وأبو تمام (فى الحماسة) [١] :

مالِـدَدٍ مالــدَدٍ مالـهُ يَبكى وقد أنعمت مابالَه
مالى أراه مُطْرِقاً ساميا ذا سِنَة يُوعِد أخوالَـه
وذاك منه خُلقٌ عادةٌ أن يفعلَ الأمرَ الذى قالَه
إنَّ ابنَ بيضاءَ وتركَ الندى كالعبدِ إِذْ قيَّدَ أجمالَـه
آليتُ لا أدفِنُ قَتلاكمُ فدخِّنــوا المرءَ وسربالَـــه
الدِّرع لا أبغى بها نثرةً كلُّ امرىءٍ مُستودَعٌ مالَه
والرُّمحُ لا أملأُ كفِّى به واللِّبـدُ لا أتْبَـع تَزْوَالـه

قال المبرد : قوله مالددٍ ، يعنى رجلا . ودَدٌ فى الأصل هو اللَّهو ، قال رسول الله ﷺ : « لستُ من ددٍ ولاددٌ منى » . وقد يكون فى غير هذا الموضع مأخوذاً من العادة . وقوله « أنعمت مابالَه » مازائدة ، والبال هنا : الحال .

وقوله : « مطرِقا سامياً » السامى : الرَّافع رأْسَه ؛ يقال سما يسمو ، إذَا ارتفع . والمطْرِق : السَّاكت المفكِّر ، فإنَّما أراد سامياً بنفسه . وقوله : «ذا سِنة» يقول : كأنَّه لطول إطراقِهِ فى نعْسةٍ . انتهى . قال ابن السِّيد (فيما كتبه على الكامل) : حكَى الزَّجَّاجىُّ أنّ المطرق من هو بذىءٌ فى أفعاله ويطلب معالىَ الأُمور . وقال غيره : المطرق الخامل الذكر ، أى هو خاملٌ فى الحقيقة وهو يتكبَّر فى نفسه . وقوله : « ذا سِنَةٍ » يريد أنَّ وعيده لاحقيقة له فكأنَّه يراه فى النوم . انتهى كلام ابن السِّيد .

(١) انظر الكامل ٢٠٧ والحماسة ١٤٢ بشرح المرزوق و ١ : ١٣٦ بشرح التبريزى .

وروى أبو تمام المصراع الأول :

نُبِّئْتُ عَمْراً غارزاً رأسَه ذا سِنَةٍ .... إلخ

قال الخطيب التبريزى : نبّىءَ متعدٍّ إلى ثلاثة مفاعيل ، أولها نائب الفاعل وهو تاء المتكلم ، ورأسه منصوب بغارزاً ، بمعنى مدخلا رأسه ، ومنهُ الغرز بالإبرة . وغرزُ الرأسِ : كنايةٌ عن الجهل والذّهاب عما عليه وله من التحفُّظ . والسِّنَة بالكسر : النعاس . يقول : كأنَّه [1]وسنانُ قد تغيَّر عقله ، فهو يوعد من لايَجِبُ [2] أن يُوعده ، وجملة يوعد حالٌ . وروى : فى «سَنَة» بفتح السين ، أى فى جدب وقحط .

وقوله: « وذاك منه خلقٌ عادةٌ » روَىَ بدله أبو تمام : « وتلك منه غيرُ مأمونةٍ » .

قال الخطيب : أى تلك الخَصْلة لايُؤمن وقوعُها من عمرٍو ، وهو فعلُه لما يقوله . وهذا تهكُّم . وأنْ يفعل موضعه بدل من قوله : وتلك منه .

وقوله : « كالعبد إذ قيَّدَ أجماله » قال المبرد :يريد غير أنه مكترث لاكتساب المجد والفضل ؛ وذلك أنَّ العبد الراعىَ إذا قيَّد أجمالَهُ لَفَّ رأسه ونام ناحية [3] . وهذا شبيهٌ بقوله [4] :

* واقعد فإنَّك أنتَ الطاعمُ الكاسى *

---

(١) ط : « لكأنه » وأثبت مافى ش والتبريزى .

(٢) فى النسختين : « من لايحب » بالحاء المهملة ، صوابه بالجيم من التبريزى .

(٣) الذى فى الكامل : « نام حجرة » . وحجرة ، بفتح الحاء فى أوله بمعنى الناحية ، ومنه قول الحارث بن حلزة :

عنتا باطلا وظلما كما تعـ ـتر عن حَجْرة الربيض الظباء

(٤) هو الحطيئة . ديوانه ٥٤ . وصدره :

* دع المكارم لا ترحل لبغيتها *

وهذا البيت ساقطٌ فى رواية أبى تمام .قال الخطيب :قال النَّمرى: وفيها:

* إنك ياعمرُو وتركَ العِدَى *

قال ابن السكيت [(١)] : يقول : أَنت كالعبد اقتصَر على موضع يرعى فيه [(٢)] ولايعزُب بإبله . وعندى أنّه غير ممتنع أن يكون قوله « وترك النَّدى » معناه إنّك وبخلكَ ؛ فإنَّه من تَرك النَّدى فقد أخذ البخل . يقول : وبخلكَ وحبسك مالك [(٣)] كالعبد قيَّد أجماله فلا يبرح منها بعير .وكذلك أنت قيَّدت مالك لايبرحك . قال أبو محمد الأعرابى : هذا موضع المثل : ٣٣٥

فلا يدرى نُضَيرٌ من دَحَاها ومن هو ساكنُ العرشِ الرَّفيعِ[(٤)]

أخبرنا أبو النَّدى قال :هذا البيت من المختلّ القديم ، والصواب :

إنِّى وحوَّاءَ وتركَ النـدى كالعبـد إذْ قيَّـد أجمالَـه

قال : حَوّاء : فرسه .ومعناه إنى متى أترك الغزوَ على ظهر حَوّاء واغتنام الأموال [(٥)] وتفريقها على الزائرين والسائلين ، لم يبق لى همٌّ ، لأنَّ أكثرَ همى فى ذلك ، وكنتُ مثلَ العبد إذا شبعت إبله فأراحها وقيَّدها فى مُراحِها [(٦)]لم يبق له همٌّ حينئذ .يقول : همِّى فى الغزو واغتنام الأموال وبذلها . انتهى .

---

(١) موضع كلمة « السكيت » بياض فى ش . وفى ط : « ابن السيد » . وهذا الكلام منسوب إلى ابن السكيت فى شرح التبريزى ١ : ١٤٠ .

(٢) فيه ، ساقطة من ش . وفى شرح التبريزى نقلا عن ابن السكيت : « يرعى فيه ولا يتعزب بإبله » .

(٣) فى النسختين : « وكسبك مالك » ، صوابه عند التبريزى .

(٤) عند التبريزى : « فلا يدرى نصير » بالصاد المهملة .

(٥) ش : « أو اغتنام الأموال » ، وأثبت مافى ط والتبريزى .

(٦) المراح بالضم : مأوى الابل . وفى ط : « مراحلها » ، صوابه فى ش والتبريزى .

وقوله : «فدَخّنوا المرءَ وسِرباله» . قال المبرد : يروى أنّه طعن فارساً منهمْ فأحدث ، فقال : نظّفوه فإنى لأأدفن القتيلَ منكم إلا طاهراً .

وقوله : «الدرع لأبغى بها نَثْرةً » قال المبرد:النَّثْرة : الدِّرع السابغة. يقول : درعى هذه تكفينى (١) .

وقوله : « كل امرئٍ مُستودَعٌ مالِه » قال المبرد :أى مُسترهَنٌ بأجله ، وهو كقول الأعشى :

كنتَ المقدَّمَ غير لابسِ جُنّة بالسَّيفِ تضربُ مُعْلما أبطالَها[٢]

وعلمتَ أنَّ النفسَ تَلقى حَتْفَها ماكان خالقُها المليكُ قَضَى لها[٣]

انتهى .وقال الإمام أبو الوَليد (فيما كتبه على الكامل) : ليس هذا بالمعنى ،لأنَّ الاستيداع غير الاسترهان ، والمال غير الأجَل ، وإنّما المعنى مال الإنسان وديعةٌ مرتَجَعة ، وعاريَّة مؤدَّاة ، كما قال لبيد :

وما المالُ والأهلونَ إلاّ وديعةٌ ولا بدَّ يوماً أن تُردَّ الودائعُ[٤]

ويروى :

* والدِّرع لا أبغى بها ثروةً *

وهذه الرواية تدلُّ على معنى بيت لبيد ، ولا يجوز معها تأويل المبرد . انتهى

وهذه رواية شرَّاح الحماسة . قال الخطيب : أى درعى مالى الذى أدَّخره (٥) . وهذا كقول الآخر :

---

(١) ط :« تكفننى » ، صوابه فى ش والكامل .

(٢) ط : « يضرب » ، وأثبت مافى ش والكامل والديوان ٢٧ .

(٣) فى الكامل : « ماكان خالقها الفضيل » .

(٤) ديوان لبيد ١٧٠ .

(٥) كلمة « الذى » ساقطة من ط ، ثابتة فى ش وشرح الحماسة . وفى شرح الحماسة : « الذى أذخره » .

ومالىَ مالٌ غيرُ درعٍ حصينةٍ وأبيضَ من ماءِ الحديد صقيلِ

ويحتمل أنَّه لايبيعها فيأخذ العِوضَ عنها فيُثْرِى به .

وقوله : « كلُّ امرِئٍ » الخ ، يريد احتفاظه بالدِّرع ، وأنَّ كل إنسانٍ يحفظ مالَه فهو عنده كالوديعة التى قد لزم حِفظُها . ويحتمل أن يريد تعزيةَ نفسِه إذ لا مال له ،فيقول : كلُّ امرئٍ مُستودَعٌ ماله ، أى إنه سيستَرَدُّ منه كما تُستردُّ الوديعة . ويجوز أن تكون «ما» بمعنى الذى ، فيكون المعنى كل امرئٍ مرتهن بأجله ، وبالذى كتب له . ولا يمتنع أن يكون أشار بما إلى مايقُتنَى من أعراض الدنيا . ويروى : « مستودِعٌ » بكسر الدال ، والمعنى أنَّ مايجمعه المرءُ ويكسِبه إذا جاء محتومُ القضاء يتركُه لغيره لا محالة ، فلِمَ أرغب فيه وأزهدُ فى اكتساب المحامد ؟! ويروى « والدِّرعُ لاأبغى بها نَثْرة » وهى ، الواسعة . والمعنى إنِّى أكتفى من الدرع ببدنِهِ . انتهى كلامُ الخطيب [٢] .

وقوله :

* والرُّمحُ لا أملأُ كفِّى به *

٣٣٦ قال المبرد : يُتأوَّل على وجهين :أحدهُما أنَّ الرمح لايملأ كفِّى وحده ،أنا أقاتل بالرُّمح وبالسَّيف وبالقوس وغيرِ ذلك .والقول الآخر :إنِّى لاأملأُ به كفِّى ، وإنَّما أختِلس اختلاسا [٣] ، كما قال :

ومدجّج سَبَقتْ يداىَ له تحت الغبار بطَعْنةٍ خَلْسِ

وقوله :

* واللِّبدْ لاأتبعُ تَزواله *

---

(١) البدن : الدرع القصيرة . والدرع يؤنث ويذكر .

(٢) أى انتهى ماأراد نقله منه . وإلا فإنَّ للخطيب بعد هذا كلاما آخر .

(٣) فى الكامل : « انى لاأملأ كفى به ، انما أختلس به اختلاسا » .

يقول : إن انحلَّ الحِزامُ فمالَ اللبْدُ لم أمِلْ معه ،أى إنّى فارسٌ ثابتٌ على ظهور الخيل [١] . انتهى

وأوضحُ منه قول الطَّبرسى : يجوز أن يكون المعنى : أى لأاقتصر [٢]من تعاطى أنواع السلاح على الرُّمح فقط ، ولكنّى أجمع فى الاستعمال بينها ، وهذا كما يقال [٣]:ملأ كفَّهُ من كذا ،فليس فيه موضعٌ لغيره. ويجوز أن يكون المعنى إنّى أستعملُ رمحى بأطراف أصابع اليدِ ،لحذقى واقتدارى ، ولاآخذه بجميع كفّى . وقوله : « واللبد لاأتبع » إلخ ، يريد: ألزمُ ظهر دابّتى فإنْ مال اللِّبد لم أملْ معه . يصف نفسَه بالفروسيَّة ويعرِّض بأنَّ أضداد هذه الأوصافِ مجتمعةٌ فى خَصمه.

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والخمسون بعد الثلثمائة [٤] :

٣٥٢ (ولَستُ بنازلٍ إلّا ألمَّتْ   برَحلي أو خَيالتُها الكذوبُ)

على أن قوله «خَيالتُها» معطوف على الضمير المستتر فى ألمت،وجاز مع عدم تأكيد المستتر بمنفصل لوجود الفصل قبل حرف العطف وهو قوله:«برحلى».

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : عَطفَ على الضَّمير المرفوع المتَّصل بغير تأكيد ،ولو أكَّد فقال ألمَّت هى، لكان أحسن، غير أنَّ الكلام طال بقوله برحلى ،فناب طولُه عن التأكيد [٥] ،كما أن قول الله سبحانه: ﴿ ماأشْرَكْنا وَلا آباؤُنا [٦] ﴾ لمَّا طال الكلامُ فيه بلا . وإن كانت بعد

---

(١) فى الكامل : « أى أنا فاوس ثبت » فقط .

(٢) ش : « لاأقصر » .

(٣) ش : « كما قال » .

(٤) همع الهوامع ٢ : ١٤١ وشرح الحماسة للمرزوقى ٣١٠ .

(٥) فى إعراب الحماسة ٦٢ : « عن توكيده » .

(٦) الآية ١٤٨ من سورة الأنعام .

الواو [١] حسُنَ الكلام بطولها . انتهى .

أبيات الشاهد

وهذا البيتُ أوّلُ أبياتٍ ثلاثة مذكورة فى الحماسة . وبعده :

(فقد جعَلَتْ قَلُوصُ بنى سُهيل من الأكوار مَرْتَعُها قريبُ

كأنَّ لها برحلِ القومَ بَواًّ وما إنْ طِبُّها إلّا اللُّغوبُ)

قوله : (ولستُ بنازل) مفعول نازل محذوف ،أى منزلاً أو مكانا . والإلمام: زيارةٌ لا لبثَ معها،أو هو من ألَمَّ الرجُلُ بالقوم إلماما [٢] بمعنى أتاهم فنزلَ بهم. وفاعل ألَمَّت ضمير الحبيبة . و(الرَّحْل) : كلُّ شيء يعدُّ للرَّحيل من وعاءٍ للمتاع . و(الخيالة) : الطَّيف ، يقال خيال وخيالة ، كما يقال مكان ومكانة. و(الكذُوب):صفةُ خيالة ، وإنَّما لم يؤنِّثه لأن فَعولاً يستوى فيه المذكر والمؤنث وجعلها كذوباً لأنّها تخيِّل إليه فى النوم مالا يحقّ .وقال المرزوق :وجعلها كذوباً لما لم يُحقِّق قولُها وفعلها [٣].يقول : لاأنزِل محلاً إلاَّ رأيت هذه المرأة ملمَّةً برحلى ،أى متصوَّرة لى بهذه الصُّورة ، تشوُّقاً منِّى ، وهذا فى حال اليقظة ، أو رأيتُ خيالها الكاذب الذى لاحقيقةَ له ، وهذا فى حال النوم. والمعنى إنِّى ماأنفكُّ منها فى يقظةٍ ولانوم . وهو أبلغُ من قول الآخَر :

أآخرُ شيءٍ أنتِ فى كلِّ هَجعةٍ وأوّلُ شيءٍ أَنتِ عندَ هبوبى [٤]

لأنَّ هذا فى حالٍ دون حال ، وذاك الدّهرَ كلَّه .

---

(١) أى وأن كانت لا واقعة بعد الواو . وفى النسختين : « وان كان » ، والتذكير للفظ الحرف .

(٢) ط : « لماما » ، صوابه فى ش .

(٣) واو « وجعلها » ساقطة من ط ، ثابتة فى ش والحماسة . وفى الحماسة : « لما لم يتحقق فعلها وقولها » .

(٤) ط : « هبوب » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ومن شرح الحماسة للمرزوق ١٣٢٠ . وهو أول أبيات حماسية لم يعرف قائلها .

و«قد جعلت قلوص» إلخ جعلت هنا بمعنى طَفِقت وأقبلت –وأخطأ العينىُّ فى قوله إنَّ جعلت هنا بالبناء للمفعول — وقلوص اسمُها ،وهى النَّاقة الشابَّة. وجملة «مرتعها قريب» فى محل نصب خبرها،و «من الأكوار» (١) متعلق بقريب . واستعيرت الاسميّة موضعَ الفعليّة لأن المراد : وقد جعلت هذه القلوص يقرُب مرتعها من الأكوار . وقد أورده الشارح المحقِّق فى آخر أفعال المقاربة ، ويأتى بيانه هناك إن شاء الله تعالى . وقال المرزوقىّ : ومرتعها قريب فى موضع الحال .

٣٣٧

يقول :أقبلت قلوص هذين الرجلين قريبةَ المرتع من رحالهم ، قصيرة المسرح فى رواحهم ؛ لأنَّه (٢)لِمَا لِحقها من الكلال والإعياء لم تقدِرْ على التباعد فى المرعى (٣) .انتهى .

وقد شرحهَ قولُ الآخر وأَبلَغَ فقال :

من الكَلالِ لايَذُقْنَ عُودا لاعُقُلاً تبغى ولا قُيودا

والأكوار : جمع كُور بالضم ، وهو الرحل بأداته . أى إذا سرحت لم تُبعِدِ فى المرعى ، لشدَّة كلالها .

وزعم الدمامينى (فى الحاشية الهندية) وتبعه غيره ، أنَّه يصح أن يكون أكوار هنا جمع كَور بالفتح ، وهى الجماعة الكثيرة من الإبل . وهذا وإن كان صحيحاً فى نفسه إلَّا أنّه لايناسب المقام . فتأمَّلْ .

وقوله : « كأنَّ لها برحل » إلخ قال المرزوقى : يقول : كأنَّ لهذه الناقة ولداً برحل القوم تتعطَّف عليه ولا تتباعد عنه،وماداؤها إلّا الإعياء . والطِّبُّ

---

(١) ش : « من أكوارها » صوابه فى ط.

(٢) ماأثبت من ط يطابق ماعند المرزوقى . وفى ش : « لأنها » .

(٣) ط : « لم يقدر على التباعد فى المراعى » ، صوابه فى ش وشرح الحماسة .

بالكسر أصله العلم ،والمراد به هنا الذى يعُلم ويُعرف . والبوُّ ، أصلهُ جلدُ فصيلٍ يُحشَى تبناً لتدرَّ الأمُّ عليه . انتهى .

وقال شارحٌ آخرَ :قوله:وما إنْ طِبُّها،قال أبو الندى :أى شأنُها وداؤها. وقال غيره : الطِّبُّ ههنا : السُّقم ، ومنه « آخر الطِّبّ الكّى » . وأكثر مايستعمل ذلك فى السِّحر ، ومنه رجل مطبوب . واللغوب :الإعياء ، وقد لغَب لغوبا كدخل دخولا ، ولغِب لغباً كفرح فرحا . انتهى .

صاحب الشاهد

وهذه الأبيات أوردها أبو تمّام فى باب الحماسة ، مع أنه لاتعلُّق لها بها بوجه [١] فإنَّ البيت الأول من باب النَّسيب ،والبيتان الأخيران من باب الوصف ،وهو نعْتُ الناقة بشدَّة التعب ، وهذا بمعزلٍ عن الحماسة .ولم أر من تنبه لهذا من شرَّاحه ، ولم أرَ أيضا منهم من نسبَها إلى قائلها .

ورأيت الصغانى [٢] نسبها فى مادة الخيال (من العباب) إلى رجلٍ من بنى بُحتُر بن عَتود (بضم الموحدة وسكون المهملة وضم المثناة الفوقية) . وعَتُود (بفتح المهملة بعدها مثناة فوقية مضمومة وآخره دال) .

* * *

وأنشد بعده :

(الحافظو عورةَ العشيرة)

على أن أصله الحافظون عورة العشيرة ،فحذفت النون طلباً للاختصار، لأنّ الصلة قد طالت . وعورة منصوب به . وروى أيضاً بجرها بالإضافة .

وهذا صدرٌ من بيت ، وهو :

(الحافظو عورة العشيرة لا يأتيهمُ من ورائنا وكَفُ)

---

(١) كلمة « بها » من ش .

(٢) ش : « الصاغانى » ، وهما نسبتان صحيحتان إلى صغانيان ، وهى ولاية عظيمة كانت بما وراء النهر .

والوكف : العَيب والإثم . أى نحن نحفظ عورة عَشِيرتنا فلا يأتيهم من ورائنا شيءٌ يعابون به ، من تضييع ثغرهم وقلة رعايته .

وقد تقدم الكلام عليه مستوفى فى الشاهد الثامن والتسعين بعد المائتين(١).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والخمسون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد سيبويه (٢) :

٣٥٣ (فاليومَ قَرَّبْتَ تَهْجُونا وتَشتِمُنَا فاذهَبْ فما بكَ والأَيامِ مِنْ عَجَبِ) ٣٣٨

على أن حرف الجر قد يترك ضرورةً ، عند البصريين ، أى مابك وبالأيام عجبٌ.

قال سيبويه قبل أن ينشد هذا البيت : ومما يقبح أن يشرك المظهرُ علامةَ المضمرِ المجرور ، وذلك قولك : مررت بك وزيدٍ ، وهذا أبوك وعمرٍو ، فكرهوا أن يشرك (٣)المظهر مضمراً داخلاً فيما قبله ، لأنَّ هذه العلامة الداخلة فيما قبلها جمعت أنها لايُتكلم بها إلاّ معتمدة على ماقبلها ، وأنها بدلٌ من اللفظ بالتنوين ، فصارت عندهم بمنزلة التنوين ، فلما ضعفت عندهم كرهوا أن يتبعوها الاسم ، ولم يجز أن يُتْبعوها إياه . إلى أن قال : وقد يجوز فى الشعر . وأنشدَ هذا البيتَ وبيتًا آخر . انتهى .

وأوضحُ منه قول ابن السَّراج (فى الأصول) : وأمّا المخفوض فلا يجوز أن يعطف عليه الظاهر،لايجوز أن تقول: مررتِ بك وزيد،لأن المجررو ليس

(١) الخزانة : ٤ : ٢٧٢ .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٩٢ . وانظر الكامل ٤٥١ والانصاف ٤٦٤ وابن يعيش ٣ : ٧٨ ، ٧٩ والمقرب ٥٠ والعينى ٤ : ١٦٣ والهمع ١ : ١٢٠ / ٢ : ١٣٩ والأشمونى ٣ : ١١٥ .

(٣) ط : « تشرك » صوابه فى ش . وفى كتاب سيبويه : « ومما يقبح أن يشركه المظهر ».

له اسمٌ منفصل فيتقدم ويتأخَّر كما للمنصوب ، وكل اسم معطوف عليه فهو يجوز أن يؤخَّر ويقدم الآخر عليه ؛ فلما خالف المجرور سائر الأسماء لم يجز أن يعطف عليه . وقد حكى أنه جاءَ فى الشعر :

* فاذهب فما بكَ والأيامِ من عَجَبِ * انتهى

ووافق الكوفيين يونسُ ، والأخفشُ ، وقطربٌ ، والشَّلَوبين ، وابن مالك .

وهذه المسألة أوردها ابنُ الأنبارى (فى مسائل الخلاف) بأدلَّة الفريقين، قال : احتجَّ الكوفيون على جوازها بمجيئها فى التنزيل ، قال تعالى : ﴿ واتَّقُوا اللهَ الذى تَساءَلُون به والأرحامِ [1] ﴾ بالخفض ؛ وهى قراءة حمزة وغيره [2] . وقال تعالى: ﴿ويَستَفتُونك فى النساء قُلِ اللهُ يُفْتيكم فيهنَّ ومايُتلى عليكم [3] ﴾فما عطفٌ [4] على ضمير فيهن . وقال تعالى : ﴿لكِنِ الراسخُون فى العِلْمِ مِنْهُمْ والمؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بما أنزل إليك وما أنزِلَ مِنْ قبلك والمقِيمين الصَّلاة [5] ﴾ ، فالمقيمين عطفٌ على الكاف فى إليك، أو على الكاف فى قَبْلك. قال تعالى:

---

(١) من الآية الأولى فى النساء . وفى ط : « الذين » تحريف .

(٢) هى قراءة إبراهيم النخعى ، وقتادة ، ويحيى بن وثَّاب ، وطلحة بن مصرف ، والأعمش أيضا . ورواية الأصفهانى والحلبى عن عبد الوارث . كما فى تفسير أبى حيان ٣ : ٥١٧ والإنصاف . ووافقه المطوعى كما فى إتحاف فضلاء البشر ١٨٥ . وانظر ماسيأتى فى ص ١٢٧ .

(٣) الآية ١٢٧ من النساء .

(٤) ط : « عطفه » ، وأثبت مافى ش . وفى الإنصاف : « فما فى موضع خفض لأنه عطف على الضمير المخفوض فى فيهن » .

(٥) الآية ١٦٢ من النساء .

تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيها مَعَايشَ ومَنْ لَسْتم له برازقين [١] ﴾ فمن عطفٌ على ضمير لكم . وقال الشاعر :

* فاذهب فما بك والأيَّامِ من عَجَبِ *

وقال الآخر :

أكرُّ عَلَى الكتيبة لاأبالى أفيها كان حتفى أم سواها

أى أم فى سواها [٢] . وقال آخر [٣]:

نعلِّق فى مِثلِ السوارِى سيُوفَنا وما بينها والكَعْبِ غُوطٌ نفانفُ

أى بين السيوف وبين كعب الرِّجُل .

وقال آخر :

هلا سألتَ بذى الجماجم عنهُم وأبى نُعَيْمٍ ذى اللواء المحرقِ

أى عنهم وعن أبى نعيم .

ثم قال : والجواب عن الأول من وجهين ، أحدهما أنَّ الأرحام مجرورٌ بواو القسم لا بالعطف ، وجوابُ القسم:﴿ إنّ الله كان عليكم رقيبا ﴾ .

وثانيهما : أنَّها مجرورة بباءٍ مقدَّرة حُذفت لدلالة الأُولى .

وأما الجواب عن الثانى فمن وجهين أيضا:أحدهما أنَّ مامعطوف على الله ، أى الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم يفتيكم فيهنّ ، وهوالقرآن .

---

(١) الحجر ٢٠ .

(٢) هذا التعليق ساقط من ش .

(٣) هو مسكين الدارمى . ديوانه ٥٣ .

(٤) ويروى : « تعلق » بالتاء والبناء للمجهول ، كما فى الديوان والإنصاف ٤٦٥ والأشمونى ٣ : ١١٥ / ٣ : ١١٥ والحيوان ٦ : ٤٩٤ .

٣٣٩ وثانيهما معطوف على النساءِ من قوله : «يستفتونك فى النساء» .

وأمَّا الجواب عن الثالث فمن وجهين أيضا :

أحدهما : أنَّ المقيمين منصوبٌ على المدح ؛ وذلك أنَّ العرب تنصب على المدح عند ترك العطف ، وقد تستأنف فترفع .

وثانيهما : أنَّه معطوفٌ على «ما» من قوله «بما أنزل إليك» أى يؤمنون بما أنزل إليك وبالمقيمين .على أنه قد رُوِى عن عائشة أنَّها سُئلت عن هذا الموضع فقالت: هذا من خطأ الكاتب. ورُوىَ عن بعض ولِدِ عُثمان أنَّه سئل عنه فقال:إنَّ الكاتب لمَّا كتب: وماأُنزِلَ من قبلك ،قال: ماأكتب ؟فقيل له اكتب : والمقيمين الصَّلاة ، يعنى أنَّ المملىَ أعمَلَ قوله اكتب فى المقيمين ، على أنَّ الكاتب يكتبها بالواو كما كتب ماقبلها على لفظ المملى .

وأما الجواب عن الرابع فأنَّ المسجد الحرام مجرورٌ بالعطف على سبيل الله لا بالعطف على به ، لأن إضافة الصَّدِّ عنه أكثرُ استعمالاً من إضافة الكفر به . ألا ترى أنَّهم يقولون صددته عن المسجد الحرام ولا يكادون يقولون : كفرتُ بالمسجد الحرام .

وأما الجواب عن الخامس فإنَّ مَنْ عطفٌ على معايش ، أى جعلنا لكم فيها المعايش والعبيدَ والإماء . وأما قول الشاعر :

* فاذهب فما بك والأيامِ *

فلا حجَّة فيه أيضاً ، لأنه مجرورٌ على القسم لا بالعطف على الكاف .

وأما قول الآخر :

* أفيها كان حتفى أمْ سِواها *

فإنَّ سواها منصوب على الظرف ؛ لأنها مجرورةٌ بالعطف .

وأما قوله :

* وما بينها والكعبِ *

فالكعب مجرورٌ بإضافة بينَ إليه محذوفاً لا بالعطف ، حذف بين الثانية لدلالة الأولى عليه .

ثم لو حمل ماأنشده من الأبيات على ماادّعَوه لكان من الشاذّ الذى لايُقاس عليه .

هذا ماأورده ابنُ الأنبارى ، ولايخفى مافى غالبه مِن التعسُّف .

وقد أنكر النُّحاة قراءة حمزة بجرِّ الأرحام ، وهى قراءةُ مجاهدٍ والنّخعىّ وقَتادة وأبى رزين [١] ويحيى بن وثَّاب ، والأعمش ، وأبى صالح أيضا .

قال الفراء (فى معانى القرآن) : حدّثنى شريك بن عبد الله ، عن الأعمش ، عن إبراهيم النخعى ، أنه خفض الأرحام فقال : هو كقولهم بالله والرَّحِم [٢]. وفيه قبحٌ ؛ لأن العربَ لاتردُّ مخفوضاً على مخفوضٍ وقد كُنِىَ عنه، وإنما يجوز هذا فى الشعر لِضيقه .

وقد بالغ الزجاجى(فى تفسيره) فى إنكار هذه القراءة فقال:القراءة الجيِّدة نصب الأرحام،والمعنى واتَّقوا الأرحام أن تقطعوها،فأما الخفض فى الأرحام فخطأ فى العربية لايجوز إلاَّ فى اضطرار شعر.وخطأ أيضاً فى أمر الدين عظيم،

(١) أبو رزين الكوفى ، واسمه مسعود بن مالك ، روى عن ابن مسعود وعلى بن أبى طالب ، وروى عنه الأعمش . طبقات ابن الجزرى ٣٥٩٧ .

(٢) أى قاسه على عطف المجرور الظاهر على المجرور الظاهر . وهو قياس مع الفارق .

لأن النبى ﷺ قال : « لاتحلفوا بآبائكم » ، فكيف يكون تَساءلون بالله وبالرَّحِم على ذا ؟ ! ورأيت إسماعيل بن إسحاق ينكر هذا ، ويذهب إلى أن الحلف بغير الله أمرٌ عظيم ، فإن ذلك خاصٌّ بالله عزّ وجل . فأما العربية فإجماع النحويّين أنه يَقبُح أن يُنسَق باسم ظاهر على اسم مضمرَ فى حال الخفض إلا بإظهار الخافض . فقال بعضهم : لأن المخفوض حرفٌ متصل غير منفصل ، فكأنه كالتنوين فى الاسم ، فقبح أن يعطف باسمٍ يقوم بنفسه على اسم لا يقوم بنفسه .

وقد فسَّر المازنىُّ هذا تفسيراً مقْنِعا فقال: الثانى فى العطف شريكُ الأوّل ، فإن كان الأول يصلح أن يكون شريكاً للثانى وإلا لم يصلح أن يكون الثانى شريكاً له . قال: فكما لا تقول مررت بزيدٍ وكَ ، كذلك لاتقول مررت بك وزيد ، وقد جاء فى الشعر ، أنشد سيبويه :

٣٤٠ * فاذهب فما بك والأيام من عجب * انتهى .

وتعقَّبه أبو شامَة (فى شرح الشاطبية) بعد مانقل عبارة الزجاج بقوله : قلتُ : هاتان العلتان منقوضتان (١) بالضمير المنصوب وقد جاز العطف عليه ، فالمجرور كذلك . انتهى

أقول : قد فرق الشارح المحقّق بينهما بأن اتِّصال المضمر المجرور بجارِّهِ أشد من اتِّصال الفاعل المتَّصل ، والمضمر المنصوب المتّصل ليس كالجزء معنى كما بيَّنه ، فالقياس ممنوع .

ثم قال أبو شامة:وأما إنكار هذه القراءة من جهة المعنى لأجل أنها سؤالٌ بالرحم فهو حَلف ،وقد نُهى عن الحَلف بغير الله تعالى ،فجوابه أن هذا حكاية ماكانوا عليه،فحَضَّهم على صلة الرحم ونهاهم عن قطْعها،ونبَّههم

(١) ش : « مختصتان » .

على أنها بلغ من حرمتها عندهم أنَّهم يتساءلون بها . وحسَّنَ حذف الباء هنا أن موضعها معلوم ، فإنه قد كثر على ألسنتهم قولهم : سألتك بالله وبالرحم ، فعومل تلك المعاملة مع الضمير . انتهى

أقول : أوَّل كلامِه يدفع آخره ، فإنَّ أوَّله اقتضى أن الواو للقسم السؤالى . وقد ردَّ الشارح هذا بأن قسم السؤال لايكون إلا مع الباء ، وأنَّ آخره اقتضى أنها للعطف والجر بالباء المقدرة . وفيه النزاع فتأمَّل .

ثم قال أبو شامة فى تعليل قراءة حمزة : إنَّها على القسم ، وجوابُه (إن الله كان عليكم رقيباً) : أقسمَ سبحانه بذلك كما أقسم بما شاء من مخلوقاته من نحو : (والتين والزيتون) . وهذا الوجهُ وإن كان لامطعنَ عليه من جهة العربية فهو بعيد ، لأنَّ قراءة النصب وقراءَة ابن مسعود «وبالأرحام» بالباء مصرِّحتان بالوَصاةِ بالأرحام . وأما ردُّ بعض أئمة العربية ذلك فقد قال القشيرى (فى تفسيرِه): لعلهم أرادوا أنه صحيح فصيح وإن كان غيره أفصح ؛ فإنَّا لاندعى أنَّ كل القراءاتِ على أفصح الدرجات فى الفصاحة . وإن أرادوا غير هذا فلا يقلَّد فيه أئمة اللغة والنَّحو ، فإن القراءاتِ التى قرأ بها الأئمة ثبتت عن النبى ﷺ . وهذا كلام حسن صحيح . انتهى

والبيت من أبيات سيبويه الخمسين التى لم يعرف لها قائل .

وقوله : (فاليوم قرَّبت) : إلخ قال الأعلم : معنى قرَّبت وأخذت واحد ، يقال قرَّبتَ تفعل كذا أى جعَلت تفعله . والمعنى : هَجْوكَ لنا من عجائب الدهر ، فقد كثُرتْ فلا يُتعجَّب منها . انتهى . فأفاد أن قرَّبت هنا من أفعال الشروع ، ويؤيده رواية الكوفيين كما نقله النحاس :

فاليوم أنشأت تهجونا * الخ .

فجُمْلةُ تهجونا خبر قرَّبَ ، والتاء اسمها .

وزعم العينى وتبعه غيره أنَّ قربت هنا بالتشديد بمعنى قَرُبت بالتخفيف أى دنوت ، وجملة تهجونا حال ، ويقال قربت هنا من أفعال المقاربة فحينئذ تكون الجملة خبراً . هذا كلامه .

قال شارح (شواهد الموشح) : يروى « قرّبت » معروفاً ومجهولاً . فعلى الأول معناه : اليوم قرَّبت هجاءنا أى أُدنيته ، ويجوز أن يكون معناه الإسراع أى أسرعتَ فى الهجاء . وجملة تهجونا حالية ، أى قرّبت هاجياً . وعلى الثانى يريد أنك كنت مهجوراً مبعَداً فاليوم قُرِّبت تهجونا ، وليس هذا جزاء الإحسان والتقريب . وقوله :فاذهب• أمر تهديد وتحذير . انتهى .

وهذا ناشئٌ عن عدم الاطلاع ، ولا ينبغى تسويد الورق بمثله .

وقوله : (فاذهب) قال العينىّ : هو جواب شرطٍ محذوف ، والتقدير فإنْ فعلت ذلك فاذهبْ ، فإنَّ ذلك ليس بعجبٍ من مثلك ومن مثل هذه الأيام . انتهى .

٣٤١ وقال ابن جِنّى (فى إعراب الحماسة) عند قول الشاعر :

فإنْ كنتَ سيِّدَنا سُدتَنا وإنْ كنت للخال فاذهَبْ فخَلْ

أراد باذهب توكيداً (١) كما تقول : أخذ يتحدث ؛ وجعل يقول ، وأنت تريد حديثه (٢) . وكذلك قام يشتمنى ، قال حسان .

* على ماقام يشتمنى لئيم *

---

(١) ش : « أراد اذهب توكيدا » . والذى فى إعراب الحماسة الورقة ٥٣ : « أراد : فخل ، فزاد اذهب » .

(٢) فى إعراب الحماسة : « حديثه وقوله » .

أى علامَ يشتمنى . وعليه بيت الكتاب :

فاليوم قربت تهجونا ... ... البيت.

أى فما بك عجب . واذهب توكيدٌ للكلام وتمكين له . ومثله قوله:

من دون أن تلتقِىَ الأركابُ ويقعد الأير له لعابُ (١)

وليس هناك قيامٌ ولاقعود ولاذهاب ، ولكن هذه استراحاتٌ من العرب وتطريحات منها فى القول . انتهى .

* * *

وأنشد بعده :

(الواهب المائةِ الهجانِ وعَبْدِها)

على أن عطف قوله وعبدها بالجرّ على المائة ضعيف . ووجه الضَّعْف أنَّ اسم الفاعل المقرونَ بأَل المضافَ يلزم أن يكون المضاف إليه معرّفاً بها أيضاً ، لمشابهته للحسن الوجه ، فإذا عطف على المضاف إليه شىءٌ لزم أيضا أن يكون معرَّفا بها ، لأنَّ المعطوف فى حكم المعطوف عليه . وإنَّما جاز هنا عطف (عبدِها) مع خلوِّه من أل على المائة ، لكونه مضافاً إلى ضميرِ المعرف بأل ،والتقدير وعبد المائة ؛ ولكونه تابعاً ،والتابع يجوز فيه مالا يجوز فى متبوعه.

وقد تقدَّم شرحُ هذا مستوفًى مع القصيدة التى هذا المصراعُ منها فى الشاهد الرابع والتسعين بعد المائتين (٢) .

* * *

(وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون بعد الثلثمائة (٣)) :

٣٥٤ (أتعرِفُ أمْ لا رَسْمَ دارٍ مُعطَّلَا مِنَ العام يَغشاهُ ومن عامٍ أوَّلا

قِطارٌ وتاراتٍ خَرِيقٌ كأنَّها مُضِلَّةُ بَوٌّ فى رعيلٍ تعجَّلا)

---

(١) قبله فى اللسان (ركب) :

لايقنع الجارية الخضاب ولا الوشاحان ولا الجلباب

(٢) الخزانة ٤ : ٢٥٦ .

(٣) نوادر أبى زيد ٢٠٨ وحاشية يس على التصريح ٢ : ١٦٣ .

على أن الشاعر قد فصَل بالظرف وهو تاراتٍ بين العاطف وهو الواو ، وبين المعطوف وهو خريق ، والأصل : قطارٌ وخريقٌ تاراتٍ .

صاحب الشاهد

وهذان البيتان من أبياتٍ خمسة للقُحَيف العُقَيلى ، مذكورةٍ فى أواخر (نوادر أبى زيد) ، ولم أرها إلّا فيها .

والأبيات الثلاثةُ لاارتباطَ لها بِهما ، ولهذا تركناها .

وقوله : (أتعرف أم لا) إلخ رسمَ مفعولُ تعرف . ومعناه الأثر . ومعطَّلا صفة رسم ، أى خالياً من الأنيس والسُّكّان . ومن العام متعلّقٌ بمَعَطَّلَا ، و (من عام أوّلا) معطوف عليه . والعام : الحول. قال ابن الجواليقى : ولاتفرق عوامٌّ النَّاس بين العام والسنة ، ويجعلونهما بمعنىّ ، فيقولون لمن سافر فى وقتٍ من السنة ، أىَّ وقتٍ كان إلى مثله : عام ، وهو غلط ، والصواب ماأُخبرتُ به عن أحمدَ بن يحيى أنّه قال : السَّنة من أىِّ يوم عددته إلى مثله ، والعام لايكون إلّا شتاء وصيفا . وفى التهذيب أيضاً : العام حولٌ يأتى على شَتوة وصَيْفَة . وعلى هذا فالعام أخصُّ من السَّنَة وليس كلُّ سنة عاماً . وإذا عددت من يومٍ إلى مثله فهو سنة ، وقد يكون فيه نصفُ الصَّيف ونصف الشِّتاء . والعام لايكون إلا صيفاً وشِتاء متواليين . واللام فيه للعهد الحضورى ، أى هذا العام.

٣٤٢

وعامٌ أوّل [1] هو الحولُ السابق . وأوّل له استعمالان : أحدهما بمعنى سابق ومتقدِّم ، ويُصْرف على هذا . وثانيهما بمعنى أسبق ، ولاينصرف على هذا . قال صاحب (المصباح) : وتقول عامٌ أوّل ، وإنْ جعلته صفةً لم تصرفه لوزن الفعل والصفة ، وإن لم تجعله صفةً صرفته . انتهى . وألفُ آخِره للإطلاق ، ومن التفضيلية محذوفة ، أى من عام أوَّل من هذا العام .

---

(١) ط : « عام أول » ، وإثبات الواو من ش .

وقال أبو الحسن علىّ بن سليمان الأخفش (فيما كتبه على نوادر أبى زيد) : قوله ومن عام أوّلا ، يريد من عام زمان أوّل أو دهر أوّل ، فأقام الصفة مقام الموصوف . قال أبو عبيدة [1] ، فى قوله تعالى : ﴿ ترمِيهِمْ بحجارةٍ مِنْ سِجِّيلٍ [2] ﴾ قال : أراد والله أعلم : من شديد . ولم يزدْ على هذا ، وتقديره عند أهل العربية : من رام شديد . انتهى

ولايخفى تعسُّفه .

و(يغشاه) من غشِيَه من باب تعب بمعنى أتاه ، والاسم الغِشيان . والذى رواه أبو زيد: « يمحاه » بدل يغشاه . قال أبو الحسن الأخفش : تقول العرب : محا يمحو ويمحا ؛ وقد جاء يَمْحي [3] وهو شاذ [قلِيلٌ [4]] . يقول بعضهم : محيتُ ، كما يقول الآخرون محوت . ومن قال يَمْحا فإنَّما يفتح لأنَّ الحاء من حروف الحلق . انتهى

و(قطار) فاعل يغشاه أو يمحاه ، وجملة الفعل والفاعل فى محل نصب على الحال من رسم ، ولايجوز أن يكون حالاً من دار لتذكير الضمير فى يغشى [5] . وقطار ، بكسر القاف : جمع قطر بمعنى المطر .وهذا عيبٌ فى الشعر عند الخليل ، ويسمِّيه المضَمَّن؛وهو أن يكون تمام المعنى فى البيت الثانى . و(تاراتٍ) منصوب على الظرف ليغشى ، وهو جمع تارة بمعنى مَرّة . و(خريق) معطوف على قطار ، فصل بينه وبين الواو العاطفة الظرف ، وهو بفتح الخاء المعجمة وكسر الراء المهملة

---

(١) هذا النص من نوادر أبى زيد له أصل فى مجاز القرآن لأبى عبيدة ٢ : ٣١٢ .

(٢) الآية ٤ من سورة الفيل .

(٣) وكذا فى النوادر . وفى ش : « يمحا » ، تحريف .

(٤) التكملة من ش . وفى النوادر : « وهى شاذة قليلة » .

(٥) ش : « يغشاه » .

وآخره قاف . قال صاحب العباب:الخريق:الرِّيح الباردة الشديدة الهُبوب . وضمير كأنَّها للخريق . و(مُضلَّة): اسم فاعلٍ من أضللته بالألف، بمعنى فقدتُهُ وأضَعْته . قال الأزهريُّ :وأضللت الشيء بالألف،إذا ضاع منك فلم تعرف موضعه ، كالدَّابَّة والناقة وماأشبهَهُما.فإنْ أخطأتَ موضعَ الشيء الثابت كالدار قلت: ضلِلته وضلَلته .ومُضِلَّة صفة موصوفٍ محذوف،أى ناقة مُضِلَّة .و(البَوُّ): جلدُ الحُوار ، أى ولد الناقة ،يُحشى إذا مات فتعطف عليه الناقة فتدِرُّ . و(الرعيل) بالراء والعين والمهملتين : الجماعة من الخيل . و(تعجَّل) فعل ماضٍ بمعنى أسرع ،وفاعله ضمير الرعيل، وجُملة كأنَّها مضلَّة إلخ حالٌ من خريق. شبَّه الريح العاصفة فى رسم الدار بناقة أضاعت ولداً فى جَمْع خيلٍ أسرعَ ومضى، فهى والهةٌ تريد اللَّحاق إليه،فتسرعُ بأشدِّ مايُمكنها

القحيف العقيلى

والقُحَيف بضم القاف وفتح الحاء المهملة وآخره فاء.والعُقَيلى بضم العين وفتح القاف؛وهو شاعرٌ جاهلىٌّ،وتقدم ذكره فى الشاهد الثالث والخمسين بعد الثلثمائة(١).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والخمسون بعد الثلثمائة :

٣٥٥ (وكان سِيَّانِ أَنْ لا يَسْرَحُوا نعَماً
أو يَسْرَحُوهُ بِها واغبَّرتِ السُّوح(١))

على أن أو هنا بمعنى الواو ، وإنما احتيج إلى جعل أَوْ بمعنى الواو ، لأنَّ سواء وسِيِّين يطلبان شيئين ، فلو جعلت أَوْ لأَحدِ الشَّيئين لكان المعنى سِيَّانِ أحدُهما . وهذا كلامٌ مستحيل .

---

(١) كذا . وستأتى ترجمته مفصلة فى الشاهد الخامس والعشرين بعد الثمانمائة .

(٢) الخصائص ١ : ٣٤٨ / ٢ : ٤٥٦ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٦١ / ٢ : ٣١٥ وابن يعيش ٢ : ٨٦ / ٨ : ٩١ وشرح شواهد المغنى ٧٢ .

٣٤٣ قال أبو على (فى إيضاح الشعر) : والذى حسَّنَ ذلك للشاعر أنّه يرى جالس الحسن أو ابنَ سِيرين ، فيستقيم له أن يجالسهما جميعا . وكُلِ الخبز أو التّمر ، فيجوز له أن يجمعهما فى الأكل . فلمّا جَرَت مجرى الواو فى هذه المواضع استجازَ أن يستعملها بعد سىّ . ولم نعلم ذلك جاء فى سواه ، وقياسُه قياس سِيّان . انتهى .

وبيَّنَ ابنُ جنّى سرَّهُ (فى باب تدريج اللغة من الخصائص) قال : وذلك أى تدريج اللُّغة أنْ يشبه شىءٌ شيئاً من موضع ، فيمضى حكمهُ على حكم الأوَّل ثم يرقَى منه إلى غيره . فمن ذلك قولهم : جالس الحسن أو ابن سيرين . فلو جالسهما جميعاً لكان مصيباً مطيعاً لا مخالفا ، وإن كانت أوْ إنّما هى فى أصل وضعها لأحد الشَّيئين . وإنَّما جاز ذلك فى هذا الموضع لالشىءٍ رجع إلى نفس أو ، بل لقرينة انضمَّت من جهة المعنى إلى أوْ . وذلك لأنّه قد عُرِف أنّه رغِب فى مجالسة الحسن ، لما لِمُجالسته فى ذلك من الحظّ . وهذه الحالُ موجودةٌ فى مجالسة ابن سيرين أيضاً . فكأنَّه قال: جالسْ هذا الضَّربَ من الناس. وعلى ذلك جرى النَّهىُ فى هذا الطرز من القول فى قوله تعالى : ﴿ولا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أو كَفُوراً [٢]﴾. فكأنَّه والله أعلم قال : لاتطع هذا الضَّربَ من الناس ، ثم إنَّه لما رأى أو فى هذا الموضع قد جرت مجرى الواو تدرَّجَ من ذلك إلى غيره ، فأجراها مجرى الواو فى موضع عارٍ من هذه القرينة التى سوَّغته استعمال أوفى معنى الواو . ألا تراه كيف قال :

فكان سِيّانِ أن لايَسْرَحُوا نَعَماً ... البيت

وسواء وسيَّانِ لايستعمل إلاَّ بالواو . انتهى .

---

(١) ط : « فلما صارت » ، وأثبت مافى ش .

(٢) الآية ٢٤ من الانسان .

وقد أخذ هذا من كلام أبى علىّ (فى التذكرة القصرية) قال : إنَّما جاز أوْ مع سيَّانِ اتّساعاً ، وذلك أنَّهم لما رأوا أنَّ أوْ يُجمع بها ماقبلها ومابعدها كما جمع بالواو وإن كان المعنى مختلفا ، شبّهوهُ بِها فعطفوا بها فى هذا الموضع كما يعطف بالواو . وكذلك العلم بأنَّ هذا الموضع يقتضى اثنين فصاعداً ولا يقُتصر فيه على أحد الاسمين . انتهى

(وسيَّانِ) : مثنَّى سىّ بالكسر بمعنى مثل ، وأصله سِوْى ، لأنَّه من السَّواء والسويَّة ، فقلب وأدغم ، عملاً بالقاعدة. قال ابن يسعون : كان ينبغى أن يقول سِيَّيْنِ ، لأنَّ المعرفة أولى بأن تكون اسم كان ، وكأنَّه كره اجتماع ثلاثِ ياءاتٍ فعدل إلى الألف ، أو قدَّر فى كان ضميرَ الشأن ورفعه على الخبر ، لأنَّ المبتدأ هو قوله أن لايَسرحُوا . انتهى .

وقال أبو على (فى إيضاح الشعر) : إمَّا أن يكون أضمر فى كان الحديث أو الأمر ، فيكون سيَّان خبر الاسمين اللذين هما أن لايسرحوا نعماً أو يسرحوه ، أو يكون جعل سيَّان المبتدأ وإن كان نكرة ، وأدخل كان على قوله سيَّان . والوجه الأَوَّل أشبَه . انتهى .

قال الدمامينى (فى الحاشية الهندية) : ولقائل أن يقول : الإخبار عن المعرفة بالنكرة مغتفر فى الضرورة . على أنَّ ابن مالك قال بجوازه مطلقاً .

وسَرحتِ الإبلُ سَرْحا ،من باب نفع ، وسُروحا أيضا: رعت بنفسها، وسَرَحتها ، يتعدَّى ولا يتعدَّى . وهو هنا متعدٍّ . والنَّعم : المال الراعى ، وهو جمعٌ لا واحدَ له من لفظه ، وأكثر مايقع على الإبل : قال أبو عبيد : النَّعم : الجِمال فقط ، وتؤنَّث وتذكّر (١) ، وجمعه نُعمانٌ كحَمَلٍ وحُملان ،وأنعامٌ

---

(١) ش : « ويؤنث ويذكر » .

أيضا .وقيل النعم : الإبل خاصَّة ، والأنعام :ذوات الخُفّ والظِّلف ، وهى الإبل والبقر والغنم . وقيل تطلق الأنعام على هذه الثلاثة ، فإذا انفردت الإبل فهى نعَمَ ، وإن انفردت البقر والغنم لم تسمَّ نَعَما . كذا فى المصباح . وضمير (بها) قال ابن يسعون : للسنة المجدبة التى دلَّت الحال عليها . ويحتمل أن يريد البقعة التى وصَفها بالجدْب . والباء بمعنى فى .واغبَرَّت ، اسودَّت فى عين من يراها ، أو كثُر فيها الغبار لعدم الأمطار . وروى بدله : « وابيضَّت » . والسُّوح : جمع ساحة ، وهى فَضاءٌ يكون بين دُور الحىّ . والواو فى اغبرَّت للحال .

٣٤٤

قال ابن الشجرى(فى أماليه): وصف سنةً ذاتَ جدب ، فرغْىُ النَّعم وتركُ رعيها سواءٌ . قال أبو على (فى إيضاح الشعر): زعم أبو عمرٍو أنَّ الأصمعىَّ أنشدهم هذا البيتَ لرجل من هذيل . وجميع النحويِّين رووا هذا البيت كذا . وقد رأيتُه ملفَّقا من بيتين فى قصيدةٍ لأبى ذؤيب الهذلىّ ، وهما : صاحب الشاهد

(وقال راعيهمُ : سيَّانِ سَيرُكمُ وأن تقيموا به واغبَرَّتِ السُّوحُ
وكان مِثلينِ أن لايَسْرَحُوا نَعماً حيث استردت مَواشيهمْ وتَسريحُ)

وعلى هذا لا شاهدَ فيه .

والقصيدة مرثيَةٌ رثى بها أبو ذؤيبٍ صديقاً له قُتل فى وقْعة . وهذه أبياتٌ منها من المطلع :

(نامَ الخلىُّ وبتُّ اللَّيلَ مشتجراً كأنَّ عينىَ فيها الصابُ مذبوحُ
لمَّا ذكرت أخا العُمْقَى تأوَّبنى هَمِّى وأفرد ظهرِى الأغلبُ الشِّيحُ
المانح الأُدمَ كالمَرْوِ الصِّلاب إذا ماحارَد الخُورُ واجتُثَّ المجاليحُ
وزَفَّت الشَّوْلُ من برد العشىِّ كما زَفَّ النَّعامُ إلى حَفَّانِه الرُّوحُ

وقال ماشيهم سِيَّانِ سيركم .... البيتين

واعصَوْصبَتْ بَكَراً من حَرجِفٍ ولها وَسْطَ الدِّيار رزِيّاتٌ مَرازيحُ

أمَّا أُولاتُ الذُّرى منها فعاصبةٌ تجول بين مَناقيها الأقاديحُ (١)

لا يُكرمون كريماتِ المَخَاضِ وأنْـ ـسَاهمْ عقائلَهَا جُوعٌ وترزيحُ)

قوله : « نام الخلىّ » إلخ قال السكرى فى شرح أشعار هذيل : الخلىّ : الذى لاهمَّ له . والمشتجر :الذى قد وَضَع حنكَه على يده أو فَمَه عند الهمّ . والصاب :نبتٌ إذا شُقَّ يخرج من ورقه كاللَّبَن ، يُحرق العين. ومذبوح : مشقوق. وذبحه : شقّه .

وقوله : « لما ذكرت أخا العمقى » إلخ العُمْقَى بضم العين المهملة وكسرها وبالقصر : أرض قُتل بها هذا الرجلُ المرثىُّ . وتأوَّبنى : أتانى ليلاً . و « أفرد ظهرى » أى كان يمنع ظهرى من العدوّ . والأغلب : الأسد الغليظ الرقَبة . يقال رجلٌ شيحٌ ومُشِيحٌ ، إذا كان جلداً . يقول : خلّانى للأعداء .

وقوله : « المانح الأدم » إلخ ماأوردناه من الأبيات ، أورده أبو حنيفة الدِّينورى (فى كتاب النبات) وقال : ومماً وصُف به المحْلُ قول أبى ذؤيبٍ ومدحَ رجلاً ببذلِ ماله فيه (٢) .

قال السكرىّ : المانح هو أنْ يدفع الأُدْمَ كالعاريَّة يشرب لبنَها سَنة . كالمرو : فى صلابتها . والمرو : الحجارة البيض . والخُور : الغِزار الرِّقاق وليست بسِمَان . وحارَد : ذهبَ ألبانها ؛ وهى من المحارَدة . والمجاليح : اللواتى يَدْرُرْنَ فى القُرّ والجهد ، والواحدة مُجالِح .

---

(١) ط : « ألات الذريح » ، صوابه فى ش وديوان الهذليين .

(٢) ش : « ببذله ماله فيه » .

وقال الدينوريّ : المحاردة : انقطاع اللبن . والمجاليح : الصُّبُرُ من النّوق على الجدب الباقيةُ الألبانِ ، الواحدة مُجالحة . فاجتُثَّت لتدرَّ ولا دَرَّ بها . ٣٤٥

وقوله : « وزَفَّت الشَّولِ » إلخ الزَّفيف : مشىٌ سريع فى تقارُب الخَطْو . والشَّول : التى شالت ألبانُها وخَفّت بطونُها من أولادها وأَتى على نتاجها سبعةُ أشهر أو ثمانية .والحَفّان ، بفتح المهملة وتشديد الفاء : صغار النَّعام . والرُّوحُ : نعت النعام وهو جمع أروَحَ ورَوحاء ، وصفٌ من الرَّوَح بفتحتين ،وهو سعةٌ فى الرِّجلين . والأَرْوَحُ تتباعد [1] صدورُ قدمَيه وتتدانى عَقباه . يقول : زَفَّت الشَّوْل إلى أن تأتى مَكاناً تستتر فيه . وإنَّما خصَّ الشَّوْل لقلَّة صبرها على البرد ، لخِفَّةِ بُطونها .

وقوله : « وقال راعيهمُ سيَّانِ » إلخ ، روى السكرى : « وقال ماشيهمُ » أيضا . وقال : يريد اغبرَّت ساحاتُ ماحولهم من الجَدْب . وماشِيهم ، يريد ماشىَ الحىِّ ، والمُمْشِى : صاحبها . قال الباهلى : زعموا أنَّ ماشيهمَ فى معنى مُمْشيهم ، أى صاحب الماشية . يقال : أمشى الرجُل .أى سواءٌ سيركم إن سرتم وإن أقمتم فأنتم فى جدب . وروى الدينورى : « وقال رائدُهم سيَّانِ سيركم» إلخ .

وقوله : « وكان مثلين » إلخ هذا على القياس بنصب مثلين ، قال السكّرىّ : أراد : أن لايسرحوا وتَسْرِيحهم [2] سواء . ومعنى أن لايَسْرَحوا أن لايَرْعَوْا . واستزادت مواشيهم ، أى ترود وتطلب المرعى ، أى فهو جدب رعَوْا أم لم يرعَوْا .

---

(١) ط : « يتباعد » .

(٢) ش : « وتسريح » . وفى شرح السكرى ١٢٢ : « أراد : كان تسريحهم وتركهم سواء » .

وقوله : « واعصوصبت بَكراً » إلخ قال **الدينورى** : اعصوصبت : اجتمعت من البرد يتقّى بعضُها ببعض . والبَكَر ، **بفتحتين** : جمع بَكْرة ، وهى الناقة الشابّة . والحرجف ، بتقديم المهملة المفتوحة على الجيم : الريح الباردة اليابسة . والرذيَّة : الهزيلة الساقطة ، وكذلك المرازيح ، وهى التى رزحت فلا حَرَاك لها . ولم يقل السكّرىُّ فى هذا البيت شيئاً .

وقوله : « أمّا أُولاتُ الذُّرى » إلخ ، قال السكرى : أولات الذرى : ذوات الأسنمة . «فعاصبة» أى قد عَصَبَت واستدارت لاتبرح . والأقاديح: جمع قِداح ،أى تجول القداحُ بين مناقيها ، وهو أن يُضرَب عليها بالقداح . يقول : يختار مُنْقياتها ، أى سمانها ، للعقْر .

وقوله :« لايكرمون كريمات » إلخ قال السكرى :يقول :ينحرون كريماتِ المَخَاض ، وهى الحوامل ، فهى أنفسُ عندهم إذا نحروها . وعقائلها : كرائمها . أى أنساهم الجوع والترزيح ،وهى الرازح [١] التى قد قامت من الهزال وسقطت .

وترجمة أبى ذؤيب الهذلى تقدمت فى الشاهد السابع والستين [٢] .

وهو شاعر إسلامىّ .

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد السادس والخمسون بعد الثلثمائة [٣]:

٣٥٦ (باتَ يُعَشِّيها بعَضْبٍ باترٍ   يَقصِدُ فى أسوُقِها وجائرِ [٤])

---

(١) ط : « الرزاح » صوابه فى ش وشرح السكرى .

(٢) الخزانة ١ : ٤٢٢ .

(٣) أمالى ابن الشجرى ٢ : ١٦٧ والعينى ٤ : ١٧٤ والأشمونى ٣ : ١٢٠ .

(٤) أسوُقها وردت بالواو فى جميع المواضع هنا فى ط، لكنها فى ش مهموزة فى جميع المواضع.وهما لغتان.

على أنَّ (جائر) معطوفٌ على يقصد ، لكونه بمعنى الفعل ؛ أى يقصد ويَجُور .

وأورده الفراء والزَّجاج (فى تفسيرهما) عند قوله تعالى :﴿ ويُكلِّمُ النَّاسَ فى المَهْدِ [١] ﴾على أنَّ جملة يكلّم معطوفةٌ على وَجيهاً . قال الزَّجاج : وجائزٌ أن يعطف بلفظ يفعل على فاعلٌ لمضارعة يفعل فاعلاً ، أى قاصدٌ فى أسوُقها وجائر.

وأورده الفراء فى سورة الأنبياء أيضا ، عند قوله تعالى : ﴿لاهِيَةً قُلوبُهُم [٢] ﴾.

وكذلكِ استشهد به أبو على (فى إيضاح الشعر) وابن الشجَرىّ (فى أماليه) ؛ ولم ينسبه أحدٌ منهم إلى قائله . ولم أر له تتمة .

وهو بيتان من الرجز المسدّس .

٣٤٦ وقوله : (بات يعشّيها) إلخ بات من أخوات كان ، اسمها مستتر فيها ؛ وجملة يعشّيها فى موضع نصب على أنَّها الخبر ؛ أى يطعمها العَشَاء بالفتح ؛ وهو الطعام الذى يؤكل وقتَ العِشاء بالكسر .

ورأيت فى أمالى ابن الشجرى فى نسخة صحيحة قد صحَّحها أبو اليُمْن الكندىّ وغيرُهُ ، وعليها خطوطُ العلماء : « بات يُغشّيها » بالغين المعجمة ، من الغشاء كالغطاءِ ، بكسر أولهما وزناً ومعنىً ، أى يشملُها ويعمُّها . وضمير المؤنث للإبل وهو فى وصف كريم بادرَ يعقِرُ إبلَهُ لضيوفه .

وزعَم العينى أنَّ الضمير للمرأة التى عاقبها زوجُها بالسَّيف . ولايخفى أنَّ هذا غير مناسب لسياق الكلام .

---

(١) آل عمران ٤٦ .

(٢) الأنبياء ٣ .

ورواه الفراء (فى تفسيرِهِ) : « بتُّ أعشِّيها » بالتكلُّم [١].

و (العَضْب) بفتح العين المهملة وسكون الضاد المعجمة : السَّيف ، وهو فى الأصل صفة بمعنى قاطع ، عَضَبه بمعنى قطعه ، والباء متعلِّقة بيعشِّيها ، وهذا من باب : عتابُه السَّيف ، وتحيَّتُه الضَّرب . (وباتر) صفةٌ أُولى لِعَضْبٍ ، وجملة يقصد صفة ثانية له ، و (جائر) صفة ثالثة ، وهو بمعنى قاطع ، من بتره بتراً من باب قتل ، إذا قطعه على غير تَمام . و (يقصِد) : مضارع قصدَ فى الأمر من باب ضرب ، أى توسَّط ولم يجاوز الحدَّ . وفى متعلقه بيقصد . وأسؤق : جمع قلّة لساقٍ ، وهى مابين الرُّكبة والقدم . وجائر مِنْ جار فى حكمه ، إذا ظلم .

فإن قلت : عَقْره الإبلَ إمّا قصدٌ وإمّا جَور فكيف وصف بهما ؟ قلت : هو على التوزيع ، أى يقصد فى أسؤق إبل تستحقُّ العقر كالنِّيب ، ويجور فى أسؤق إبلٍ لاتستحقُّ العقر كالحوامِلِ وذواتِ الفصال .

وجائرٌ فى الحقيقة معطوف على جملة يقصد الواقعة صفةً ثانية لعَضْب ، كقول راجز آخر :

* أمٍّ صبيٍّ قد حبا ودَارِجِ [٢] *

وفاعله ضمير العضب .

وزعم العينى أنَّ الضمير عائد على ماعاد عليه ضميرُ بات ،وأنَّ الجملة حال.وهذ فاسدٌ؛لأنّه لو كان كما زعمَ لنصب جائر،لأنَّه معطوف عليه.ولاجائز

---

(١) معانى القرآن ١ : ٢١٣ . ولم يرد هذا الشطر فى تفسير سورة الأنبياء .

(٢) مجهول القائل . وانظر أمالى ابن الشجرى ٢ : ١٦٧ والتصريح ١ : ١٤٢ ، ٢ : ١٥٢ والأشمونى ٣ : ١٢٠ .

أن يكون منصوباً أو مرفوعاً ؛ لأن الشِّعر من الرجز الذى يجب [١] توافُق قوافيه .
ويدلُّ لما قلنا رواية الفراء :

بِتُّ أعشِّيها بعَضب باتِرِ يَقصِدُ فى أسؤقها وجائرِ

والقافيتان مضبوطتان بضبط القلم بالجر فى نسخٍ صحيحةٍ مقروءة ، وعليها خُطُوطُ العلماء ، منها (تفسيرُ الفراءِ والزجاج) ،ومنها (إيضاح الشِّعر) بخط ابن جنِّى ، ومنها (أمالى ابن الشجرى) كما ذكرنا .

ولو رفع باتر على أنّه نعت مقطوع من النكرة غيرِ المخصَّصة لرفَعَ جائر . وفيه مالايخفى . وكذلك لايجوز أن يكون جملة يقصد خبراً ثانيا لبات أو بدلاً من يعشِّيها ؛ لما ذكرنا .

ولم يذكر الشارحُ المحقِّق شرطَ عطفِ الاسم على الفعل مضارعا أو ماضياً وعكسِه .وقد بيَّنه ابنُ الشجرى (فى أماليه) فى فصلٍ عَقَدهُ له ، فلا بأس بإيراده ؛ قال: عطفُ اسم الفاعل على يفعل ، وعطفُ يفعل على اسمِ الفاعل جائزٌ ، لمَا بينهما من المضارعة التي استحقَّ بها يفعل الإعرابَ واستحقَّ بها اسمُ الفاعل الإعمال ، وذلك جَرَيانُ اسم الفاعل على يفعل . ونَقْلُ يفعل من الشَّيَاع إلى الخصوص بالحرف المخصِّص كنقل الاسم من التنكير إلى التعريف بالحرف المعرِّف ، فلذلك جاز عطفُ كلِّ واحدٍ منهما على صاحِبه ، وذلك إذا جاز وقوعُه فى موضعه،كقولك: زيد يتحدَّث وضاحك،وزيد ضاحكٌ ويتحدَّث، لأنَّ كلّ واحدٍ منهما يقع خبراً للمبتدأ . وكذلك مررت برجل ضاحكٍ ويتحدَّثُ ، وبرجل يتحدَّث وضاحك ؛ لأنَّ يفعل مما يُوصف به النكرات.فمِن عطف الاسم على الفعل قولُ الرَّاجز : ٣٤٧

بات يغشِّيها بعَضبٍ باترِ يقصد فى أسؤقها وجائرِ

فإن قلت:سيتحدث زيد وضاحك لم يجز،لأنَّ ضاحكا لايقع موقع يتحدَّث،

---

(١) ش : « تجب » تحريف .

من حيث لايلى الاسم السين . وكذلك : مررت بجالس ويتحدَّث لايجوز ، لأنَّ حرف الجر لايليه الفِعل .

فإن عطفت اسم الفاعل على فعلٍ لم يجز ؛ لأنه لا مضارعة بينهما .

فإن قرَّبت فعلَ إلى الحال بقد جاز عطفُ اسم الفاعل عليه ؛ كقول الراجز :

* أمٌّ صبِىٌّ قد حبا ودارِج *

فإن كان اسم الفاعل ؛ بمعنى فَعَل جاز عطف الماضى عليه ؛ كقوله تعالى : ﴿إنَّ المصَّدِّقين والمصَّدِّقات وأقرَضُوا الله (١)﴾ ،لأنَّ التقدير إن الذين تصدَّقوا واللاتى تصدَّقْن .

* * *

وأنشد بعده ؛ وهو الشاهد السابع والخمسون بعد الثلثمائة (٢):

٣٥٧ (وعَضُّ زمانٍ ياابنَ مَروانَ لم يَدَعْ　　من المال إلاَّ مُسْحَتاً أو مجلَّفُ)

على أنّه تجوز المخالفة فى الإعراب إذا عُرف المراد كما هنا ، فإنَّ قوله مجلَّف معطوف على قوله مُسْحتاً ، وهما متخالفان نصباً ورفعا .

قال أبو بكر محمد بن عبد الملك التاريخى (فى تاريخ النحاة) فى ترجمة عبد الله بن أبى إسحاق النحوىّ الحضرمّى : قال ابن سلّام:وحدثنا يونس قال ابن أبى إسحاق فى بيت الفرزدق إلّا مسْحَتاً أو مجلَّف ،قال:للرفع وجهٌ.وكان أبو عمرو ويونس لايعرفان للرفع وجهاً.قلتُ ليونس:لعلَّ الفرزدق

(١) الآية ١٨ من الحديد .

(٢) ابن سلام ١٩ والجمل ٢١٣ والخصائص ١ : ١٩٩ والمحتسب ١ : ١٨٠ / ٢ : ٣٦٥ والإنصاف ١٨٨ وابن يعيش ١ : ٣١ / ١٠ : ١٣ واللسان (جلف) وديوان الفرزدق ٥٥٦ .

قالها على النصب ولم يأبَهْ للقافية . قال : لا ، كان ينشدها على الرفع ، وأنشدنيها رؤبة على الرفع . انتهى .

وهذا البيت صعبُ الإعراب . قال الزمخشريُّ : هذا بيتٌ لاتزال الرُّكَبُ تصطكُّ فى تسوية إعرابه . وقال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : رفع الفرزدق آخر البيت ضرورة [١] ، وأتعب أهلَ الإعرابِ فى طلب الحيلة ، فقالوا وأكثرُوا ولم يأتوا فيهِ بشيء يُرتَضى . ومن ذا يخفى عليه من أهل النّظر أنَّ كلَّ ماأتوْا به احتيالٌ وتمويه . وقد سأل بعضُهم الفرزدقَ عن رفعه هذا البيت فشتمه وقال : علىّ أن أقول وعليكم أن تحتَجُّوا . انتهى .

وقال الفراء(فى تفسيره [٢]):حدثنى أبو جعفر الرّؤاسى،عن أبى عمرو بن العلاء قال:مرَّ الفرزدقُ بعبد الله بن أبى إسحاق النحوى فأنشده هذه القصيدة:

* عزفتَ بأعشاش وماكدتَ تعزف [٣] *

حتى انتهى إلى هذا البيت ، فقال عبد الله : علام رفعت مجلَّف ؟ فقال له الفرزدق : على مايسوءُك .

وفى (تذكرة أبى حيان) من النهاية قال عبدُ الله بن أبى إسحاق للفرزدق : بم رفعتَ أو مجلف ؟ فقال : بما يسوءُك وينوءك ، علينا أن نقول وعليكم أن تتأولوا . ثم قال الفرزدقَ :

فلو كان عبدُ اللهِ مولًى هجوتُه ولكـنَّ عبـدَ الله مولى مواليـاَ

فقال له عبد الله : أردتَ أن تهجوَنى فلحَنتَ أيضا . والفرزدق مشغوفٌ فى شعره بالإعراب المشكل المحوجِ إلى التقديرات العَسِرة ، بالتقديم والتأخير

(١) وكذا فى الشعراء ٣٥ . وفى ش : « رفع الفرزدق آخره ضرورة » .

(٢) معانى القرآن ٢ : ١٨٢ فى الآية ٦١ من سورة طه .

(٣) فى النسختين : « بأعياش » ، صوابه من الفراء ومعجم البلدان وديوان الفرزدق ٥٥١ .

المخِلّ بالمعانى . وسمعت شيخَنا يقول : أنّى لأعجب من إبراهيم بن هشام المخزومى حين فهِمَ قولَ الفرزدق :

٣٤٨ ومامثلهُ فى الناس إلاّ مملَّكا أبو أمِّه حىٌّ أبوه يُقارِبُه

وقال أبو محمد بن الخشاب (فى كتابه الموضوع لجوابه المسائلَ الستَّ الإسكندرية): إنَّ أبا حاتم السجستانى قال: ليس الفرزدقُ أهلاً لأن يُستشهَد بشعره على كتاب الله ، لما فيه من التَّعجرف . وقال ابن الخشاب أيضاً :لم يجرِ فى سَنَن الفرزدق ، من تعجرُفه فى شعره بالتقديم والتأخير المخلّ بمعانيه ، والتقدير المشكل ، إلاّ المتنبىٌّ ، ولذلك مال إليه أبو علىّ وابن جنِّى ، لأنَّه مما يوافق صناعتَهما . ولاينفع المتَنبىِّ شهادة أبى على له بالشعر ، لأنَّ أبا علىّ معربٌ لا نقَّاد ، وإنّما تنفعُه شهادةُ مثل العسكريَّين وأبى القاسم الآمدى ، فإنَّهم أئمةٌ يُقتدَى بهم فى نقد الإعراب .انتهى ماأورده أبو حيان .

وقد تكلَّفَ له العلماءُ عدَّة توجيهاتٍ ذكر الشارح المحقق منها ثلاثة أوجه ، والثلاثة مبنيَّة على رواية (لم يَدَع) بفتح الدال وعلى رواية نصب مُسحَت .

أمّا (الأوّل) فهو للخليل بن أحمد ، وقال: هو على المعنى ، كأنَّه قال :لم يبق من المال إلاّ مُسحَت ، لأنَّ معنى لم يبقَ ولم يَدَع واحد ، واحتاج إلى الرفع فحمله على شيءٍ فى معناه . قال أبو على (فى إيضاح الشعر) : نصب مُسحَت بيدع بمعنى الترك ، وحمل مجلَّف بعده على المعنى ، لأنَّ معنى لم يدع من المال إلاّ مسحتا ، تقديره : ولم يبق من المال إلاّ مسحتٌ ، فحمل مجلّف بعده على ذلك . ومثل ذلك فى الحمل عَلَى المعنى من أبيات الكتابِ قوله :

بادت وغيَّرَ آيهنَّ مع البلَى إلاّ رواكدَ جَمرهُنَّ هباءُ[١]
ومُشجَّجٌ أمَّا سواءُ قذالِه فَبَدا وغيَّر سارَه المعْزاءُ

لأنَّ معنى بادت إلا رواكد ، معناه:بها رواكد ، فحمل مشجَّجا عَلَى ذلك ، فكذلك قوله لم يدع من المال إلاّ مسحتا معناه:بقى مُسحَت . قال أبو عمرو : هذا قولُ الخليل ، وليس البيت فى الكتاب [٢] ، فلا أُدرى أسمعه عنه أم قاسه . انتهى .

ومحصله أنَّ مجلفًا مرفوع بفعل محذوف دلَّ عليه لم يدع.وإليه ذهب ابن جنى (فى المحتسب فى سورة والضحى)،قال:إنه لما قال لم يدع من المال إلاّ مسحتا دل على أنه قد بقى،فأضمر مايدل عليه[٣]،فكأنه قال:وبقى مجلف.

وأما (الثانى) فهو لثعلب ، قال (فى أماليه) [٤] نصب مُسْحَت بوقوع يدع عليه وقد وليه الفعلُ ولم يل مجلفا ، فاستؤنف به فرفع ، والتقدير : هو مجلف . انتهى .

وقول الشارح المحقق إنَّ أو فى هذا الوجه للإضراب بمعنى بل ، لايناسب المعنى ، وإنما يناسب لو كان مسحتا بعد أو ، فهى هنا لعطف جملة على مفرد ، ومعناها أحد الشيئين .

وأما (الثالث) فهو لأبى على الفارسى (فى التذكرة) قال : مجلَّف معطوف عَلَى عضّ ، وهو مصدر جاء على صيغة المفعول ، قال تعالى : ﴿ ومزَّقْناهُمْ كلَّ ممزَّقٍ [٥] ﴾ كأنَّه قال : وعض زمان أو تجليف .

---

(١) من شواهد سيبويه فى كتاب ١ : ٨٨ .
(٢) يعنى البيت الشاهد .
(٣) فى المحتسب ٢ : ٣٦٥ : « فأضمر مايدل عليه القول » .
(٤) هذا من المواضع المستدركة على مجالس ثعلب . وقد أثبته فى ذيل المجالس .
(٥) الآية ١٩ من سورة سبأ .

وبقى غير ماذكره الشارح توجيهُ الفراء ، قال : إنَّ مجلفاً مرفوع بالابتداء ، وخبره محذوف ، كأنه قال : أو مجلف كذلك . ونسبَهُ إليه ابنُ السِّيد (فى شرح أبيات الجمل) ، وكذلك نسبه إليه على بن حمزة البصرى (فى كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة) ونصُّه : قال الفراء : ومن روى مسحتا أراد لم يدع فيه عضُّ الزمان إلا مسحتاً أو مُجلَّفٌ بقى ، فرفعه عَلَى هذا الإضمار . قال الكسائى : هذا كما تقول : ضربت زيداً وعمروٌ ، كأنّه يرفعه بفعل مضمر ، أى وعمروٌ مضروب ، أوْ وعمرو كذلك . انتهى . ٣٤٩

وقد ذهب إلى هذا ابن الأنبارىّ أيضاً (فى مسائل الخلاف) ، قال ابن السِّيد (فى شرح أبيات المعانى) : فيكون هذا من عطف جملة اسمية على جملة فعلية ، كما تقول : رأيت زيداً وعمرو مرَّ بى أيضا .

وبقى أيضاً توجيه الكسائى ، وهو أنَّ مجلفا معطوف على الضمير المستتر فى مُسحَت . قال ابن السيد (فى شرح أبيات الجمل) : حكى هشامٌ هذا التوجيه عن الكسائى .

هذا ماطلعتُ عليه من توجيه هذه الرواية ، وهى الرِّواية المشهورة . وقد أوردها صاحب الكشاف فى سورة طَه .

وفيه روايات أخر :

إحداها : « إلاّ مسحتٌ أو مجلَّف » برفعهما . قال علىّ بن حمزة (فى كتاب التنبيهات) : رواه أبو جعفر بن حبيب (فى كتاب النقائض) برفع الاسمين . قال ابن الأعرابى والفراء : حروف الاستثناء تجىء بمعنى قليل من

---

(١) ط : « أو مجلفا » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « أو عمرو كذلك » وأثبت مافى ش .

كثير ، فجعل إلاَّ معلَّقة بأن يكون ، فأضمرها ونواها ، ورفع مُسْحَت عَلَى هذا المعنى . أراد إلا أن يكون مسحت أو مجلف ، فرفعه بيكون المضمرة ، وإلاّ تدلُّ عَلَى تعلُّقها بأن يكون كقولك : ماأتانى أحدٌ إلا زيد ، وإلاَّ أن يكون زيد . ومثلهُ لشبيب بن البرصاء :

ولا خير فى العِيدان إلاَّ صلابُها
ولا ناهضاتِ الطير إلا صقورُها

أراد : ولاخير فى العيدان إلا أن يكون صلابها ،وإلا أن يكون صقورها . انتهى .

وهذا التوجيه مردود ، فإنَّ الموصول لايحذف مع بعض الصلة ويبقى بعضها .

والصواب توجيه صاحب (الكشاف) فإنه استشهد به عَلَى قراءة أُبىّ والأعمش : ﴿فشرِبُوا منه إلا قليل [1]﴾ بالرفع مع كونه استثناء من كلام موجب حملاً له عَلَى المعنى ، فإنَّ قوله فشربوا منه فى معنى فلم يطيعوه إلا قليل ، فرفعه كرفع الشاعر مسحتا ومجلفا مع كونه استثناء مفرَّغا فى موقع المفعول به ، لأنه فى المعنى واقعٌ موقع الفاعل ، لأنَّ لم يدع فى معنى لم يَبْقَ .

والأحسن ماذهب إليه الطوسىُّ ، نقله عنه صاحب (التنبيهات) قال : أراد لم يَدَعْ من الدعة .

ونقل ابن الأنبارى أيضاً (فى شرح المفضليات) عن أبى عمرو أنه قال : لم يَدَعْ من الدَّعة والسكون ، يقال رجل وادع إذا كان ساكنا ، فيكون عَلَى هذا مسحت فاعل ليَدَع .

وثانى الروايات الأخر رواية خالد بن كلثوم وهى :

(١) الآية ٢٤٩ من البقرة .

وعضٌّ زمان ياابن مروانِ مابه من المال إلا مسحَتٌ أو مجلَّفُ

برفع الاسمين أيضاً ، حكاه عنه على بن حمزة صاحب التنبيهات .

وقال الفراء (فى تفسيره) : قيل لى إن بعض الرواة يقول : « مابه من المال إلاّ مسحَتٌ أو مجلف » فقلت : ليس هذا بشىء . انتهى .

وعندى أنَّ هذه أحسنُ الروايات وأصحُّها .

وثالث الروايات الأُخر : « لم يَدِع من المال إلا مُسْحَت » بكسر دال يَدِع ورفع الاسمين أيضاً ، وقد نسبها صاحب (التنبيهات) إلى أبى عبيدة ، وابنُ الأنبارى (فى شرح المفضليات) إلى عيسى بن عمر ، عند قول سويد بن أبى كاهل اليشكرىّ من قصيدة :

أرَّقَ العينَ خيالٌ لم يَدِعْ من سُلَيمى ففؤادى مُنتزَعْ [1]

قال : يدِع بمعنى يَقَرّ ويمكُث . وإليه ذهب ابن جنى فى باب الاطِّراد والشُّذوذ (من الخصائص) قال فيه : ومن ذلك امتناعُك من وَذر وودَع لأنهم لم يقولوها . فأما قولُ أبى الأسْوَد : ٣٥٠

ليت شِعرى مِنْ خليلى ماالذى

غالَهُ فى الحبِّ حتَّى ودَعَهْ

فشاذٌّ،وكذلك قراءة بعضهم:﴿ماودَعَك ربُّك وماقَلَى﴾ .فأمَّا قولهم ودَعَ الشىءُ يدِعُ ، إذا سكن فاتَّدع،فمسموع متَّبع،وعليه بيت الفرزدق،فمعنى لم يَدِع بكسر الدال،أى لم يتَّدِع ولم يثبُت.والجملة بعدَ زمانٌ فى موضع جر لكونها صِفة له ، والعائد منها إليه محذوف للعلم بموضعه ، وتقديره لم يَدِع فيه أو لأجله من المال إلا مُسحَت أو مجلّف ، فيرتفع به مسحت ، ومجلف

---

(١) المفضليات ١٩٥ .

عطف عليه . وهذا أمرٌ ظاهر ليس فيه من الاعتذار والاعتلال مافى الرواية الأخرى . ويحكى عن معاوية رضى الله عنه أنه قال : خير المجالس ماسافر إليه البصر ، واتَّدَعَ فيه البدن . انتهى .

وقال فى سورة الضحى (من المحتسب) : قرأ : ﴿ماوَدَعَكَ﴾ [1] خفيفة النبىُّ ﷺ وعروة بن الزبير . وهذه قليلة الاستعمال . قال سيبويه : استغنوا عن وذر ووَدَعَ بقولهم ترك . عَلَى أنها قد جاءت فى شعر أبى الأسود . وأما لم يدِع فى بيت الفرزدق بكسر الدال فهو من الاتِّداع ، كقولك : قد استراح ووَدِع ، فهو وادعٌ من تعبه . والمسْحَت عَلَى هذه الرواية مرفوعٌ بفعله ، ومجلف معطوف عليه . وهذا ما لا نظر فيه لوضوحه .

ورابع الروايات الأخر : « لم يُدَعْ » بضم الياء وفتح الدال ، مع رفع الاسمين أيضاً ، ذكرها ابن جنى (فى المحتسب) ونقلها عنه ابن السِّيد واللخمى (فى شرح أبيات الجمل) ، ولم ينسبها أحدُهم إلى راوٍ .

قال ابن جنى : وأما رواية «يُدَعْ» بضم الياء وفتح الدال فقياسه يُودَع ، كقوله تعالى:﴿لم يَلِدْ ولم يُولَد﴾ومثلهُ يُوضَع ،والحديد يُوقَع ،أى يُطرَق ، من قولهم وَقعت الحديدةَ ، أى طرقتها . قالوا : إلاّ أنَّ هذا الحرف كأنّه لكثرة استعماله جاءَ شاذا فحذفت واوه تخفيفاً فقيل لم يُدَع أى لم يترك . والمسحَت والمجلف جميعاً مرفوعان أيضاً كما يجب . انتهى .

وهذا ماوقفت عليه من روايات هذا البيت . والله أعلم .

وقوله : (وعَضُّ زمان) هو مرفوع بالعطف على (همومُ المنى) فى بيت قبله ، وهو :

---

(١) الآية ٣ من سورة الضحى .

(إليكَ أميرَ المؤمنين رمَتْ بنا
همومُ المَنى والهَوْجلُ المتعسِّفُ)

أراد : ياأمير المؤمنين . و(ابن مَرْوان) : عبد الملك بن مروان . شكا إليه مافعل به الزمان من تفريق أمواله وتغيير أحواله . والهَوجل : الفلاة التى لاأعلام فيها يُهتدَى بها . والمتعسِّف : التى يُسار فيها بلا دليل . وعَضُّ الزمان : شِدَّته . قال اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) : قال الخليل بن أحمد : العضُّ كله بالضاد،إلا عَظَّ الزمانِ والحَرْب . وقال ابن سِراج [1] : العَظُّ المجازىُّ بالظاء والحقيقى بالضاد . وهذا كقول الخليل . وقيل إنّ العضَّ كله بالضاد مجازيا كان أو حقيقياً. انتهى .

و (المجلَّف) بالجيم : الذى ذهب معظمه وبقى منه شىء يسير . و(المُسْحَت) : المستأصَل الذى لم يبق منهُ بقية . قال الفراء فى سورة طه ، فى قوله تعالى :﴿ فيُسحِتَكم [2] ﴾: سَحَتَ أكثرُ ، وهو الاستئصال . والعرب تقول : سَحَتَ ،أُسْحَتَ بمعنى واحد . وأنشد هذا البيت .

وقال مثلَه الزجاجُ فى سورة المائدة ، وأنشد البيت أيضاً .

وقال صاحب الصحاح : مالٌ مسحوت ومُسْحَت أى مُذهَب . وأنشدَ هذا البيت أيضاً ، ومنه أخذ الشارح .

٣٥١ ومثل هذا البيتِ ماأورده أبو عبد الله محمد بن الحسين اليمنى تلميذُ ابن ولّاد (فى طبقات النحويين)فى ترجمة أبى الفَضْل الرِّياشى،بسنده عن أبى الفضل قال: وقع رجُلٌ بأمَةٍ لرجل فولدت،فحلف سيِّدُها أن لايُعتِقَه،فقال الذى وقَع فى الجارية:

---

(١) ابن سراج ، بكسر السين وتخفيف الراء ، هو عبد الملك بن سراج امام أهل قرطبة ، وهو ممن درس جمهرة ابن دريد واستظهرها . توفى سنة ٤٨٩ . س : « ابن السراج » .

(٢) الآية ١١ من سورة طه .

تَحلّلْ جزاكَ اللهُ خيراً أمَا ترى تَخاذُلَ إخوانى وقِلّةَ ماليا
وعضُّ زمانٍ لم تَدَعْ جَفَواتُه من المال، إلا جِلّة وعَنَاصيا
تألَّ على مافى يديك كأنَّما رأيتَ ابن ذى الجَدَّينَ عِندكَ عانيا[1]

انتهى التحليل فى اليمين : أن يحلف ثم يستثنىَ استثناء متَّصلا . والجِلّة بكسر الجيم من الإبل : المَسَانُّ ، وهو جمع جليل ، كصبىّ وصبية . والعَناصى بفتح المهملة ، قال صاحب الصحاح : مابقى من مالِه إلا عَنَاصٍ ، وذلك إذا ذهب مُعظمُه وبقى نَبْذٌ منه . وتألَّ فعلُ أمر ، يقال تألّى على كذا أى أقسمَ عليه . والعانى : الأسير .

صاحب الشاهد

والبيتان من قصيدةٍ طويلة للفرزدق ، تزيد على مائة بيت ؛ ليس فيها مديحٌ غير هذين البيتين ، وماقبلهُما من أوَّل القصيدة نسيب ، ومابعدهما عدَّة أبياتٍ فى كَلال الإبل . وشرَحها الشريفُ المرتضَى قُدِّس سرُّه (فى أماليه غرر الفرائد ودرر القلائد [2]) .

ومابَعدها إلى آخر القصيدة افتخارٌ بآبائه على جرير .

وفيها شاهدٌ يأتى شرحُه مع أبيات منها إن شاء الله تعالى فى باب الفعل[3]. ومضى بيتٌ منها فى باب النعت [4] .

وتقدَّمت ترجمة الفرزدق فى الشاهد الثلاثين [5] .

(١) ط : « ذو الجدين » ، صوابه فى ش . والجد بمعنى الحظ . وذو الجدين هو قيس بن مسعود بن قيس بن خالد الشيبانى ، وهو والد بسطام بن قيس ، وقيل مسعود بن عمرو ، وقيل عمرو بن ربيعة ابن عمرو ، وقيل عبد الله بن عمرو بن الحارث . وانظر تعليل تسميته فى جنى الجنتين ١٥٧ .

(٢) أمالى المرتضى ١ : ٥٨٢ ــ ٥٨٤ .

(٣) هو الشاهد ٦٦٦ فى ٣ : ٦٠٧ بولاق .

(٤) هو الشاهد ٣٣٩ فى هذا الجزء الخامس .

(٥) فى الجزء الأول ص ٢١٧ .

باب التوكيد

أنشد فيه ؛ وهو الشاهد الثامن والخمسون بعد الثلثمائة [١] :

٣٥٨ (أقسَمَ باللهِ أبو حَفْصٍ عُمَرْ)

على أنَّه رُبَّما دلَّ على عطف البيانِ بعضُ متبوعاته مع قلّة الاشتراك ، كأبى حفص وهو المتبوع ، يدلُّ على عطف البيان وهو عُمَر ، كما بيَّنه الشارحُ المحقِّق .

وقد أورده فى باب عطف البيان وشرحَه هناك .

صاحب الشاهد — وهو أوَّلُ رجز قاله أعرابىٌّ لعمر بن الخطاب رضى الله عنه .

قصة الشاهد — وسببه مارواه المحدِّثون عن أبى رافع ، أنَّ اعرابيًّا أتى عمر فقال : ياأمير المؤمنين ، إنَّ أهلى بَعيد ، وإنِّى على ناقةٍ دَبْراءَ ، فاحملنى . فقال عمر كذبتَ ، واللهِ مابها نقبٌ ولا بَرَ ! فانطلق الأعرابىُّ فحلَّ ناقتَه ، ثمَّ استقبل البَطحاء وجعل يقول ، وهو يمشى خلفَ ناقته :

أقسَم باللهِ أبو حَفْصٍ عُمر ما إنْ بها من نَقَبٍ ولادَبَرْ
اغفِرْ له اللهمَّ إن كانَ فجرْ

ويروى : « مامسَّها من نَقَب » . وعمر بن الخطاب رضى الله عنه مقبلٌ من أعلى الوادى ، فجعل إذا قال :

* اغفر له اللهمَّ إنْ كان فجرْ *

قال : اللَّهمَّ صدَق ! حتىَّ التقيا فأخذ بيده فقال:ضَعْ عن راحلتك.

---

(١) المخصص ١ : ١١٣ وابن يعيش ٣ : ٧١ وشذور الذهب ٤٣٥ والعينى ١ : ٣٩٢ / ٤ : ١١٥ والتصريح ١ : ١٢١ ، ١٣١ والأشمونى ١: ١٢٩ ومعاهد التنصيص ١ : ٩٤ .

فوضَع فإذا هي كما قال ، فحمَله على بعير ، وزوَّده وكساه .

ورُوِىَ هذا الأثرُ بألفاظٍ مختلفة .

وهذا المقدارُ من الرجز هو المشهور ، وفى رواية الأصمعىِّ أزيدُ من هذا . قال أبو عبد الله محمد بن الحسين اليمنى (فى طبقات النحويين) فى ترجمة الأصمعى :أخبرَّنا ابن مطرِّف قال : أخبرنا ابن دريد قال : أخبرنا عبد الرحمن عن عمه الأصمعىّ قال : وقف أعرابىٌّ بين يَدىْ عمر بن الخطاب فقال : ياأمير المؤمنين ، أُبدِعَ بى وأدْمَتْ بى راحلتى ، ودبر ظهرُها ونَقِبَ خُفُّها ! فقال له عمر : والله ماأظنُّك أنقَبْتَ ولا أحْفَيْتَ ، فخرج الرجلُ ثم خرج عمر . قال : والرجل يقول : ٣٥٢

أقسم بالله أبو حفص عُمَرْ ... مامَسَّها من نَقَبٍ ولادَبَرْ

حَقاً ولا أجهدَها طولُ السَّفَرْ ... والله لو أبصرتَ نِضوى ياعُمَرْ

ومابها ،عَمْرُكَ ، من سُوء الأثَرْ ... عددتَنى كابن سبيلٍ قد حُضِرْ(١)

فرقَّ له عمرُ وأمر له ببعيرٍ ونفقة . انتهى .

والدَّبْراء ، من دَبِرَ ظهرُ الدابّة من باب فَرِحَ ، إذا جُرِجَ من الرَّحل والقتب . وأدبرت البعير فدَبِرَ (٢) وأدْبَرَ الرجلُ ، إذا دَبِر بعيرُه ، فهو مُدْبِر . والنَّقْباء مِن نَقِبَ البعيرُ من باب فرح أيضاً ، إذا رقَّ خُفُّهُ . وأنقبَ الرجُل ، إذانَقِب بعيرُه . وقوله : فاحمِلْنى ، أى أعطِنى حَمولةً ، وهى بالفتح مايحمِلُ عليه الناسُ من الدوابّ ، كالرَّكوبة .

---

(١) يقال حضر فلان واحتضر ، بالبناء للمجهول فيهما ، إذا دنا موته .

(٢) ط : « تدبرة » ش : « تدبر » ، صوابه من اللسان (دبر ٣٥٩ س ٢) .

وقوله : (أقسم بالله أبو حَفْصٍ عمر) عمر أبو حفص : فاعل أقسَمَ بمعنى حلف ، وهو كنية عمر . واستشهد به ابنُ هشام (فى شرح الألفية) فى جواز تقديم الكُنْية على الاسم .

وقوله : « ماإنْ بها » إنْ زائدة . وقوله « إنْ كان فجر » ، قال ابنُ الأنبارى (فى الزاهر) : الفاجر فى كلام العرب : العادل المائل عن الخير ، وإنَّما قيل للكذّاب فاجر لأنّه مال عن الصدق . وأنشَدَ هذ الشعر .

وقوله : « ضَعْ عن راحلتك » ، أى ارفعْ عنها قَتَبها . وقوله فى رواية الأصمعى « أُبدِعَ بى » بالبناء للمفعول ، أى انقُطِعَ بى لكلال راحلتى ، فكأنَّ راحلته جاءت ببدعة .

وقوله : «ماأظُنُّكَ أُنْقِبْتَ ولا أحفَيْت » كلاهما بالبناء للفاعل [١] ، يقال أحفى الرجلُ إذا حَفِيت دابَّته ، أى رقَّ خفُّها وحافرها من كثرة المشْى . والنِّضو ، بكسر النون وسكون المعجمة : المهزول . وقوله : عَمرُكَ ، مبتدأ وخبره محذوف ، أى قسمى ، والجملة معترضة ؛ وهى بفتح العين .

عبد الله بن كيسبة

وهذا الرجز نسبة ابن حجر (فى الإصابة) إلى عبد الله بن كَيْسَبَة ، بفتح الكاف وسكون المثناة التحتية وفتح المهملة بعدها باء موحَّدة ، النَّهدى . ذكره المرزبانىُّ (فى معجم الشعراء) قال : وكَيْسبة أُمُّه ، ويقال اسمه عَمروٌ . وهو القائل لعمر بن الخطاب واستحملَهَ فلم يحمِلْه :

* أقسم بالله أبو حفصٍ عُمَرْ *

الأبياتَ الثلاثة.وكان نظرَ إلى راحلته لمَّا ذكرَ أنَّها أُعجفت فقال:والله مابها من عِلة!فردَّ عليه،فعلَاه بالدِّرَّة ، وهرب وهو يقول ذلك،فلما سمع

(١) فى النسختين : « للمفعول » ، والصواب ماأثبت .

عمرُ آخر كلامه حَملَه وأعطاه . وله قصةٌ مع أبي موسى فى فتح تُسْتَر . وقيل أنّ كنيته أبو كيسبة ، وإنّ عمر سَمِعَه ينشدُها ، فاستحلفه أنّه ماعرف بمكانه ، فحلف فحمله . انتهى .

وقد ذكره فى قسم المخضرمين الذين أدركوا النبىّ — ﷺ — ولم يَرَوْهُ .

وزعم ابن يعيش (فى شرح المفصل) أنّ الرجز لرؤبة بن العجّاج . وهذا لاأصل له ، فإنّ رؤبة مات فى سنة خمس وأربعين ومائة ، ولم يعدّه أحدٌ من التابعين فضلاً عن المخضرمين [١] . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(فَلَا واللهِ لايُلفَى لِمِا بى ولا لِلِمَا بهِمْ أبداً دواءُ)

على أنّه ضرورة ، حيث أكّد اللّامَ الأولى باللام الثانية بدون ذكرِ مجرورِ الأولى ، والقياس لما لمابى .

٣٥٣

وهذا البيت قد تقدّم شرحهُ مع قصيدته وسببِها مستوفىّ فى الشاهد الرابع والثلاثين بعد المائة [٢] .

* * *

وأنشد بعده :

(وصَالياتٍ كَكَما يُؤَثْفَيْنْ)

لما تقدّم قبله ، ومضى الكلامُ عليه مفصّلا فى الشاهد الخامس والثلاثين بعد المائة [٣] .

* * *

---

(١) وكذا لم يرد الرجز فى ديوانه .

(٢) الخزانة ٢ : ٣٠٨ .

(٣) الخزانة ٢ : ٣١٣ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والخمسون بعد الثلثمائة [١] :

٣٥٩ (فأَينَ إلى أَينَ النَّجاءُ ببغْلَتِى أتاكَ أتاكَ اللاحِقُوكَ احبسِ احبسِ)

على أنّ المستقبل يجوز تكريره بلا فَصْل . والظاهر أَنَّ المراد أنّه من تكرير المفردات لا الجمل ، وهو الظاهر أَيضا من كلام ابن جنّى (فى إعراب الحماسة) قال : أَول البيت توكيد الاستفهام ،وفى الثانى توكيد الخبر ، وفى آخره توكيد الأمر .

وقال ابن الشجرى (فى أماليه) : هذا البيت فيه تكرير ثلاث جمَل ، أراد إلى أين تذهب إلى أَين تذهب ، أَتاك أتاك اللاحقوك [٢] احبس احبس [٣]. وهذا يقوّى ماذهب إليه الكسائىُّ من حذف الفاعل فى باب إعمال الفعلين . أَلا تراه لو أضمر الفاعل ولم يحذفه لقال : أتوك أَتاك اللاحقوك ، أَو أَتاك أَتوك . انتهى

والصحيح أنَّ الثلاثة من توكيد المفردات .

أمّا الأوَّل فأين مجرورة بإلى المحذوفة المدلول عليها بالمذكورة ، وهو خبر مقدَّم ، وإلى أَين توكيده ، والنَّجاء مبتدأً مؤخَّر ، وهو مصدر نجا ينجو نجاء ، إذا أسرعَ وسَبق .

وزعم العينىُّ أنَّ إلى أين هو الخبر ، وأنّ أَين ظرف لمحذوف ، أى أين تذهب . وهذا غنىٌّ عن الرد .

وأمّا الثانى فإنّ اللاحقوك،وهو جمع مذكر سالم،مضاف للكاف وحذفت

---

(١) أمالى ابن الشجرى ١ : ٢٤٣ والعينى ٣ : ٩ والتصريح ١ : ٣١٨ والهمع ٢ : ١١١ : ١٢٥ والأشمونى ٢ : ٩٨ .

(٢) ط : « اللاحقون » ، صوابه فى ش وأمالى ابن الشجرى .

(٣) احبس احبس ، ساقط من ش .

نونه للإضافة فاعل لأتاك الأوّل ، وأتاك الثانى تأكيدٌ له . ولمَّا كان الأوّل متصلا به ضميرُ المفعول اتَّصل بالثانى ليوافق الأوَّل .

وقد اختلف النحويون فى نحو : قام قامَ زيد ، فقيل زيد فاعل الأول فقط ، وأمَّا الثانى فإنَّه يحتاج لفاعل ، لأنّه لم يؤت به للإسناد ، وإنَّما أُتىَ به لمجرد التأكيد . وقيل فاعلهما ، ولا يلزم منه اجتماع العاملين على معمولٍ واحد لأنّ لفظهما ومعناهما واحد ، فكأنَّهما عامل واحد . وقيل فاعلُ أحدهما وفاعل الآخر ضمير محذوف ، على أنّهما تنازعاهُ . وقد ردّه ابن الناظم وابن هشام (فى شرح الألفيَّة) لأنه ليس هذا من مواضع حذف الفاعل ، ولو كان من التنازع لقيل : أتوك أتاكَ ، أوأتاك أتوك .

وأما الثالث فإنّ الأمر الثانىَ توكيدٌ للأمر الأوَّل ، وتوكيد الضمير للضمير بالتبعية ضرورة ، إذْ لايمكن انفكاكه عن الأمر . ويجوز أن يكون توكيداً مقصوداً فيكون من قبيل توكيد الجُمَل .

وزعم العينى أن مفعول احبس تقديره نفسَك . وهذا لايناسب المقام . والظاهر أنَّه بغلتى ؛ لوجود القرينة .

وهذا البيت مع شهرته لم يُعلَم له قائل ولا تتمة . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الستون بعد الثلثمائة :

٣٦٠(لَالَا أبوحُ بحُبِّ بَثْنَةَ إنَّها أخذَتْ علىَّ مواثقاً وعُهودَا[١])

لمَا تقدَّم قبله.وهذا فى الحرف ، وماقبله فى تكرير[٢] الاسم والفعل . ٣٥٤

و(أبوح) : مضارع باح الشىءُ بَوحاً من باب قال،بمعنى ظهر . ويتعدَّى

---

(١) العينى ٤ : ١١٤ والتصريح ٢ : ١٢٩ والهمع ٢ : ١٢٥ والأشمونى ٣ : ٤ وديوان جميل ٧٩ .

(٢) ط : « تكرر » .

بالحرف فيقال باح به صاحبهُ، وبالهمزة أيضا فيقال أباحه .(بَثنة) بفتح الموحَّدة وسكون المثلثة بعدها نون :اسم محبوبة جميل بن مَعْمر العُذرىّ، والمشهور (بثينة)بالتصغير،وهى مجرورة بالفتحة لأنَّها لاتنصرف. وزعم العينى أنَّها فى محل الجرّ.وقوله إنَّها بالكسر استئناف بيانى. و (مَواثق):جمع مَوثِق ،وهو العهد. وأمّا المواثيق فهو جمع ميثاق ،وربَّما قيل مياثيق على لفظ الواحد.

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ لجميلٍ العُذْرىّ ، وقد تقدمت ترجمتهُ فى الشاهد الثانى والستين [١] .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الحادى والستون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد سيبويه [٢] :

٣٦١ (تَرَاكِها من إبلٍ تَرَاكِها)

على أنَّ المستقبل يجوز تكريره للتأكيد مع فاصلٍ ، كما جاز بدونه. وتراك اسم فعل أمر بمعنى اترك .

وله أورده سيبويه . وهو متعدٍّ إلى الضمير ، [نصبه[٣]] على المفعولّية. ولما لم يتقدَّم مرجعه فسَّره بالتمييز المجرور بمن المبيِّنة .

قال أبو عُبيدة (فى أماليه) : كانوا فى الجاهلية إذا غنموا الغنيمة فلحقها أربابُها قالوا للسائِقين [٤] :

* تراكِها من إبلٍ تَراكها *

---

(١) الخزانة ١ : ٣٩٧ .

(٢) فى كتابه ١:١٢٣/٢:٣٧ وانظر المقتضب ٣:٣٦٩/٤. ٢٥٢ والكامل ٢٦٩ والمخصص ١٧: ٦٦ وابن الشجرى٢: ١١١، ١٣٥ والإنصاف ٥٣٧ وابن يعيش ٤: ٧٥ والشذور ٩٠ واللسان(ترك٢٨٧).

(٣) التكملة من ش .

(٤) ط : « للسايقين » بالياء .

أَى خلُّوا عنها . فيقول السائِقون (١) .

* أمَا تَرى الموتَ على أوراكها *

أى مآخيرها ، أى إنَّا نحميها . وبعضهم يقول :

* مَنَاعِها من إبلٍ مناعِها *

فيجاب بقولهم :

* أما ترى الموتَ لدى أرباعها *

يعنون أفتاءها (٢) . انتهى .

وقال يعقوب بن السِّكِّيت : أغيرَ على إبلِ قومٍ منَ العرب ، فلحق أصحابُ الإبل؛فجعلوا لايدنو منها أحدٌ إلا قتلوه،فقال الذين أغارو على الإبل:

تَراكِها من إبـلٍ تَراكهـا أمَا ترى الموتَ لدى أرباعِها

فقال أصحاب الإبل :

مَناعِها من إبلٍ مَناعِهـا أمَا تَرى الموتَ لدى أرباعِها

وفى أمالى ابن الشجرىّ : وقال آخر :

تَراكها من إبـلٍ تَراكِهَـا أمَا تَرى الموت لدى أوراكها

أراد أنَّ أوراكها من شدَّة السَّير كأنها فى استرخائها قد شارفت الموت . ومثلُه قولُ الآخر :

مَناعها من إبلٍ مَناعِهـا أما تَرى الموتَ لدى أَرباعِها

---

(١) ط : « السابقون » بالباء .

(٢) الأفتاء من الدواب : خلاف المسانّ ، واحدها فتى ، مثل يتيم وأيتام . وفى ط:«أفناءها» ، بالنون ، وفى ش : « أبناءها » بباء قبل النون ، والوجه ماأثبت .

الأرباع : جمع الرُّبَع ، وهو ولد النَّاقة التى تَلِده فى الربيع . والهُبَع : الذى تلدُه فى أوّل الصَّيف ، وجمعه أهباع ، كرُطَب وأرطاب . انتهى .

وقوله : أراد أن أوْراكها من شدة السير ، إلخ لا وجه له ، وكأنه لم يقف على ماقدَّمنا .

صاحب الشاهد وقال ابن خلف : هذا قول طُفَيل بن يزيدَ الحارثىّ حين أغارت كِندةُ على نَعَمه ، فلحقهم وهو يقول :

* تَرَاكها من إبل تراكها *

أما ترى الموت إلخ .

ويروى :

* دَرَاكِها من إبِل دَرَاكِها *

ويروى :

* قد لحق الموتُ على أوراكها *

وحمل على فحل الإبل فعقَره ، فاستدارت النَّعم حوله ولحقت به بنو الحارث بن كعب ، فاستنقذوا ماله وهزِمت كندة . قال سيبويه : فهذا اسمٌ لقوله اتركْها ، أى هى محمية من أنْ يُغار عليها ، فاتركها وانجُ بنفسك .وقوله : أرباعها ، الأرباع : جمع رُبَع ،وهو ولد النَّاقة .وأولادُ الإبل تتبعها. والقتالُ يشتدُّ إذا لحق الإبلَ أصحابُها؛وإنما يقع القتالُ عند مآخيرها ، لأنَّ الذين أغاروا عليها يطردونها ويسوقونها ، وأصحابها يمنعونهم من ذلك.وهو مثلُ قول الآخر: ٣٥٥

* أما ترى الموتَ لدى أوراكها *

ويجوز أن يريد بالأرباع جمع ربع بالفتح ، وهو المنزل ، يعنى أنَّهم اقتتلوا فى المواضع التى فيها الإبل . انتهى .

طفيل الحارثى

وطُفيل بن يزيد الحارثى : شاعرٌ فارسٌ جاهلىٌّ .
ولم يذكر الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) هذا ، مع أنَّه أورد خمسة ممن اسمهم طفيل

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والستون بعد الثلثمائة [(١)] :

٣٦٢ (أَقْبَلْنَ من ثَهْلانَ أو وادِى خِيَمْ
على قِلاصٍ مثلِ خِيطانِ السَّلَمْ)

على أنَّ الأندلسىَّ جوَّز أَن يقال فى جمع المذكَّر العاقل المكسَّر: الرِّجال كلُّهنّ،مستدلاًّ بهذا البيت . ولم يظهر لى وجهه ، وكأنَّ وجه الاستدلال أَنَّ نون أقبلن ضمير العقلاء الذكور ، أى الرجال أو الرَّكْب أو نحوهما،وإنما أُنِّثَ لتأويله بالجماعة.والدليل على أَنَّ مرجع الضمير ماذكر قوله بعدُ:

* حتَّى أنخناها على باب الحَكَمْ *

فدلَّ مابعد الكلام على ماقبله . وفيه [أنَّه [(٢)]] لايجب أن يتَّحدا ، ويجوز أن تكون النون ضمير النسوة ، أو أَنَّ أصله أقبلنا ، فحذفت الألف ضرورة ، فيكون من باب التقارض .

وهذه المسألة لمْ أرها إلاَّ هنا عن الأندلسى . وقد راجعتُ شروح التسهيل وارتشافَ الضرب ، فلم أر فيها أن النون تعود عَلَى الجمع المكسَّر للعاقل [(٣)] بتأويله بالجماعة.ويشهد لما ذهب إليه الأندلسىُّ قولُ الفرزدق:

* بَحوران يعَصِرن السَّليطَ أقاربه *

---

(١) ديوان جرير ٥٢٠ برواية مخالفة ، وكامل المبرد ٣٠١ ، ٥٤٦ وسمط اللآلى ٦٤٦ .
(٢) التكملة من ش .
(٣) ط : « العاقل » ، وأثبت مافى ش .

سواء أجعلت النون حرفاً أمْ ضميراً . ويأتى شرحه بعد هذا فى الشاهد السادس والسبعين [١] .

صاحب الشاهد

وهذا أوّل رجز لجرير بن الخطفى ، أورد المبرد بعضاً منه (فى الكامل) (وفى الاعتنان) . قال أبو عبيدة : أخبرنا أيُّوب بن كسيب بن عطاء بن الخطفى قال : قدم جرير فى إمرة الحكم بن أيوب الثقفى البصرة ، وكان الحكُم ابنَ عَمِّ الحجاج وعامِلَه . وأنا معه ، وكان أيوب بن كُسَيب لايفارقه ، ومدحَ الحكم فقال :

أقبلْنَ مِن ثَهْلانَ أو وادِى خِيَمْ
على قِلاصٍ مثلِ خيطان السَّلَمْ
حتى أَنخناها إلى بابِ الحكَمْ [٢]
خليفةِ الحجَّاج غيرِ المتَّهَمْ
* فى ضِئضِئ المجد وبُحبوحِ الكرَمْ *

فأعجب به الحكم بن أيوب ووجدَه باقعة . قال : فكتب إلى الحجاج : إنّه قدِم علىَّ أَعرابىٌّ شيطانٌ من أشعر الناسِ وأَفصحهم ، ووصفه له . قال : فكتب الحجاجُ أن يسرِّحه إليه حين يقرأ كتابه . قال : فلما قدم الكتابُ أمرَنا الحكم فشخَصْنا حتى قدِمنا عَلَى الحجَّاج ، وامتدحه جريرٌ بكلمته التى يقول فيها :

ومَن يأمَنُ الحجَّاجَ ، أَمَّا عقابُه
فمُرٌّ وأَمَّا عَقْدهُ فوثيقُ

---

(١) هو الشاهد ٣٧٦ .

(٢) بين هذا الشطر وتاليه فى الكامل :

* اذا قطعن علما بدا علم *

(٣) الباقعة : الذكى العارف لايفوته شىء .

٣٥٦ قال : وأما مِسْحَل بن كسيب أخو أيُّوب فحدَّثنى أَنَّ أوَّل كلمةٍ امتدحه بها كلمتُه التى يقول فيها :

مَن سدَّ مُطَّلَعَ النِّفاقِ عليكُمُ
أم من يصولُ كصَولَةِ الحجّاجِ
أم مَن يَغار عَلَى النِّساء عشيَّةً
إذ لا يثقــنَ بغَيرةِ الأزواجِ

قال : فأمر له الحجاج بأربعة آلاف درهم ، وكساءُ حُلَّةً صفراء ، وأنزلَنا فى دار ضيافته . انتهى .

وزاد (فى الكامل) أنَّ جريراً لما دخل عَلَى الحجَّاج قال له : بلغنى أَنك ذو بديهةٍ فقل لى فى هذه ـــ لجاريةٍ قائمةٍ عَلَى رأسه ـــ فقال جرير : مالى أَنْ أقول فيها حتى أتأمَّلها ، ومالى أنْ أتأمَّلَ جارية الأمير ؟! فقال : بلى فتأمَّلْها واسألها . فقال لها : مااسمك ياجارية ؟ فأمسكت ، فقال لها الحجاج : خبِّريهِ يالَخنْاء . فقالت : أمامة . فقال جرير [١] :

ودِّعْ أمامةَ حين حانَ رحيلُ إنَّ الوداعَ لمن تحبُّ قليلُ
مثلُ الكثيب تمايلَتْ أعطافُه فالرِّيح تجبُرُ متنه وتُميلُ
هذى القلوبُ صوادياً تيَّمتِها وأرى الشفاءَ وما إليه سبيلُ

فقال الحجاج : قد جعل الله لك السبيلَ إليها ، خذْها ، هىَ لك . فضربَ بيده إلى يديها فتمنَّعتْ عليه ؛ فقال :

إن كان طِبُّكم الدَّلالَ فإنَّه حسنٌ دَلالُكِ ياأُمَامَ جميلُ [٢]

---

(١) ديوان جرير ٤٧٢ .

(٢) الطب ، بالكسر : العادة والشأن . ط :«طلبكم» ،صوابه من الديوان ومن ش مع أثر تصحيح.

فاستَضحكَ الحجاج وأمرَ بتجهيزها معه إلى اليمامة . وخُبِّرْتُ أنَّها كانت من أهل الرَّىّ ، وكان إخوَتُها أحراراً ، فاتَّبعوه فاعطَوْه بها حتى بلغوا عشرين ألفا ، فلم يفعل . وفى ذلك يقول :

إذا عَرَضوا عشرين ألفاً تعرَّضَتْ
لأُمِّ حكيم حاجةٌ هى ماهيا [(١)]

لقد زدتِ أهلَ الرَّىِّ عندى مودَّةً
وحبَّبتِ أضعافاً إلىَّ المواليا [(٢)]

فأولدها حكيما ، وبلالا ، وحَزْرة ، بنى جرير [(٣)] . انتهى .

وثَهلان : بفتح المثلثة : جبل باليمن ، وقال حمزة الأصبهانى : هو جبلٌ بالعالية . وأصل الثَّهَل الانبساط على الأرض . ولضخم هذا الجبل تضرب به العربُ المثلَ فى الثِّقَل فتقول : « أثقل من ثَهْلانُ ! » . و(خِيَم) بكسر الخاء المعجمة : جبل . قال صاحب الأغانى : ثَهْلان : جبلٌ كان لباهلة ، ثم غلبت عليه نمير . وخِيَم : جبلٌ يناوحه من طرفه الأقصى ، فيما بين رُكنه الأقصى وبين مطليع الشمس ، به ماءٌ ونخل . انتهى .

وهذا هو المشهور ، والذى فى ديوانه ، ورواه أبو عبيد البكرى (فى المعجم) :

* أقبلن من جَنْبى فِتاخ وإضَمْ *

---

(١) فى ديوان جرير ٥٩٩ : « اذا أعرضوا ألفين منها » ، تحريف ماهنا .

(٢) فى ديوان جرير : « عندى ملاجة » .

(٣) قال المبرد بعد هذا : « هؤلاء من أذكُرُ من ولدها » . وقد وجدت فى الأغانى ٧ : ١٦٣ وجمهرة بن حزم ٢٢٥ ابنا رابعا هو نوح ابن جرير .

وقال : فِتاخ بكسر الفاء بعدها مثناة فوقية وآخره خاء معجمة:موضع. وقال الهَجَرىُّ : فتاخ بأطراف الدَّهناءِ مما يلى اليمامة . وإضم بكسر الهمزة : وادٍ دون المدينة ، وقيل جبل .والقلاص : جمع قَلوص ، وهى الناقة الشابة. و(خِيطان) : جمع خُوط بضم الخاء المعجمة ، وهو الغصن . وروى الزمخشرى (فى مستقصى الامثال) : « مثلَ أغصان السلم » . أراد أنَّ القلاص هُزِلت من شدة السفر حتى صارت كأغصان السَّلم ، فى الدِّقَّة والضمر .

وزاد أبو عبيدة البكرى بعد هذا (فى شرح أمالى القالى) :

قد طُويت بطونُها على الأُدَمْ إذا قطعن علماً بدا علَمْ ٣٥٧

فهنَّ بَحْثاً كمضِلَّات الخدم حتَّى تناهينَ إلى باب الحكم

العلمُ : الجبل . قال الزمخشرى (فى مستقصى الامثال) . قوله :

* إذا قطعْنَ علماً بدا عَلَمْ *

مثلٌ يضرب لمن يفرُغ من أمر فيعرضُ له آخر .

وقوله : « فهن بحثا » أى يبحثن بحثاً بمناسِمهنّ الأرض ، كما يبحث المُضِلَّات خَلاخِيلَهنَّ فى التراب . والخَدَم : جمع خَدَمة بفتح الخاء المعجمة وفتح الدال المهملة ، هو الخلخال . والضِّئْضِىءُ ، بكسر الضادين المعجمتين والهمزة الأولى بينهما ساكنة : الأصل والجنس . والبُحبوح بضم الباءين والحاء المهملة الأول بينهما ساكنة : الوسط .

وقد أورد صاحب (الأغانى) حكاية جرير مع الحجاج على غير هذا النَّمَط ، وأطال وزاد الأبيات [1] .

---

(١) الأغانى ٧ : ٤٠ .

وترجمةُ جرير قد تقدَّمت فى الشاهد الرابع فى أول الكتاب [(١)].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والستون بعد الثلثمائة [(٢)]:

٣٦٣ (ياليتَنى كنتُ صبيًّا مرضَعا   تَحمِلنى الذَّلفاءُ حولاً أكتعا)

على أنَّ الكوفيين استشهدوا به على جواز توكيد النكرة المؤقَّتة المعلومة المقدار ، وهو حَولٌ بمعنى العام.

قال صاحب المصباح : حال حَوْلا من باب قال ، إذا مضَى . ومنه قيل للعام حَولٌ وإن لم يمض ، لأنَّه سيكون حولاً ، تسميةً بالمصدر .

وفيه شاهدٌ آخر،وهو التأكيد بأكتع غيرَ مسبوق بأجمع.وبعده بيتٌ آخر وهو:

(إذا بكيتُ قبَّلتنى أربَعا   إذن ظَلِلتُ الدَّهرَ أبكى أجمعا)

وفيه أيضا شاهدانِ : أحدهُما : التأكيد بأجمع غير مسبوق بكلّ . وثانيهما : الفصل بين المؤكِّد وهو الدهر ، وبين المؤكَّد وهو أجمعا ، بجملة أبكى . وبهذا استشهد ابن هشام (فى المغنى) .

قال ابن عبد ربه (فى العقد الفريد) : نظرَ أعرابىٌّ إلى امرأةٍ حسناءَ ومعها صبىٌّ يبكى ، فكلَّما بكى قبَّلته ، فأنشأ يقول هذا الرجز .

وقوله : (ياليتنى) إلخ ياحرف تنبيه ، ومُرضَع اسم مفعول من أرضعتْه إرضاعا . وجمله (تحملنى الذلفاء) صفة ثانية . ويجوز أن تكون حالاً من ضميرِ مُرضَع ، ويجوز أن تكون خبراً ثانيا لكنت . و(الذلفاء) بفتح الذال المعجمة وبعد اللام الساكنة فاء : وصفٌ مؤنّثُ أذلف ، من الذَّلَف ، وهو صِغَر الأنف واستواء الأرنبة . ويحتمل أنّه اسم امرأةٍ منقولٌ من هذا .

---

(١) الخزانة ١ : ٧٥ .

(٢) العقد ٣ : ٣٦٠ والمغنى ٦١٤ والعينى ٤ : ٩٣ والهمع ٢ : ١٢٤ والأشمونى ٣ : ٧٦ ، ٧٨ .

و(أكتع) قال صاحب الصحاح : يقال إنّه مأخوذٌ من قولهم : أتى عليه حولٌ كتيع ، أى تامّ .

وقوله : « أربعا » ، أى تقبيلاً أربعا . وظللت بكسر اللام ، وظلَّ بمعنى استمر من أخوات كان ، التاء اسمها ، وجملة أبكى فى موضع نصب خبرها ، والدَّهرَ ظرف لأبكى . وجملة إذن ظللت إلخ جوابٌ لشرط محذوف ، أى إن حصل ماتمنَّيتُه استمررْتُ فى البكاء حتّى تستمرَّ الذلفاءُ تحملنى وتقبِّلنى كلّما بكيت . وزعم العينى أنّ التقدير إن لم يكن الأمر كذا إذن ظللت إلخ . ولايخفى أنّ هذا عكسُ مراد الشاعر .

* * *

وأنشد بعده :

(قد صرَّت البَكْرةُ يوماً أجمعا)

لما تقدَّم قبله .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة)[1] : هذا شاذٌّ ، وإنْ لم يكن مصنوعاً فوجهه عندى أنَّ أجمع هذه ليست التى تستعمل للتأكيد ، أعنى التى مؤنثها جمعاء ، ولكن التى فى قولك أخذت المال بأجمَعه وأجْمُعه ، بفتح الميم وضمها ، أى بكُلِّيّته ، فدخول العامل عليها ومباشرتُه إيَّاها يدلُّ على أنَّها ليست التابعة للتوكيد ، فذلك قوله يوما أجمعا أى يوما بأجمعه ، ثم حذف حرف الجر ، ثم أبدل الهاء ألفاً فصار أجمعا . انتهى

وقال العينى : الرواية الصحيحة :

* قد صرَّت البكرة يومَا أجمَع *

على أنّ يومَا من غير تنوين ، وأصله يومِى ، فالألف منقلبة عن ياء المتكلم ، فأجمع توكيد للمعرفة .

(١) الورقة ١٤٧ .

أقول : إن كان يومى ظرفاً فلم لم ينصب أجمع ، وإن كان غير ذلك فما هو ، مع أنّ ماقبله عنده :

* إنّا إذا خُطّافنا تقعقعا *

وهذا من الرجز الذى لايجوزُ اختلاف قوافيه . وهذا التوجيه تعسُّفه ظاهر ككلام ابن جنى .

وقد استدلَّ الكوفيُّون بأبياتٍ أُخر ، منها قوله :

لكنّه شاقَه أن قيل ذا رجبُ ياليتَ عدّة حولٍ كلِّه رجبُ

ومنها قوله :

* ثلاثٌ كلُّهنّ قتلتُ عمداً *

ومنها قوله :

إذا القَعودُ كرَّ فيها حَفَدا يوماً جديدا كلَّه مطّردا

ومنها قوله [١] :

زَحَرتَ به ليلةً كلَّها فجئْتَ به مُودَناً خنفقيقا

قال ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) : أجاب البصريُّونَ عن هذه الأبيات بأنّ الرواية فى الأوّل «ياليتَ عدّة حَولى» بالإضافة إلى الياء . وعن الثانى بأنَّ كلهنّ بدلٌ من ثلاث ، أو جملة كلُّهن قَتلتُ خبر عن الثلاث . وعن الثالث بأنّ كله بالرفع لتوكيد الضمير فى جديد . وأمَّا قد صرّت البكرة يوماً أجمعا فمجهول . لايعرف قائله .

هذا كلامه ، وهو مبنىٌّ على الطعن فى روايتهم ، وهذا لايجوز ، لأنَّهم ثِقات .

ثم قال : وأمّا قول الكوفيين بأنّ اليوم مؤقت فيجوز أن تقعد بعضه،

(١) هو شتيم بن خويلد ، كما فى الحيوان ٣ : ٨٢ واللسان (خفق). وانظر الإنصاف ٤٥١ ـــ ٤٥٦ .

والليلة مؤقَّتة فيجوز أن تقوم بعضها ،فإذا أُكِّدتْ صحَّ معنى التاكيد . قلنا : هذا لايستقيم ، فإنّ اليوم وإن كان مؤقتا إلا أنه لم يخرج عن كونه نكرة شائعة ،وتأكيدها بالمعرفة لايجوز،لأن تأكيد ما لا يُعرف لافائدة فيه.انتهى

أقول : ادّعاؤه عدمَ الاستقامة ممنوع ، والفرق ظاهر ، فإن التأكيد باعتبار أجزاء اليوم والليلة ليشمل جميعها ، والشُّيوع باعتبار جنس اليوم والليلة ، فأين هذا من ذاك .

وقد أشار الشارح المحقق إلى ماذكرنا ، والله أعلم .

وقد تقدم شرحُ هذا البيت فى الشاهد الخامس والعشرين من أوائل الكتاب[1].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والستون بعد الثلثمائة [2] :

٣٦٤ (أُولَاكَ بنو خيرٍ وشرٍّ كليهما جميعاً ومعروفٍ أَلَمَّ ومُنكَرِ)

على أنَّ حمل (كليهما) فيه على البدل عند أهل المصرَين أولى ؛ لأنَّ خيراً وشراً ليسا بمؤقتين .

قال ابن جنىّ (فى إعراب الحماسة) : الوجه فى قوله : بنو خير وشرٍّ كليهما ، أن لايكون كليهما تأكيداً ، لكن يكون بدلاً من خير وشرّ ، حتى كأنه قال : بنو كلِّ خيرٍ وشرٍّ ؛ فقد يضاف إلى المفرد المعطوف عليه مثلُه بالواو فى ضرورة الشعر ، كما قال : ٣٥٩

كلا السَّيف والسَّاقِ التى ضُرِبتْ به على دَهَشٍ ألقاه باثنين صاحبه[3]

---

(١) الجزء الأول ص ١٨١ .

(٢) يس على التصريح ٢ : ١٢٤ والحماسة بشرح المرزوقى ٩٩٠ وشرح التبريزى ٣ : ٣٤ .

(٣) وكذا فى نسخة إعراب الحماسة الورقة ١٤٦ : « باثنين » .

وإنما جاز ذلك من حيث كان ماعُطف بالواو بمنزلة ماجمع فى لفظةٍ واحدة . ألا تَراكَ تقول : زيد وعمرو أخوَاكَ ، فإن أخبرتَ عنهما جميعاً قلت : اللذان هما أخَوَاك زيد وعمرو ، فتأتى بضميرهما جزءاً واحداً ، وكان أحدهما على صاحبه معطوفاً [1] . وكذلك : زيد وعمرو مررت بهما . انتهى .

صاحب الشاهد

وهذا البيت آخر أبياتٍ أربعة لمسافع بن حُذيفة العبسىّ ، مذكورةٍ فى باب المراثى من الحماسة ، وهى :

(أبعْدَ بنى عمرو أُسَرّ بُمقْبِلٍ من العيش أو آسىَ عَلَى إثْر مُدبرِ
وليس وراءَ الشىء شىءٌ يرُدّه عليك إذا ولّى سوى الصَّبر فاصبرِ
سلامٌ بنى عمرو عَلَى حيث هامُكم جمال النَّدىِّ والقنا والسَّنَوَّرِ
أولاك بنو خير .... البيت)

قوله : « أبعد بنى عمرو » إلخ الهمزة للاستفهام الإنكارى ، وأُسَرُّ بالبناء للمفعول من السرور ، ومُقبل بمعنى آت ، ومدبر بمعنى ذاهب . وآسى : مضارعُ أسِىَ ، من باب تعب ، بمعنى حزن .

وقوله : « سوى الصبر » استثناء منقطع ، لأنَّ الصَّبر ليس من الشىء الرادّ الفائتَ فى شىء . يقول: أأسر بعيش مُقبل ،أو زمنٍ مُساعد ،بعد أن فجعت بهؤلاء، أو أحزنُ فى إثر فائت أُو أجزع لتولّى مُدْبر ،وليس وراءَ الشىء الفائت شىءٌ يردُّه عليك، فالأولى أنْ تتمسَّك بالصَّبر وتعتصِمَ به، فاصبر.

وقوله:«سلامٌ بنى عمرو»إلخ سلام مبتدأ،وجاز الابتداء به لتضمُّنه الدعاء وخبره قوله «على حيث هامكم».قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : هامُكم مبتدأ محذوف الخبر،من جملة مجرورة الموضع بإضافة حيث إليها،أى

---

(١) ط : « معطوف » ، صوابه فى ش واعراب الحماسة.

حيث هامكم متصوَّرة ، أى موجودة [1]. ومثله قولهم : جئتك إذ ذاك ، أى إذْ ذاك كذاك ، فحذف الخبر من الجملة المجرورة الموضع بإضافة إذ إليها . انتهى.

وذكر الهام على عادة العرب ،فى زعمهم أنَّ عظامَ الموتى تصير هاماً تطير. وبنى عمرو منادًى بحرف النداء المحذوف . وجمال النِدِىِّ منصوب على المدح . وقال ابن جنى : نصب جمالَ الندىِّ لأنَّه بدلٌ من بنى عمرو . والنَّدِىُّ بتشديد الياء : المجلس ، لغة فى النادِى . وقال ابن جنى : لام الندىّ واو ، لأنه فعيل من النَّدوة ، .وهى موضعُ جلوس النادى والندِىّ . انتهى .

والقنا : جمع قناة ، وهى الرُّمح . والسَّنَّوَّر بفتح السِّين والنون والواو المشدَّدة : لَبوسٌ من قِدٍّ كالدِّرع . يعنى أنَّهم جمالُ المجالسِ يومَ الجَمْع ، وزَين السِّلاح غداةَ الرَّوع .

وقوله : (أولاك) الخ هو مبتدأ ، لغة فى أولئك ؛ وبنو خبر المبتدأ . أراد أنَّهم ملازمون لِفِعل الخير والشَّرّ مع الأصدقاء والأعداء ، كما يقال فلان أخو الحرب . وجميعاً : حال مؤكِّدة لصاحبها . وقوله (معروفٍ) هو بالجرّ معطوف على خير ، وكذلك منكر . والمعروف : الجميل الظاهر ، وضدُّه المنكر ، فهما أخصُّ من الخير والشر ، فإنَّ الخير قد يكون ظاهرُهُ شرّاً كالدواء المُرّ . والشرُّ قد يكون ظاهره خيراً كهوى النفس . و(ألَمَّ) بمعنى نزل وعرَض ، والجملة صفة معروف ، ومثله مقدَّر بعد منْكر . ٣٦٠

مسافع العبسى

ومسافع،بضم الميم وكسر الفاء ،ابن حُذيفة بالتصغير ،العَبْسى بالباء الموحدة ، وهو شاعرٌ فارسٌ من شعراء الجاهلية .

---

(١) فى إعراب الحماسة ١٤٦ : « أى حيث هامكم مقبورة أو موجودة » .

البدل

أنشد فيه ، وهو الشاهد الخامس والستون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد سيبويه [(١)] :

٣٦٥ (يامَىَّ إنْ تَفقِدى قوماً ولدتِهِمُ
أوْ تُخْلَسِيهِمْ فإنَّ الدَّهرَ خَلاَّسُ
عمروٌ وعبدُ منافٍ والذى عَهِدتْ
ببطن عَرعَرَ : آبى الظُّلم عبَّاسَ)

على أن قوله (عمرو وعبد مناف والذى) بدلٌ مقطوع من قوماً .

ومانقله الشارح من سيبويه إلى الشعر ، هو نصُّ عبارته بحروفه .

قال ابن خلف : الشاهد فيه رفع عمرو ومابعده بالابتداء ، كأنه قال : منهم أو من القوم الذين فقدوا ، أو يكون خبر مبتدأ ، كأنّه قال : بعضهم . ولو نُصِبَتْ على البدل من القوم لجاز . وعباس بدلٌ من آبى،وآبى بدل من الذى ، ولو أبدِلَتْ فسد الكلام ، لأنَّا إذا نصبنا وجب أن ينصب الذى هو بدل منه ، فكنا نقول عباساً . وقوله : (تُخْلَسيهم) بالبناء للمفعول،أى يؤخذون منكِ بغتة ، فإنَّ الدهر من شأنه أنْ يؤخذَ فيه الشيء بغتة . وعرعر: مكان.ويروى:«ببطن مكة». وأراد بعمرو عمرو بنَ عبد مناف بن قُصىّ،وهو هاشم بن عبد مناف،وسمِّى هاشماً لهَشْمه الثريدَ لقومه فى مَجاعةٍ أصابتهم.والعبَّاس هو ابن عبد المطَّلب،وإنما قال ولدتِهِم لما بين هُذيل وقريش من

(١) فى كتابه ١ : ٢٢٥ وديوان الهذليين ٣ : ١ وشرح السكرى ٢٢٦ ، ٤٣٩ .

القرابة فى النّسب والدارِ ، لأنهم كلّهم من ولد مدركة بن الياس بن مضر .
وقوله : (والذى عهدَتْ) الضمير يرجع إلى مىّ ، وعدلَ عن خطابها وأخبر عنها باللفظ الذى يكون للغائب ، أراد الذى عهدتِ ، فلم يستقم له . ومَىّ : مرخَّم ميَّة .

صاحب الشاهد

وهذان البيتان مطلعا قصيدة لأبى ذؤيب الهذلى ، عدّتها خمسة عشر بيتا أوردها أبو سعيد السكّرىُّ فى أشعار الهذليين ، وبعدهما :

أبيات الشاهد

(يامىّ إنَّ سبَاع الأرض هالكةٌ والغُفْر والأُدْمُ والآرامُ والنّاسُ)

الغُفْر بضم الغين وسكون الفاء : ولد الوعِل ، ونقل شارح (شواهد المفصَّل) عن صاحب (المقتبس) أنه القُفْز بالقاف والفاء والزاى المعجمة ، وهو جمع أقفز ، وهو من الخيل : المحجَّلُ من يديه لا رجليه . وهذا تحريفٌ قطعا . ونقل أيضاً عن صاحب (الإقليد) أنه العُفْر بعين مهملة ، وهو جمع أعفر ، وهو الأبيض . وليس بسديد . وظبية عَفْراء : يعلو بياضها حمرة ؛ وهى قصارُ الأعناق . والأدم بالضم من الظباء : بيضٌ تعلوهنَّ خطوطٌ فيهنَّ غبرة تسكن الجبال ، يقال ظبيةٌ أدماء وظبىٌ آدم . والآرام: الظِّباء البِيض الخالصة البياض ، الواحد رئم بالهمز ، وهى تسكن الرمل .

(تاللهِ لايُعجِزُ الأيَّامَ مبتركٌ فى حومة الموتِ رزّامٌ وفرَّاسُ)

لايُعجِزُ : لايغلب . والمبترك : الأسد ، من ابتركه ، إذا صرعه وجعله تحت بَرْكِه ، وهو الصَّدر . وأغرب الكرْمانى (فى شرح شواهد الموشح)ورواه «المنتزِك» بالنون والزاى المعجمة ،أى الذى له نَيزك[1] أى رمحٌ قصير،

٣٦١

(١) ط : « منزك » ، صوابه فى ش . ومنه قول العجاج :

* مطرر كالنيزك المطرور *

كأنّه فارسيٌّ معرب . وحَومة الموت : الموضِعُ الذى يدور فيه الموت لايبرح منه.والرَّزَّام بتقديم المهملة : الصرَّاع ، يقال رَزَم به ، إذا صرَعه . والفَرَّاس : الذى يدقُّ الأعناق ؛ ومنه فريسة الأسد ، لأنّه يدقُّ عنقها .

(يَحمي الصَّرِيمَةَ أُحْدانُ الرِّجالِ له
صَيدٌ ومُستَمِعٌ باللَّيلِ هَجَّاسُ)

قال السكرىّ : الصريمة ههنا : موضع . وأحدانُ الرجال : ماانفردَ من الرِّجال . وقال غيره : الصَّرِيمة : رملةٌ فيها شجرٌ حماها من أن يدخَلها أحدٌ خوفاً منه . وأُحدانُ الرجال : الذين يقول أحدهُم : أنا الذى لانظير له فى الشجاعة والبأس . يقول : هذا الأسد يصيد هؤلاء الذين يُدِلُّون بالشجاعة .

وهذان البيتان أيضاَ استشهد بهما سيبويه على جرى الصِّفات على ماقبلها مع مافيها من معنى التعظيم ، ولو نصَب لجاز . وهَجَّاس : يهجس . وروى بدله : « همَّاس » من الهمس . قال النحّاس : همَّاس : دَقَّاق للرِّقاب مكسِّر لها . قال ابن خلف : وأحدان الرجال يروى بالرفع والنصب ، فمن رفع قال أحدان مبتدأ وصيد خبره ، ومن نصب جعله مفعول يحمى ، كأنه قال : يحمى الصَّرِيمة من أحدان الرجال ، فصيدٌ على هذا مبتدأ وله خبره . ومستمع ، وروى بدله « مجترئ » : خبر مبتدأ محذوف ، أى وهو مستمع ، أو هو معطوف على رزَّام ، وهو الوجه الذى رواه [1] سيبويه ، والشاهد على أنه عطف همَّاس . قال النحاس : ويجوز نصب مجترئ على أعنى .

(يامىّ لايُعجز الأيَّامَ ذو حَيدٍ
بمشْمَخرٍّ به الظَّيَّانُ والآسُ)

---

(١) ط : « أراد » صوابه فى ش . وانظر هذه الرواية فى سيبويه ١ : ٢٥١ .

روى صدرَه صاحب (المفصَّل) :

* للهِ يبقَى عَلَى الأَيَّام ذو حيدٍ *

على أنَّ اللام فى لله للقسم والتعجُّب معا . وتبعه صاحب (المغنى) . ورواه صاحب (الجمل) : «تالله يبقى» بالمثناة الفوقية . قال ابن السِّيد : ويروى بالباء الموحَّدة ، وكلاهما قسمٌ فيه معنى التعجُّب . وقال اللخمى : ورواية سيبويه « لله » باللام . وقوله « يبقى » جواب القسم بتقدير لا النافية ، ويعنى بقوله ذو حيد الوعِل . قال المبرد : الحيَد بفتحتين : الرَّوغان والفِرار . والمشهور حِيَد بكسر المهملة وفتح المثناة التحتية ، جمع حَيْدة ، كحِيَض جمع حَيضة . وهذه رواية ثعلب والسكرى . قال اللخمى : قوله ذو حيد يروى بفتح الحاءِ وكسرها،فمن رواه بالفتح فهو اعوجاجٌ يكون فى قرن الوعل ، وقيل إنه مصدر من حاد يحيد حَيْدا ، وأصله السكون فلما اضطُرّ حرَّك الياء ، ومعناه الرَّوَغان . وقيل هو جمع حيدة ، وهى العُقدة التى تكون فى قرنه . وقيل الحَيَد القوّة .ومن روى : «حِيَدا» بالكسر فهى نتوءات ، والواحدة حَيْدة.ويروى : «ذو جَيَد» بالجيم ،وهو جناح مائل من الجبل ، وقيل يعنى به الظَّبْى . والوَعِل : التَّيس الجبَلى ، ويقال للأُنثى أُروِيَّة بضمّ الهمزة وتشديد الياء ، وربما قالوا وَعِلة . انتهى .

وزعم الدمامينىُّ (فى الحاشية الهندية) أنّ حِيَدا بكسر الحاءِ جمع حَيدة بفتحها، كبِدَر جمع بَدْرة ،وهى الحرف النَّاتىءُ فى عرض الجبل لا فى أعلاه . هذا كلامه ،وهذا غير مناسب للمقام. والمشمخرُّ :الجبل الطويل ،وقيل العالى. والباء بمعنى فى.والظَّيَّان بفتح المعجمة وتشديد المثناة التحتية:ياسَمين البَرّ ،وقيل الرمّان الجبَلى.والآسُ،قال ابن السِّيد :هو الرَّيحان ،وقيل الآس : أثرُ النحل إذا مرَّت فسقط منها بعضُ نقط من العسل ،حكاه الشَّيبانى. وقال صاحب كتاب العين: هو شىءٌ من العسل . وأوضحه ابن المستوفى (فى شرح شواهد

٣٦٢

المفصل) فقال : هو نقطٌ من العسل تقع من النحل على الحجارة ، فيستدلُّون بتلك النُّقَط على مواضع النحل . وقال اللخمى : الآس هنا بقيَّة العسل فى موضع النحل ، كما سمِّىَ بقيَّةُ التمر فى الجُلَّة (١) قَوسا ، وباقى السَّمن فى النِّحْي كعبا ، وقالوا للقطعة من الأَقط ثَوْر .والآسُ فى غير هذا : المشموم . قال ابن دريد : وهو دخيلٌ فى كلام العرب ، إلا أنَّهم قد تكلَّموا به . وقوله «على الأَيام» حال على حذف مضاف ، أى على تعاقُب الأيام أو على مرورها ، أى لايبقى ذو حِيدَ والأيامُ متعاقبةٌ عليه . وقوله : «بمشمخرّ» صفة لذى حيد . وكذلك قوله « به » صفة لمشمخرّ . والظيان فاعل به . ووقع فى رواية سيبويه تركيب مصراعين من بيتين هكذا :

يامىّ لايعجز الأَيّامَ ذو حيدٍ فى حَومة الموت رزَّامٌ وفرّاسُ
يحمى الصريمة . . . . البيت

قال السيرافى : وقع فى البيت الأول من هذين غلطٌ من كتاب سيبويه ، لأنَّ قوله ذو حِيَد وعل ، ورزّام وفراس أسد ، والصواب الذى حملته الرواة :

يامىّ لايعجز الأيامَ ذو حِيَد بمشمخرٍّ به الظَّيَّانُ والآسُ

والقصيدة لأبى ذؤيب الهذلى كما ذكرنا ، وقد أثبتها له السكرىُّ فى أشعار الهذليين ، وتقدمت ترجمته فى الشاهد السابع والستين (٢) .

صاحب الشاهد

ووقع هذا الشعرُ فى كتاب سيبويه معزواً لمالك بن خالد الخُنَاعىّ بضم الخاء المعجمة وتخفيف النون : بطنٌ من هذيل ، وهو خُناعة بن سعد بن هُذيل بن مدركة بن الياس بن مضر .

وقال اللخمى : وبعضهم رَوى هذا الشعر لأمية بن أبى عائذ الهذلى .

---

(١) الجلة ، بالضم : وعاء من الخوص يكنز فيه التمر . ط : « الجاهلية » صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٢) الخزانة ١ : ٤٢٢ .

وأنشده الزمخشرى (فى المفصل) لعبد مناف الهذلى .

وقال ابن السيد : وروى للفَضْل بن عباس بن عتبة بن أبى لهب .

وقال ابن المستوفى (فى شرح شواهد المفصَّل) : ورواه أبو الحسن الأخفش لأبى زبيد الطائى . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(أقسم بالله أبو حفص عمر)

تقدم شرحُه قريباً [1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والستون بعد الثلثمائة [2]:

٣٦٦ (فلا وأبيكِ خَيرٍ منك أنِّى
لَيُؤْذينى التَّحمحُمُ والصَّهيـلُ)

على أنّ (خيرٍ) بالجر بدلِ من أبيك بتقدير الموصوف ، أى رجل خير منك ، وهذا البدل بدلُ كلٍّ من كلّ . ومع اعتبار الموصوف يكون الإبدال جارياً على القاعدة ، وهى أنه إذا كان البدل نكرةً من معرفة يجب وصفها كقوله : ﴿بالناصية * ناصيةٍ كاذبة [3] ﴾.وهذا على رواية الجر . وفيه رواية أخرى وهى رفع خير ، قال أبو الحسن الأخفش فى شرحَ نوادر أبىَ زيد : ومن روى « خيرٌ منك » بالرفع فكأنه قال : هو خيرٌ منك .

وهذا البيت من أبيات سبعة لشُمَير بن الحارث الضبى،رواها أبو زيد

٣٦٢
صاحب الشاهد

(١) فى الشاهد ٣٥٨ ص ١٥٤ .

(٢) نوادر أبى زيد ١٢٤ والمقرب لابن عصفور ٥٢ .

(٣) الآيتان ١٥ ، ١٦ من العلق .

(فى نوادره) . وهى فى رواية ابن الأعرابى خمسةٌ بحذف الثالث والسابع . وهذه رواية أبى زيد :

أبيات الشاهد

(دعوتُ اللهَ حتى خفتُ أن لا يكونَ اللهُ يَسمعُ ماأقولُ
لِيحملَنى عَلَى فرسٍ فإنّى ضعيفُ المشى للأَدنى حَمولُ
أُحِبُّ الخيلَ إن لامت عليه إناثُ الخيل والذكرُ الطويلُ [١]
ينعِّم بالَ عينِى أنْ أراه أمامَ البيت مَحْجِرُهُ أسيلُ
فإنْ فزِعُوا فزِعتُ وإن يعودوا فَراضٍ مشيُه عَتِدٌ رجيلُ
فلا وأبيكِ خيرٌ منكِ إنّى ليؤذينى التحمحمُ والصَّهيلُ
ولست بنأنأٍ لمَّا التقينا تَهيَّبُنى الكريمةُ والأفيلُ)

قال أبو حاتم :يَسْمَع أى يجيب ، ومنه:سمع اللهُ لمن حَمِده . وقوله : ليحملنى علة لدعوت [٢] . وقوله : «ضعيف المشى» رواه أبو حاتم : «ضعيف المتن» وحمول خبرٌ ثان لإنّ.وقوله:أُحِبُّ الخيلَ إن لامت عليه، هو مثل قولك أقوم إنْ قامَ زيد . ولامت من اللوم ، فاعله ضمير امرأته ونحوها . قال أبو على:أى لامت على حَبْسه ، وفى لامت ضمير فاعلةٍ أضمِرَت لدلالة الحال عليه . انتهى .

وفيه شاهدٌ ، وهو رجوع الضّمير المذكر على الخيل . وقوله : « إناثُ الخيل » هو خبر مبتدأ محذوف ، أى الذى أحبُّ أو ماأحبُّ إناث الخيل . وقوله : « الذكر الطويل » أى طويل الظهر .

وقوله : «ينعِّم» الخ من التنعُّم وهو الترفُّه ، يقال نعَّمه تنعيماً أى رفَّهه ، وفاعله قوله أن أراه ، والهاء ضمير الذكر الطويل . وروى ابن الأعرابىّ فى

---

(١) فى النوادر : « أحب المال » .

(٢) علة ، ساقطة من ش .

نوادره : « ينعِّم بالَ نفسى » .وعليه فالبال بمعنى الخاطر والقلب . وجملة « محجره أسيل » حال منه . والمحجر ، كمجلس ، بتقديم الحاء على الجيم : ماحول العين ، أراد أسفل العين وهو الخدُّ ، لأنَّه يقال أسيل الخدّ إذا كان ليِّنَ الخَدِّ [١] طويلَهُ . وكل مسترسل أسيلٌ أيضاً .

وقوله : « فإن فزعوا فزعت » الفزع : الإغاثة والنَّصر . ويعودوا فى رواية أبى زيد بالعين ، وفى رواية ابن الأعرابىٌ بالقاف . وقوله : «فراضٍ مشيهُ » روى برفع مشيه على أنه مبتدأ أوّل وراضٍ خبره ، أى ذو رضا، كقوله:عيشة راضية وليلٌ نائم . وروى بنصب مشيَه براضٍ ، فراض خبر مبتدأ محذوف ، أى فأنا راضٍ مشيَه . كذا قال الأخفش فيما كتبه على نوادر أبى زيد . وفرس عَتَد بفتحتين وبفتح فكسر : المعَدُّ للجرى . قال ابن السكيت : هو الشديد التامُّ الخلْق . والرَّجيل بالجيم ، هو من الخيل الذى لايَحْفَى ، وقيل الذى لايعرق .
وروى ابن الأعرابىّ فى نوادره :

فإنْ فزعوا فزِعتُ وإن يقودوا
فراضٍ مشيُه حَسنٌ جميلُ

وعلى هذا تقديره : فأنا راض ، ومشيه مبتدأ وحَسَنٌ خبره .

وقوله : (فلا وأبيكِ خَيرٌ منكِ) الكاف فى أبيك ومنك مكسورة ، خطابٌ للمرأة التى لامته على حبِّ الخيل،على طريق الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ،و«لا» نفى لما زعَمتْه ،والواو للقسم.وجملة (إنِّى ليؤذينى)إلخ جواب القسم. واختلفوا فى معناه ، فقال أبو الفضل:قوله ويؤذينى أى يغمُّنى وليس هو لى فى مِلك.وقال أبو حاتم والفارسى:أى ليؤذينى فقد التَّحمحم.وفى هذا

---

(١) ط : « لين الخلق » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

حذفُ مضاف ، ورواه ابن الأعرابى : (فى نوادره) وتبعه ابن دريد : «ليؤذننى» بنونين ، قال: يؤذُننى أى يعجبنى ، من أذِنت له . قال أبو محمد الأسود الأعرابىّ فيما كتبه على نوادر ابن الأعرابى وسماه (ضالة الأديب) : وصوابه «لُيؤْذينى التَّحمحم» من الإيذاء ، أى فِقدانُ التحمحم ، فحذف .

والتحمحم:صوت الفرس إذا طلب العلف . يقال حمحم الفرس وتحمحم .وصهيل الفرس : صوته مطلقاً ، فهو من عطف العام على الخاصّ.

وقوله : « ولست بنأنأ » إلخ النأنأ بنونين وهمزتين على وزن جعفر ، هو الضعيف من الرجال . يقال نأنأ فى رأيه نأنأة ، إذا ضُعف فيه.وقوله : تهيَّبُني أصله بتاءين ، مضارع تهيَّبه أى هابه، وفيه قلب ،أى لاأهاب الكريمة من الإبل أن أعقرَها للضيف ولايتعاظمُنى ذلك .والأفيل ،قال أبو زيد: هو الأفتاءُ من الإبل .وقال الأصمعى : ابن تسعة أشهر أو ثمانية . وفى العباب : الأفيل : ابن المَخاض وابنُ اللَّبون ، والأنثى أفيلة ، فإذا ارتفع عن ذلك فليس بأفيل . وروى بدل الكريمة : «الكريهة» وهى الحرب .قال الأخفش (فيما كتبه على نوادر أبى زيد) : الذى أختار رواية « لايُهيِّبُني الكريمة [1]» يقول : لايهيِّبي كبير مالى ولاصغيرُه إذا ورد ضيفٌ علىّ . والأفيل : الصَّغير ، هكذا حفظى ، وليس له وقتٌ محدود . ومَن روَى الكريهة يقول: أنا أقاتل وأعقر للأضيافِ الأفيل . ولا أدرى لم خصَّ الأفيل دون غيره . انتهى .

شمير بن الحارث

وشُمير بضم الشين المعجمة وفتح الميم وآخره راء مهملة ، وهكذا ضبطه أبو زيد.وقال الأخفش فيما كتبه عليه:الذى فى حفظى سُمير بالسين المهملة.وكذا ضبطه الصاغانى (فى العباب) بالمهملة،وقال :وهو شاعر جاهلى .والله أعلم .

* * *

(١) فى النسختين : « رواية لا تهيبنى » ،و « لا » مقحمة فى النص ، والصواب فى النوادر .

وأنشد بعده :

(العائذاتِ الطَّير)

وهو قطعة من بيت للنابغة الذبيانى ، وهو :

(والمؤمن العائذاتِ الطير يمسحُها رُكبانُ مكَّة بين الغِيل والسَّنَدِ)

وقد تقدم شرحه فى الشاهد السابع والأربعين بعد الثلثمائة [١] .

* * *

وأنشد بعده .

(أنا ابن التارك البكرىِّ بشرٍ)

وتمامه :

(عليه الطير ترقبهُ وقوعا)

وتقدَّم شرحه هذا أيضاً فى الشاهد التاسع والتسعين بعد المائتين [٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والستون بعد الثلثمائة :

٣٦٧ (إنَّا وجَدْنا بنى جِلَّانَ كلَّهُمُ كساعد الضَّبِّ لاطُولٍ ولاقِصَرِ[٣])

على أنَّه يجوز [ترك] وصف النكرة المبدلة من المعرفة إذا استفيد من البدل ماليس فى المبدل منه كما هنا ، فإنّ قوله «طول» المنفىَّ بدلٌ من ساعد الضب ، ومعنى الطول وماعطف عليه موجودٌ فى ساعد الضب .

وفيه شاهدٌ آخر ، وهو إبدال النكرة من المعرفة والنكرةُ بغير لفظ المعرفة . قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) عند قول الحماسىِّ : ٣٦٥

نَهِلَ الزَّمانُ وعَلَّ غيرَ مُصرَّدِ من آل عَتّابٍ وآلِ الأسودِ[٤]

---

(١) فى هذا الجزء من الخزانة ص ٧١ .

(٢) الخزانة ٤ : ٢٨٣ .

(٣) الحيوان ٦ : ١١٢ برواية : « لاطول ولاعظم » .

(٤) الحماسية ٢٦٨ بشرح المرزوقى ٨٠٥ .

غير أنّه أعاد العامل معه وهو الجارّ. وبهذا استدللنا[١] على أنَّ البدل مِن جملة غير الجملة التى منها المبدل.وهو كثيرٌ فى القرآن والشعر.وأكثر مايُعاد العامل مع البدل إذا كان العاملُ جارًّا،من حيث صار الجارُّ مع ماجرَّه[٢] بمنزلة الجزء الواحد . نعم وأبدل النكرة من المعرفة والنكرة بغير لفظ المعرفة. وهذا شىء يأباه البغداديُّون ويقولون : لاتبدل النكرة من المعرفة حتَّى يكونا من لفظ واحد ، نحو قوله تعالى ﴿بالناصية * ناصيةٍ كاذبةٍ خاطئة[٣]﴾ . وردَّ ذلك أبو الحسن بما أنشده من قول الشاعر :

إنَّا وجدنا بنى جِلّانَ كلَّهُمُ .. .. .. البيت

ومثله ماأنشده أبو زيد :

فلا وأبيكِ خيرٍ منكِ إنِّى البيت .انتهى

وإنّما أوَّله الشارحُ المحقِّق بقوله : أى لاذِى طول ولا ذى قصر ، ليصحَّ جعلُه بدلَ كلٍّ من كل ، إذ لولا التأويل لَكَانَا متغايرين . وإنَّما لم يجعل لا طولٍ بأحد التأويلات الثلاثة صفةً كقوله [٤]أبيك . لتخالف الموصوف والصفة فيهما تعريفاً وتنكيراً ، فلو كان معرَّفا لكان صفة ، كما فى قول أَبى خراش الهذلىّ لامرأته وكانت تسأله الطلاق :

فلا وأَبيكِ الخيرِ لا تجدينه جَميلَ الغنى ولَا صبورا على العُدْمِ[٥]

---

(١) فى اعراب الحماسة: « وهذا هو الذى أرانا ودلنا » .

(٢) كتبت فى نسخة اعراب الحماسة : «معما جره» بوصل مع بما .

(٣) الآيتان ١٥ ، ١٦ من العلق .

(٤) فى النسختين : « لقوله » ، ولا وجه له .

(٥) فى أصول شرح السكرى ١١٩٨ وكذا فى ش مع أثر تصحيح « إلا صبورا على العدم » . والاستشهاد يقتضى رواية ط .

يقول : إن تزوجتِ زوجاً لاتجدينه متعفِّفا ولا يصبر على العُدْم بالضم ، أى الفقر .

و (جِلَّان) بكسر الجيم وتشديد [١] اللام ، علمٌ لا ينصرف . قال الأصمعىُّ فى شرح هذا البيت من شعر ذى الرمة :

وبالشّمائِلِ من جِلَّانَ مُقتنِصٌ رَذْلُ الثياب خفىُّ الشَّخص منزربُ [٢]

الشمائل : جمع شمال .وجِلَّان : قبيلة من عَنَزة ،وهم رُماة [٣] . ورذل الثّياب : خَلَقُها . وخفىُّ الشخص بمعنى ضئيل الشَّخص خِلقةً [٤]. والمُنْزَرِب :الداخل فى الزَّرْب ،وهو قُترة الصائد. يقال انزربَ، إذا دخل .انتهى

وعَنَزة : حيَّان أحدهما : عَنَزة بن أسد بن ربيعة بن نزار . وثانيهما : عَنَزة بن عمرو بن عوف بن عدىّ بن عمرو بن مازن بن الأزد . ولاأعرف عنزةِ المنسوبَ إليها جِلَّان أىّ العَنزَتَين [٥].

وقوله : (كلّهم) تأكيد لبنى جِلّان ، لا لجلَّان . وقوله : (كساعد الضبّ) الساعد: ذراع اليد . والضبُّ ساعدُ جميعِ أفرادِه على مقدارٍ معيَّن خِلقة ، لايزيد ساعدُ فردٍ من أفراده طولا على ساعد فرد آخر ، وكذلك لا ينقص عن ساعدِ فردٍ آخر ، بخلاف سائر الحيوانات فإنّ بين ساعد أفرادها تفاوُتاً فى الطُّول والقصر بحسب الجثة . وهذا ينبغى أن يكون من الأمثال فى الأشياء

---

(١) ضبط فى القاموس ضبط قلم بفتح الجيم . وانظر جمهرة ابن حزم ٢٤٧ ، ٢٩٤ . وضبط فى الاشتقاق ٣٢٣ ضبط قلم أيضا بكسر الجيم .

(٢) ط : « زول الثياب » ، صوابه فى الديوان ١٤ وفى ش مع أثر تصحيح .

(٣) ط : « وهم مار » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٤) فى النسختين : « خلفه » ، والوجه ماأثبت .

(٥) الذى فى الجمهرة ٢٩٤ أن جلان من بنى عنزة بن ربيعة بن نزار .

المتساوية ، كقولهم :« هم كأسنان المُشْط » لكنّى لم أره فى كتب الامثال . أراد أنَّ بَني جِلَّان متساوون فى فضيلةِ رشق السِّهام لايرتفع أحدُهم على الآخر فيها ولا ينْحطُّ عنه .

وهذا البيت لم أقف على قائله . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(فلا وأبيك خيرٍ منكِ)

٣٦٦ البيت السابق ذكرهُ آنفاً لما تقدَّم فى البيت قبله . لكن قدَّم الشارح المحقِّق أنَّه بتقدير رجلٍ خير منك ؛ فالبدل إنّما هو النكرة الموصوفة ، غايتُه أنّه حذف الموصوف وبقيت صفته .ويمكن أن يقال :ماتقدَّم لأجل جمود البدل لا لأجْلِ وصف النكرة المبدلة ، فإنَّ اشتراط الوصف مذهبُ الكوفيين.

قال السَّمِين عند قول صاحب الكشاف فى قوله تعالى : ﴿ناصية كاذبة [(١)]﴾ : جاز إبدالُ النكرة من المعرفة [(٢)] لأنَّها وصِفت،فاستقلَّت بفائدة . قلت : هذا مذهب الكوفيِّين ، لايجيزون إبدال نكرةٍ من غيرها إلاَّ بشرط وصفها ، أو كونها بلفظ الأوّل . ومذهب البصريين:لايُشترَط شيء. وأنشدوا:

فلا وأبيك خيرٍ منكِ ... . البيت . انتهى

وقال ابن عقيل (فى شرح التسهيل) : ولم يشترط البصريُّون فى إبدال المعرفة من النكرة والنكرة من المعرفة اتحادَ لفظٍ ، ولا وجودَ وصف . ونقل ابن مالكٍ عن الكوفيِّين أنَّهم لايبدلون النكرة من المعرفة إلاَّ إن كانت من لفظ الأوّل ، ونسب هذا بعضُ النحويِّين لنحاةٍ بغداد . ونُقل عن الكوفيِّين

---

(١) الآية ١٦ من العلق .

(٢) ط : « عن المعرفة » ، صوابه من ش مع أثر تصحيح .

أيضاً أنَّهم لايفعلون ذلك وعكسَه إلا بالشرط المذكور . وكلام الكوفيِّينَ على خلاف هذا . قال الكسائى والفراء فى : ﴿ قتالٍ فيه [١] ﴾ إنّه على نية عن ، وصُرِّح بعن فى قراءَةِ عبد الله . وأجاز الفرَّاء فى :﴿ هرون أخى [٢] ﴾ كونَهُ مترجِماً لوزِيراً . قال : فيكون نصاً للتكرير .

ونُقل أيضا عن الكوفيِّين والبغداديين اشتراطُ وصف النكرة المبدلة من المعرفة . وتابعهم [٣] السُّهيلىُّ وابن أبى الربيع .

ونقل عن بعض الكوفيين فى إبدال النكرة المبدَلة من النكرة اشتراط وصف المبدلة .

ويدلُّ للبصريِّين:﴿ حدائقَ وأعنابا [٤] ﴾ ، وقولُه :

فألقت قِناعاً دونه الشمسُ واتَّقتْ   بأحسن موصولَينِ كفٌّ ومِعصمِ[٥]

وقوله :

فلا وأبيكِ خيرٍ منكِ . . . . البيت . انتهى

* * *

وأنشد بعده :

(لحافى لحافُ الضَّيف والبردُ بُردُه)

هذا صدر بيتٍ ، وعجزُه :

(ولم يُلهِني عنه غزالٌ مُقَنَّعُ)

على أنَّ اللام قد تنوب عن الضمير كما هنا،فإنَّ الأصل «وبردى برده».وتقدَّم شرح هذا البيت فى الشاهد الثالث والتسعين بعد المائتين[٦].

* * *

(١) الآية ٢١٧ من البقرة .

(٢) الآية ٣٠ من طه .

(٣) ش : « وتابعهما » ، ولكل وجه .

(٤) الآية ٣٢ من النبأ .

(٥) البيت لأبى حية النميرى . البيان ٢ : ٢٢٩ ، والعقد ٦ : ١٦٥ .

(٦) الخزانة ٤ : ٢٥١ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والستون بعد الثلثمائة [١] :

٣٦٨ (أوعَدَنى بالسِّجنِ والأَدَاهِم
رِجلى ورِجلى شَثْنةُ المَنَاسِمِ)

على أنّ قوله (رِجلى) بدلُ بعضٍ من ياء المتكلم فى (أوعدنى) .

هذا هو الظاهر . وعليه اقتصر الفراء (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ للذين اتَّقَوا عِنْدَ ربِّهِمْ جَنَاتٌ [٢] ﴾ .

واستُشْكلت البدلّية بأنّ الرِّجْل لاتُوعَد بالسّجن . وأجيب بأنّها لما كانت سبباً للدخول ناسبَ إيعادُها بذلك .

وفيه وجوه ثلاثة :

أحدها : ماقاله ابن السِّيد (فى شرح أبيات أدب الكاتب) ، وهو أنّه يجوز أن يكون رجلى مفعولاً ثانيا حذف منه حرفُ الجرّ اختصاراً ، كأنه أراد : لرجلى .

وثانيها : ماقاله أبو حيان (فى تذكِرته) ومن خطِّه نقلت ، وهو أن يكون رجلى منادًى على طريق الاستهزاء بالمُوعد . ٣٦٧

ثالثها : مانقله ابنُ السِّيرافى (فى شرح أبيات إصلاح المنطق) عن بعضهم ، وهو أن تكون الأداهم معطوفةً على السِّجن، ورجلى معطوفةً على ضمير المتكلم،أى أوعدنى بالسجن وأوعد رجلى بالأداهم،كما تقول:ضربَنى

---

(١) إصلاح المنطق ٢٥٣ ، ٣٢٦ ومجالس ثعلب ٢٧٤ واعراب القرآن المنسوب للزجاج ٢٠٧ وابن يعيش ٣ : ٧٠ والشذور ٤٤٢ والعينى ٤ : ١٩٠ والتصريح ٢ : ١٦٠ والهمع ٢ : ١٢٧ والأشمونى ٣ : ١٢٩ واللسان (وعد ٤٧٩) .

(٢) الآية ١٥ من آل عمران .

بالعصا والسَّوطِ ظهرى ، تريد ضربنى بالعصا وضربَ ظهرى بالسَّوط ، ويكون على هذا من باب عطف معمولين على معمولى عاملين مختلفين .

و(رجلى) الثانية مبتدأ وشثْنةُ خبرها ، وأتى بها ظاهرةً غير مضمرة تعظيماً لأمرها وإشادةً بذكرها ، أوْ لأنَّها وقعت فى جمله ثانية .والواو للحال ، وروى : (فرجلى) بالفاء على السببية . و(الشثْنة) : الغليظة الخشنة ، يقال فى صفة الأسد : شثْن البراثن . قال العينى : ويجوز أن يكون بتقديم النون على المثلثة ، من شَنِثَتْ مشافِرُ البعير ، أى غلُظت من أكل الشَّوك . و(المناسم) : جمع مَنسِم كمجلس ، وهو طرَفُ خفِّ البعير ، استعاره للإنسان . وحسُن ذلك ههنا لما ذكره من جَلَده وقوَّته،وبذلك يَصِفون أنفسَهم.وقال ابن السيرافى: المنسم : أسفل خُفِّ البعير ، ولايستعمل لغيره إلّا فى ضرورة شعر . وأراد بالمناسم هنا باطنَ رجليه . يقول : رجلى غليظةٌ لاتألم لجعلها فى القيد . هذا كلامه ، وهذه الإرادة غير ظاهرة . و(الأداهم) : جمع أدهم ، وهو القيد . والسِّجن بالكسر : اسمٌ للمحبس ، والمصدر بالفتح . يقال سجنته سَجْناً من باب قتل . و(أوعَده) بكذا بمعنى هدَّده به . قال الخطيب التِّبريزى (فى شرح إصلاح المنطق) : قال الفراء : يقال وعدته خيرا ووعدته شرًّا بإسقاط الألف ، فإذا أسقطوا الخير والشر قالوا فى الخير : وَعدته ، وفى الشرّ أوعدته . فالوعد والعِدة فى الخير ، والإيعاد والوعيد فى الشر . فإذا قالوا أوعدته بكذا أثبتوا الألف مع الباء . وأنشد :

أوعدَنى بالسِّجن والأَداهم . . . . . البيت . انتهى

وقال ثعلب (فى أماليه): يقال وعدته خيرا وشراً ،وإذا لم يُذكَر الخير ولا الشرّ قيل فى معنى الخير : وعدته ، وفى الشر : وَعَدته ، وفى بعض اللغات أوعدته بالشر . وأنشد هذا البيت .

وفيه مخالفةٌ للفراء فيما إذا لم يُذكر الموعود به ، فانّه إذا أريد المكروه زيدت الألف .

وثعلبٌ ساوى بين ماإذا أريد الخير أو المكروه فى أنه يقال بلا ألف . قال (فى الفصيح) : وعدت الرجل خيراً ، وإذا لم تذكر الشرَّ قلت وعدته. وأوعدتُه بكذا ، تعنى الوعيد .

قال الإمام المرزوق (فى شرح الفصيح) : وعدته خيراً وشراً . فإنْ أطلقْت ولم تقيِّد قلت فى الخير : وعَدت وعْدا وعِدة وموعدا ومَوعدة . والميعاد : الوقت ، والموضع . وفى الشر : أوعدته إيعادا ووعيدا . هذا هو الصحيح . وقوله فإذا لم تذكر الشر قلت أوعدته بكذا ، قال أبو إسحاق الزجاج : قلت لثعلب : قولك بكذا ينقُض ماأصَّلته ؛ لأنَّ وعَدَ بإطلاقه ضمانٌ فى الخير ، وأوعد ضمانٌ فى الشرِّ ، ولا حاجة إلى بكذا . قال أبو على : ويمكن أن يقال فى جوابه بكذا إشارة إلى نوعٍ مما يتوعَّدُ به ، وإذا كان القصد إلى التنويع احتيج إليه . ألا ترى قوله :

* أوعدنى بالسِّجْن والأداهم .[1] *

وقول الآخر :

* أتوعدنى بقومك ياابنَ سُعدَى *

والمنكَر أن يقال أوعَدنى بالشر . فاعلمْهُ . انتهى .

٣٦٨ وهذا الشعر بيتان من الرجز المسدَّس . قال ابن السيد : لاأعلم قائله .

صاحب الشاهد وقال ياقوت (فى حاشية الصحاح)، وتبعه العينى : قائله العُديل بن الفُرْخ ،

العُدَيل بن الفُرْخ وهو شاعر إسلامىٌّ فى الدولة المروانيَّة ، وهو بضم العين وفتح الدال المهملتين . والفُرْخ ، بضم الفاء وسكون الراء وآخره خاء معجمة .

---

(١) لبشر بن أبى خازم فى ديوانه ٢١ . وعجزه :

* وذلك من مُلمَّاتِ الخطوب *

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء [١]) : العُديل بن الفُرخ لقبه العَبَّاب ، بفتح العين المهملة وتشديد الموحدة الأُولى . والعَبَّاب : اسمُ كلبِه . وهو من رهط أَبى النَّجم العجلى ، وكان هجا الحجَّاجَ وهرب منه إلى قيصرَ مَلكِ الرومِ ، فبعث إليه : لترسلنَّ به أو لأُجهِّزَنَّ إليك خيلاً يكون أوَّلُها عندك وآخرُها عندى ! فبعث به إليه ، فلما مثَلَ بين يديه قال : أنت القائل :

ودونَ يدِ الحجاج من أن تنالَنى بَساطٌ بأيدى النَّاعجاتِ عريضُ
مهامِهُ أشباهٌ كأنَّ سَرابَها مُلاءٌ بأيدى الغانياتِ رحيضُ

فقال : أنا القائل :

فلو كنتُ فى سَلْمَى أَجَا وشِعابها لكان لحجَّاجٍ علىَّ دليلُ
خليلُ أميرِ المؤمنين وسيفُه لكلِّ إمامٍ مصطفًى وخليلُ
بَنى قُبَّةَ الإسلام حتَّى كأنَّما هَدَى الناسَ من بعد الضلالِ رسول

فعفا عنه وأطلقه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والستون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد س [٢] :

٣٦٩ (ذرينى إنَّ حُكمكِ لن يُطاعا
وما أَلفيتُنى حِلمِى مُضاعَا)

على أن قوله : (حلمى) بدل اشتمال من الياء فى أَلفَيتنى .

قال ابن جنى (فى إعرابِ الحماسة): أنَّما يجوز البدل من ضمير المتكلم

---

(١) الشعراء ٣٧٥ والأغانى ٢٠ : ١١ ــ ١٩ .

(٢) فى كتابه ١ : ٧٨ . وانظر ابن يعيش ٣ : ٦٥ والشذور ٤٤٣ والعينى ٤ : ١٩٢ والهمع ٢ : ١٢٧ وديوان عدي بن زيد ٣٥ .

وضمير المخاطب إذا كان بدلَ البعض أو بدلَ الإشتمال ، نحو قولك : عجبت منك عقلِك ، وضربتُك رأسَك . ومن أبيات الكتاب :

ذرينى إنَّ أمرك لن يُطاعا ....البيت

فحلمى بدل من نى . ولو قلت قمتُ زيدٌ ، أو مررتَ بى جعفر ، أو كلمتك أبو عبد الله ، على البدل لم يجز ، من حيث كان ضمير المتكلم والمخاطب غايةً فى الاختصاص ، فبطل البدل ، لأنّ فيه ضرباً من البيان ، وقد استغنى المضمر بتعرُّفه . انتهى

وكذلك الفراء (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ مثلُ الذين كَفَروا بربِّهم أعمالُهمْ كَرَمادٍ [١] ﴾ . الحلم منصوب بالإلفاء [٢] على التكرير ، يعنى البدل ، ولو رفعه كان صواباً . وأورده أيضا عند قوله تعالى : ﴿ويومَ القيامة تَرىَ الذينَ كَذَبُوا على اللهِ وجوهُهم مسوَدَّةٌ [٣] ﴾.

وتبعه الزجاجُ فيها ، ونسبه إلى عدىّ بن زيد ، قال فى الآية:ترفع « وجوههم»و «مسودّة»لأنَّ الفعل قد وضع على الذين،ثم جاء بعد الذين اسمٌ له فعلٍ،فرفعتَه بفعله وكان فيه معنى نصب.وكذلك فافعلْ بكلٍّ اسم أوقعت عليه الظنَّ والرأى ومأأشبههما،فارفع مايأتى بعده من الأسماء إذا كان أفاعيلها بعدها،كقولك رأيت عبد الله أمره مستقيم [٤].فإنْ قدَّمت الاستقامة نصبتها ورفعت الاسم فقلت :رأيت عبد الله مستقيما أمره.ولو نصبت الثلاثة فى

---

(١) الآية ١٨ من إبراهيم .

(٢) أى عامله ألفى ، على نية تكرار العامل فى البدل . وفى ش : «بالإلغاء» . وفى معانى القرآن ٢ : ٧٣ : « بالإلقاء » ، والصواب ماأثبت من ط .

(٣) سورة الزمر ٦٠ .

(٤) ط : « وأمره مستقيم » ، والصواب حذف الواو كما فى ش .

المسألة الأولى على التكرير كان جائزا ، فتقول : رأيت عبد الله أمرَه مستقيما .
وقال عدىّ بن زيد :

ذريني إنّ أمرك لن يُطاعا ..... البيت

فنصب الحلم والمضاع على التكرير . ومثله :

* ما للجمالِ مَشْيِها وئيدا *

فخفض الجمال والمشى على التكرير . فلو قرأ قارئٌ : وجوهَهم مسودَّةً على هذا لكاَن صوابا . انتهى

٣٦٩ وقوله : (ذرينى) خطابٌ لامرأته ، أى اتركينى ودعينى . وجملة (إنَّ حكمك) إلخ مستأنفة للتعليل .

وروى سيبويه : « إنَّ أمرَكِ » وهو بمعناه . وجملة (ماألفيتُنى) الخ معطوفة عَلَى الجملة المستأنفة .

وروى العينى : « ولا أُلفيتِنِى » .وأُلفَى بمعنى وجد من أخوات ظنّ تنصب مفعولين ، والتاء المكسورة فاعلها ، والنون نون الوقاية ، والياء مفعول ، وحلمى بدل من الياء . وتَساهلَ النحاسُ (فى شرح أبيات سيبويه) وتبعه ابن السِّيد (فى أَبيات المعانى) فقالا:حلمى بدلٌ من النون والياء . ومن العجائب قول العينى:حلمى بدل من النون ، وكأنه أراد أن يتبع النَّحَّاسَ فيسقط من قلمه أو من قلم الناسخ عطفُ الياءِ على النون.و(الحِلم) بالكسر:العقل.يقول لها:ذرينى من عَذْلك فإنِّى لاأطيع أمرك،ولا وجدتُنى سفيهاً[1]مضيَّعَ الحلم،وعقلى يأمرنى بإتلاف مالى فى اكتساب الحمد.(ومضاعا) مفعول ثان لأَلفى،وهو اسم مفعول من الإضاعة،ولايصحُّ أن يكون حالاً كما زعم بعضهم.

---

(١) ط : « سفها » ، صوابه فى ش .

ونقل العينى عن (تذكرة أبى حيان) بأنه يجوز حلمى مضاع بالرفع على الابتداء والخبر ، والجملة مفعول ثان . وفيه أنَّ هذا البيت من قصيدة قوافيها منصوبة . قال ابن السِّيد : لايجوز رفعهما ؛ لأنَّ القوافىَ كلَّها منصوبة .

صاحب الشاهد

والبيت نسبه سيبويه لرجل من خثعم أو بجيلة . وتبعه ابن السراج (فى أصوله) . وعزاه الفراء والزجاج إلى عدىّ بن زيد العِبادىّ ، وهو الصحيح.

أبيات الشاهد

وكذلك قال صاحب (الحماسة البصرية) وأورد من القصيدة بعده هذه الأبيات :

(ألاَ تلك الثعالبُ قد تهاوَتْ
علىّ وحالفتْ عُرْجاً ضِبَاعا [1]
فإنْ لم تندَموا فثَكِلتُ عَمْراً
وهاجــرتُ المروَّق والسَّماعـــا
ولا ملكتْ يداى عِنانَ طِرفٍ
ولاأبصرتُ من شمسٍ شعاعـا
وخُطَّةَ ماجِدٍ كلّـفتُ نفسى
إذا ضاقوا رَحُبتُ بها ذراعا)

قوله:«تعاوت» تفاعلت من العُواء،وهو صياح الكلب والذئب والثعلب. وأراد بالثعالب الذين لاموه على جُوده حسداً ولؤما .والثعلب سبعٌ جبان مُستضعف ، ذو مَكْرٍ وخديعة،ولكنَّه لفرط المكر والحيلة ، والخبث والخديعة يجرى مع كبار السباع .قال الجاحظ [2]:ومن أشدّ سلاح الثعلب الرَّوَغان ،وفى المثـل: «أروَغُ من ثعـلب» .والرَّوَغـان بالتحـريك:مصدر راغ الثعـلب

(١) الحماسة البصرية ١ : ٦٥ .
(٢) الحيوان ٦ : ٣٠٢ بتصرف .

يروغ رَوغا ورَوَغانا ، أى ذهب يَمنْة ويَسْرة فى سُرعةٍ خديعةً ، فهو لايستقرُّ فى جهة . و «حالفت» بالحاء المهملة ، أى عاهدت ، يقال تحالفا ، أى تعاهدا وتعاقدا عَلَى أن يكون أمرهُما واحداً فى النُّصرة والحماية . وبينهما حِلْف بالكسر ، أى عهد . والحليف : المعاهَد .

وضباعا مفعول حالفت : وعرجا كان فى الأصل صفة لِضِباعاً ، فلما تقدَّم صار حالاً منه . أى عاهدتْ تلك الثعالب مَن هو أسوأ حالاً منها . والضِّبَاع بالكسر : جمع ضبع،وهى يُضرب بها المثل فى حمقها فيقال: «أحمقُ من ضبع». قال صاحب المصباح : الضَّبُعُ بضم الباء فى لغة قيس ، وبسكونها فى لغة تميم ، وهى أنثى ، وقيل يقع عَلَى الذكر والأنثى ؛ وربما قيل فى الأنثى ضَبْعة كما قيل سَبع وسَبْعة بالسكون مع الهاء للتخفيف . والذكر ضِبْعانٌ والجمع ضَباعِينُ ، مثل سِرحان وسَراحين . ويجمع الضَبع بضم الباء عَلَى ضباع ، وبسكونها [1] عَلَى أضبع . انتهى . ٣٧٠

والعُرْج : جمع عرجاء ، كصُفْر جمع صفراء . والضَّبع توصف بالعَرَج وليست بعرجاء ، وإنما يخيَّل ذلك للناظر . وسبب ذلك التَّخيُّلِ لدونةٌ فى مفاصلها ، وزيادةُ رطوبة فى الجانب الأيمن عَلَى الأيسر منها . كذا فى حياة الحيوان للدَّمِيرى .

ومن الغرائب قول العينى هنا : قوله تعاوت من عُواء الكلب . وقوله ضباعا جمع ضبع ، وهو الحيوان المعروف ، وهذا الجمع للذكر والأنثى مثل سباع وسبع. وقوله عَرِجا بفتح العين وكسر الراء صفة للضّباع قدِّمتْ عليه للضَّرورة . وتوصف الضِّباعُ بالعَرَج كما توصف بالخَمَع . والعَرْج أيضاً يقال للقطيع من الإبل نحو الثمانين أو المائة والخمسين . فعلى هذا يكون قوله ضباعا بالكسر:

---

(١) ط : « وبسكون » ، وأثبت مافى ش .

جمع ضابع إذا كانت شديدة الجرى . هذا كلامه بحروفه . وأىُّ فائدة فى تسطيره ، ولا يُزَادُ الطالب منه إلّا جَهالة .

وقوله : « فإنْ لم تندموا » إلخ التفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب . وأراد بالنَّدم الرجوعَ عن لوْمِه ، فإنَّ النَّدمَ لازمه . وجملة ثكلتُ دعائيّة . وعمروٌ : ابنُه.وهاجرت بمعنى قاطعت ، من الهَجْر بالفتح ، أى التّرك . والمروَّق أراد به الخمر . يقال خمرٌ مروَّق [١] . والسَّماع أراد به آلة الطرب واللهو . والطِّرف بالكسر : الكريم من الخيل . والخطّة بضم الخاء المعجمة : الحالة والخَصْلة ، وهو مفعولٌ مقدَّم لكَلَّفتُ . وذراعاً : تمييز محوَّل عن الفاعل . ورُحْب الذراع : سَعتها [٢]. وبسطها:طولها . وضيق الذِّراع والذَّرْع :قِصرَها . ووجههُ أنَّ القصير الذراع لاينال مايناله الطَّويل الذراع ، ولايُطيق طاقته . فضُرِب للذى سقطتْ قُوَّتُه دونَ بلوغ الأمر والاقتدار عليه.وبالعكس طول الذراع وبَسْطها.

وقد تقدّمت ترجمة عدى بن زيد مفصَّلة فى الشاهد الستين [٣] : وهو شاعرٌ جاهلى .

والعبادىّ ، بكسر العين وتخفيف الموحدة ، نسبة إلى عِبَاد ، وهم قبائلُ شتَّى من العرب اجتمعوا على النَّصرانية بالحِيرة . وزعم الجوهرىُّ أنّه بالفتح . والصواب ماذكرنا .

* * *

وأُنشد بعده،وهو الشاهد السبعون بعد الثلثمائة،وهو من شواهد سيبويه[٤]:

---

(١) الخمر مؤنَّثة ، وقد تذكَّر كما هنا .

(٢) السَّعَة بفتح السين وكسرها : الاتساع . ط : «وسعها» ش : «وسعتها» ، والصواب ماأثبت .

(٣) الخزانة ١ :٣٨١ .

(٤) فى كتابه ١ :٨٠.وانظر ابن يعيش ٣ :٦٧ والهمع ٢ :١٥٧ ، ونسب للأعشى ، وليس فى ديوانه .

٣٧٠ (وكأَنَّهُ لهِقُ السَّراةِ كأنَّه
ما حاجِبَيْه مُعَيَّنٌ بسَوَادِ)

على أنه قد يعتبر الأوَّل فى اللفظ دون الثانى ، أى يعتبر المبدل منه فى اللفظ دون البدل ، فإنَّ قوله حاجبيه بدلٌ من ضمير كأنه . قال ابن السيد (فى أبيات المعانى) وابن خلف : هو بدل اشتمال ، ومازائدة . وقال أبو على (فى إيضاح الشعر) : قوله حاجبيه بدل من الضمير ، وما لا تكون إلا زائدة ، وقد روعى الضَّمير المبدل منه فى اللفظ بجعل معيَّن مفردا ؛ ولو روعىَ الذى هو حاجبيه لقيل معيَّنان بالتثنية . وقد يقال إنّ الحاجبين لما لزم أحدُهُما الآخر صار الإخبار عنهما كالإخبار عن الشىء الواحد ، وكذا حال ماهو مثّنى فى البدن ، يجوز إفراد خبرهِ وصفتهِ على المعنى ، وتثنيتُه على اللفظ ، كقوله :

لمن زُحلوقـــةٌ زُلٌّ لها العينان تنهَلُّ [1]

فأخبرَ عن العينين بما يكون خبراً عن الواحد . وعليه قول المتنبى : ٣٧١

حَشَاىَ على جمرٍ ذكيٍّ من الهوَى
وعيناىَ فى روض من الحسن ترتعُ [2]

وقال آخر [3]:

وكأنَّ بالعينين حبَّ قرنفُلٍ أو سُنْبلاً كُحِلتْ به فانهلَّتِ

وكانَ الظاهر أنْ يقول : كحلتا ، فأفرد لأنهما لايفترقان . ويجوز عكس هذا فيخبر عن الواحد منهما بالتثنية ، كقوله :

وَعين لها حَدْرةٌ بَدرةٌ وشُقَّتْ مآقيهما من أُخُرْ [4]

---

(١) اللسان (زلل) . وقال : « ويروى : زحلوفة » ، يعنى بالفاء .

(٢) ط : «حشائى» ، صوابه فى ش وديوان المتنبى ١ : ٣٨٤ .

(٣) هو سلمى بن ربيعة . الحماسة بشرح المرزوقى ٥٤٧ .

(٤) لامرىء القيس فى ديوانه ١٦٦ . وفى ش والديوان : «شقت» بغير واو .

فابتدأ بذكر عينٍ واحدة ، ثم أخبر عن الاثنتين . ومنه قول الآخر على وجهٍ :

تسائِلُ بابن أحمرَ مَنْ رآهُ أعَارت عَينُه أم لم تعَارا [١]

فلمَّا استفهم عن الواحدة عطف بالاثنتين فى قوله «أم لم تعَارا» . وقيل معيَّن مصدر كممزَّق [٢] ؛ وإذا أخبِر بالمصدر كان موحَّداً .

هذا وسيبويه إنّما أورد البيتَ للبدل ، ولم يذكر مااعتبره الشارح المحقِّق . وهذه عبارته : وإن شئت قلت : ضُرِبَ عبدُ الله ظَهرُه ، ومُطِرَ قومُك سهلُهم ، على قولك : رأيت القومَ أكثرهم ، ورأيت عمراً شخصَه ، كما قال :

وكأنَّه لهِقُ السَّراة... ...... البيت . انتهى.

ويجوز أن يكون هذا من قبيل بدل البعض . وماذكره الشارح المحقِّق هو كلامُ أبى علىٍّ (فى إيضاح الشعر) ،قال فى موضع آخر منه: قد جاء الحمْلُ على المبدَل منه . قال :

وكأنَّه لَهِقُ السَّراةِ .... البيت

فجعل الخبر فيه عن المبدل منه دون البدل .

وقوله : (وكأنّه لهق) إلخ رواه سيبويهِ «فكأنه» بالفاء .قال الأعلم: وصف الشاعر ثوراً وحشِياً شَبَّه به بعيره فى حِدّتهِ ونشاطه ، فيقول:كأنّه ثورٌ لهِق السَّراة ، أى أبيض أعلى الظَّهر [٣]أسفع الخدَّين ، كأنّما عُيِّنَ بسواد.وكذلك بقر الوحش بيضٌ كلُّها إلاّ سُفعةً فى خدودها ومغابنها وأكارِعها.انتهى.

(١) لابن أحمر . شرح شواهد الشافية ٣٥٣ . وفى ط : « أغارت أم لم تغارا » بالغين المعجمة ، وأثبت مافى ش مع أثر تصحيح ، وهو مافى شرح شواهد الشافية . وهما روايتان كما نص البغدادى .

(٢) ط : « كنمرق » ، صوابه فى ش .

(٣) ط : « أبيض الظهر أعلاه » ، صوابه فى ش وشرح الأعلم .

وقال ابن خلف : اللَّهَق :البياض . والسَّراة: أعلى الشَّىء . وثور الوحش يُوصف بأنّه لهِق السَّراة . وقيل إنّه يصف جملاً وسيرَه وسُرعته ، وشبَّهه بثورٍ وحشٍ فى سرعته . والجملة التى هى « كأنه ماحاجبيه » إلخ ، وصفٌ للثور . وترتيب الكلام : كأنَّ هذا الجملَ ثورٌ لهق السراة ، كأنَّ هذا الثور حاجبيه معيَّن بسواد ، يعنى أنَّ ماحول حاجبيه وعينيه أسود . والعِينَة : ماحول العينين ، كأنّه قال : مسودّ العينة . انتهى .

وفى العباب : قال الليث : اللَّهَق بالتحريك : الأبيض ليس بذى بريق كاليَقَق ، إنَّما هو نعتٌ فى الثوب والشَّيب . والبعير الأعيَسُ لهِقٌ ، والأنثى لهِقة ، والجمع لهِقات ولِهَاق . ولَهَق الشيءُ لَهقا مثل سَحَق سَحْقاً ، ولهِق لهَقا مثل أرِق أرقا ، إذا كان شديد البياض . انتهى .

يريد أنّه جاء من بابى فتح فتحا وفرح فرحا . و(السَّراة) بفتح السين ، قال صاحب الصحاح: وسراة كلِّ شىء : ظهره ووسطهُ . و(المعيَّن) بزنة اسم المفعول .ولم يزد صاحب الصحاح على قوله:المعيّن: ثور . وفى القاموس : والمعيَّن كمعظَّم : ثورٌ بين عينيه سوادٌ ، وهو مشتقٌّ من العِينة بالكسر ، وهى مصدر عَيِنَ عيَناً من باب فرح وعِينةً ، إذا عُظم سواد عينه فى سَعة . والعِينة أيضاً من النَّعجة : ماحول عينيها .

وهذا البيت من أبيات سيبويه الخمسين التى لم يُعرف لها قائل . ٣٧٢

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والسبعون بعد الثلثمائة [1] :

٣٧١ (إنَّ السّيُوف غُدوَّها ورَوَاحَها

تركَتْ هَوَازِنَ مثلَ قَرنِ الأعضَبِ)

---

(١) ديوان الأخطل ٢٨ والكامل ٤٣٩ والأشمونى ٣ : ١٣٢ .

لما تقدَّم قبله ، فإنَّ قوله غدوَّها بدلٌ من السيوف .

قال المبرد (فى الكامل) : هو يدل اشتمال ، وقد روعى المبدلُ منه فى اللَّفظ بإرجاع الضمير إليه من الخبر ، ولم يُراعَ البدل ، ولو رُوعِىَ لقيل تُركا بالتثنية .

وهذا أيضاً كلام أبى على (فى إيضاح الشعر) فإنه أورد هذا البيت مع البيت الذى قبله لما ذُكر . وفيه أنه يحتمل أنَّ نصب غدوَّها على الظرف ، كخفوقَ النجم ، وكأنَّه قال : إنَّ السيُّوفَ وقتَ غدوِّها ورواحِها .

و(هَوازن) : أبو قبيلة ، وهو هوازن بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفَة ابن قيس بن عَيْلان بن مضر . و(الأعضب) بإهمال العين قال صاحب (العباب) : العَضْباء : الشاة المكسورةُ القَرن الداخل،وهو المشاش [١] . ويقال هى التى انكسر أحدُ قرنيها . وقد عَضِبت بالكسر ،وكبشٌ أعضب بيِّن العَضَب . وأنشد هذا البيت .

صاحب الشاهد

وهو من قصيدة للأخطل عِدَّتها ستةَ عشَر بيتاً ، مدح بها العبَّاسَ بن محمد بن عبد الله بن العباس رضى الله عنه ، فأعطاهُ ألف دينار ، وكان يقال له «المذْهَبُ» لجماله . روى أنَّه خرج على فرسٍ له وعليه مُطْرِفُ خَزٍّ ، فأشرفت امرأةٌ فنظرت إليه فقالت : ماأحسن هذا ؟! فتقطَّرَ به فرسُه فمات .

من أبيات الشاهد

وهذا مطلع القصيدة :

(بانَ الشَّبابُ وربَّما عللتُـه ... بالغانيات وبالشَّراب الأصهبِ
ولقد شربتُ الخمرَ فى حانوتها ... ولعبتُ بالقَيناتِ عَفٌ الملعبِ [٢])

---

(١) ط : « وهى المشاش » ، صوابه فى ش .

(٢) فى ديوان الأخطل : « كل الملعب » .

وقال فى مدحه :

(لذٌّ تقبَّله النَّعيم كأنَّما مُسِحتْ ترائبُه بماءٍ مُذهبِ[١]
لَبَّاسِ أرديةِ الملوكِ تَروقُه من كلِّ مُرتقَبٍ عيونُ الرَّبربِ
يَنظُرن من خَلَلِ السُّتور إذا بدا نَظَرَ الهجانِ إلى الفنيقِ المُصعَبِ
خَضِلِ الكِياسِ إذا تشتَّى لم تكنْ خُلفا مَوَاعدُه كبرق الخُلَّبِ [٢]
وإذا تُعوورت الزُّجاجة لم يكنْ عند الشراب بفاحش متقطِّبِ)

اللَّذُّ : المتلذِّذ . وتقبَّله النعيم ، إذا استبان عليه . والرَّبرب : جماعة النساء . والهجان من الإبل : كرامُها وبيضها . والفنيق : الفحل المتروك لايركب ولايُحمل عليه . والخَضِل : الندىُّ . والكياس [٣] . والتعاور : التداول .

وبعد هذا اقتضب الكلام فقال :

إن السيُّوفَ غُدُوَّها ورواحَها . . . . . البيت

وبعده :

(وتركن عمَّك من غنىّ ممسكاً بإزاء منخرق كجُحْر الثعلبِ [٤]
وتركن فَلَّ بنى سُلَيم تابعاً لبنى ضَبِينةَ كاتِّباع التَّولبِ
ألْقَوا البُرينَ ، بنى سُليم ، إنَّها شانت وإنَّ حَزَازها لم يذهبِ [٥]

---

(١) قبله — وذلك لتوضيح إعرابه :

ولقد غدوت على التجار بمسمح هرت عواذله هرير الأكلب

(٢) ط : «إذا تنشا» ، صوابه فى الديوان وش مع أثر تصحيح .

(٣) والكياس ، كذا وردت فى النسختين بدون تفسير بعدها ، وهى جمع كأس ، يقال فى جمعها أكؤس وكئوس وكئاس وكياس . اللسان (كأس) وشرح ديوان الأخطل .

(٤) فى النسختين : «منحرق» ، صوابه فى الديوان . يقول : كأنهم تمسكوا بحوض صغير قد ذهب ماؤه .

(٥) شانت ، من الشين ، أى قبحت ، وهو على حذف المفعول . وفى الديوان : «شابت» من الشيب . وهو تعريض بالمرأة التى خزمت أنفها .

٣٧٣ ولقد علمت بأنّها إذْ عُلِّقَتْ سِمةُ الذَّليل بكلِّ أنف مُغْضَبِ
والخَيلُ تعدو بالكماة كأنَّها أُسْدُ الغياطِلِ من فوارسِ تَغْلبِ)

وهذا آخر القصيدة :

وقوله : « وتركن عمك من غنى » إلخ غنىّ : قبيلة .قال شارح ديوانه السكرى: هذا مثَلٌ ،يقول : لاشيء بأيديهم ، كأنهم تمسَّكوا بحوضٍ صغير قد ذهب ماؤه . وإزاء الحوض : موضع مصَبِّ الدّلو فى مقدَّمه ، فيوضع هناك حجرٌ يصَبُّ عليه الماء أو عباءةٌ ، لئلاّ يثور الطينُ فيفسدَ الماء .

وقوله : « وتركن فَلَّ بنى سُليم » الفَلّ بالفتح: المنهزمون . وسليم بالتصغير . وضَبِينة ،بفتح المعجمة وكسر الموحَّدة وقبل الهاء نون ، هى أمُّ سعدِ مَناة بن غامد بن الأزد ، غلبت على نسب ولدها . قاله السكرى .

وقوله :« ألقُوا البرين» الخ ألقوا : أمرٌ من الإلقاء . والبُرينَ : جمع بُرةٍ بضم الموحَّدة ، وهى مايُخزم به الأنف .وبنى سليم منادًى . وذلك أنَّ أمرأةً من سُليم خزمت أنفها لما قتل عمير بن الحُباب [1] وحلفت أن لاتنزعَها حتى تدرك بثأره . والغياطل : جمع غَيطَلٍ ، وهو الشَّجر الكثير الملتفّ . وتغلب : قبيلة الأخطل . افتخر بفوارس قومه .

وترجمته تقدمت فى الشاهد الثامن والسبعين [2] .

* * *

---

(١) ط : « عمرو بن الحباب » ، صوابه « عمير » بالتصغير كما فى ش وجمهرة أنساب العرب ٢٦٤ . وكان له شأن فى الحرب بين قيس وتغلب ، وقتلته تغلب . الأغانى ١١ : ٥٥ ، ٢٠ : ٢٦ . قتله زياد بن هوبر ، كما فى الاشتقاق ٣٣٩ . وفى الاشتقاق ٣٠٨ : « وكان عمير من فرسان الناس فى أيام عبد الملك وأيام الفتنة بالشام ، وكان امتنع على عبد الملك بنصيبين وغلب عليها وعصاه .

(٢) الخزانة ١ : ٤٥٩ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والسبعون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد سيبويه [(١)] :

٣٧٢ (إنَّ عَلَيَّ اللهَ أن تُبايِعا تؤخذَ كَرهاً أوتجيءَ طائعا)

على أنَّ الفعل قد يُبدل من الفعل إذا كان الثانى راجحَ البَيان عَلَى الأوّل كما فى البيت . فتؤخذَ بدل من تبايعَ ، وتجيء معطوف على تؤخذ . وهذا البدل أبين من المبدل منه ، والبدل فى الحقيقة إنما هو مجموع المعطوف والمعطوف عليه ، إذْ لاتكون المبايعة [(٢)] إلاّ عَلَى أحد الوجهين من إكراه أو طاعة . وهو كقولهم : الرُّمّان حلو حامض ، وإن كان يقال باعتبار اللفظ إنَّ تجيء معطوفٌ عَلَى تؤخذَ ، كما يقال فى مثل ذلك من الخبر والحال .

والآية قبل البيت [(٣)] من بدل الكلّ ،قال الخليل : لأنَّ مضاعفة العذاب هى لُقيُّ الأثام . والظاهر أنَّ بدل الفعل من الفعل عند الشارح المحقق إنما يكون فى بدل الكل ، وهو مذهب السِّيرافى ، قال : لايبدل الفعل إلاّ من شيء هو فى معناه [(٤)]لأنه لايتبعَّض ولا يكون فيه اشتمال ، فتؤخذ كرها أو تجيء طائعا هو معنى المبايعة ، لأنها تقع عَلَى أحدهما .

وقد يَظْهر من كلام سيبويه فى باب مايرتفع بين الجزمين .

وقد جوَّز المتأخرون الأبدال الأربعة فى الفعل،منهم الشاطبى (فى شرح

---

(١) فى كتابه ١ : ٧٨ . وانظر المقتضب ٢ : ٦٣ والعينى ٤ : ١٩٩ والتصريح ٢ : ١٦٢ والأشمونى ٣ : ١٣١ .

(٢) ش :« المتابعة » ، صوابه فى ط .

(٣) يشير إلى استشهاد الرضى بقوله تعالى : « ومن يفعل ذلك يلق أثاما * يضاعف له العذاب » . الرضى ١ : ٣١٧ .

(٤) ش : « إلا من شيء هو فى معناه » .

الألفية) قال : يتصوَّر فى بدل الفعل من الفعل **ماتُصوِّر فى** بدل الاسم من الاسم ، فقد يكون فيه بدل الكلّ من الكلّ ، **ومنه قوله :**

* متى تأتنا تُلمم بنا فى ديارنا [١] *

وقد يكون فيه بدل البعض كقولك : إنْ تصلِّ تَسجدْ لله يرحَمْك .

وبدل الاشتمال أيضاً . ومنه قوله :

إنَّ علىّ الله أن تبايعـــا ..... البيت

لأنَّ الأخذ كرها والمجىء طوعا من صفات المبايعة . وظاهر كلام سيبويه يقتضى أنّه أنشده شاهداً على بدل الاشتمال ؛ لأنه أتى به مع قول الآخر : ٣٧٤

* فما كان قيسٌ هلكه هُلك واحدٍ [٢] *

وقول الآخر :

* وما ألفيتُنى حِلمى مُضاعا [٣] *

وذلك فى بابٍ من أبواب بدل البعض والاشتمال.وإذا ثبت بدلُ البعض ثبت بدل الاشتمال:لأنَّه مشبَّه به،إذ عدُّوا وصف الشىءِ كالجزء منه.وقد يكون فيه بدلُ الإضراب والغلط، نحو : إنْ تطعم زيداً تكسُه أكرمْك. وقد سأل سيبويه الخليل عن قولك:إن تأتنا تسألْنا نُعطِك،بجزم تسألْنا . فقال : هذا يجوز على أن يكون مثل الأوّل ، لأنَّ الأوّل الفعلُ الآخِر تفسيرٌ له[٤]،

---

(١) لعبيد الله بن الحر ، وهو من شواهد سيبويه ١ : ٤٤٦ والخزانة ٣ : ٦٦٠ بولاق . وعجزه :

* تجد حطبا جزلا ونارا تأججا *

(٢) لعبْدة بن الطبيب . سيبويه ١ : ٧٧ . وعجزه :

* ولكنه بُنْيانُ قوم تهدما *

(٣) سبق الكلام عليه فى هذا الجزء ص ١٩١ فى الشاهد ٣٦٩ .

(٤) هذا صواب النص من سيبويه ١ : ٤٤٦ . وفى النسختين : « على غير أن يكون مثل الأول لا من الأول والفعل الآخر تفسير له » .

وهو هو . يعنى ماتقدَّم فى بدل الشىء من الشىء ، والسؤال لايكون الإتيان . قال : ولكنه يجوز على الغلط والنسيان ثم يتدارَك . وقال بعد : فلو قلت: إن تأتنى آتك أقلْ ذلك . كان غير جائز ، لأنَّ القول ليس بالإتيان ، إلا أن تجيزَه على ماجازَ عليه تسألنا . فهذا نصٌّ لجواز بدل الغلط والنِّسيان . وجوازُ بدل الإضراب أولى . انتهى كلام الشاطبى .

فإن قلت : بدل الاشتمال والبعض لابدَّ لهما من ضمير فكيف الحالُ على قول الشاطبى ؟ قلت : لايمكن الضَّمير هنا لظهور أنَّ ذاك خاصٌّ بالأسماء ، لتعذُّر عودِ الضمير على الأفعال . كذا فى (شرح التوضيح للشيخ خالد) .

وقول الشارح المحقق : «إذا كان الثانى راجحَ البيان» ، مثلُه فى التسهيل قال : «ويبدلُ فعلٌ من فعل موافقٍ فى المعنى مع زيادة بيان » . انتهى .

ولم يعتبر غيرُهما هذا القيد . ولم يتعرض له أصلاً أبو حيانَ (فى الارتشاف) . قِيلَ : والحقّ عدمُ اعتباره . وأمَّا اعتبارُ الموافقة فى المعنى فقد اعتبروه ، منهم ابن معطى ، قال : وأبدلوا الفعل من الفعل إذا كان بمعناه .

قال ابن الخبَّاز : إنَّما يكون ذلك إذا ترادف اللفظان ، كقولك : مَنْ يأتِ يَمْشِ [1] إلىَّ أكلمْه . انتهى .

وهذا عند الشارح المحقق من باب التوكيد كما صرَّح به هنا . وقوله: إنما يكون فى ترادف اللفظين ، ممنوع .

وهُنا فائدة حسنة ذكرها ابن هشام(فى حواشى الألفية)،وهى أنه ينبغى أن يُشترط لإبدال الفعل من الفعل ماشتُرِط لعطف الفعل،وهو الاتحاد فى

---

(١) ط : « من يأتى يمشى » ، صوابه فى ش .

الزمان فقط ، دون الاتحاد فى النَّوع ، حتى يجوز : إن جئتنى تمش إلىّ أكرمْك . انتهى .

واعلم أنَّ إبدال الفعل من الفعل هو إبدالُ مفرد من مفرد ، بدليل ظهور النَّصب كما فى الشاهد ، وظهور الجزم كما فى الآية .

وزعم ابن السِّيد فى (أبيات المعانى) ، وتبعه ابن خلف ، والعينى ، والحفيد (فى حاشية المختصر) أنّ هذا من إبدال جملة من جملة . وهو سهو . قال الشيخ خالد (فى شرح التوضيح) : والفرق بين بدل الفعل وحده والجملةِ ، أنّ الفعل يتبع ماقبله فى إعرابه لفظا أو تقديراً ، والجملة تتبع ماقبلها محلاًّ إن كان له محلٌّ . وإلا فإطلاق التبعية عليها مجاز ، إذ التابعُ كلُّ ثانٍ أعرب باعراب سابقِهِ الحاصل والمتجدِّد . انتهى .

وقضيَّة هذا : أنه لايتصوَّر فى الفعل المرفوع أن يكون بدلا من فعل مرفوع ، وذلك لأنَّ سبب الإعرابِ متوفِّر فيه مع قطع النظر عن التبعية ، وهو تجرُّده عن الناصب والجازم ، فرفعهُ لتجرده ، لا لكونه تابعاً لغيره ، فكيف يكون بدلاً مع انتفاء التبعية لانتفاء الإعراب بإعراب سابقه . وهكذا يقال فى العطف : لايتصوَّر عطفُ الفعل المرفوع على مثله .

وممَّا يشكل فى البدل قولُ البيضاوى وغيره : إنَّ ﴿ يتزكَّى ﴾ فى سورةِ واللَّيل ، بدلٌ من قوله : ﴿ يُؤْتِي مالَه ﴾ ، لأنَّ يؤتى مرفوعٌ لتجرُّده،فلم يُعربْ بإعراب سابقه . ٣٧٥

وأجاب بعضهم بأنَّ المراد أنَّ البدل جملة يتزكَّى من جملة يؤتى ماله . وهذا لايدفع الإشكال عن كلام البيضاوى ، لاعن ظاهر كلامهم أنّ الفعل يُبدل من الفعل ، وعمومه شاملٌ للفعل المرفوع .

وجزم السيد عيسى الصَّفوىُّ بأنّه لايكون مضارعٌ مرفوع تابعاً لمضارع

مرفوع ، وأُجاب عما أُورِدَ على البيضاوى بأنَّ المراد كلٌّ ثانٍ أعرِبَ بإعراب سابقه ولم يكن معرباً لمُقْتَضٍ للإعراب غير التبعية .

قيل : قد يقال لامانع من كون المضارع عند التبعية مرفوعاً بالتبعية ، وإن كان فيه مقتضٍ آخر للرفع وهو التجرد ، بناءً على جواز تعدُّد السبب . وفيه نظر ، فإنهم قالوا: العامل بمنزلةِ المؤثِّر الحقيقى ، ولايجتمع مؤثِّران على أثر.

وسكت الشارح المحقق عن إبدال الجملة من الجملة ، وعن إبدال الجملة من المفرد وعكسِه .

أمَّا الأوّل فقد قال الشيخ خالد :تبدل الجملة من الجملة بدلَ بعض واشتمال وغلط، ولاتبدل بدلَ كل،نحو قعدت جلست فى دار زيد، فإنَّه توكيد.

أمَّا بدل البعض فنحو قوله تعالى : ﴿ أمدَّكم بما تَعْلَمونَ . أَمَدَّكُمْ بأَنْعامٍ وبَنِين (١) ﴾ ، فجملة أمدكم الثانية أخصٌّ من الأولى باعتبار متعلَّقَيهِمَا، فتكون داخلة فى الأولى .

وأمَّا بدل الاشتمال فكقوله :

* أقول له ارحلْ لاتقيمنَّ عندنا (٢) *

فقوله تقيمن عندنا بدلُ اشتمال من ارحلْ ، لما بينهما من الملابسة اللزومية ؛ وليس توكيداً له ، لاختلاف لفظيهما ، ولابدَل بعضٍ لعدم دخوله فى الأوَّل ، ولا بدل كلٍّ لعدم الاعتداد به ، ولاغلطٍ لوقوعه فى الفصيح .

وأمَّا بدل الغلط فنحو : قم اقعد .

---

(١) الآية ١٣٢ ، ١٣٣ من الشعراء .

(٢) هو مجهول القائل ، وتمامه كما فى العينى ٤ : ٢٠٠ :

* وإلاَّ فكن فى السر والجهر مسلما *

وأمَّا إبدال الجملة من المفرد فقد أوردَ لهُ ابنُ هشام (فى شرح الألفية) قولَ الفرزدق :

إلى الله أشكو بالمدينة حاجةً

وبالشام أخرى كيف يلتقيانِ[1]

قال ، أبدل كيف يلتقيان وهو جملةٌ مستأنفة ، نبَّه بها على سبب الشكوى وهو استبعادُ مابين الحاجتين[2] .

وأمَّا عكس هذا وهو إبدال مفرد من جملة فقد قال أبو حيان (فى البحر) فى قوله تعالى :﴿ولم يجعَلْ له عِوَجاً * قَيِّماً[3] ﴾قال : قَيِّماً بدلٌ من جملة لم يجعل له عوجا ، لأنها فى معنى المفرد ، أى جعله مستقيما . وقال ابن هشام (فى المغنى) فى بحث كيف : إنَّ جملة كيف خلقت بدل من الإبل بدلُ اشتمال ، والمعنى إلى الإبل كيفية خلقها . ومثله : ﴿ أَلم تَرَ إلى ربِّك كيف مدَّ الظِّلَّ[4] ﴾. وكل جملة فيها كيف فهى بدلٌ من اسم مفرد . وقال السيوطى (فى الهمع) : إنَّ بدل الجملة من المفرد بدل اشتمال .

وبقى إبدالُ الفعل من اسم يشبهه ، وبالعكس ، وإبدال الحرف من مثله .

أمَّا الاول فقد قال ابن هشام (فى حواشى الألفية) : ينبغى أن يجوز إبدال الاسم من الفعِل وبالعكس ، كما جاز العطف ، نحو : زيد متَّقٍ يخاف الله ، أو يخافُ الله متَّقٍ . انتهى .

---

(١) من شواهد العينى ١ : ٥٤٣ . ولم يرد فى ديوان الفرزدق .
(٢) ش : « وهو استبعادها الحاجبين » ، صوابه فى ط .
(٣) الكهف ١ ـــ ٢ .
(٤) الفرقان ٤٥ .

والظاهر أنّ يخاف الله استئنافٌ بيانى ، أو البدل هو الجملة لا الفعل وحده فى الأوّل ، ومتى خبر بعد خبر فى الثانى ، والتقوى غير الخوف ، فإنَّ الوقاية فرْط الصيانة .

وأما الثانى فقد ذكره سيبويه ، وجعل منه : ﴿ أَيَعِدُكُمْ أنَّكمْ إذا مِتُّمْ وكُنتم تُراباً وعظاما أَنَّكُم مُخْرَجون[1] ﴾ ، فجعل أنّ الثانية بدلاً من الأولى ، لاتوكيداً كما قال غيره .

٣٧٦

وقوله : (إن علىَّ الله) إلخ قال ابن خروف (فى شرح الكتاب) : اللهَ منصوبٌ على القسم ، ويجوز أن يكون اسمَ إنّ ، والخبر الجار والمجرور ، وأنْ مفعولٌ من أجله . وأنشد يحيى :

وإنَّ علىّ اللهَ لاتحملوننى ... على خُطّةٍ إلاّ انطلقتُ أسيرُها

فلو حذفت إنّ لقلت : علىَّ عهدُ الله لأضربنَّك . قال الفراء : ويجوز علىَّ اللهُ أنْ أضربك . انتهى .

وقال ابن خلف : هذا الشاعر حلفَ على مخاطَبه بالله ، أَنَّه لابدَّ له من أن يبايع ، فلماَّ حذف حرف القسم نصبَ الاسم ، وأن تبايعَ : اسم إنّ ، وعلىّ خبر إنّ ، والقسَم معترض بين الاسم والخبر .

ونقل العينىُّ عن بعض شرّاح الكِتاب أنّ علىَّ متعلّق باستقرارٍ محذوف فى موضع خبر إنَّ ، كأنه قال : وجب علىَّ اليمينُ بالله ، لأَنَّ هذا الكلام قسَم ، وأنْ تبايعا يتعلق بعلىَّ ، أعنى بما فيه من معنى الاستقرار . انتهى . وهذا التعلّق غير ظاهر .

و(المبايعة):بمعنى البَيعة والطاعة للسلطان .وأصلُ البيعة الصفْقة على

---

(١) المؤمنون ٣٥ .

إيجاب البيع . وأيمان البَيعة [١] هى التى رتبهَّا الحَجَّاج مشتملةً على أمور مغلّظة من طلاق وعتق وصوم ونحو ذلك .(وتؤخذ) بدلٌ من تبايع كما تقدَّم. قال السيرافى : النصب فى هذه الأَبيات على البدل جيِّد ، ولو رفع على الابتداء لكان أكثر وأعرف ، فيقول [٢] : هلكه هلكُ واحد ، ومآلفيتُنى حلمى مضاعٌ ، وتكون الجملة فى موضع الحال ، وتؤخذُ كرهاً أو تجىءُ طائعاً على معنى أنت تؤخذ كرها ؛ فيكون أنت تؤخذ فى موضع الحال . انتهى .

وهذا كقوله :

مَتَى تأتِه تعشو إلى ضوءِ نارهِ
تجدْ خيرَ نارٍ عندَها خيرُ موقِدِ[٣]

رفع تعشو بين المجزومين ، أعنى الشرط والجزاء لأَنه قَصد به الحال ، أى متى تأته عاشياً ، أى ناظراً إلى ضوء ناره . وكذلك كل ماوقع بين مجزومين . وعليه قراءة : ﴿ يَرِثُنِي ويرثُ من آل يعقوب [٤] ﴾ بالرفع ، لم يجعله جوابا ، وإنما جعله وصفاً ، أى وارثاً من يعقوب . فتدَّبرْه فإنه كثيرٌ . كذا (فى أبيات المعانى) لابن السِّيد .

وقوله : (كرهاً) مفعول مطلق ، أى تُؤخذ أخذاً كرها . ويجوز أن يكون حالاً بتأويله باسم الفاعل . وهو المناسب لقوله طائعاً ، فإِنَّه حالٌ .

وهذا البيتُ قلَّما خلا عنه كتابٌ نحوىٌّ ، ومع شهرته لايعلم قائله ، وهو من أبيات سيبويه الخمسين التى لم يعرف قائلها .والله أعلم.

* * *

---

(١) ش : « وأعيان البيعة » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « فتقول » .

(٣) للحطيئة فى ديوانه ٢٥ . وهو من شواهد سيبويه ١ : ٤٤٥ .

(٤) الآية ٦ من سورة مريم .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والسبعون بعد الثلثمائة ، وهو من أبيات س [١]:

٣٧٣ (وكنتُ كذى رِجْلين رجلٌ صحيحةٍ
ورجلٌ رمَى فيها الزمانُ فَشَلَّتِ)

على أنه يروى (رِجلٍ) بالجر على أنَّه بدلٌ مع أخرى مفصَّلٌ من رِجْلين. ويروى بالرفع على أنه بدلٌ مقطوع .

أنشده سيبويه فى باب مجرى النعت على المنعوت والبدل على المبدل منه ، قال : ومثل مايجىء فى هذا الباب على الابتداء وعلى الصفة والبدل ، قولُه جلّ وعز : ﴿ قد كان لَكُمْ آيةٌ فى فِئتَينَ التقَتَا فئةٌ تقاتلُ فى سَبيلِ الله وأخرى كَافِرةٌ [٢] ﴾ . ومن الناس من يجرُّ ، والجرُّ على وجهين : على الصِّفة وعلى البدل . ومنه قولُ كثيِّر عزَّة : ٣٧٧

وكنتُ كذى رجلين رجل صحيحة . . . (البيت).

وقوله : « ومثل مايجىء فى هذا الباب » إلخ ، يريد أَنَّهُ يرفع على أنه خبرُ مبتدأ محذوف ، والتقدير : إحداهما فئة تقاتل إلخ . والجملة صفة لفئتين .

وقوله : « ومن الناس من يجرّ » إلخ يريد أنّ فئة بدل من فئتين . والصفة جائزة كما تقول : مررت برجلين قائم وقاعد . وإنّما جعل فئة صفة لفئتين ، لأنّ فئة موصوفة ، فكان اعتماد الصفة فى فئتين على صفة فئة ، كما تقول مررت برجُلين :رجُلٍ صادق ورجل كاذب .

وقول كثيِّر :(ورِجْلٌ) على رواية الرفع إمّا خبر مبتدأ محذوف،تقديره

---

(١) فى كتابه ١ : ٢١٥ . وانظر المقتضب : ٢٩٠ والجمل ٣٦ وابن يعيش ٤ : ٢٠٤ والأشمونى ٣ : ١٢٨ وديوان كثير ١ :٤٦ .

(٢) آل عمران ١٣ .

هما رِجْل صحيحة ورجْلٌ أخرى ، أو تقديره : إحداهما رجل صحيحة والأخرى رجل . فالكلام على الأوّل جملة واحدة وعلى الثانى جملتان . وإمّا مبتدأً محذوفُ الخبر ، والتقدير : منهما رجل صحيحة ومنهما رِجْل ، فالكلام جملتان . وقال العينى : ويجوز نصب رجل فى الموضعين على إضمار أعنى . وعلى رواية جرّ رجْل يكون على الإبدال من رِجْلين ، بدلَ نكرة من نكرة ، وبهِ [1]أورده ابن هشام (فى المغنى) والمرادى (فى شرح الألفية) . وإنّما أبدل لأجل الصفة ، وهو وصْف الرِّجل الأُولى بصحيحة والثانية بجملة رَمَى . ولمَّا كان المبدل منه مثنًّى وجب الإتيان باسمين . ويعرف نحو هذا الإبدال ببدل المفصَّل من المجمل ، لأنّه أجمل أولا ثم فصَّل ثانيا . وجملة رمى إلخ صفةٌ لرِجْل الثانية . ومفعول رمى محذوفٌ تقديره : رمى فيها الزمان داءً فشَلَّت .

و(شَلَّت) أصله شَلِلَتْ تَشَلُّ شَلَلاً،من باب فرح . والشلَّل:آفة تصيب اليدَ أو الرجلَ فتيبس منها،وقيل تسترخى.يقال شَلَّت يدُه وأشلَّها الله.

وقبل هذا البيت :

(وكُنّا سَلكنا فى صَعودٍ من الهوى فلمَّا توافَيْنــا ثبتُّ وزَلَّتِ
وكنّا عقَدْنا عُقدةَ الوصلِ بيننا فلما تواثقنا شَددت وحَلَّتِ
أريدُ الثَّواءَ عِندها ، وأظنُّها إذا ماأطَلْنا عندها المُكْثَ مَلَّتِ
فليتَ قلوصى عِند عَزّة قُيِّدتْ بحبلٍ ضعيف عَزَّ منها فضَلَّتِ
وغُودر فى الحىِّ المقيمِينَ رحلُها وكان لها باغٍ سِواىَ فبَلَّتِ)

الصَّعود بالفتح : خلاف الهَبوط . والثَّواء ، بالفتح : الإقامة . وعزّ منه بمعنى غلبه وقوىَ عليه . وفى (العباب) : قال الفرَّاء :يقال بَلّت مطيَّته على وجهها،إذا هَمَت [2] ضالّة . وأنشد هذا البيت ، وهو بالباء الموحدة .

(١) ط : « وجه » ، صوابه فى ش .
(٢) وكذا فى اللسان (بلل) . يقال همت الناقة هميا : ذهبت على وجهها فى الأرض .

واختلف أصحابُ المعانى فى معنى البيت الشاهد ، فقال الأعلم : تمنَّى أن تشَلّ إحدى رجليه وهو عندها ، وتضلَّ ناقتُه فلا يرحلَ عنها ، فيكون قوله: وكنت كذى رجلين إلخ معطوفاً على قوله: قُيّدت ، ليدخُل فى التمنِّى .

وقال ابن سيده : لما خانته عَزّةُ العهدَ فزلّت عن عهده ، وثبَتَ هو على عهدها ، صار كذى رجلين رجل صحيحة ، وهو ثباته على عهدها ، وأخرى مريضة ، وهو زَلَلُها عن عهده .

وقال عبد الدائم [(١)] : معنى البيت أنّه بينَ خوفٍ ورجاء ، وقُربٍ وتَناءٍ ، كما قال المتنبى :

وأحلى الهوى ماشَكّ فى الوصلِ ربُّه
وفى الهجرِ،فهو الدّهرَ يرجو ويتّقي [(٢)]

٣٧٨ وقال غيرهم: تمنّى أن تضيع قَلوصُه فيبقى فى حَىّ عزة ، فيكون ببقائه فى حيِّها كذى رجلٍ [(٣)] صحيحة ، ويكون من عدمه لقَلوصهِ كذى رجلٍ عليلة .

حكى هذه الأقوالَ اللخمىُّ وقال : وهذا القول الأخير هو المختار المعوّل عليه ، وهو الذى يدلُّ عليه ماقبل البيت ، وهو اختيار الأستاذ أبى عبد الله ابن أبى العافية . وقد أخذ كثيرٌ هذا البيتَ من النّجاشىّ ، وهو قولُه :

---

(١) هو عبد الدائم بن مرزوق القيروانى ، كما سيأتى فى الشاهد ٤٥٣ . قال السيوطى فى البغية ٢٩٦ : « نحوى قديم ، روى عنه أبو جعفر محمد بن حكم السرقسطى ، وأكثر أبو حيان فى الارتشاف من النقل عنه » . وذكر البغدادى له « كتاب حلى العلى ، فى الأدب » . فلعل هذا النقل منه . ومهما يكن فإنّ هذا النص ثابت فى شرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٧٥ . فلعله كذلك نقل عن نقل .

(٢) ديوان المتنبى ١ : ٤٢٨ .

(٣) ط : « كذى رجلين » ، صوابه فى ش .

وكنتُ كذى رِجلين رجلٍ صحيحةٍ
ورجلٍ رمت فيها يدُ الحَدَثانِ
فأما التى صحّتْ فأزدُ شنوءةٍ
وأما التى شَلّت فأزدُ عُمانِ

وقد أوردهُ ابن رشيق(فى العمدة)فى السّرقات الشعرية،وسمّاه الاهتدام.قال:فأخذ كثيرٌ القسمَ الأوّل واهتدم باقىَ البيت ،فجاءَ بالمعنى فى غير اللفظ.

وهذه القصيدة كلها نسيبٌ بعزَّة ، وهى من منتخبات قصائده ، والتزم فيها مالا يلزم الشاعر ، وذلك اللام قبل حرف الروى ، اقتداراً فى الكلام وقوّةً فى الصناعة ، وماخرم ذلك إلّا فى بيتٍ واحد ، هو :

فما أنصفَتْ،أمّا النِّساءَ فبغَّضتْ إلىّ وأمّا بالنّوال فضَنّتِ

وهى قصيدة .وهذا مطلعُها مع جملة أبياتٍ منها وقعت شواهدَ للنحويِّين :

(خليلىّ هذا ربعُ عَزّة فاعقِلا قَلوصَيكما ثم أبكيا حيثُ حلَّتِ
وماكنتُ أدرى قبلَ عزّةَ ماالبُكا ولا مُوجعاتِ القلبِ حتى تولَّتِ)

إلى أن قال :

(وإنِّى وتَهيامى بِعزّة بعد ما تخلَّيتُ فيما بيننا وتخلَّتِ
لكالمبتغِى ظِلّ الغمامةِ كلَّما تبوأَّ منها للمقيل اضمحلَّتِ
يكلِّفها الغَيرانُ شتمى وما بها هَوانى ولكنْ للحليل استذلَّتِ
هنيئاً مريئاً غيرَ داءٍ مخامرٍ لعزَّةَ من أعراضنا مااستحلَّتِ
أسيئى بنا أو أحسنى لا ملومةً لدينا ولا مَقليَّةً إنْ تقلَّتِ)

وقوله :«وما كنت أدرى قبلَ عزّة» إلخ استشهد به ابن هشام(فى

(١) العمدة ٢ : ٢٣٠ .

شرح الألفية) على نصب موجعات عطفاً على محلّ مفعول أدرى المعلّق بما الاستفهامية ، لأنَّ المعلّق أبطل عمله لفظاً لا محلاً . وقال (فى مغنى اللبيب) : فائدة الحكم على محلّ الجملة فى التعليق بالنصب ظهورُ ذلك فى التابع ، فتقول : عرفت من زيد وغَيرَ ذلك من أموره . واستدلَّ ابن عصفور بنصب موجعات من هذا البيت . ولك أنْ تدَّعىَ أنّ البكاء مفعول ، وأنّ مازائدة ، أو أنَّ الواو للحال وموجعات اسمُ لا ، أىْ وماكنت أدرى قبل عزة ، والحالة أنّه لا موجعاتٍ للقلب موجودة ، ماالبكا . انتهى .

وقوله : « وإنّى وتَهيامى بعزّة » إلخ ، التَّهيام : بالفتح:مبالغة الهُيام بالضم ، وهو كالجنون من العشق . قال ابن جنى (فى سرِّ الصناعة) : سألت أبا على عن قول كثيّر : وإنى وتهيامى بعزة البيت ، فقلت له : ماموضعُ تهيامى من الإعراب ؟ فأفتى بأنّه بالابتداء وخبره بعزة ، وجعلَ الجملة اعتراضاً بين اسم إنّ وخبرها ، لأنّ فيها ضرباً من التسديد للكلام . ويحتمل أن تكون الواو للقسم فالباءُ على هذا متعلقة بتهيامى.وعرضتُ هذا على أبى علىّ فقبله. انتهى ٣٧٩

وقد نقل ابنُ هشام ماحكيتهُ عنهما فى الجملة المعترضة (من المغنى) .

وقوله :« هنيئاً مريئاً غيرَ داءٍ » إلخ ، أورده صاحب (الكشّاف) عند قوله تعالى : ﴿كُلُوا واشْرَبوا هَنيئاً بما كُنْتُم تَعْمَلُون [(١)] ﴾ على أنّ الباء زائدة وما فاعل هنيئاً ، وهو صفةٌ استعمِلت استعمال المصدر القائمِ مقامَ الفعل ، كأنه قال : هنَأكم الأكل والشرب . وهنيئا لعزَّة مااستحلَّت [(٢)] من أعراضنا . الهنيءُ والمرىء صفتان من هَنؤ الطعام ومرؤ كشرف ، إذا كان سائغاً لاتنغيصَ فيه . والمخامر : المخالط .

---

(١) الآية ١٩ من الطور ، و ٤٣ من المرسلات .

(٢) ط : « لعزة المستحلة » .

وقوله: « أسيئى بنا أو أحسنى » إلخ ، هذا التفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب . وأورده صاحب (الكشاف) أيضاً عند قوله تعالى : ﴿ أنفقوا طَوْعاً أو كَرْهاً لن يُتَقبَّلَ منكم [(١)] ﴾ على تساوى الإنفاقين فى عدم القبول ، كما ساوى كُثيِّرٌ بينَ الإحسانِ والإساءة فى عدم اللَّوم . والنُّكتةُ فى مثل ذلك إظهارُ نفيِ تفاوت الحال بتفاوت فعل المخاطَب ، كأنّه يأمرها بذلك لتحقيق أنه على العهد . ومَقليَّة بمعنى مُبغَضة ، من القِلَى وهو البُغْض . وقوله : « إنْ تقلَّت » التفاتٌ من الخطاب إلى الغيبة .

وروى صاحب (الأغانى) بسنده عن هيثم بن عدىٍّ قال :

سأل عبد الملك بنُ مروان كثيِّراً عن أعجب خبرٍ له مع عَزّة ، فقال : يأمير المؤمنين ، حججْتُ سنةً وحجَّ زوج عزّة معها ، ولم يعلم أحدُنا بصاحبه ، فلمَّا كنا ببعض الطريق أمَرَها زوجها بابتياع سَمنٍ تصلح به طعاماً لرفقته، فجعلت تدور الخيامَ خيمةً خيمةً ،حتى دخلت إلىَّ وهى لاتعلم أنَّها خيمتى ، وكنت أبرى سهماً ، فلما رأيتها جعلت أبرى لحمى وأنظرُ حتَّى بريت ذراعى وأنا لاأعلم به ، والدم يجرى ، فلما عِلمَتْ ذلك دخلتْ إلىَّ فأمسكتْ يدى وجعلتْ تمسح الدَّمَ بثوبها ، وكان عندى نِحْىُ سمن فحلفتُ لَتأْخُذِنَّه [(٢)] . فأخذَتْه وجاءت زوجَها ، فلما رأى الدم سألها عن خبره فكاتمته ، حتى حلفَ عليها لتَصدُقَنَّه . فصدَقَتْهُ فضربهَا ، وحلَف عليها لتَشْتُمنِّى فى وجهى ، فوقفَتْ علىّ وقالت لى وهى تبكى : ياابن الزانية ! ثم انصرفا[(٣)] . وذلك حيثُ أقول :

* يكلِّفها الغَيرانُ شتمى ومابها *

---

(١) الآية ٥٣ من التوبة .

(٢) فى النسختين : «لتأخذه». والوجه ماأثبت من الأغانى ٨ : ٣٧

(٣) وكذا فى الأغانى . وفى ش : « ثم انصرفت » مع أثر تغيير .

الأبيات الثلاثة .

وروى صاحب الأغانى أيضاً قال : وقفتُ على جماعةٍ تكلّموا فىَّ وفى جميل : أيُّنا أصدق عِشقاً ، وهم لايعرفوننى ، ففضلُّوا جميلا ، فقلت لهم : قد ظلمتم كُثيِّراً ، كيف يكون جميل أصدقَ منه عشقاً وحين أتاه من بثينة مايَكره قال :

رمَى الله فى جَفْنَىْ بثينةَ بالقذَى
وفى الغُرِّ من أنيابها يالقوادحِ

وكثِّيرٌ حين أتاه مايكره من عَزّة قال :

هنيئاً مريئاً غير داءٍ مخامر ...... (البيت).

وهذه القصيدة جيِّدة فلا بأس بإيرادها على رواية أبى على القالى (فى أماليه [١]) قال : قرأت هذه القصيدة على أبى بكر بن دريد فى شعر كثيِّر ، وهى من منتخبات كثيِّر ، وأوَّلها : قصيدة الشاهد

(خليلىَّ هذا ربعُ عَزّة فاعقِلا قلوصَيكما ثم أبكيا حيثُ حَلَّتِ[٢])
ومُسَّا تراباً كان قد مَسَّ جلدَهَا وبيتاً وظِلاً حيث باتت وظلَّتِ
ولا تيأسا أن يمحوَ الله عنكما ذنوبا إذا صلَّيتما حيث صلَّتِ
وما كنتُ أدرى قبلَ عزَّةَ ما البكا ولا موجعاتِ القلب حتىّ تولَّتِ ٣٨٠
وقد حلفَتْ جَهداً بما نحرَتْ له قريشٌ غداةَ المأزِمَين وصلَّتِ

---

(١) أمالى القالى ٢ : ١٠٩ .

(٢) البيتان التاليان لم يردا فى مطبوعة الدار .

أناديكِ ماحجَّ الحجيجُ وكبَّرتْ   بفيفا غزالٍ رُفقةٌ وأهلَّتِ
وكانت لقَطع العهد بينى وبينها   كناذِرةٍ نذراً فأوفتْ وحَلّت

— ويروى : « وفتْ فأحلّتِ » —

فقلتُ لها ياعزَّ كلُّ مصيبةٍ   إذا وُطِّنت يوما لها النّفسُ ذلَّتِ
ولم يَلقَ إنسانٌ من الحبِّ مَيعةً   لغمٌّ ولا عمياءَ إلاّ تجلّتِ[1]
كأنِّى أُنادى صخرةً حين أعرضتْ   من الصمِّ لو تمشى بها العُصمُ زلَّتِ
صَفوحاً فما تلقاك إلاّ بخيلةً   فمن ملّ منها ذلك الوصلَ ملّت
أباحت حِمىً لم يرعَهُ الناسُ قبلَها   وحلّتْ تلاعاً لم تكن قبل حُلّتِ
فليت قَلوصى عند عَزّة قُيِّدتْ   بقيدٍ ضعيفٍ فَرَّ منها فَضَلَّتِ[2]
وغُودر فى الحىِّ المقيمين رحلُها   وكان لها باغٍ سواىَ فبَلّتِ
وكنتُ كذى رجلين رجلٍ صحيحة   ورجلٍ رمى فيها الزّمانُ فشَلَّتِ
وكنتُ كذاتِ الظَّلْع لمَّا تحاملتْ   على ظلعها بعد العِثار استقلّتِ
أريدُ الثّواءَ عندها وأظُنُّها   إذا ماأطلنا عندها المُكْثَ مَلَّتِ
فما أنصفَتْ،أمَّا النساءَ فبغّضتْ   إلينا وأمَّا بالنَّوال فضنَّتِ

(١) فى الأمالى وديوان كثير ١ : ٤٢ : « ميعة تعم ولا غماء » وفى شرح الديوان : « ويروى : تغم ، أى تغطى » .

(٢) فى الأمالى والديوان : « بحبل ضعيف غر منها » أى عقد ذلك الحبل على غرة ، أى على غفلة ، فهو غير موثوق . وفى ش وإحدى روايات الديوان : « عز منها » . وفى شرح الديوان : « أى غلبها قوى عليها » ، ثم قال : « ويروى حز منها ، أى قطع منها » .

يكلِّفها الغَيرانُ شتمى ومابها   هَوانى ولكنْ للمليك استذلّت

هنيئاً مريئاً غيرَ داءٍ مخامرٍ   لعزَّةَ من أعراضِنا مااستحلّتِ)

قال أبو على : قيل لكثيِّر : أَنت أشعرُ أم جميل ؟ فقال :بل أنا . فقيل له : أتقول هذا وأنت راوِيتُه ؟! قال : جميلٌ الذى يقول :

رمى الله فى عينَىْ بثينةَ بالقذى   وفى الغُرِّ من أنيابها بالقوادِحِ

وأنا أقول :

هنيئاً مريئاً غير داءٍ مخامر   ..... البيت

ووالله ماقاربتُ إلا تباعدَتْ   بصُرمٍ ولا أكثرْتُ إلاّ أقلَّتِ

فإنْ تكن العُتبى فأهلاً ومرحباً   وحَقَّت لَهاَ العُتبى لدينا وقَلّتِ(١)

وإن تكن الأخرى فإنَّ وراءَنا   مَنادحَ لو سارت بها العيِسُ كلّتِ(٢)

خليليَّ إنَّ الحاجبية طَلّحت   قلوصيكما وناقتى قد أكلّتِ(٣)

فلا يبعدَنْ وصلٌ لعزّة أصبحت   بِعاقبةٍ أسبابُه قد تولَّتِ(٤)

أسيئى بنا أو أحسنِى لا ملومةً   لدينا ولا مقليَّةً إنْ تقلّتِ

ولكن أنيلِى واذكرى من مودَّةٍ   لنا خُلَّةً كانت لديكِ فضلَّتِ(٥)

(١) فى الأصل : « بها العتبى » ، صوابه من الأمالى والديوان .

(٢) ط : « مناوح » ، صوابه فى ش والأمالى والديوان .

(٣) ط : « قد أطلت » ،صوابه فى ش والأمالى والديوان .

(٤) فى الأصل : « لعاقبة » ، صوابه فى الأمالى والديوان .

(٥) ط : « أميلى » ، ش : « أبينى » ، وأثبت مافى الأمالى والديوان . وفى الأمالى والديوان : « كانت لديكم فطلت » . وفى الديوان : « ويروى فضلت ، من ضل فلان فلانا : نسيه ومطله » .

وإنّى وإنْ صدّت لمثنٍ وصادقٌ ... عليها بما كانت إلينا أزلّتِ
فما أنا بالداعى لعزّةَ بالجوَى ... ولا شامتٍ إنْ نعلُ عزّةَ زلّتِ
٣٨١ فلا يحسب الواشونَ أنَّ صبابتى ... بعزّةَ كانت غَمرةً فتجلّت
فأصبحتُ قد أبللتُ من دَنَفٍ بها ... كما أُدنِفَتْ هَيماءُ ثم استبلّت [(١)]
ووالله ثُمَّ اللهِ ماحلّ قبلها ... ولا بعدَها من خُلّة حيث حلّتِ
ومامرَّ من يومٍ علىَّ كيومها ... وإن عظُمت أيَّامُ أُخرى وجَلّتِ [(٢)]
فأضحَتْ بأعلى شاهقٍ من فؤاده ... فلا القلبُ يسلاهَا ولا العينُ ملّتِ
فياعجبًا للقلبِ كيف اعترافُه ... وللنّفس لمّا وُطّنت كيف ذَلّتِ
وإنّى وتَهيامى بعزّة بعدما ... تخلّيتُ ممّا بيننا وتخلّتِ
لكالمُرْتجى ظِلَّ الغَمامة كلّما ... تبوّأَ منها للمَقيلِ اضمحلّتِ
كأنّى وإيّاها سَحابةُ مُمْحِلٍ ... رجَاها فلما جاوزَتْهُ استهلّتِ

قال أبو على : المأزِمان : عَرفة والمزدِلفة . وأناديك : أُحادثك ؛ مأخوذٌ من النَّدِىّ والنادى جميعاً ؛ وهو المجلس . ومَيعةُ كلِّ شىء : أوّله . والصَّفوح : المعْرضة . وبلّتْ : ذهبت . قال أبو علىّ : ماأعرف بلّت ذهبت إلا فى تفسير هذا البيت . والعُتبى : الإعتاب ، يقال عاتبنى فلان فأعتبته ، إذا نزعتَ عمّا عاتبك عليه ، والعُتبى الاسم ، والإعتاب المصدر . وقوله : « طَلَّحت » ، الطليح : المُعيى الذى قد سقَط من الإعياء . وطلّت [(٣)] : هدرت . وأزلّت : اصطنعت . ويقال بَلَّ من مرضِه وأبلّ واستَبَلَّ ، إذا برِئَ. واعترافه : اصطباره ، يقال نزلت به مصيبة فوُجِد عَروفاً ، أى صبورا . والعارف : الصَّابر . هذا ماأورده أبو علىّ القالى .

---

(١) فى النسختين : « من مدنف » ، صوابه من الأمالى والديوان .
(٢) ط « أمام أخرى » ، صوابه فى ش والأمالى والديوان .
(٣) الذى فى متن البيت : « فضلّت » . وانظر حاشيته هناك .

وروى السيوطى (فى شرح شواهد مغنى اللبيب) عن أبى الحسن بن طَباطبا (فى كتاب عِيارِ الشعر) أَنَّ العلماء قالوا : لو أنَّ كُثيِّرا جعل قوله :

فقلت لها ياعزَّ كلُّ مصيبة . . . . البيت

فى وصف حربٍ لكان أشعرَ الناس . ولو جعل قوله : أسيئى بنا أو أحسنى ، البيت ، فى وصف الدُّنيا كان أشعر الناس .

كثير عزة

وكُثيِّر ، بضم الكاف وفتح المثلثة وكسر الياء المشددة التحتية . وهو كُثيِّر بن عبد الرحمن بن أبى جُمعة بن الأسود بن عامر . وقال اللخمىّ : هو كُثيِّر بن أبى جمعة . وهو خُزاعىٌّ . وأبو خزاعة : الصَّلت بن النضر بن كنانة . وفى ذلك يقول كثيِّر :

أَليس أبى بالنَّضر أَمْ ليس والدى لكلِّ نجيبٍ من خُزاعةَ أزهرا

فحقَّق كثيِّر أنّه من قريش . وقيل إنّه أزدىٌّ من قحطان . وهو شاعر حجازىٌّ من شعراء الدولة الأموية ، ويكنى أبا صخر ، واشتهر بكثيِّر عزَّة بالإضافة إلى عزَّة ، وهى محبوبته ؛ وغالب شعره تشبيبٌ بها [1] .

وعَزَّة بفتح العين المهملة وتشديد الزاى . والعَزّة فى اللغة : بنت الظَّبية ، وبها سُمِّيتْ . وهى كما قال ابن الكلبى : عَزّة بنت حُمَيْل ، بضم المهملة ، بن حَفْصٍ بفتحها ، من بنى حاجب بن غِفار ، بكسر المعجمة وخفةّ الفاء ، وكنيتها أُمُّ عمرٍو الضَّمريَّة ، نسبة إلى قبيلة ضَمرة . وكثيراً مايُطلِق عليها الحاجبيَّة ، نسبة إلى جدِّها الأعلى ، كقوله فى هذه القصيدة :

---

(١) ط : « مشبب بها » ، صوابه فى ش .

خليليَّ إنّ الحاجبيةَ طَلّحتْ قلوصيكما وناقتى قد أُكَلّتِ (١)

٣٨٢ ومن الغرائب تفسير العينى للحاجبية هنا بالرَّمل الطويل . وهو غفلةٌ عن نسبِها .

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : بعثت عائشة بنت طلحةَ بن عُبيد الله إلى كثيِّر : ياابن أبى جمعة ، ماالذى يدعوك إلى ماتقول من الشعر فى عزّة ، وليست على ماتصِف من الجمال ، لو شئتَ صرفتَ ذلك إلى مَن هو أَولى به منها ، أنا أَوْ مثلى ! وإنّما أرادت تجربته بذلك ، فقال :

إذا وصلَتنا خُلّةٌ كى تزيلَها أبينا وقلنا : الحاجبيَّةُ أوّلُ
لها مَهَلٌ لايُستطَاع دِراكُه وسابقةٌ مِلْحُبٌ لا تتحوّلُ
سنُوليكِ عُرفا إن أردتِ وصالَنا ونحن لتلك الحاجبيَّةِ أَوصَلُ

فقالت : والله لقد سمَّيتنى لك خُلّة ، ومأأنا لَكَ ، وعرضْتَ علىَّ وصالكَ ومأأريدُ (٢) ، هلَّا قلتَ كما قال جميل :

يارُبَّ عارضةٍ علينا وصلَها بالجدِّ تَخْلِطه بقول الهازِلِ
فأَجبتُها بالرِّفق بعد تستُّر حُبِّى بثينةَ عن وصالِك شاغلي
لو كان فى قلبى كقَدرِ قُلامةٍ وصَلتْكِ كتْبى أَو أَتتْكِ رسائلى

وروى القالىّ (فى أماليه) عن العتبىّ قال : دخلَتْ عزَّةُ على عبد الملك بن مَروْان ، فقال لها : أَنتِ عزّة كثيِّر ؟ فقالت : نعم . قال لها : أتروين قول كثيِّر :

وقد زعمتْ أنّى تغيَّرتُ بعدَها ومن ذا الذى ياعزَّ لا يتغيَّرُ

---

(١) ط : « أطلت » ، صوابه فى ش والأمالى والديوان .

(٢) فى الشعراء ٤٨٩ : « وما أريد ذلك وأن أردت » .

قالت : لاأروى هذا ، ولكنى أروى قولَه :

كأنّى أُنادِى صخرةً حين أعرضَتْ   من الصُّمِّ لو تمشى بها العُصْمُ زلّتِ
صَفوحاً فما تلقاكَ إلا بخيلةً   فمن مَلَّ منها ذلك الوصلَ ملَّتِ

وروى ابن قتيبة (فى كتاب الشعراءِ) أن عائشة بنتَ طلحة قالت لعَزّة : أَرأيتِ قولَ كثيِّر :

قَضى كلُّ ذى دَينٍ فوفّى غريمَه   وعزّةُ ممطولٌ معنًّى غريمُها

ماكان ذلك الدّين ؟ قالت : وعدتُه قُبلةً فتحرَّجْتُ منها . فقالت : اقضِيها وعلىَّ إثمُها .

قال صاحب الأغانى : كان ابن إسحاقَ يقول : كثيِّرٌ أشعر أهل الإسلام ، وكانت له منزلة عند قريش وقدرٌ ، وكان عبدُ الملك معجباً بشعره . وقال الجمحِىُّ : كان لكثيِّر فى النسيب نصيبٌ وافر ، وكان له من فنون الشعر ماليس لجميل ، وكان راويةَ جميل . وإنّما صغِّر اسمُه لشدَّة قصره وحقارته . وقال الوقّاصى : رأيتُ كثيِّراً يطوف بالبيت فمن حدَّثك أنّه يريد على ثلاثة أشبار فلا تصدِّقْه ، وكان إذا دخل على عبد الملك أو أخيه عبد العزيز يقول : طأطىءْ رأسك لايصيبُه السَّقف ! وهجاهُ الحزينُ الكِنانىُّ [1] بقوله :

---

(١) فى النسختين : «الحر بن الكنانى» ، والصواب ماأثبت ، والحزين لقب له ، واسمه عمرو بن عبيد بن وهب بن مالك ، شاعر من شعراء الدولة الأموية ، حجازى . وكان هجَّاء متكسبا بالشعر . وقد وفد الى مصر ومدح عبد الله بن عبد الملك . الأغانى ١٤ : ٧٤ — ٨٢ والمؤتلف ٨٨ .

قصير قميصٍ فاحشٌ عندَ بيته　　يَعَضُّ القرادُ باسْتِه وهْوَ قائمُ(١)

وروى صاحب الأغانى عن طلحة بن عُبيد الله قال : مارأيت أحمقَ من كثيِّر ، دخلت عليه يوماً فى نفر من قريش وهو مريض ، وكّنا كثِيراً مانهزأ به وكان يتشيّع تشيُّعاً قبيحا ، فقلت له : كيف تجدُك ياأبا صخر ؟ قال : أجدنى ذاهباً . قلت : كلّا . قال : فهل سمعت الناسَ يقولون فىَّ شيئاً ؟ قُلت : نَعم ، يتحدثون بأنَّك الدجَّال . قال : أمَا لئن قلتَ ذاك فإنِّى لأجد فى عينى هذه ضَعفا منذُ أيام . فقال له محمد بن على : تزعم أنك من شيعتنا وتمدح آل مروان ! قال : إنّما أسخر منهم وأجعلُهم حيّاتٍ وعقارب ، وآخذ أموالَهم .

٣٨٣

وكانت وفاته فى خلافه يزيدَ بنِ عبد الملك بالمدينة المنوَّرة على ساكنها أفضلُ الصلاة والسَّلام . قال جُويريّة بن أسماء : مات كثيِّر وعكِرمة مولى ابن عباس فى يوم واحد ، فقال الناس : اليومَ مات أفقَه الناس وأشعر الناس ! ولم يتخلَّف رجلٌ ولا امرأة عن جنازتَيهما ، وذلك فى سنة خمسٍ أو سبعٍ ومائةٍ . وغَلبت النساءُ على جِنازة كثيِّر يبكينه . ويقال : إنَّه لما حَضرتَه الوفاةُ قال :

برئت إلى الإله من ابنِ أرْوَى　　ومن دين الخوارج أجمعينا

ومن عُمرٍ برئتُ ومن عَتيقٍ　　غداةَ دُعِـى أميـرَ المؤمنينا

ثم خرجتْ رُوحُهُ كأنَّها حصاةٌ وقعَتْ فى ماء .

قال ابن السِّيد (فى شرح أبيات الجُمَل) : هذا الشعر من حماقته ورَفْضِه . وابن أروى هو عثمان بن عفّان رضى الله عنه .

وقد أطنب الأصبهانىُّ (فى الأغانى) فى ترجمته .

---

(١) فى الأغانى ٨ : ٢٨ : « قصير القميص » . وفى الحيوان ٥ : ٤٤٠ : « يكاد خليلى من تقارب شخصه » ، وفى الحماسة ١٨٨٠ : « أظن خليلى من تقارب شخصه » ، وفى محاضرات الراغب ٢ : ١٢٩ : « رأيت خليلى » .

عطف البيان

أنشد فيه :

* أقسم بالله أَبو حفصٍ عُمرْ *

تقدم الكلام عليه فى الشاهد الثامن والخمسين بعد الثلثمائة [1].

* * *

وأنشد بعده :

* أناابْنُ التاركِ البكرىّ بشرٍ *

تقدَّم أيضاً مايتعلّق به فى الشاهد التاسع والتسعينَ بعد المائتين [2].والله أعلم.

(١) فى هذا الجزء الخامس ص ١٥٤ .

(٢) الخزانة ٤ : ٢٨٤ .

المبنيات

المضمر

أُنشد فيه :

(هذا سراقة للقرآن يدرسه)

تمامه :

(والمرءُ عند الرُّشا إنْ يلقَها ذيبُ)

وتقدَّم الكلام عليه فى الشاهد الثانى والثمانين [١].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والسبعون بعد الثلثمائة [٢]:

٣٧٤ (إذا زُجِرَ السَّفِيهُ جَرَى إليه)

تمامه :

(وخالَف والسَّفيهُ إلى خلافِ)

على أنَّ الضمير فى « إليه » راجعٌ على المصدر المدلول عليهِ بالوصف ، أى إلى السفه .

وهذا البيتُ أوردَه الفَرَّاء (فى تفسيره) عند قوله تعالى:﴿ولكنّ البرَّ من آمن بالله [٣]﴾ فى توجيه صحةّ الخبر عن المبتدإ فيه،قال :من كلام العرب

(١) الخزانة ٢ : ٣ .

(٢) مجالس ثعلب ٧٥ والخصائص ٣ : ٤٩ والمحتسب ١ : ١٧٠ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٦٨ ، ١١٣ ، ٣٠٥ / ٢ : ٢٠٩ والإنصاف ١٤٠ والهمع ١ : ٦٥ .

(٣) الآية ١٧٧ من سورة البقرة . وانظر معانى الفراء ١ : ١٠٤ .

قولهم : « إنّما البِرُّ الصادق الذى يصل رحمَه ويُخفى صدقَته » فيجعل الاسمُ خبراً للفِعْل ، والفعلُ خبراً للاسم ، لأنّه أمرٌ معروفُ المعنى . فأمّا الفعل الذى جُعل خبراً للاسم فقوله تعالى : ﴿ ولا تحسَبَنّ الذين يَبخلونَ بما آتاهم اللهُ مِنْ فَضْلِه هو خيراً لهم (١) ﴾ فهو كنايةٌ عن البخل . فهذا لمن جعل الذين فى موضع نصب وقرأها « تحسبَنّ » بالتاء من فوق ، ومن قرأ بالياء من تحت جعل الذين فى موضع رفع وجعل «هو» عماداً للبخل المضمر ، فاكتفى بما ظهر فى يبخلون من ذكر البخل . ومثله فى الكلام :

٣٨٤

هُمُ الملوكُ وأبناء الملوك لهم والآخذون به والسّاسةُ الأُوَلُ (٢)

وقوله « به » يريد بالملك . وقال الآخر :

* إذا نُهِىَ السّفيهُ جَرى إليه * البيت

يريد : إلى السّفَه . انتهى .

وأنشدهُ ثعلب أيضا (فى أماليه) وقال : أى جرى إلى السّفه . واكتفى بالفعل من المصدر .

وأورده ابن جنى أيضا (فى إعراب الحماسة) عند قوله :

ولم أر قوماً مثلَنا خيرَ قومهم أقلَّ به مِنّا على قومِهِمْ فَخرا

وتقدم الكلام عليه فى الشاهد الحادى عشر بعد الثلثمائة (٣) .

وأورده (فى المحتسب) أيضاً عند قراءة الأعمش : ﴿ ومن يُرِدْ ثوابَ

---

(١) الآية ١٨٠ من آل عمران . وقراءة «ولا تحسبن» بالتاء ، هى قراءة حمزة ، ووافقه المطوعى . وقرأ سائر السبعة «ولا يحسبن» بياء الغائب . تفسير أبى حيان ٣ : ١٢٨ وإتحاف فضلاء البشر ١٨٢ .

(٢) للقطامى فى ديوانه وهو آخر قصيدة له يمدح فيها قريشا وبنى أمية ، وعبد الواحد الأموى . وانظر أمالى بن الشجرى ١ : ٣٠٥ .

(٣) الخزانة ٤ : ٣٦٤ .

الدنيا يؤْتِه منها ومَنْ يرد ثواب الآخرةِ يؤته منها وسَيجزى الشاكرين ﴾ بالياء فيهما . قال : أضمر الفاعل لدلالة الحال عليه ، وإضماره فاشٍ ، وعليه قوله :

إذا زجر السفيهُ جَرَى إليه .... البيت

أقول : هذا ليس من قبيل إضمار الفاعل فى قراءة الأعمش كما هو ظاهر . وقوله بعد هذا وكما أضمر المصدر مجروراً ، أعنى الهاء فى إليه ، يعنى إلى السَّفه كذلك أيضاً أضمره مرفوعا بفعله ، لم أفهم معنى قوله : أضمره مرفوعا بفعله [1] . وفاعل جرى وخالف ضمير السَّفِيه .

وأورده ابنُ الشجرى أيضاً عند شرح قول الشاعر :

ومن يكُ بادياً ويكن أخاه أبَا الضَّحَّاكِ ينتسج الشَّمالا [2]

قال : الهاء فى قوله أخاه عائدة إلى البَدْوِ الذى هو ضدُّ الحَضَر ، يقال بدا فلان يبدو بَدْواً ، إذا حَلَّ فى البدو ، دلَّ على عود الهاء إلى البدْوِ قولُه بادياً ، كما دل السَّفيه على السفه فأضمره القائل :

إذا نهىَ السفيه جرى إليه .... البيت .

ومثله قولُ القطامى :

* هُمُ الملوك وأبناء الملوك لهمْ *

البيت المذكور. ثم ذكر كلام الفراء من غير أن يعزوَه إليه .ثم قال ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ وإنْ تشكرُوا يَرضهُ لكُمْ [3] ﴾ ،أى يرض الشكر.

---

(١) لم يتنبه صاحب الخزانة الى مايعنيه ابن جنى ، فانه قصد بذلك ماأنشده فى المحتسب ١ : ١٧٠ من قول الشاعر :

وجوفات قد علا ألوانها أسآر جرد مترصات كالنوى

وقال : «أى قد علا التجويف ألوانها» فهذا معنى قوله «أضمره ــ أى المصدر ــ مرفوعا بفعله».

(٢) أمالى ابن الشجرى ١ : ٣٠٥ .

(٣) الآية ٧ من الزمر .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ الذين قال لهم الناسُ إنَّ النَّاسَ قد جَمَعُوا لكم فاخشَوْهم فزادَهُمْ إيمانا [١] ﴾ أى فزادهم قولُ الناس إيمانا . قال : وقوله : أبا الضحاك ، نصب على النداء ، فكأنّه قال : ومن يك باديا ويكن أخا البدْوِ يأبا الضحاك . وجعَله أخا البدو كقولك : ياأخا العرب وياأخا الحضر .

وإنما قال : ومن يك باديا ثم قال:ويكن أخا البدو ، لأنّه قد يحلُّ فى البدو من ليس من أهل البدو ، فسمِّى باديا مادام مقيماً فى البدو . والشِّمال هنا : وعاءٌ كالكيس يُجعل فيه ضرع الشاة يحفظ به . يقال شملتُ الشاة ، أى جعلت لها شِمالا . وينتَسج : يفتعل من قولك نسجت الثوب . فالمعنى : من يكن من أهل البدْو يمارسْ مايحتاج إليه الغنم . انتهى مختصراً .

وقوله : (إذا زُجِر) هو بالبناء للمفعول ، ورواه الجماعةِ «إذَا نُهِىَ» مثله . ومتعلق النهى عامٌّ محذوف،أى عن أىِّ شىءٍ كان . وقوله:(وخالف) مفعوله محذوفٌ أى خالَف زاجرَه . وقوله (والسفيه إلى خلاف) جملة تذييلية ؛ أى شأن السفيه الميلُ إلى مخالفة الناصح . ٣٨٥

وهذا البيت لم يعزه الفرَّاء إلى أحد . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والسبعون بعد الثلثمائة :

٣٧٥ (ولَوْ أَنَّ الأطبَّا كانُ حَولِى   وكان مع الأطباءِ الأساةُ [٢])

على أنه قد يُستغنى بالضمَّة عن واو الضمير فى ضرورة الشعر كما هنا فإنَّ الأصل : ولو أنَّ الأطباءَ كانوا حولى ، فحذفت الواو ضرورة ، وبقيت الضمةُ دليلاً عليها .

---

(١) الآية ١٧٣ من آل عمران .

(٢) معانى القرآن ١ : ٨٩ ومجالس ثعلب ١٠٩ والإنصاف ٣٨٥ . ٧٥٣ وابن يعيش ٧ : ٥ / ٩ : ٨ والعينى ٤ : ٥٥١ والهمع ١ : ٥٨ .

وأورده الفراء (فى تفسيره) عند قوله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ فلا تخشَوْهُمْ واخشَوْنِي ولأتمَّ نِعمتى عَليكمْ [١] ﴾ قال : قوله واخشونى أثبتت فيها الياء ولم تثبت فى غيرها ، وكلٌّ ذلك صواب . وإنّما استجازوا حذف الياء لأن كسرة النون تدلُّ عليها ، وليست العرب تهاب [٢] حذف الياء من آخر الكلام إذا كان ماقبلها مكسوراً . من ذلك : «أكرمنِ» و «أهاننِ» فى سورة الفجر [٣] وقوله : ﴿أتمدُّوننِ بمال [٤]﴾ . ومن غير النون : « المناد [٥] » و «الداع [٦]» وهو كثير ، يكتفى من الياء [٧] بكسرة ماقبلها ، ومن الواو [٨] بضمة ماقبلها مثل قوله : ﴿ سندْعُ الزبانية [٩] ﴾ ﴿ ويدْعُ الإنسانُ [١٠] ﴾ ومأشبهه . وقد تُسقط العرب الواو وهى واوُ جمع [١١] اكتفاءً بالضمة قبلها فقالوا فى ضربُوا : قد ضَربُ ، وفى قالوا : قد قالُ . وهى فى هوازن وعُليا قيس [١٢] . أنشدنى بعضهم :

(١) الآية ١٥٠ من البقرة .

(٢) فى معانى الفراء : « وليست تَهَيَّبُ العرب » .

(٣) الآيتان ١٥ ، ١٦ من الفجر .

(٤) الآية ٣٦ من النمل .

(٥) الآية ٤١ من ق .

(٦) فى الآيتين ٦ ، ٨ من القمر .

(٧) ش : « استغنى عن الياء » ، ومأأثبت من ط يطابق مافى معانى الفراء .

(٨) ش : «وعن الواو» ، ومأأثبت من ط يطابق مافى معانى الفراء .

(٩) الآية ١٨ من العلق .

(١٠) الإسراء ١١ .

(١١) معانى القرآن : « وهى واو جماع » .

(١٢) هذا مافى معانى القرآن . وفى النسختين : «وعلياء قيس» .

إذا ماشاءُ ضرُّوا من أُرادوا [ولا يألُو لهم أَحدٌ ضِرارا] [١]

وأنشدنى الكسائى :

متى تقول خلَتْ من أهلها الدارُ[٢]] كأنَّهم بجناحَىْ طائر طارُوا [٣]

وأنشدنى بعضهم :

فلو أن الأطبَّا كانُ عندى .... البيت

وتفعل ذلك فى ياء التأنيث من تحت ، كقول عنترة :

إنَّ العدوَّ لهمْ إليك وسيلةٌ إن يأخذُوكِ تَكحَّلى وتخضَّبِ

يحذفون الياء وهى دليل على الأنثى ، اكتفاءً بالكسر [٤] . انتهى .

وظاهر كلامه أنَّ هذا لغةٌ لاضرورة .

وأورده صاحب (الكشاف) أيضاً فى سورة المؤمنين شاهداً لقراءة من قرأ : ﴿ قد أفلحُ [٥] ﴾ بضم الحاء اجتزاء بالضمة عن الواو ، والأصل قد أفلحوا ، على لغة أكلونى البراغيث .

ونقل ابن هشام (فى المغنى) فى الجهة الرابعة من الكتاب الخامس ، عن

---

(١) فى تفسير أبى حيان ٤ : ٢٥٦ : «ولايألوهم أحد ضرارا » ، وكذا فى الإنصاف .

(٢) التكملة من معانى القرآن . وبدونها يفسد القول ، إذ يظل الشطر السابق ، وهو من الوافر ، صدرا للعجز التالى وهو من بحر البسيط .

(٣) وكذا رسمت فى معانى القرآن . وفى ش مع أثر تصحيح «طارُ» طبقا لما تقتضيه القراءة للاستشهاد بحذف الواو .

(٤) فى معانى القرآن : « بالكسرة » .

(٥) الآية الأولى من سورة المؤمنين .

التبريزى ، فى قراءة يحيى بن يعمر: ﴿عَلَى الذى أحسَنُ [١]﴾ بالرفع أنَّ أصله أحسنوا ، فحذفت الواو اجتزاءً عنها بالضمة ، كما قال :

إذا ماشاءُ ضرُّوا من أرادوا ..... البيت

ثم قال : وحذفت الواو . وإطلاقُ الذى على الجماعة ليس بالسَّهل ، والأَوْلى قول الجماعة إنه بتقدير مبتدأ ، أى هو أحسن . وأمَّا قول بعضهم فى قراءةِ ابن محيصِن : ﴿ لمن أراد أن يتمُّ الرَّضاعة [٢] ﴾ إنّ الأصل أن يتموا بالجمع ، فحسُنَ لأنَّ الجمع عَلَى معنى مَن . ولكن أظهرُ منه قول الجماعة : إنّه جاء عَلَى إهمال أن الناصبة . انتهى مختصراً .

وهذا الكلام أيضاً يدلُّ عَلَى أنّه غير ضرورة .

وأورده المرادىُّ (فى شرح الألفية) كذلك ، ولم يقيِّده بضرورة .

وفى البيت شاهدٌ آخر ، وهو قصر الممدود ، وبه أورده ثعلب (فى أماليه) قال : قُصِرَ الأطباء فى أول البيت ومُدَّ فى آخره وأصله المد . وأمّا قوله: «كانُ حولى» فإنّه اكتفى بالضمة عن واو الجمع . هذه عبارته .

٣٨٦ وأورده ابن الأنبارى أيضاً (فى مسائل الخلاف) فى موضعين بالوجهين ذكره فى المسألة الخامسة والسبعين [٣] فى مسألة فعل الأمر هل هو معرب أو مبنىّ

---

(١) قراءة فى الآية ١٥٤ من الانعام . وقد شارك يحيى فى هذه القراءة ابن أبى اسحاق كما فى تفسير أبى حيان ٤ : ٢٥٥ . وقراءة الجمهور : « ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن » بفتح النون على أنها فعل ماض .

(٢) الآية ٢٣٣ من البقرة . ونسبت القراءة إلى مجاهد فى البحر المحيط ٢ : ٢١٣ .

(٣) هى المسألة الثانية والسبعون فى نشرة الأستاذ الشيخ محيى الدين .

عَلَى أَنَّ الاكتفاء بالضمة ضرورة . وأورده فى المسألة الثانيةَ عشرة بعد المائة [١] فى المقصور والممدود ، عَلَى قصر الأطبَّا لضرورة الشعر . قال : والقياس يوجب مدَّه ؛ لأن الأصل فى طبيب [أن [٢]] يجمع عَلَى طُبَيَاءَ ، كشريف وشرفاء ، إلا أنه اجتمع حرفان متحرِّكان من جنس واحد ، فاستثقلوا اجتماعهما فنقلوه من فُعَلاء إلى أفعِلاء ، فصار أُطبباء ، فاستثقلوا أيضاً اجتماعَ حرفين متحرِّكين من جنس واحد ، فنقلوا كسرة الباء إلى الطاء وأدغموا .

وأطنب فى الموضعين،وبيَّن حجج الفريقين،وجاء بما يجلو العين، ويمحو عن القلب الرَّين وروَى بعد البيت الشاهد بيتا ثانيا،والرواية عنده هكذا:

(فلو أنَّ الأطبَّا كانُ حولى وكان مع الأطبَّاء الشُّفاةُ
إذنْ ماأذهَبوا ألمَاً بقلبى وإنْ قيل:الشُّفاة هم الأُساة)

والطِّبّ بالكسر فى اللغة : الحِذق . والطبيب : الحاذق . والأساة : جَمع آس ، كقضاة جمع قاض . قال فى الصحاح : الآسى : الطبيب . وكذلك الشُّفاة : جمع شاف .

وقوله : (إذن ماأذهبوا) جواب لو . ورواية العينى تقديم الأساة فى قافية البيت الأول وتأخير الشفاة فى قافية البيت الثانى .

ولم يعزهما الفراء فمن بعده إلى أحد . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده . وهو الشاهد السادس والسبعون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد س [٣] :

---

(١) هى المسألة التاسعة بعد المائة فى نشرة الأستاذ الشيخ محيى الدين .

(٢) التكملة من الانصاف ٧٥٣ .

(٣) فى كتابه ١ : ٣٢٦ . وانظر ديوان الفرزدق ٥٠ والخصائص ٢ : ١٩٤ وأمالى ابن الشجرى ١ : ١٣٣ وابن يعيش ٣ : ٨٩ / ٧ : ٧ والهمع ١ : ١٦٠. وسيأتى أيضا فى ٣ : ٢٩٣ ، ٤/٣٣٤ : ٥٥٤ بولاق .

٣٧٦ (بحَوْرانَ يَعصِرْنَ السَّليطَ أَقارِبُه)

على أَنَّه جاء على لغة أكلونى البراغيث .

قال سيبويه:واعلم أنَّ من العرب من يقول ضربونى قومك،وضربانى أخواك،فشبهوا هذا بالتاء التى يُظهرونها فى قالت فلانة،وكأنهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامةً كما جعلوا للمؤنث،وهى قليلة.قال الشاعر:

ولكنْ دِيَافِىٌّ أبوه وأُمُّه بَحْوران يعَصِرن السَّليطَ أَقارُبه

انتهى .

فأقاربه فاعل يعصر،والنون علامة لكون الفاعل جمعاً،كتاء التأنيث.

قال ابن هشام (فى شرح شواهده):إنما قال:يعصرن لأنّه شبَّههم بالنِّساء لأنهم لاشجاعة لهم،والخدمة والتبذل فى العرب إنما هو للنِّساء،وإمّا الرجال فشغلهم بالحروب . وقيل:شبَّهه بِبعير دِيافِيٍّ،ثم أقبل يصف أقارب البعير وأقارُبه جمال،فلذلك جاء بالنون.انتهى.

أقول : الوجه الثانى بعيد لا قرينة له ، ويزيده بعداً يعصرن السليط.

قال ابن خلف : وفى رفع أقاربه أوجهٌ أُخَر : أَحدها : يجوز أن يكون مبتدأ ويعصرن خبر مقدَّم عليه ؛ وهذا سائغ عند أَهل البصرة كما قالوا : مررت به المسكينُ ، يريدون:المسكينُ مررت به . وقال أبو على : وفيه مع هذا قبح ، لأن الخبر جملة وليس بمفرد ، فلا ينبغى أن يجوز فيه ماجاز فى الأَصل الذى هو المفرد . وأهل الكوفة لايجيزون مثل هذا . ويحتمل أن يكون رفعاً بحَوْران ويكون بحوران صفة لديافىٍّ ، ويعصرن حالاً من الأَقارب . ويجوز أن يكون بدلا من النون كما قيل فى : ﴿وأَسَرُّوا النَّجْوَى الذين ظَلَمُوا [1]﴾ .ويجوز أن يكون خبر مبتدأ مضمر،

(١) الآية ٣ من سورة الأنبياء .

٣٨٧ والجملة جوابٌ لسؤال مقدَّر ، كأنه لما قيل بحوران يعصرن السَّليط فقيل : من هم ؟ فقال : هم أقاربه .

أقول : هذه الوجوه الأربعة مبنيَّة على أنّ النون ضمير ، وهذه النون فى البيت سواء كانت حرفا أم اسماً ، تدلُّ على صحة مانقله الشارح المحقق فى باب التوكيد عن الأندلسى ، من جواز رجوع ضمير جماعة المؤنث إلى الجمع المكسَّر العاقل ، فكان ينبغى أن يستدلَّ بهذا البيت دون البيت المتقدّم لخفائه كما تقدم .

وقوله : (ديافىٌّ) خبر لمبتدأ محذوف ، تقديره : لكن أنت ديافى ، يدلُّ عليه قوله فيما قبله : لو كنت ضبِّيًّا ، أو هو دِيافىٌّ : لقوله فلو كان ضبِّياً كما يأتى . وهو منسوبٌ إلى دياف بكسر الدال بعدها مثناة تحتية وآخره فاء . قال صاحب العباب : دِيافٌ من قرى الشّام،وأهلها نَبَط الشام ، وتنسب الإبل إليها والسُّيوف . وإذا عرَّضوا برجلٍ أنه نَبطىٌّ نسبوه إليها . قال :

ولكن ديـافىٌّ أبـوه وأمـه ...... البيت

وهذا يدلُّ على أنّ دِيافاً بالشام لا بالجزيرة كما قيل ، لأنّ حَوران من رساتيق دمشق .

وكذا قال الحسن السكرى [١] (فى شرح ديوانه) : وقال جرير :

إنّ سليطاً كاسمه سليطُ لولا بنو عمرو وعمروٌ عِيطُ [٢]

* قلتَ:دِيافيُّون أو نبيطُ [٣] *

---

(١) السكرى هذا هو الحسن بن الحسين بن عبيد الله بن عبد الرحمن العتكى ، أبو سعيد . ولد سنة ٢١٢ وتوفى سنة ٢٥٥ وهى سنة وفاة الجاحظ .

(٢) عيط : جمع أعيط وعيطاء ، وهو الطويل العنق . وفى معجم البلدان : « والعيط الضخام ، واحدهم أعيط » .

(٣) عقب عليه ياقوت فى (دياف) بقوله : « يقول : هم نبيط الشام أو نبيط العراق » .

أراد : عمرو بن يربوع ، وهم خلفاء بنى سَليط .

وقال الأخطل :

كأنّ بناتِ الماء فى حَجَراتِهِ
أَباريقُ أهدتْها دِياف لِصَرْخَدَا[١].انتهى

ولم يورد أبو عبيد البكرى دياف (فى معجم مااستعجم) .

و(أبوه) مرفوع بديافىّ لأنه خبرٌ سببىٌّ . وأتى بضمير الغيبة لأنّ التقدير أنت رجل ديافى أَبوه . وأُمه معطوف عليه . وقوله (بحَوْران) متعلّق بيعصرن ، وجملة (يعصرن) صفة لديافى ، وضميرِ (أقاربه) راجعٌ عليه . هذا هو الظاهر .

وذكر ابن خلف أَوجهاً متعسِّفةً فى إعراب كلّ لفظةٍ من هذا البيت لافائدة فى نقلها .

و(يعصِرن) بكسر الصاد قال صاحب المصباح : عصرت العنب ونحوه عصراً ، من باب ضرب : استخرجت ماءه ، وأَراد هنا يستخرجن السَّليط،بفتح السين وكسر اللام . قال الصاغانى (فى العباب) : السليط : الزيت عند عامَّة العرب ، وعند أهل اليمن : دهن السمسم . وقال ابن دريد وابن فارس : السّليط بلغة أهل اليمن . وبلغة من سواهم : دهن السمسم . أقول : الأمرُ على خلافه ، فإنِّى سمعت أَهل مكة جرسها الله تعالى وأهلَ تهامة واليمن يسمُّون دُهن السِّمسم : السَّليط . انتهى .

---

(١) فى النسختين : « لصرخد » ، صوابه من ديوان الأخطل ٩٧ . وصرخد : بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق ، قال ياقوت : « وهى قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة ينسب اليها الخمر » . والبيت من قصيدة مفتوحة الروى مطلعها :

صحا القلب إلا من ظعائن فاتنى بهن أمير مستبد فأصعدا

وقال ابن خلف : السّليط:الشَّيرج [١] وهو هنا الزيت ؛ لأنّ حَوْران من مدن الشام ، وأهلها نبط ، فهى بعصر الزيت أشهر منها بعصر الشيرج . وقد يجوز أن يكون الشَّيرَج ، لأنّه يعصر بالشام كما يعصر الزيت . والدليل على أنّ السليط يقع على الزيت قولُ النابغة الجعدىّ :

أضاءت لنا النارُ وجهاً أَغَـ ـرَّ ملتبساً بالفؤاد التباسا

يضيءُ كضَوء سِراج السَّليـ ـطِ لم يجعل الله فيه نُحاسا

والنُّحاس : الدخان ، وذلك معدوم فى الزّيت ، وأمّا الشَّيرج فكثير الدخان . هجاهُ بذلك إذْ جعله من أهل القُرى المستخدَمين لإقامةِ عيشهم [٢] ، ونفاه عما عليه العرب من الانتجاع والحرب .

٣٨٨

والبيت من أبيات للفرزدق ، وهى :

صاحب الشاهد

أبيات الشاهد

(سَتعلمُ ياعمرو بنَ عَفْرى من الذى يُلام إذا ماالأَمر عيَّتْ عواقِبُه

فلو كنتَ ضبِّيًّا صفحتُ ولو سرت عَلَى قدمى حَيَّاته وعقاربُه

ولكنْ دِيافىٌّ أبوه وأُمُّه بحَوْرانَ يَعصرن السَّليطَ أقاربُه

ولمَّا رأى الدَّهْنا رمتْه حبالُها وقالت دِيافىٌّ مع الشام جانبه

فإن تَغضبِ الدَّهنا عليك فما بها طريقٌ لزيَّاتٍ تُقاد رَكائبُه

(١) الشَّيرج : دهن السمسم ، كما فى تاج العروس . وفى الألفاظ الفارسية المعربة لأدى شير ٨٩ : « السِّيرج : دهن السمسم ، ويقال الشيرج أيضا ، تعريب شِيرَه » . وفى شفاء الغليل ١٠٧ : « سيرج بكسر السين المهملة : دهن السمسم ، معرب شيره ، مولد » .

وفى معجم استينجاس ٧٧٤ أن « شيره » من معانيها « زيت السمسم » .

(٢) ط : « عيسهم » ، صوابه بالشين كما فى ش .

تَضِنّ بمالِ الباهلىّ كأنّما تضَنّ على المال الذى أنت كاسبُه
وإنّ امرأً يغتابُنى لم أُطأْ له حريمًا ولا تنهاه عنّى تجاربه [(١)]
كمحتطبٍ يوماً أساودَ هضبةٍ أتاهُ بها فى ظُلمة اللّيل حاطِبُه
أحينَ التقى نابَاىَ وابيضّ مِسْحَلى وأطرَقَ إطراقَ الكَرا من أحارِبه)

روى صاحب الأغانى بسنده عن محمّد بن سلام قال :

أتى الفرزدقُ عبدَ الله بنَ مسلمٍ الباهلىَّ فسألَهُ ، فثقُلَ عليه الكثيرُ وخِشيَه فى القليل ، وعنده عمرو بن عفراء الضّبىُّ راويةُ الفرزدق ، وقد هجاه وابنَه [(٢)] الفرزدقُ فى قوله :

نبِّئت جوَّاباً وسَكْنا يسبُّنى وعمرو بن عَفْرَى لاسلامٌ على عمرو[(٣)]

فقال ابن عفراء الضبى : لايهولنّك أمرهُ . فقال : وكيف ذاك ؟ قال : أنا أُرضيهِ عنك بدون ماكان همَّ له به . فأعطاه ثلثمائة درهم ، فبلغ الفرزدقَ صنيعُ عمرو فقال هذه الأبيات .

قال : فأتاه ابنُ عفراءَ فى نادى قومه فقال له : اجهَدْ جهدَك ، هل هو إلا هذا ، والله لاأدعُ لك مساءةً إلا أتيتُها ، ولا تأمرُنى بشىءٍ إلّا اجتنبته ، ولا تنهانى عن شىء إلا ركِبته . قال : فاشهدُوا أنّى أنهاه أن ينيك أمّهُ . فضحكَ القومُ وخجل ابن عفراء .

وروى أيضاً بعد هذا فى موضعٍ آخر عن يونسَ النحوى قال :

---

(١) فى ط : « عنه تجاربه » ، صوابه فى ش .
(٢) فى الأغانى : « وقد هجا حرما وابنه »
(٣) كذا ورد « عفرى » بالياء فى ط ، لكن فى ش « عفرا » ، كما هو المألوف . وسيأتى فى كلام البغدادى : « وعفراء بالمد ، قصر ضرورة فكتب بالياء » .

مدحَ الفرزدقُ عمرو بن مسلمٍ الباهليَّ فأمر له بثلثمائة درهم ، وكان عمرو بن عفراء الضبى صديقا لعمرٍو ، فلامهُ وقال : أتعطى الفرزدقَ ثلثمائة درهم ، وإنما كان يكفيه أن تعطيه عشرين درهما ؟! فبلغ ذلك الفرزدقَ فقال :

نهيتُ ابن عَفْرَى أن يعفِّر أُمَّه كعفْرِ السَّلَى إذْ جرَّدته ثعالبُه
وإنَّ امرأً يغتابُنى لم أطأْ له حريما فلا تنهاه عنى أقاربه
كمحتطبٍ ليلا أساودَ هضبةٍ أتاه بها فى ظلمة الليل حاطبُه
ألمَّا استوى ناباىَ وابيضَّ مِسْحَلِى وأطرق إطراق الكرا من أحاربُه
فلو كان ضبياً صفحتُ ولو سَرت على قدمى حيّاته وعقاربه
ولكنْ ديافىٌّ أبوه وأمه بِحَوْرانَ يعصرن ... (البيت) .انتهى.

وقال ابن خَلَف ، وصاحب العباب :

سبب هذا الشعر أنّ عمرو بن عفراء الضبىَّ قال لعبد الله بن مسلمٍ (1) الباهلى : [وقد أعطى] الفرزدق خِلْعة (3) ، وحمله على دابّه وأمر له بألف درهم ، فقال له عمرو بن عفراء : مايصنع الفرزدق بهذا الذى أعطيته ، إنّما يكفى الفرزدق ثلاثون درهما ، يزنى بعشرة ، ويأكل بعشرة ، ويشرب بعشرة . فهجاه الفرزدقُ بهذا . انتهى .

٣٨٩

وكذا رأيته (فى شرح ديوانه للحسن السكرى من رواية ابن حبيب) .

وقوله : «ستعلم ياعمرو» إلخ هذا تهديدٌ . وعفراء بالمد، قُصِر ضرورةً فكُتب بالياء ، وهى أمُّه . وعىٌّ بمعنى لم يهتد لوجهه .

---

(1) فى الأغانى ١٩ : ١٣ وكذا ديوان الفرزدق ٥٠ : « عبد الله ابن سلم » .

(2) بمثل هذه التكملة يلتئم الكلام . وفى ديوان الفرزدق : « وكان عبد الله بن سلم الباهلى أعطى الفرزدق جعلته » ، وفيه تحريف .

(3) هذا مافى ش . وفى ط : « حلقة » ، تحريف . والخلعة من الثياب : ماخلعته فطرحته على آخر أو لم تطرحه .

وقوله : « فلو كنت ضبيا » إلخ ، نفاه عن قبيلته لكونه سكنَ القُرى ، ولم يكن على طريقة العرب .

وقوله : «ولما رأى الدهنا » إلخ الدهنا يمدّ ويقصر ، وهو موضعٌ ببلاد تميم . وحبالها : أسبابها .

ودیافی بتقدير هو دیافی ، وجملة « مع الشام جانبه » صفة له ، وجواب لما محذوف ، والتقدير سكن الشام ونحوه . وقال الحسن السكَّرىّ : الواو هنا مقحمة فی وقالت ، لا موضع لها ، أراد:قالت . انتهى .

وقوله : « فإن تَغضب الدهنا » هذا وجهُ رمى الدهنا [1] له ، فإنَّه سُوقىٌّ يتاجر بالزيت . والدَّهنا لاتقبل مَنْ هو كذا . وقوله:تَضَنُّ ، أى تبخل.

وقوله : « كمحتطب يوما » إلخ هو خبر إنَّ فى قوله وإنَّ امرأ ، وهو الذى يجمع الحَطب . والأساود : جمع أسود ، وهو العظيم من الحيات ، وفيه سَواد . والهضبة : الجبل المنبسِط على وجه الأرض ، أشار إلى المثل المشهورِ لمن يتكلَّم بالغثِّ والسمين : «حاطبُ ليل » ؛ لأنَّه لايبصر مايجمع فى حبله ؛ ربَّما يجمع فى حطبه حيَّةً يكونُ هلاكُه بها .

وقوله : « أحين التقَى ناباىَ » إلخ التقاء النابين واستواؤهما كناية عن بلوغ الأشُدُّ . والمِسْحل بكسر الميم وسكون السين وفتح الحاء المهملتين . عارضُ الرجل ، أى صفحة خدِّه . وأطرق ، أى أرخى عينيه ينظر إلى الأرض . والكَرا : لُغةٌ فى الكرَوان . يقول : أيؤذينى فى وقتِ شدَّتى وحين تهابُنى أقرانى وأطرقُوا منِّى كإطراق الكرَوان . والاستفهام إنكارى .

وقوله :«نهيت ابن عَفْرَى أن يعفِّر أمَّه» إلخ التعفير:التمريغ فى التراب.

---

(١) ش : « الدهناء » فى هذا الموضع وتاليه .

والسَّلَى بفتح السين المهملة والقصر ، هو الجلدة الرَّقيقة التى يكون فيها الولد من المواشى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والسبعون بعد الثلثمائة [١]:

٣٧٧ (إنْ كنتُ أدرِى فعلىَّ بدنَهْ مِن كثْرة التخليط أنِّى من أنَهْ)

على أنّه قد يبيِّنُ فتح أنا فى الوقف بهاء السكت ، كما فى آخر القافية فى هذا البيت .

قال ابن جنى (فى سِرِّ الصناعة) : فأمَّا قولهم فى الوقف على أنَ فعلت : أنا وأنه ، فالوجه أن تكون الهاءُ فى أنه بدلاً من الألف فى أنا ، لأنّ الأكثر فى الاستعمال إنّما هو أَنا بالألف ، والهاء قليلة جداً ، فهى بدلٌ من الألف . ويجوز أن تكون الهاء أيضاً فى أنَهْ أُلحقت لبيان الحركة ، كما ألحقت الألف،ولا تكون بدلاً منها بل قائمةً بنفسها، كالتى فى قوله تعالى : « كتابيهْ » و « حسابيهْ » و « سلطانيهْ » و « ماليهْ » و ماهيَهْ [٢] » . انتهى

و(البدَنة) قال صاحب المصباح :قالوا : هى ناقة أو بقرة . وزاد الأزهرى:أَو بعير ذكر .قال: ولاتقع البدَنة على الشاة . وقال بعضُ الأئمة : البدنة هى الإبل خاصَّة ،وإنّما ألحقت البقرة بالإبل بالسُّنَّة .وقوله (من كثرة) متعلِّق بالفعل المنفىِّ ضمناً ، أَى ماأدرى مِنْ كثرة التخليط . قال صاحب الصحاح : والتخليط فى الأمر:الإفساد فيه .وقوله (أنِّى) بفتح الهمزة. وقوله (مَن أنه) مَنْ عند سيبويه مبتدأ،وأنَه خبر،وعند غيره بالعكس.والجملة فى

(١) انظر ابن يعيش ٣ : ٩٤ وشرح شواهد الشافية ٢٢٢

(٢) نهايات الآيات ٢٥ ــ ٢٩ من سورة الحاقة .

محلّ رفع خبر أنّى ،وجملة أنّى مَنْ أنه فى محل نصب،سادٌّ مسدَّ مفعولى أدرى.

٣٩٠ وهذا البيت لم أقف له على أثر . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والسبعون بعد الثلثمائة [١]:

٣٧٨ (أنا سيفُ العشيرةِ فاعرِفونى حُمَيـــداً قد تذرَّيتُ السَّنامــا)

على أنَّ ثبوت ألف (أنا) فى الوصل عند غير بنى تميم لايكون إلا فى الضرورة .

قال ابن جنى (فى شرح تصريف المازنى): أمّا الألف فى أنا فى الوقف فزائدة ليست بأصل . ولم نَقْضِ بذلك [٢] فيها من جهة الاشتقاق . هذا مُحالٌ فى الأسماء المضمرة ، لأنّها مبنية كالحروف ، ولكنْ قضينا بزيادتها من حيث كان الوصلُ يُزيلها ويُذهبها ، كما يُذهب الهاءَ التى تلحق لبيان الحركة فى الوقف . ألا ترى أنّك تقول فى الوصل : أنَ زيدٌ ، كما قال تعالى : ﴿ إنِّى أنا ربّك [٣] ﴾ تكتب بألف بعد النون ، وليست الألف فى اللفظ ، وإنّما كتبت على الوقف ، فصار سقوط الألف فى الوصل كسقوط الهاء التى تلحق فى الوقف لبيان الحركة فى الوصل ، وبيِّنت الفتحة بالألف كما بيِّنت بالهاءِ ، لأنَّ الهاء مجاورة للأَلف . وقد قالوا فى الوقف أنَه ، فبيَّنوا الفتحة بالهاء كما بَيَّنوها بالألف ، وكلتاهما ساقطة فى الوصل . فأمَّا قول الشاعر :

أنا سيف العشيرة فاعرفونى . . . . . البيت

---

(١) المنصف ١ : ١٠ وابن يعيش ٣ : ٩٣ / ٧٤ والمقرب ٥٣ وشرح شواهد الشافية ٢٣٢ .

(٢) ط : « ولم يقض فى ذلك » ، وفى ش : « ولم يقض بذلك » ، وأثبت مافى المنصف .

(٣) الآية ١٢ من طه .

فإنما أجراه فى الوصل على حدٍّ ما كان عليه فى الوقف . وقد أجْرتِ العربُ كثيراً من ألفاظها فى الوصل على حدٍّ ماتكون عليه فى الوقف ، وأكثر مايجيء ذلك فى ضرورة الشعر . انتهى .

(وحُمَيداً) بدلٌ من ياء اعرفونى لبيان الاسم ، أَوْ هو منصوب على المدح [1] . قال أبو بكر الخفَّاف (فى شرح الجمل) : قال الزجاج : حميداً بدل من الياء ، وهذا لا حجَّة فيه ، لاحتمال أنْ يكونَ منصوباً بإضمار فعلٍ على المدح ، كأنه قال : فاعرفونى مشهوراً.وأناب قوله حميدا مَناب قوله مشهوراً، لكونه علماً . و(حُميد) يروى مصغَّرا ومكبرا . وأنشد صاحب الصحاح بدله «جميعاً» . و(تذرَّيتُ السَّنام) بمعنى علوته [من الذِّروة [2]] والذُّروة بالكسر والضم ، وهو أعلى السَّنام . وحقيقة تذرَّيت السنام علوت ذِروته .

صاحب الشاهد

ونسب ياقوتُ هذا البيتَ (فى حاشية الصحاح) إلى حُميد بن بحدل ، شاعر . وقال ابنُ الأعرابى : بحدل الرجلُ ، إذا مالت لِثتُه أى لحم أسنانه [3].وقال الأزهرىّ : البحدلة : الخفّة فى السَّعى . قال : وسمعتُ أعرابياً يقول لصاحبٍ له : بَحدِلْ بجدِّك . يأمره بالسُّرعة فى المشى . انتهى .

حميد بن حريث

وحميدٌ مضاف إلى جدّه ، لأنه حُميد بن حريث بن بحدل ، من بنى كلب بن وبرة ، وينتهى نسبه إلى قضاعة .

وحميدٌ شاعرٌ إسلامىٌّ ، وكانت عَمَّتُه ميسونُ بنتُ بحدل أمَّ يزيد بن معاوية .

وكان ابنُ عمه حسَّانُ بن مالك بن بحدل سيِّدَ كلبٍ فى زمانه ، وهو

---

(١) ط : « وهو منصوب على المدح » ، صوابه فى ش .
(٢) التكملة من ش .
(٣) الذى فى اللسان عن ابن الأعرابىّ : « إذا مالت كتفه » ، ولعله الصواب .

الذى بايع مَرْوان بن الحكم يوم المَرْج ، وكان ولّاه يزيدُ بن معاوية على فلسطين [١] والأردنّ ، وأخوه سَعِيد بن مالك بن بحدل على قِنَّسْرين ، فلما مات يزيد بن معاوية وثب زُفر بن الحارث على سعيدٍ فأخرجه منها وبايعَ لابن الزُّبير ، ثم خرج عُمَير بن الحُباب مُغيراً على بنى كلب بالقتل والنَّهب ، فلما رأت كلبٌ ، ما لقىَ أصحابُهم ، اجتمعوا إلى حُميد بن حريث بن بحدل ، فقتَلَ حميدٌ بنى فزارة قتلاً ذريعا .

والقصة مفصَّلة فى ترجمة عويف القوافى فى الأغانى [٢] .

* * *

٣٩١ وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والسبعون بعد الثلثمائة ، وهو من أبيات المفضَّل [٣] :

٣٧٩ (فقلتُ أهْىَ سَرَتْ أمْ عادَنِى حُلُمُ)

هذا عجز ، وصدره :

(فقمتُ للطَّيف مُرتاعاً فأرَّقنى)

على أنَّ هاء هى قد تسكن بعد همزة الاستفهام .

وفى التسهيل مايقتضى أنّه قليل ، وفى شرح مصنِّفِه [٤] أنّه لم يجىءْ إلاّ فى الشعر .

وقال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) :أسكن أوَّل أهْىَ لاتَّصال حرف

---

(١) ش : « فنسطين » ، تحريف .

(٢) الأغانى ١٧ : ١١٢ — ١١٣ .

(٣) ابن يعيش ٧ : ١٣٩ . وانظر الخصائص ١ : ٣٠٥ / ٢ : ٣٣٠ وشرح شواهد الشافية ١٩٠ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٤٩ والتصريح ٢ : ١٣٢ والأشمونى ٣ : ١٠١ وشرح المرزوق للحماسة ١٣٩٦ .

(٤) هو ابن مالك . وكتابه تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد .

الاستفهام به ، وأجراها فى ذلك مجرى المتصل ، فصار أُهْىَ كعَلْم ، وأجرى همزة الاستفهام مجرى واو العطف وفائِه ولام الابتداء ، نحو قوله [١] تعالى : ﴿ وهْوَ الله [٢] ﴾ وقوله : ﴿فهْوَ جزاؤه [٣] ﴾ ،وقولك : وهْىَ قامت ، وفهْىَ جالسة ، و﴿ إنَّ الله لهْوَ السَّميعُ العَليم [٤] ﴾ . غير أنّ هذا الإسكان مع همزة الاستفهام أضعفُ منه مع ماذكرناه ، ومن حيث كان الفصل بينهما وبين المستفهم عنه جائزاً ، نحو قولك : أزيد قام وأزيداً ضربت [٥] ، وليس كذلك واوُ العطف وفاؤه ولا لام الابتداء ، لايجوز الفصل بين شيءٍ منهنّ وبين ماوُصِلن به . فأمّا فصل الظَّرف فى نحو : إنَّ زيداً لفى الدار قائم ، فمغتفرٌ لكثرته فى الكلام ، ألا تراها فى هذا البيت مفصولاً بينها وبين ماهى سؤالٌ عنه من اللفظ . وهذا الاتّصال أو ضدُّه من الانفصال ، إنما هو شيءٌ راجعٌ إلى موجود اللفظ لا إلى محصول المعنى . انتهى .

صاحب الشاهد — وهذا البيت من قصيدة مسطورة (فى الحماسة) عدَّتُها ثلاثة وأربعون بيتا للمَرَّار العَدَوىّ ، وقبله :

أبيات الشاهد — (زارتْ رُوَيقة شُعْثاً بعد ما هَجَعوا   لَدَى نواحلَ فى أرساغِها الخَدَمُ

فقُمتُ للزَّورِ مرتاعاً وأرَّقَنى   . . . . . البيت

(١) الذى فى إعراب الحماسة : « نحو قولك » وكذلك « قوله » التالية ، هى فى إعراب الحماسة : « قولك » .

(٢) الأنعام ٣ .

(٣) يوسف ٧٥ .

(٤) ليست هذه من آيات الكتاب .

(٥) ط : « أزيد ضربت » بالرفع ، صوابه فى ش واعراب الحماسة الورقة ١٩٣ .

وكانَ عهدى بها والمشْىُ يَبْهَظُها من القريب ومنها النّوم والسَّأَمُ (١)
وبالتكاليف تأتى بيتَ جارتها تَمشى الهُوَيْنى ومايبدو لها قدمُ
سودٌ ذوائبها بيضٌ ترائبها دُرمٌ مرافقُها فى خَلقها عَمَمُ
رُوَيقَ إنّى ومَنْ حجَّ الحجيجُ له وما أهلَّ بجنبَىْ نَخلة الحُرُمُ
لم يُنسِينى ذكرَكم مذ لم أُلاقِكُمُ عَيشٌ سَلوت به عنكم ولا قِدَمُ
ولم يشاركْكِ عِندِى بَعدُ غانيةٌ لا والذى أصبحت عندى له نِعَمُ)

قوله : زارت رُوَيقة ، يقول : زار خيال رُوَيقة قوماً شعثاً غُبرا بعد ما ناموا عند إبل ضوامرَ شُدَّت فى إرساغها سيورُ القَيْد ، لشدَّة سيرها وتأثير الكلال فيها (٢) .

وقوله : « فقمتُ للطَّيف » إلخ ، الطَّيف : الخَيال . وروى : « فقمتُ للزَّوْر » وهو مصدرٌ بمعنى الزائر ، يستوى فيه الواحد والجمع ، والمذكر والمؤنث . و(المرتاع) : الخائف الفزع .

وقد أنشده (صاحب المفصل) لمَا ذكره الشارح المحقق .

وأنشده ابن الناظم وابن هشام (فى شرح الألفية) على أنَّ أم المتصلة وقعت بين جملتين فعليتين فى معنى المفردين ، والتقدير فقلت : أَسارت هى أم عادنى حلمها ، أىْ أىُّ هذين .

وأنشده ابن هشام فى موضعين (من المغنى) .

٣٩٢ الأول فى أم ،قال: إنَّ أم المعادِلة لهمزةِ الاستفهام تقع بين مفردين،

---

(١) فى النسختين : « ينهضها » صوابه من الحماسة ، ومما سيأتى فى التفسير من أن معناه يعييها قطع المسافة القريبة . وفى اللسان : « بهظنى الأمر والحمل بهظا : أثقلنى وعجزت عنه وبلغ منى مشقة».

(٢) ط : « لتأثير الكلال فيها » ، صوابه فى ش .

وهو الغالب ، وبين جملتين ليستا فى تأويل المفردين ؛ وتكونان أيضا اسميّتين [و] فعليتين (١) كهذا البيت . قال : وذلك على الأرجح فى هى ، من أنّها فاعلٌ بمحذوف تفسّره سَرَتْ .

والثانى فى أول الباب الثانى ، قال : وتقدير الفعلية فى أهى ، أكثر رجحانا من تقديرها فى : ﴿ أبشَرٌ يَهْدُوننا (٢) ﴾ لمعادلتها الفعليَّة . قال ابن الحاجب (فى أمالى المفصَّل) : يريد : إنِّى قمتُ من أجل الطَّيف منتبهاً مذعوراً للقائه ، وأرَّقنى لمَّا لم يحصل اجتماعٌ محقَّق ، ثم ارتبت لعدم الاجتماع هل كانَ على التحقيق أم كان ذلك فى المنام . ويجوز أن يريد : فقمتُ للطَّيف وأنا فى النوم إجلالاً فى حالِ كونى مذعوراً لاستعظامها ، وأرَّقنى ذلك لمَّا انتبهت فلم أجدْ شيئاً محقَّقا ، ثم من فرطِ صبابته شَكَّ أهى فى التحقيق سَرَتْ أم كان ذلك حلماً ، على عادتهم فى مبالغتهم ، كقوله :

* آأنتِ أم أمُّ سالم (٣) * انتهى .

قال الدمامينى بعد أن نقل هذا (فى الحاشية الهندية) : حاصله احتمال كون القيام فى اليقظة أو فى المنام ، وأمَّا الشَّكُّ فى الاجتماع هل كان فى النَّوم أو فى اليقظة فثابتٌ على كلٍّ من الاحتمالين .

وقوله : «وكان عهدى بها» إلخ يقول: كيف يجوز مجيئها وقد عهِدتها

---

(١) زيادة الواو مما يقتضيه صنيع ابن هشام فانه بعد أن أورد البيت على أن «أم» واقعة بين جملتين فعليتين ، ذكر أنها تقع أيضا بين جملتين كقوله :

لعمرك ماأدرى وإن كنت داريا   شعيث ابن سهم أم شعيث ابن منقر

(٢) الآية ٦ من التغابن .

(٣) من شواهد سيبويه فى كتابه ٢ : ١٧٨ بولاق . وهو لذى الرمة فى ديوانه ٦٢٢ . وتمامه :

أيا ظبية الوعساء بين جلاجل   وبين النقا آأنت أم أم سالم

يَبهَظُها [١] أى يُعيبها قطعُ المسافة القريبة ، والغالبُ عليها طلب الراحة بالنَّوم . ونصب الهُوَينى على المصدر ، أى تمشى مشيا هيِّنا . والهُوَينى : تصغير الهُونى مؤنث الأهون . وقوله : « ومايبدو لها قدم » أى تجرُّ أذيالها .

وقوله :« بيضٌ ترائبها » جمع تَريبة ، وهو أعالى الصَّدْرِ . ومِرفقٌ أدرمُ ، إذا لم يكن له حجمٌ لاكتنازه باللحم . والعَمَم ، بفتح العين المهملة والميم : الطُّول .

وقوله : « رُوَيق إنّى » إلخ هو منادى مرخَّم رُوَيقة . ونخلة : موضعٌ قربَ مكة ، قال (صاحب معجم مااستعجم) : نخلةُ على لفظ واحدة النخل : موضعٌ على ليلة من مكة ،وهى التى نُسِبَ إليها بَطنُ نخلة ، وهى التى ورد فيها الحديث ليلةَ الجنّ . انتهى .

وزعم العينىُّ أنه موضعٌ قربَ المدينة . وحُرُم بضمتين : جمع حرام ، كسحب جمع سحاب ، بمعنى المحرم . وروى أيضا : « وما حجَّ الحجيجُ » .
قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة):ماهنا يحتمل أن تكون عبارةً عن الله تعالى وأراد فى ماالثانية له، غير أنَّه حذفها. ويجوز أن تكون مصدريَّة فتكون الهاء فى له لِلهِ تعالى [٢] وإنْ لم يجر له ذكر، لأنَّه قد جرى ذكر الحجّ، فدلَّت الطاعة على المطاع سبحانه ، فكأنَّه قال : إنِّى وحج الحجيج لله. ويؤكد ذلك أنَّه لم يُعد مع الثانية له، لأنَّه غير محتاج إليها من حيث كان مصدراً. ويجوز أن تكون عبارة عن البيت ؛ فأقسَمَ به ، فحينئذ يحتمل الهاء فى له أن تكون

---

(١) فى ط : « ينهضها » وفى ش : « يبهضها » ، صوابه ماأثبت . وانظر الحاشية رقم ١ من ص ٢٤٦ .

(٢) فى إعراب الحماسة ١٩٤ : « فيكون الهاء فى قول الله تعالى » ، وماهنا صوابه .

للبيت على أنَّ اللام بمعنى إلى ، وأن تكون لله ، أى والبيت الذى حجَّه الحجيج لطاعة الله .

وقوله : « لم ينسِنى » إلخ هو مضارع أنسَى ، وذكرَكم مفعول مقدَّم ، وعيشٌ فاعل مؤخر ، وقِدَم بكسر القاف معطوف على عيَش . قال ابن جنى :هذا البيت جواب القسم ، وأجاب بلم ، وحرفَا الجواب فى النفى إنّما هما : ماولا ، لكن اضْطُرَّ فشَّبه لم بما ، كما اضطرّ إلى ذلكَ الأعشى فى قوله :

* أجِدَّك لم تغتمض ليلةً (١) *

فاعرف ذلك فإنّه لطيف .

ومن أواخر القصيدة :

(بلْ ليتَ شعرى متَى أغْدُو تُعارِضُنِى
جَرداءُ سابحَةٌ أو سابحٌ قُدُمُ
نحوَ الأميلِحِ من سَمْنانَ مبتكراً
بفتيةٍ فيهم المَرّارُ والحكَمُ)

٣٩٣

بل للإضرابِ عما قبله . وتعارضنى أى أقودها فتسبقنى من سلاسة قيادها . والجرداء : الفرس القصيرة الشعر ، وهو محمودٌ فى الخيل . وسابحة : كأنها تسبح فى سيرها وجريها . وقُدُم بضمّ القاف والدال بمعنى متقدِّم ، يوصف به المذكر والمؤنث :

ونحو ظرف متعلق بأغدو . والأميلح : اسم ماء . وسَمْنان بفتح السين:ديار الشاعر.والفتية : جمْع فتى . والمرَّار والحكم : رجلان. وهذا البيت أول شاهدٍ وقع (فى شرح الشافية) للشارح المحقق ، قال فيه:وكذا سمنان

---

(١) عجزه كما فى الديوان ٥٠ :

* فترقدها مع رقادها *

إمّا أن يكون مكرر اللام للإلحاق بزلزال ، أو يكون زيد فيه الألف والنون لاللتكرير ، بل كما زِيدَا فى سلمان . ولا دليل فى هذا البيت يمنع صرف سمنان على كونه فعلان ، لجواز كونه فَعلالاً . وامتناع صرفه لتأويله بالأرض والبقعة لأنه اسم موضع . انتهى .

قال أبو عبيد (فى معجم مااستعجم) : الأميلح بضم أوله وبالحاء المهملة كأنه مصغر أملح : موضع . ولم يقل : إنه ماء . وقال فى سمنان : بفتح أوله وإسكان ثانيه على وزن فَعْلان : مدينة بين الرَّىّ ونيسابور . وسُمْنان بضم السين : جبلٌ فى ديار بنى أسد ، وقال أبو حاتم : فى ديار بنى تميم .

وهذا ضبطٌ مخالف لسائر الرُّواة .

قصيدة الشاهد

وأول هذه القصيدة فى ذمِّ صنعاءِ اليمن ومَدْح بلدِه وقومه . وهذا أوَّلها :

(لاحبَّذا أنتِ ياصنعاءُ من بلدٍ ... ولا شَعوبُ هَوًى منى ولانُقُمُ
ولن أحبَّ بلاداً قد رأيت بها ... عَنسا ولا بلداً حلَّتْ به قُدُمُ
إذا سقى الله أرضاً صوبَ غاديةٍ ... فلا سقاهنَّ إلا النَّارَ تضطرِمُ
وحبَّذا حين تمسى الريحُ باردةً ... وادِى أُشيٍّ وفتيانٌ به هُضُمُ)

إلى أن قال :

(همُ البُحور عطاءً حين تسألُهم ... وفى اللِّقاء إذا تلقى بهم بُهَمُ
وهم إذا الخيلُ جَالوا فى كواثبها ... فوارسُ الخيل لا مِيلٌ ولا قَزَمُ[٢]
لم ألقَ بعدهُمُ حيًّا فأُخْبِرَهمْ ... إلاَّ يزيدهُمُ حباً إلىَّ هُمُ)

---

(١) ط : « لضرورة » ، وأثبت مافى ش .

(٢) كذا فى النسختين : « جالوا » بالجيم فى المتن والشرح ، صوابه « حالوا » بالحاء المهملة كما فى الحماسة وشروحها.وفى القاموس : « وفى ظهر دابّته : وثبَ » .

شعوب بفتح الشين ، وكذلك نقُم بضم النون والقاف : موضع باليمن ، وهو جبلُ صنعاء الشرق . وعنس ، بفتح المهملة وسكون النون، وقُدُم بضم القاف والدال :حيَّان من اليمن .وأشيٌّ ، بضم الألف وفتح الشين المعجمة وتشديد الياء، قال أبو عبيد : هو واد وجبل فى بلاد العدوية من بنى تميم .وقال عمر بن شبّة : أشيٌّ:بلد قريبٌ من اليمامة . وأنشد هذا البيت. وهُضم بضمتين: جمع هَضوم وهو الذى ينفق فى الشتاء ، أى حبَّذا هم فى برد الشتاء إذا اشتدَّ الزمان ، لأنهم يُطعمون فيه .

والبُهَم بضم ففتح : جمع بُهْمة بضم فسكون ، وهو الشجاع الذى لايُدْرَى من أين يؤتى من شدَّة بأسه . وتلقى مفعوله محذوف ، أى إذا تلقى بهم عدوّك .

وقوله: «وهم إذا الخيل» أراد بالخيل فرسانَها ، كقولهم : «ياخيلَ الله اركبى » .وجالُوا، أى وثبوا ، يقال جاَلَ فى ظهر دابَّته ، إذا ركبها . لامِيلٌ : لامائلون عن وجوه الأعداء ، جمع أمْيَلِ ، وقيل هو الذى لايثبت على ظهر الدابة ، وهو عطفٌ على فوارس ، ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال:لاهم ميل . وقَزَم بفتح القاف والزاى:رذال الناس وسَفِلتهم ، يطلق على الواحد والجمع ، والذكر والأنثى ؛لأنه فى الأصل مصدرٌ بمعنى الدناءة والقماءة. والكواثب:جمع كاثبة بموحدة بعد مثلثة، وهى فى عرف الفَرَس[1] المتقدِّم من قَرَبوس السَّرج حيث يقع عليه يدُ الفارس.كذا فى شرح الحماسة. وأورد صاحب الكشاف هذا البيت فى سورة الأعراف على أن الخبر فى قوله تعالى ﴿ يَمُدُّونهمْ فى الغىّ[2] ﴾ جارٍ على غير ماهو له،كما فى البيت،فإنَّ الخيل

٣٩٤

(١) ط : «الناس» ، صوابه فى ش .

(٢) الآية ٢٠٢ من الأعراف .

مبتدأً وجالوا خبره مسندٌ إلى ضمير القوم . وفيه كلامٌ طويل .

وقوله : « لم ألقَ بعدهُم » إلخ الحيُّ : القبيلة . وخَبرت الشيء أَخبره ، من باب قتل ، خُبراً بالضم ، بمعنى علمته . وانتصب أخبرهم فى جواب النفى . وهمُ الأخير فاعل يزيدُ ، فصِل ضرورة . والمعنى : لم ألق بعد فراق قومى حيا من الأحياء فأخبرهم إلاّ ازدادوا فى عينى إذا قستهم بمن سواهم .

وروى ابن قتيبة الصَّدرَ (فى كتاب الشعراء) ، والأصبهانى (فى الأغانى) :

* وماأُصاحبُ من قومٍ فأذْكُرَهم *

وزعم أبو حيان أنَّ الرواية كذا من تحريف ابن مالك . هذا قصورٌ منه . ويجوز رفع فأذكُرُهم عطفا على أُصاحب . والذِّكر هنا قلبىٌّ بمعنى التذكر ، فإن المعنى : إنى إذا صاحبت قوماً فتذكرت قومى ازددت محبةً فيهم ، لفضل قومى عليهم . وهذا البيت أورده ابن الناظم وابن هشام(فى شرح الألفية) لما ذكَرنا من فصل الضمير المرفوع ضرورة . قال ابن هشام (فى المغنى) : ادَّعى ابنُ مالك أن الأصل يزيدون أنفسُهم ، ثم صار يزيدونهم ، ثم فصل ضمير الفاعل للضرورة وأخَّره عن ضمير المفعول . وحامله على ذلك ظنه أن الضَّميرَينِ لمسمًّى واحد ، وليس كذلك . قال (فى شرح شواهده):وزعم بعضُ من فسَّر الضرورة بما ليس للشاعر عنه مندوحة ، أن هذا ليس بضرورة (١) لتمكن قائله من أن يقول:إلاّ يزيدونهم حباً إلىَّ هم ، ويكون الضمير المنفصل توكيداً للفاعل . ورَدَّه ابن مالك بأنه يقتضى كون الفاعل والمفعول ضميرين متصلين لمسمًّى واحد ، وإنما يجوز ذلك فى باب ظن . وهذا

---

(١) ط : « لضرورة » ، وأثبت مافى ش .

سهو ، لأنّ مسمّى الضميرين مختلفان ، إذْ ضمير الفاعل لقومه وضمير المفعول لقومه الممدوحين . ويحتمل عندى أن يكون فاعل يزيد ضمير الذِّكر ، ويكون هم المنفصل توكيداً لهم المتَّصل . انتهى كلام ابن هشام .

وقد أخذ مسلمُ بنُ الوليد معنى بيت المرَّار فقال :

ويَرجعنى إليك إذا نأتْ بى ديارِى عنك تجربةُ الرِّجالِ (١)

المرار بن منقذ

والمَرَّار شاعرٌ إسلامى فى الدولة الأموية ، من معاصرى الفرزدق وجرير . وهو بفتح الميم وتشديد الراء . قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : المرار العدوىُّ هو ابن منقذ ، من صُدَىّ بن مالك بن حنظلة . وأم صُدَىّ بالتصغير من جَلّ بن عَدىّ ، فيقال لولده بنو العَدَوية . وقال لهم عَوف بن القعقاع : يابنى العدوية،أنتم أوسع بنى مالكٍ أجوافا ، وأقلُّهم أشرافا . والمرَّار هو القائل :

وما أصاحبُ من قومٍ فأذكرَهم إلا يزيدُهم حباً إلىَّ همُ

٣٩٥

وأنشد معَه أبياتاً أخر من هذه القصيدة . قال وفيه وفى قومه يقول جرير :

إن كنتمُ جَرْبى فعندى شفاؤكم
وللجنِّ إن كان اعتراكَ جنونُ (٢)

---

(١) ط : « ديار عنك » ، وماأثبت من ش يطابق الديوان ٣٣٦ وزهر الآداب ١٦٥ .

(٢) ط : « حزبى » ، تحريف ، صوابه فى ش . وفى الشعراء ٦٧٩ : « فإن كنتم كلبى » ، وهى كذلك فى الحيوان ٢ : ١٥ وديوان جرير ٥٨٩ .

وما أنتَ يامرّار يازَبَدَ استِها

بأوّل من يشقَى بنا ويَحِينُ (١)

وقد رفع الآمدى نسبه (فى المؤتلف والمختلف) فقال : هو المرّار بن منقذ بن عمرو بن عبد الله بن عامر بن يثربىّ بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زَيد مناة بن تميم . شاعرٌ مشهورٌ . ا هـ

واسم المرّار هذا زياد بن منقذ ، قاله الحُصْرىُّ (فى زهر الآداب) ، وإلى اسمه نسب الشعر . وفى الحماسة [قال شرّاحُ الحماسة (٢)] : هو لزياد بن منقذ ، وهو أحد بنى العدَويّة من تميم ، ولم يقل غير هذه القصيدة ، ولم يقل أحدٌ مثلَها . وكان قد أتى اليمَنَ فنزع إلى وطنه ببطن الرِمّة . قال أبو العلاء : الرِمّة : وادٍ بنجد ، يقال بتشديد الميم وتخفيفها. ا هـ

وصحّفه بعضهم وتبعه العينى فقال : ببطن الرِّمث بالمثلثة .

وقد نسب الحُصْرىُّ أيضاً هذا الشعر للمرّار ، قال : أنشد أبو عبيدة لزياد بن مُنقذ الحنظلى ، وهو المرّار العدوى ، نُسِب إلى أُمّه العدَوية ، وهى فُكَيهة بنت تميم بن الدُّئل بن جَلّ (٣) بن عدىّ بن عبد مناة (٤) بن تميم بن أدّ بن طابخة ، فولدت لمالك بن حنظلة عديًّا ويربوعا . فهؤلاء من ولده يقال لهم بنو العدَوية (٥).

---

(١) ط : «يازيد استها» ، صوابه فى ش والشعراء والديوان . وأصل الزبد زبد الماء واللعاب والبعير والفضة ، وهو طفاوته وقذاه .

(٢) التكملة من ش .

(٣) ط : « جبلة » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح وجمهرة ابن حزم ٢٠٠ .

(٤) عبد مناة هذا،هو ابن أد بن طابخة، كما فى الجمهرة وزهر الآداب ١٦٤. و«تميم» هنا مقحمة.

(٥) وكذا فى زهر الآداب ، لكن فى جمهرة ابن حزم ٢٢٨ أن أبناء العدوية هم : زيد ،والصدىّ ، ويربوع وقد سبق ذكر « صدى » فى ترجمة المرار .

وكان زيادٌ نزل بصنعاء فاجتواها ومنزلُه فى نجد ، فقال فى ذلك قصيدةً يقول فيها وذكَر قومه :

لم ألقَ بعدهُمُ حيًّا فأخبرَهم   إلّا يزيدُهم حباً إلىَّ هُمُ

وأراه أوّل من استثار هذا المعنى . وكان ابنُ عَرادة السَّعدى (١) مع سَلْم وابن زياد بخُراسان ، وكان مكرِماً له ، وابن عَرادة يتجنَّى عليه ، إلى أن تركه وصحِب غيره فلم يحْمَده ، فرجع إلى سلم وقال :

عَتبتُ على سَلْم فلمَّا فقدتُه   وصاحبتُ أقواماً بكيت على سَلْمِ
رجعَتُ إليه بعد تجريبِ غيره   فكان كُبرءٍ بعد طُولٍ من السُّقمِ

ومنه قول أبى العتاهية فى جعفر بن المنصور ، المعروف بابن الكردية ، وهو جعفرٌ الأصغر :

جزى الله عنِّى جعفراً بوفائه   وأضعف إضعافاً له بجزائه
بلوتُ رجالا بَعدَه فى إخائهم   فما ازددتُ إلّا رغبة فى إخائه

ومنه أيضاً لكنَّه فى الهجو ، لبعضهم :

ذممْتُك أوّلاً حتى إذا ما   بلوتُ سِواك عاد الذمُّ حمدا
ولم أحمَدْكَ من خيرٍ ولكن   رأيتُ سواك شراً منك جدًّا
كمضطرٍّ تحامى أكلَ ميْتٍ   فلما اضطُرَّ عاد إليه شَدًّا

قال الصُّولى : وآخر من أتى بهذا المعنى أحمد بن أبى طاهر :

بلوتُ الناس فى شرقٍ وغربٍ   وميَّزتُ الكِرامَ من اللئامِ

(١) فى النسختين «ابن عرادة السعدى وكان» والوجه تقديم « وكان » كما فى زهر الآداب ، لكن فيه : « بن أبى عرادة » تحريف . وانظر أمالى القالى ٣ : ٣١ وذيل سمط اللآلى ص ١٧ .

فردَّنى ابتلاىَ إلى علىِّ بْـ ـنِ يحيى بعد تجريبِ الأنامِ

٣٩٦ وعندى فى هذا المعنى مقاطيعُ جيِّدة ، لولا خشية السَّأْم لسردتُها .

وزعم أبو تمام فى الحماسة أن القصيدة التى منها البيت الشاهد لزياد بن حَملَ بن سعيد بن عُميرة بن حُريث .

وأخطأ أبو عبيدٍ [1] البكرى (فى معجم مااستعجم) فى زعمه أن زياد بن حمَل هو المرار العدوى .

وزعم الأصفهانى (فى الأغانى) والخالديان (فى شرح ديوان مسلم بن الوليد) أن هذه القصيدة للمرَّار بن سعيد الفقعسى . والله أعلم . والصواب أنها لزياد بن منقذ العدوى . قاله ياقوت (فى معجم البلدان) ، قال : والمرَّار والحكم أخَوَان .

(تتمة)

ذكر الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) من يقال له المرّار ستة . أولهم المرار الفقعسى . وستأتى ترجمته إن شاء الله فى الكاف من حروف الجر [2] .

ثانيهم : المرَّار بن منقذ ، وتقدَّمت ترجمته هنا .

ثالثهم : المرارُ بن سَلامة العجلى ، وهو إسلاميٌّ .

رابعهم : المرارُ بن بشير السَّدوسى .

خامسهم : المرَّار الكلبىّ .

سادسهم : المرار بن مُعاذ الحَرَشىّ .

* * *

(١) ط : «أبو عبيدة» ، صوابه فى ش .

(٢) هذا سهو من البغدادى ، فإن المرار بن سعيد الفقعسى تقدمت ترجمته فى الخزانة ٤ : ٢٨٨ ــ ٢٨٩ فى شواهد الإضافة .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثمانون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد سيبويه [1]:

٣٨٠ (فبيناهُ يَشرِى رَحلَه قال قائلٌ
لِمَنْ جَمَلٌ رِخْوُ المِلاطِ نجيبُ)

على أن واو (هوَ) قد يحذف ضرورة كما هنا ، فإنَّ الأصل : فبينا هو يَشرى .

قال سيبويه (فى باب مايحتمل الشعر): اعلمْ أنَّه يجوز فى الشعر مالا يجوز فى الكلام . إلى أن قال : وليس شىء يُضطَرُّونَ إليه إلَّا هم يحاولون به وجهاً . ومايجوز فى الشعر أكثر من أن أذكره لك ههنا ، لأن هذا موضعُ جُمَلٍ . قال أبو الحسن : سمعت من العرب قولَ العُجَير السلولى :

فبيناهُ يشرِى رحله قال قائلٌ . . . . البيت

قال الأعلم : أراد : بينا هو ، فسكن الواو ثم حذفها ضرورة ، فأدخلَ ضرورةً على ضرورة ، تشبيها للواو الأصليّة بواو الصلة فى نحو منهُ وعنه .

وزعم ابن الأنبارى (فى ترك صرف ماينصرف من مسائل الخلاف) : أنَّ الواو حذفت متحرِّكة . قال : إذا جاز حذفُ الواو المتحرِّكة للضرورة من فبيناه يشرى ، فَلَأن يجوز حذفُ التنوين للضرورة من باب الأوْلى ، لأنَّ الواو من هو متحركة ، والتنوين ساكن ، ولا خلاف أنّ حذف الساكن أسهل من حذف المتحرك . اهـ

---

(١) ستأتى الاشارة إلى أن الشاهد وقع صدره فى أكثر نسخ كتاب سيبويه ، وهو دليل على سقوطه من كثير من النسخ . ومهما يكن فهو من شواهد أبى الحسن الأخفش لا من شواهد سيبويه ، كما نص الشنتمرى فى سيبويه ١ : ١٣ — ١٤ بولاق . وانظر لهذا الشاهد الخصائص ١ : ٦٩ وابن الشجرى ٢ :٢٠٨ والإنصاف ٥١٢ وابن يعيش ٣ : ٩٦ وحواشى نشرتى من سيبويه ١ : ٣٢ .

و(بين) ظرفٌ ، لمَّا وصِلِ بالألف إشباعاً للفتحة جاز إضافتُه إلى الجمل ، وحدَث فيه معنى زائد وذلك ظرفُ الزمان ، كما حدث فى مع لمَّا أُشبعت فتحتُها وحَدث بعدها ألفٌ من قولهم : معاً . وهو مبتدأ وجملة يشرى خبره ، والمجموع فى محل جر بإضافة بينا إليها . وإنما جاز هذا على تقدير حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، والتقدير : فبينا أوقاتٍ هو شارٍ رحلَه فإنَّه يقول . وبينا عند سيبويه لاتقع إلا للمفاجأة ، ولاتقع إلا فى صدر الجملة ، جعلوها بمنزلة الظُّروف المبهمة [1] التى تقع فى صدور الجمل ، فإذا أضفتها الى الجملة التى بعدها جئت بالفعل الذى عمل فيها ، نحو قولك : بينا زيد قائم جاء عمرو . وأما الأصمعى فإنه يقول : إضافة بينا الى المصدرِ المفرد جائزة ، ويروى لأبى ذؤيب : ٣٩٧

* بينا تعنُّقِهِ الكُماةَ ورَوغِهِ *

بجر تعنُّقه . وقال ابن قتيبة : سألت الرياشيَّ عن هذه المسألة فقال . إذا ولِىَ لفظة بينا الاسمُ العلم رفعتَ ، فقلتَ : بينا زيدٌ قائم جاء عمرو . وإن وليَها المصدر فالأجود الجر . وقومٌ من النحويِّين لايجيزون إضافته إلى المصدر المفرد ولا إلى غير مصدر ، ويمضون على الأصل .

و(يشرِى) هنا بمعنى يبيع، وهو من الأضداد . والرَّحل : كلُّ شىءٍ يُعدّ للرحيل من وعاءٍ للمتاع ، ومركَب للبعير ، وحِلْس ورَسَن . و(المِلاط) بكسر الميم : الجنْب . ورِخْو المِلاط :سهلُه وأملسُه .كذا قال القالى [2].وقال

---

(١) ط : « المهمة » ، ووجهه ماأثبت من ش .

(٢) ط:«قال القاتل»، وأثبت مافى ش . ولأبى على القالى كتاب فى اللغة،هو «البارع» .ذكره البغدادى فى ١ :٥١٠/ ٣ :٢٩٠، ٣٠١، ٣٤٣ بولاق. وقال ياقوت:«جمع فيه كتب اللغة ، يشتمل على ثلاثة آلاف ورقة .قال الزبيدى:ولانعلم أحدا من المتقدمين ألف مثله» . ثم نقل عن أبى محمد العربى قوله:«كتاب البارع لأبى على القالى يحتوى على مائة مجلد ، لم يصنف مثله» . معجم الأدباء ٧ :٢٩ .

ابن حلَف : الملاط : مقدَّم السَّنام ، وقيل جانبه . وهما ملاطان : العضدان ، وقيل الإِبطان . وقوله : (رخو) إشارة الى عظَمه واتِّساعه . قال الأعلم : وصف بعيراً ضلَّ عن صاحبه فيئس منه ، وجعل يبيع رحلَه ، فبينا هو كذلك سمع منادياً يبشِّر به [١] . وإنما وصف ماورد عليه من السُّرور بعد الأسَف والحزن . والملاط : ماولى العَضُد من الجنب ، ويقال للعضدين : ابنا مِلاط . ووصف برخاوته لأنّ ذلك أشدُّ لتجافى عضديه عن كركرته ، وأبعَدُ له من أن يصيبه ناكت [٢] أو ماسح ،أو حازّ ، أو ضَبٌّ . وهذه كلها أعراضٌ وآفات تلحقه إذا حكَّ بعضده كِركِرته . اهـ . و(النجيب) : الجيِّد الأصيل ، والصواب بدله (ذلول) فإنَّ القصيدة لامية .

قال ابن خلف : وهذا البيت قد وقع صدرُه فى أكثر نسخ كتاب سيبويه ، وأنشده أبو الحسن الأخفش : «رخو الملاط نجيب» بالباء ، وأنشده أيضا (فى كتاب القوافى) كذا ، وقال : سمعت الباء مع اللام والميم والراء ، كلٌّ هذا فى قصيدةٍ واحدة ، وهى :

أبيات الشاهد

(ألَا قدْ أرى إن لم تكنْ أمُّ مالك ... بمُِلكْ يدى أنَّ البقاءَ قليلُ

خليلىَّ سيرا واترُكا الرَّحْلَ إنّنى ... بِمَهْلكــة والعاقبــاتُ تدورُ

رأى منَ رفيقَيهِ جفاءً وغِلظةً ... إذا قام يبتاعُ القلاصَ دميمُ

(١) ط:«يشير به»،وفى ش:«ينشده» مع أثر تصحيح، والوجه ماأثبت من شرح الأعلم ١:١٤.

(٢) الناكت ، بالتاء المثناة فى آخره ، وهو أن يحز مرفق البعير فى جنبه . ط : «الناكث» ، صوابه فى ش .

فبيناه يشرى رحلَه قال قائلٌ
لمن جملٌ رخوُ المِلاط نجيبُ)

قال : والذى أنشده أعرابىٌّ فصيح لايحتشم من إنشادها .

وقال أبو الفتح بن جنى : هكذا أنشده أبو الحَسن ، وهو بعيد ، لأنّ حكم الحروف المختلفة فى الروىّ أن يتقارب مخرجها كما أنشد سيبويه فى كتاب القوافى . والذى وجد فى شعر العُجير السَّلولى :

فباتت همومُ الصَّدرِ شتىَّ يَعدنه كما عِيدَ شِلوٌ بالعَراء قتيلُ
فبيناهُ يشرى رحله قال قائلٌ لمن جملٌ رِخو المِلاط ذلولُ
محلًّى بأطواقٍ عِتاقٍ كأنَّها بقايا لُجَينٍ جَرسُهنَّ صليلُ .اهـ

صاحب الشاهد

وقال صاحب العباب : آلبيت للعُجَير السلولى ، ويروى للمُخَلَّب الهلالى ، وهو موجود فى أشعارهما . والقطعة لاميَّة ، ووقع فى كتاب سيبويه «نجيبُ» بدلِ : «ذلول» ، وتبعه النحاة على التحريف . وهى قطعةٌ غرَّاء . اهـ .

قال الأسود أبو محمد الأعرابى (فى ضالّة الأديب) : قال أبو الندى : القصيدة للمخلَّب الهلالىّ ، وليس فى الأرض بدوىٌّ الاَّ وهو يحفظُها ، وأوّلها :

وجَدتُ بها وجدَ الذى ضَلَّ نِضوهُ بمكة يوماً والرِّفاقُ نزولُ [1]
٣٩٨ بغَى مابَغى حتّى أتى اللَّيلُ دونَهُ وريحٌ تَعَلّى بالتُّرابِ جَفُولُ
أتى صاحبَيْه بعدَما ضلَّ سعيُه بحيث تلاقت عامرٌ وسَلولُ
فقال : احملا رحلي ورحلَيكما معاً فقالا له : كلَّ السَّفاهِ تقولُ
فقال : احملانى واتركا الرَّحل إنّه بمهلكـــةٍ والعاقبـــاتُ تُدولُ

(١) ط : « وجدت لها » ، صوابه فى ش .

فقالا : مَعاذَ الله ، واسترْبعتهما ورَحليْهـا عَيرانـةٌ وذَمـولُ (١)
شكا من خليليه الجفاءَ ونقدُه إذا قام يستلم الركابَ قليلُ
فباتت همومُ النَّفس شتَّى يَعُدْنَه كما عِيد شِلوٌ بالعَرَاء قتيلُ
فبيناهُ يَشْرِى رحلَه قال قائل : لمن جَملٌ رِخوُ الملاطِ ذلولُ
محلًّى بأَطواق عِتاق تزينـه أهِلَّـــةُ جِنّ بينهنَّ فصولُ
فهلَّل حيناً ثم راح بنضوِهِ وقد حانَ من شمس النهار أفولُ
فما تمَّ قرنُ الشَّمسِ حتى أناخه بقَـرنٍ وللمستعجِلات زليـلُ
فلما طوى الشَّخصينِ وازورَّ منهما ووطَّنـه بالنَّقْـرِ وهـو ذلـولُ(٢)
فقاما يجرّان الثيابَ كلاهما ، لما قد أسرّا بالخليل ، قبيلُ
فقال : ارفعا رَحْلَيكما وترفَّعا فماءُ الأَداوِى بالفلاة قليلُ (٣)

وقد سلك العُجَير السلولى طريقة المخلَّب الهلالى ، وأدرج معانىَ قطعته فى شعره فقال :

ألا قد أرى إنْ لم تكن أُمّ خالدِ بِمَلك يدى أنّ البقاء قليلُ (٤)
وأن ليس لى فى سائر الناس رغبةٌ ولا منهمُ لى ماعداكِ خليلُ

---

(١) يقال ربع الحجر يربعه ربعا وارتبعه : شاله ورفعه ، وقيل حمله . وفى ش : « واسترجعتهما » .

(٢) النقر : صوت اللسان ، وهو أن يلزق طرفه بمخرج النون ثم يصوت به فينقر بالدابة لتسير . ط : « بالنفر » ، صوابه بالقاف كما فى ش .

(٣) الأداوى : جمع إداوة ، وهى إناء صغير يتخذ للماء .

(٤) يقال هذا مِلك يدى ومَلكها بكسر الميم وفتحها ، كما فى إصلاح المنطق ٧٠ واللسان (ملك ٣٨٣).

وما وجَدَ النَّهدىٌّ وجداً وجدته عليها ، ولا العُذرىٌّ ذاك جميلُ [1]
ولا عُروةٌ اذْ مات وجداً وحسرة بعفراء لما أنْ أجدَّ رحيلُ [2]
ولا وجدُ مُلْقٍ رحلَه ضَلّ نضُوه بمكَّةَ أمسى والرِّفاقُ نزولُ
سَعى ماسعَى حتى أتى الليلُ دونه وريحٌ تَلَهَّى بالتُّراب جَفولُ

وساق هذا المساق حتى قال بعد سبعة أبيات :

فبيناهُ يشرى رحله قال قائلٌ لمن جملٌ رَسْلُ المِلاط طويلُ

كذا فى شعر العجير: «رسل الملاط طويل» ، فعلُم أن السبق للمُخَلَّب الهلالى . شبّه الشاعر حاله فى هوًى امرأةٍ يُحِبُّها وشدّةِ وجدهِ بها ، بوَجدِ هذا الرجل الذى ضَلّ بعيرهُ وفارقه أصحابُه فباتت همومُ هذا الرجل شتى تذهب عنه حيناً فيسكن ، وتجيئه حيناً فيعود إليه الألم ويأتيه ، كما يأتى العوائدُ إلى المريض وإلى القتيل ينظُرنه ، فبينا هو يبيعُ رحل جمله الذى ضَلَّ منه سمع من يعرِّف الجمل ليردَّه على صاحبه .

والشلو بالكسر : العضو . والعَرَاء بالفتح : الفضاء . والأَطواق : جمع طوق . والعِتاق : الحسان . والجَرْس : الصوت . والصليل : صوتٌ فيه شِدّة مثل صوت الحديد والفضة وماأشبههما . والنِّضو ، بالكسر : البعير المهزول . والرِّيح الجفول : التى تلقى التراب شيئاً على شيءٍ. والسَّفاهُ ، بالفتح : مصدر سَفِه فلان سفاهة وسَفاهاً.وتدول بمعنى تدور.يقال دالت الأيامُ تدُول مثل ٣٩٩

---

(١) النهدى هو عبد الله بن عجلان ، وهو شاعر جاهلى ، قال فيه المجنون :

فما وجدت وجدى بها أم واحد ولا وجد النهدى وجدا على هند
ولا وجد العذرى عروة فى الهوى كوجدى ولا من كان قبلى ولا بعدى

تزيين الأسواق ٧٦ .

(٢) ط : « إذ مان » ، صوابه فى ش .

دارت تدور ، وزناً ومعنى . واستام : افتعل من السَّوم ، يقال سام المشترى السلعة واستامها ، إذا طلب بيعَهَا ، والرِّكاب : الإبل ، وهو مفعول ، وقليل خبر المبتدأ الذى هو نَقْدُه ، أى دراهمه . وقرْنٌ الثانى : موضعٌ . وزليل : مصدر زلَّ يزِلّ بالزاى ، إذا مرّ مَراًّ سريعا .

العجير السلولى

والعجير السلولى بضم العين وفتح الجيم ، قال ابن السيد (فى شرح أبيات الجمل) : هو منسوبٌ إلى بنى عُجَير ، وهو حىٌّ من أحياء العرب .

أقول : العجير لقبٌ ، وليس فيه نسبة . على أنَّ الصاغانى قال (فى العباب) : بنو عُجرة : قبيلةٌ من العرب . وليس فيه بنو عجير .والعُجير يحتمل أن يكون مصغر عَجر ، مصدر عجَر عنقَه ، إذا لواها ، ومصغَّرَ عَجَر بفتحتين ، مصدر عجِر بالكسر ، أى غلُظ وسَمِن . ويحتمل أن يكون مصدرَ ترخيم أعجر ، يقال كيس أعجر ، أى ممتلىء [1] ، وفحل أعجر أى ضخم.

قال اللخْمىّ (فى شرح أبيات الجمل):اسم العجير عُمَير بالتصغير، ابن عبد الله بن عَبيدة:بفتح العين وكسر الموحدة،وقيل ابن عُبيدة بضمها. وهو من بنى سَلول بن مرّة بنْ صعصعة،أخى عامر بن صعصعة.وأُمُّ بنى مُرَّة سلول بنت ذُهل بن شيبان بن ثعلبة،غلبت عليهم وبها يعرفون .ويكنى العُجير أبا الفرزدق،وأبا الفيل.وهو شاعرٌ إسلامىٌّ من شعراء الدولة الأموية.اهـ

وقال الآمدى (فى المؤتلف والمختلف):أبو الفرزدق عُجيرٌ السَّلولى،مولًى لبنى هلال.ويقال هو العجير بن عبد الله بن عَبيدة بن كعب بن عائشة بن ضبيط بن رفيع بن جابر بن عمرو بن مرة بن صعصعة،وهم سلول.اهـ

وسَلُولُ : اسمٌ مرتجل غير منقول .

وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد الثلثمائة [2] .

---

(١) فى اللسان « وكيس أعجر وهميان أعجر ، أى ممْتلىء » .

(٢) انظر ص ٣٥ .

وأما المخلَّب الهلالى فهو بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام المفتوحة اسم منقول . قال صاحب العباب : يقال ثوبٌ مخَلَّبٌ ، إذا كانت نقوشه كمخالب الطير ، وقيل هو الكثير الوشْى من الثِّياب . وكرسىٌّ مخلّب : معمول بالليف . ومُخْلب التنُّور : طينه .

وهذا الشاعر لم أقفْ على نسبه ولا على شيءٍ من أثره . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو من أبيات س ، وتقدَّم عليه الكلام فى الشاهد الثالث والثمانين [١] :

(دارٌ لسُعدَى إذهِ من هَواكا)

على أنّ الأصل (إذهى) فحذفت الياء ضرورة . قال الفالىّ (فى شرح اللباب) أوله :

* هل تَعرِفُ الدار على تِبراكا *

وهو بكسر التاء موضع .

وفى هذا ردٌّ على الكوفيين فى زعمهم أنَّ الضمير فى هو وهى إنّما هو الهاء ، والواو والياء زائدتان .

قال ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) : ذهب الكوفيون إلى أنّ الاسم من هو وهى الهاء وحدها . وذهب البصريون إلى أنّ الهاء والواو من هو ، والهاء والياء من هى ، هما الاسم بمجموعهما . أمَّا الكوفيون فاحتجوا بأنْ قالوا : الدليل على أن الاسم هو الهاء أنّ الواو والياء يحذفان فى التثنية، نحو : هما ؛ ولو كانت أصلاً لما حذفت . والذى يدلُّ عليه أنّهما يحذفان فى الإفراد وتبقى الهاء قولُه :

---

(١) الخزانة ٢:٤ .وانظر أيضا العقد ١٨٥:٤ وابن يعيش ٩٧:٣ .

فبيناه يَشْرِى رحله . . .. البيت

وقال الآخر

٤٠٠

بيناهُ فى دارِ صدقٍ قد أقام بها حيناً يعللّنا وما نعلّلهُ (١)

وقال الآخر :

إذاهُ سِيم الخَسْفَ آلى بِقَسَمْ بالله لايأخذ إلّا ماالحتَكَمْ (٢)

وقال الآخر :

* دار لسُعْدَى إذه من هواكا *

فدلَّ على أنَّ الاسم هو الهاء وحدها . وإنَّما زادوا الواو والياء تكثيراً للاسم ، كراهية أن يبقى على حرفٍ واحد .

وأمَّا البصريُّون فاحتجوا بأن [قالوا : الدليل على أنّ (٣)] الواو والياء أصلٌ أنّه ضميرٌ منفصل ، والضمير المنفصل لايجوز أن يُبنى على حرفٍ ، لأنّه لابد من الابتداء بحرف والوقفِ على حرف ، فلو كان الاسم هو الهاء لكان يؤدِّى أن يكون الحرف الواحد ساكناً متحركا ، وهو محال . وأمَّا قولهم: إن الواو والياء يحذفان فى التثنية . قلنا : إنَّ هُما ليس تثنية، وإنّما هى صيغة مرتجلة للتثنية ، كأنتما . وأمَّا ماأنشدوه من الأبيات فإنَّما حذفت الواو والياء لضرورة الشعر ، كقول الشاعر :

فلستُ بآتيهِ ولا أستطيعُه ولاكِ اسقنى إنْ كان ماؤك ذا فضْلِ

أراد : ولكن اسقنى ، فحذفت النون للضرورة .وأمَّا قولهم:زادوا الواو

---

(١) سيبويه ١ : ١٢ والانصاف ٦٧٨ .

(٢) الانصاف ٦٧٨ واللسان (ها ٣٦٦) .

(٣) التكملة من الإنصاف .

والياء تكثيراً للاسم كما زادوا الواو فى ضربتهو ، قلنا : هذا فاسد ، لأنَّ هو ضمير منفصل ، والهاء ضمير متَّصل ، وقد بيَّنا أنَّ المنفصل لايجوز أن يكون على حرفٍ ، بخلاف المتَّصل ، لأنَّه لايقوم بنفسه ، فلا يجب فيه ما وجب فى المنفصل ، والواو فى ضربتهو لازمةُ السُّكون ، بخلاف واو هو فإنَّها جائزة السكون، ولو كانا بمنزلةٍ لوجب أن يسوَّى بينهما فى الحكم . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثمانون بعد الثلثمائة [١] :

٣٨١ (وإنّ لسانى شُهدةٌ يُهتدَى بها وهُوَّ على من صبَّه الله عَلقمُ [٢])

على أن هَمْدان تشدِّد واو (هو) كما فى البيت ، وياء (هى) ؛ ولم يمثّل له ، وهو فى هذا البيت :

والنّفس ماأُمِرت بالعنف آبيةٌ وهىَّ إن أُمرت باللُّطف تأتمرُ

وهَمْدان ، بفتح الهاء وسكون الميم والدال مهملة : قبيلة من اليمن ، وهو لقبٌ،واسمه أَوْسَلَة بن ربيعة بن لِحْيان بن مالك بن زيد بن كَهلان. وهمدان وصفٌ من الهمدة ، وهى السَّكتة .وهمدت أصواتهم : سكتت .

و(شهدة) بضم الشين : العسل بشَمْعه . قال ابن هشام (فى شرح شواهده) : هذا البيتُ أورده الفارسى (فى التذكرة) عن قطرب والبغداديِّين ، وفيه أربعة شواهد : أحدها تشديد واو هو . الثانى : تعليق الجار بالجامد لتأويله بالمشتق ، وذلك لأنّ قوله هو علقم مبتدأ وخبر ، والعلقم هو الحنظل ، وهو نبتٌ كريه الطَّعم ، وليس المرادَ هنا ، بل المراد شديدٌ أو صعب ، فلذلك علّق به « على » المذكورةُ . ونظيره قوله :

---

(١) انظر ابن يعيش ٣ : ٩٦ وشرح شواهد المغنى ٢٨٥ والعينى ١ : ٤٥١ والتصريح ١ : ٤٨ والهمع ١ : ٦١ / ٢ : ١٥٧ والأشمونى ١ : ١٧٤ .

(٢) فى هامش المطبوعة : « قوله يهتدى ، المعروف يشتفى . كذا بهامش الأصل » .

* وكلُّ فؤادٍ عليك أُمٌّ (١) *

فعلّق عَلَى بأُمّ ، لتأويله إياها بمشتقّ . وعلى هذا ففى علقم ضميرٌ كما فى قولك : زيد أسد ، إذا أوّلته بقولك : شجاع ، إلّا إذا أردت التشبيه . ومن تعلّق الظرف بالجامد لِمَا فيه من معنى الفعل قولُه :

تركتِ بنا لَوْحاً ولو شئتِ جادنا   بُعَيْدَ الكَرى ثلجٌ بكَرمانَ ناصحُ (٢)

منعتِ شفاءَ النفسِ ممن تركتِهِ   به كالجوى مما تجنُّ الجوارحُ (٣)

٤٠١ لَوحا بفتح أوّله ، أىْ عَطَشا ، يقال لاح يلُوح أى عطش . وبُعَيْدَ متعلّق بثلج ، لما فيه من معنى بارد ، وإذا كان ريقها بارداً فى وقت تغيُّره من نومها فما ظنُّك به فى غير ذلك . وكَرْمان بالفتح : مدينة معروفة .وناصح :خالص.

الثالث : جواز تقديم معمول الجامد المؤوّل بالمشتق ، إذا كان ظرفاً . ونظيره فى ذلك أيضاً فى تحمُّل الضمير قوله :

* كلُّ فؤادٍ عليك أُمٌّ *

الرابع : جواز حذف العائد المجرور بالحرف مع اختلاف المتعلّق ، إذ التقدير : وهو علقم على من صبَّه الله عليه . فعلى المذكورة متعلّقة بعلقم ، والمحذوفة متعلّقة بصبَّه .

وبهذين الوجهين الأخيرين أورده فى مغنى اللبيب .

* * *

---

(١) صدره كما فى الخصائص ٣ : ٢٧٢ :

* مأأمك اجتاحت المنايا *

(٢) لجرير فى ديوانه ١٠٠ وشرح شواهد المغنى ٣١١ من قصيدة يمدح بها عبد العزيز بن مروان .

(٣) فى الديوان وشرح شواهد المغنى : «الجوانح» ، وهو الأوفق ، كما أن هذا البيت فيهما سابق لسابقه هنا .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثمانون بعد الثلثمائة [١]:

٣٨٢ (رَمَيتيهِ فأقصدتِ وما أُخطَأتِ الرّمْيَهْ)

على إنَّ أبا علىّ قال : تلحق الياء تاء المؤنث مع الهاء . قال أبو على (فى الحجة) فى توجيه قراءة حمزة : ﴿ وما أنتُمْ بِمُصْرِخِىِّ [٢] ﴾ : بكسر الياء المشددة من سورة إبراهيم عليه السلام [٣] : «والأكثر أن يقال رميته بكسر التاء دون ياء ؛ كما قال أقصدتِ بدون ياء » .وأقصَدْتِ بمعنى قَتْلتِ . قال صاحب الصحاح : وأقصد السَّهمُ أى أصاب فقَتل مكانه . وأقصدته حيَّة : قتلته . قال الأخطل :

فإن كنتِ قد أَقصدتِنى أوْ رميتنى بسهمَيْك فالرَّامى يَصيدُ ولا يَدرى[٤]

أى ولا يَختِل . انتهى .

وهذه رواية أبى عَلّىٍ فى كتابه (الهاذور[٥]) . ورواه (فى الحجة) : «رميتيه فأصْمَيتِ [٦]» . قال صاحب الصحاح : وأصميت الصَّيد ، إذا رميته فقتلته وأنت تراه . وقد صَمَى الصيدُ يَصمِى كرمى يرمى ، إذا مات وأنت تراه . والرمْيَة : فاعل أخطأت ، وسكّن آخره للقافية . وروى :

* وما أُخطأتِ فى الرَّميه *

---

(١) لم أجد له مرجعا آخر .

(٢) الآية ٢٢ من ابراهيم .

(٣) ط : « ابراهيم صلى الله وسلم على نبينا وعليه » .

(٤) فى الديوان ١٢٨ : «بسهمك والرامى يصيب وما يدرى » .

(٥) هو المعروف بنقض الهاذور ، وهو فى الرد على ابن خالويه فى رده كتاب الأغفال لأبى على الفارسى . انظر ماسبق فى ٢ : ٢٨١ .

(٦) ط : « فأصمت » ، صوابه فى ش .

بالخطاب أيضا . وبعده :

(بسهمين مليحينِ أعارتْكِيهما الظَّبْيَهْ)

وأعارَتكِيهمَا مثل رَمَيتيه ، بزيادة الياء من إشباع الكسرة . كذا أنشد البيتين أبو حيان (فى تذكرته) عن أبى الفتح بن جنّى .

* * *

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثمانون بعد الثلثمائة :

٣٨٣ (فبتُّ لَدَى البيْتِ العَتِيقِ أُرِيغُه ومِطْوَاىَ مُشتاقانِ لَهْ أرِقَانِ)

على أنّ بنى عقيل وبنى كلاب يجوِّزون تسكين الهاء ، كما فى قوله «له» بسكون الهاء .

والذى نقله ابن السَّراج (فى الأصول) ، وابنُ جنى (فى الخصائص والمحتسب وغيرهما) أنَّ تسكين الهاء لغةٌ لأزد السَّراة . وجعله ابن السَّراج من قبيل الضرورة عندهم . قال : وقد جاء فى الشعر حذفُ الواو والياء الزائدة فى الوصل مع الحركة ، كما هى فى الوقف سواء . قال رجلٌ من أزد السراة :

فظَلْتُ لدى البيْتِ العتيق أُخِيله .. .. البيت .

وكذلك يشعر كلام أبى عَلىّ (فى المسائل العسكرية) حيث قال : هذا من إجراء الوصل مجرى الوقف . وأما قوله :

* ما حَجّ ربَّهُ فى الدُّنيا ولا اعتمرا [٢] *

---

(١) الخصائص ١ : ١٢٨ ، ٣٧١ والمحتسب ١ : ٢٤٤ والمنصف ٣ : ٨٤ .

(٢) من شواهد سيبويه فى كتابه ١ : ١٢ والإنصاف ٥١٦ . وصدره :

* أو معبر الظهر ينبى عن وليته *

٤٠٢ فهذا خارج عن حدِّ الوقف والوصل جميعاً ، والصواب أنَّه لغة لاضرورة .
وإليه ذهب ابن جنى فى موضعين (من الخصائص) قال فى الموضع الأول ،
وهو باب تعارض السماع والقياس : ومما ضَعُف فى القياس والاستعمال جميعاً
بيتُ الكتاب :

له زجلٌ كأنَّهُ صوتُ حادٍ إذا طلب الوسيقةَ أو زميرُ [(١)]

فقوله «كأنَّه» خَلْس بحذفِ الواو وتبقية الضمة ، ضعيف فى القياس
قليلٌ فى الاستعمال . ووجه ضعفِ قياسه أنه ليس على حدِّ الوصل ولا على
حدِّ الوقف ، وذلك أن الوصل يجب أن تتمكن فيه واوه ، كما تمكنت فى قوله
أول البيت : له زجل ، والوقف يجب أن تحذف الواو والضمة فيه جميعاً وتسكن
الهاء ؛ فضمُّ الهاء بغير واو منزلةٌ بين منزلتى الوصل والوقف .

وقال أبو إسحاق فى نحو هذا : إنه أجرِىَ فى الوصل مجرى الوقف .
وليس الأمر كذلك ، لما بيَّناه ، لكنْ ماأجرى من نحو هذا فى الوصل على حدِّ
الوقف قولُ الآخر :

فظلْتُ لدى البيت العتيق أُخِيله .. .. البيت

على أنَّ أبا الحسن حكى أنَّ سكون الهاء فى نحو هذا لغةٌ لأزد السراة .
ومثل هذا البيت مارويناه عن قطرب ، قولُ الشاعر [(٢)]:

وأشربُ الماء مابى نحوه عطشٌ إلا أنَّ عيونَهْ سيلُ وادِيها [(٣)]اهـ

(١) سيبويه ١ : ١١ . وهو للشماخ فى ديوانه ٣٦ . وفى النسختين : «زميل» ، صوابه ماأثبت من
سيبويه والديوان والخصائص ١ : ١٢٧ / ٢ : ١٧ ، ٣٥٨ .

(٢) فى الخصائص : « من قول الشاعر » .

(٣) مجهول القائل . وانظر المحتسب ١ : ٢٤٤ والهمع ١ :٥٩ .

وقال مثله فى سورة الأنعام [١](من المحتسب) .

وقال فى الموضع الثانى ، (وهو باب الفصيح) : يجتمع فى الكلام الفصيح لغتان فصاعداً من ذلك قوله : فظلت لدى البيت إلخ ، فهذان لغتان ، أعنى إثباتَ الواو فى أُخيله ، وتسكينَ الهاء فى قوله «له» ؛ لأنَّ أبا الحسن زعم أنَّها لغةٌ لأزد السَّراة . وإذا كان كذلك فهما لغتان . وليس إسكان الهاء فى له عن حذفٍ لحق بصيغة الكلمة ، لكن ذلك لغة . وأما قول الشمّاخ :

له زجل كأنَّهُ صوتُ حاد .. .. البيت

فليس هذا لغتين ، لأنَّا لانعلم رواية حذف هذه الواو وإبقاء الضمة قبلها ، فينبغى أن يكون ذلك ضرورة وصنعةً ، لا مذهبا ولا لغة [٢] انتهى .

(تتمة)

ذكر الشارح المحقق حذف واو الصلة ويائها ، ولم يذكر حذف الألف من نحو رأيتها . قال ابن جنّى (فى سر الصناعة) : أمّا الألف فى نحو رأيتها فزيدت علما للتأنيث . ومَنْ حَذَفَ الواو من نحو : كأنَّه صوت حاد ، ومن نحوِ : له أرقان ؛ لم يَقُلْ فى نحو رأيتها ونظرت إليها إلاّ بإثبات الألف ، وذلك لخفَّة الألف وثقل الواو . إلَّا أنا روينا عن قطرب بيتاً حُذفت فيه هذه الألف ، تشبيهاً بالواو والياء ، لما بينهما وبينها من النسبة . وهو قوله :

أعلقْتُ بالذِّئب حبلاً ثم قلتُ له ... اِلحَقْ بأهلك واسلمْ أيُّها الذِّيبُ [٣]

---

(١) هذا سهو من البغدادى ، وصوابه « الأعراف » الآية ١٩ عند قوله تعالى : « مِن هذى الشجرة » بقراءة ابن مُحَيْصِن . انظر المحتسب ١ : ٢٤٤ .

(٢) فى الخصائص : «لا مذهبا ولغة» .

(٣) البيتان فى اللسان (ركب ٤١٤) بدون نسبة أيضا . وفى الثانى منهما إقواء ظاهر .

إمّا تقودُ به شاةً فتأكلُها

أو أن تبيعَهَ فى بعض الأراكيبِ

يريد :تبيعَها ، فحذف الألف . وهذا شاذ . انتهى .

وقوله:(فبتُّ) باتَ من أخوات كان ، التاء اسمها ، وجملة أريغُه خبرها . وبات يفعل كذا معناه اختصاص ذلك الفعل بالليل ، كما اختص الفعل بالنهار فى نحو:ظلَّ يفعل كذا . ومنه تعرف ضعف الرواية الأخرى ، وهى : «فظَلْت لدى البيت » بفتح الظاء وأصله ظَلِلْت بلامين ، فخفّف بحذف إحدى اللامين . وهى من أخوات كان أيضا . قال الخليل : لاتقول العرب ظلَّ إلاّ لعمل يكون بالنهار . (ولدَى) بمعنى عند . و(البيت العتيق) : مكة شرفها الله تعالى . والعتيق : الشَّريفُ والأصيل ، أو لأنه عُتِق من الطوفان . ٤٠٣

وروى : « البيتِ الحرام » بمعنى الممنوع ، من باب إطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول . يقال البيت الحرام ، والمسجد الحرام ، والبلد الحرام ، أى لايحلُّ انتهاكه . و(أريغه) بمعنى أطلبه ، يقال أرغت الصيد . وماذا تُرِيغ ، أى ماذا تريد ، وهو بالراء المهملة والغين المعجمة . ويقال أرِيغُونى إراغتكم ، أى اطلبونى طلبتكم . قال خالد بن جعفر بن كلاب فى فرسه حَذْفَةَ :

أريغونى إراغتكم فإنّى وحَذْفة كالشجا تحتَ الوريدِ

وقال عَبيد بن الأبرص يردُّ على امرىء القيس :

أتوعد أُسرتى وتركتُ حجرا يُرِيغُ سوادَ عينيه الغرابُ

وقال زُهير بن أبى سلمى فى ابنه سالم :

يديروننى عن سالم وأريغه وجلدةُ بين العين والأنفِ سالمُ

وهذا المصراع الثانى أراد عبد الملك فى جوابه عن كتاب الحجاج : أنت

عندى كسالم : وقد أخطأ صاحب الصحاح خطأً فاحشا فى قوله : يقال للجلدة التى بين العين والأنف : سالم .

وأخطأ ابن خلف أيضاً (فى شرح أبيات سيبويه) فى نسبة هذا البيت لعبد الله بن عمر ، قاله فى ابنه سالم ، والصواب أنّه تمثّل به لا أنّه قاله .

وأخطأ صاحبُ (العباب) أيضاً فى زعمه أنّ هذا البيت لدارةَ أبى سالم ، والصواب أنه تمثل به أيضاً ، فإنّ البيت من أبيات لزهير بن أبى سلمى ثابتةٍ فى ديوانه .

قال شارح ديوانه : كان لزهير ابنٌ يقال له سالم ، جميلُ الوجه حسنُ الشعر ، وبعث إليه رجلٌ ببردين ، فلبسهما الفتى وركب فرساً له جيدا ، وهو بماءٍ يقال لها النُّتاءة [1] ، بضم النون بعدها مثناة فوقية بعدها ألف ممدودة ، فمرَّ بامرأةٍ من العرب فقالت : مارأيتُ كاليوم رجلا ولا بُردَين ولا فَرَسا [2]!! فعثرت به الفرسُ فاندقَّت عنقه وعنق الفرس ، وانشقَّ البردان ، فقال زهير يرثى ابنه سالما :

رأتْ رجلاً لاقى من العَيش غبطةً ... وأخطأه فيها الأمورُ العظائمُ
وشبَّ له فيها بنونَ وتُوبعت ... سلامةُ أعوامٍ له وغنائمُ
فأصبح محبوراً ينظَّر حوله ... بمَغْبطةٍ لو أنَّ ذلك دائمُ
وعندى من الأيام ماليس عنده ... فقلت تعلَّمْ أنما أنت حالمُ [3]

(١) ط : « بماء » صوابه فى ش . وفى ش : «النتاية» ، صوابه فى ط . قال ياقوت : « وهو من النتوء ، وهو خروج الشىء عن موضعه من غير بينونة » .

(٢) فى شرح الديوان ٣٤١ : « ولا فرسا أحسن » .

(٣) فى شرح الديوان : « يخاطب ابنه يقول : ماأنت فيه من السرور والشباب بمنزلة الحلم » .

لعلَّكِ يوما أن تُراعِى بفاجع كما راعنى يومَ التَّناءة سالمُ (١)
يديروننى عن سالم وأريغه وجلدة بين العين والأنف سالمُ

انتهى .

وروى جماعة بدل أريغه : « أُخِيله » بالخاء المعجمة ، يقال أخلْت السَّحابةَ وأخْيَلتها ، إذا رأيتها مُخِيلةً للمطر ، بضم الميم ، أى تخيِّل مَن رآها أنها ممطرة . وهو من خال أى ظَنَّ . ومَخِيلة أيضاً ، أى موضع لأن يُخالَ فيها المطر . كذا قال المعرى (فى شرح ديوان البحترى) . وأنشد هذا البيت .

وروى صاحب الأغانى ، وعلى بن حمزة البصرى بدله : « أَشيمه » ، يقال شامَ البرقَ ، إذا نظر إليه ، أى إلى سَحابته أين تمطر .والهاء فى الروايات الثلاث ضمير البرق فى بيت قبله .

وقوله : (ومِطْوَاىَ) هو مثنى مِطوٍ ، حذفت نونه عند الإضافة إلى ياء المتكلم . قال على بن حمزة البصرى (فى كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة) : ٤٠٤
المطو بكسر الميم وضمها : الصاحب . وأنشد هذا البيتَ وقولَ الشاعر :

عَلامَ تقول الأسعدان كلاهما
ومِطوُهما كبشٌ بذِورةَ مُعْبَرُ

وقال صاحب الصحاح : مِطْوُ الشىء ، بالكسر : نظيره وصاحبه . وأنشد :

ناديتُ مِطوى وقد مالَ النهارُ بهم
وعَبرة العين جارٍ دمعُها سَجِمُ

---

(١) يخاطب زهير هذه المرأة التى حسدت ابنه سالما . وفى معجم البلدان : « تراع » ، تحريف يخالف مافى النسختين والديوان .

وقال رجلٌ من أزدِ السَّراة يصف برقا :

فظلتُ لدَى البيت العتيق أُخيله ومِطوايَ مشتاقان لَهْ أرقانِ

أى صاحباى . انتهى .

وقوله : (مشتاقان) خبر مطواى . وكذلك (أرقان) ، وضمير له للبرق أيضاً .

وروى صاحب الأغانى ، ومحمد بن حمزة العلوى (فى حماسته) :

* ومطواى من شوقٍ له أرِقانِ *

وعليه لاشاهد فيه ، فأرقان خبر مِطواى ، ومن تعليلية متعلقة بأرقان ، وهو مثنى أرق بكسر الراء ، وهو وصف من الأرَق بفتحها ، بمعنى السَّهَر.

وهذا البيت من قصيدةٍ ليَعْلَى الأحولِ الأزدىّ ، مطلعُها فى رواية أبى عمرو الشيبانى : صاحب الشاهد

(أويحكما ياواشِيَىْ أمِّ مَعمرٍ بمن وإلى مَن جئتما تَشيانِ أبيات الشاهد
بمَنْ لو أراه عانياً لفدَيْتُه ومن لو رآنى عانياً لفدانى
أرِقتُ لبرقٍ دونـــه شَدَوانِ يمان وأهوى البرقَ كلَّ يمانِ
فبتُّ لدى البيت الحرام أُشيمه ومِطواى من شوق له أرِقانِ
إذا قلت شِيماهُ يقولانِ والهوى يصادفُ منَّا بعضَ ماترِيانِ)

إلى أن قال بعد أربعة أبيات :

(ألا ليتَ حاجاتى اللواتى حبسنَنى لدى نافع قُضِّينَ منذُ زمانِ

ومابىَ بُغضٌ للبلادِ ولاقِلًى ولكنَّ شوقا فى سواهُ دعانى
فليتَ القلاصَ الأدمَ قد وَخَدَت بنا بوادٍ يمان فى رُباً ومَحـاَنِ
بوادٍ يمَانٍ ينبت السِّدرَ صدرُه وأسفلــهُ بالمرخ والشَّبَهــانِ
يدافعنا من جانبيـه كلاهما غريفان من طَرفائـه هَدِبـانِ
ولَيْتَ لنا بالجوْز واللوز غِبلةً جَناها لنا من بطن حَلْية جاني
وليت لنا بالدِّيك مُكَّاءَ روضةٍ على فنن من بطن حَلية دانى
ولَيتَ لنا من ماءِ زمزم شَربةً مُبـرَّدةً باتت على طَهَيـانِ)

الواشى : النمّام ، وشى يشى وشيا . والعانى : الأسير . وشَدَوان ، بفتح الشين المعجمة والدال [١] ، قال أبو عبيد (فى المعجم) : هو موضعٌ ذكره أبو بكر .

ونافع : والى مكة ، كان حبس الشاعر .

والقِلاص : جمع قلوص ، وهى الناقة الشَّابَّة . والأدم : جمع أدماء . والأُدمة فى الإبل : البياض الشديد .ووَخدت : أسرعت . ورُباً : جمع ربوة . ومحانٍ : جمع محنِيَة ، بفتح الميم وكسر النون ، وهو موضع انحناء الوادى .

والمرْخ : شجرٌ سريع الوَرْى . والشّبهانُ بفتح الشين المعجمة وضم الموحّدة وفتحها : شجرٌ شائك ، وقيل هو النَّمَّام من الرياحين .

٤٠٥ والغَرِيف ، بالغين المعجمة : الشجر الكثير الملتفّ ، أىَّ شجر كان . والهدِب بفتح فكسر : الشجر الذى له هَدَب بفتحتين ، وهو كل ورق ليس له عرض ، كورق الأثل والطَّرْفاء والسَّرو .

---

(١) قيده ياقوت بلفظ التثنية . وذكر البكرى أنه على وزن فعَلان .

والغيلة ، بكسر الغين المعجمة : ثمرة الأراك الرطبة . تمنّى أن يأكل الغِيلة بدلَ الجوز واللوز .

وحلية : بفتح الحاء المهملة وسكون اللام بعدها مثناة تحتية ، قال أبو عبيد (فى المعجم) : أجمة باليمن معروفة ، وهى مأسَدة .

وقوله : وليت لنا بالدِّيك ، أى بدل الديك .

وطَهَيان بفتح الطاء والهاء والمثناة التحتية ، وهو جبل . يريد أيضاً بدلا من ماء زمزم . وهذا البيت يأتى شرحُه إن شاء الله تعالى فى حروف الجر فى الشاهد الخامس والسبعين بعد السبعمائة .

يعلى الأحول الأزدى

ويعلى الأزْدىّ ، بفتح المثناة التحتية وسكون العين المهملة واللام بعدها ألف مقصورة . قال الأصبهانى (فى الأغانى) : يعلى الأحول الأزدى ، هو ابن مسلم بن أبى قيس ، أحد بنى يشكر بن عمرو بن فلان ــ وفلان هو يشكر (١) ــ ويشكُر لقَبٌ لُقِّبَ به ــ ابن عمران بن عمرو بن عدىّ بن حارثة بن لوذان بن كهف الظلام ــ هكذا وجدته بخط المبرد ــ ابن ثعلبة بن عمرو بن عامر . شاعرٌ إسلامىٌّ لصٌّ ، من شعراء الدَّولة الأُموية . وقال هذه القصيدة وهو محبوسٌ بمكة عند نافع بن عَلقمة الكنانى ، فى خلافة عبد الملك بن مروان . قال أبو عمرو الشيبانى: كان يعلى الأحولُ الأزدىُّ لصًّا فاتكا،وكان خليعاً يجمع صعاليك الأزد وخلعاءهم فيُغير بهم على أحياء العرب،ويقطع الطَّريقَ على السَّابلة،فشُكِيَ إلى نافع بن علقمة بن مُحرِّث(٢)الكنانى ثم الفقيمى ، وهو

---

(١) فى الأغانى ١٩ : ١١١ : «ابن رألان ، ورألان هو يشكر » .

(٢) فى الأغانى : « الحارث » ، وماهنا صوابه . و «محرث» نسبة الى جده الأعلى ، وهو كما فى البيان ١ :٣٠٢ ، ٣٩٣ : نافع بن علقمة بن نضلة بن صفوان بن محرث . وقال الجاحظ : إنه كان خال مروان ، وكان واليا على مكة والمدينة ، وكان شاهرا سيفه لايغمده .

خال مَرْوان بنِ عبد الملك ، وكان والىَ مكة ، فأخذ به عشيرته الأزديين ، فلم ينفعه ذلك ، واجتمعَ إليه شيوخُ الحى ، فعرَّفوه أنه خليع قد تبرَّءوا منه ومن جرائره إلى العرب ، وأنه لو أخذ به سائر الأزد ماوضع يده فى أيديهم . فلم يقبل ذلك منهم وألزمهم إحضاره ، وضمَّ إليهم شُرَطا [١] يطلبونه إذا طَرَق الحىَّ يَجيئونه به ، فلما اشتدَّ عليهم فى أمره طلبوه حتى وجدوه ، فأتَوْهُ به فقيده وأودعَه الحبس ، فقال فى محبِسِه هذه القصيدة . كذا قال المبرد ، وعمرو بن أبى عمرو الشيبانى عن أبيه [٢] . قال الشيبانى : ويقال إنها لعمرو بن أبى عمارة الأزدى ، من بنى خُنَيْس . ويقال إنها لجوَّاس بن حَيَّان ، من أزد عُمان . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثمانون بعد الثلثمائة [٣] :

٣٨٤ (وما نُبالى إذا ماكنتِ جارتَنا أن لايُجاوِرَنا إلّاكِ دَيَّارُ)

على أنّ وقوع الضمير المتصل بعد إلاَّ شاذٌّ ، والقياس وقوعُه بعدها منفصلا نحو : أن لايجاورنا إلاّ إيَّاكِ ديار .

وإنما استحقَّ النصب لأنه استثناءٌ مقدَّم على المستثنى منه وهو ديَّار .

وإنما استحقَّ الفصل مع أنه معمول لإلاّ على الصحيح ،لأنَّه مانحو مالقيت

(١) ط : « شرط » ، صوابه فى الأغانى وفى ش مع أثر تصحيح . والشرط بضم ففتح : جمع شرطى .

(٢) ط : « عن أبى أبيه » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٣) الخصائص ١ : ٣٠٧ / ٢ : ١٩٥ وابن يعيش ٣ : ١٠١ ، ١٠٣ وشرح شواهد المغنى ٢٨٥ والعينى ١ : ٢٥٣ والتصريح ١ : ٩٨ ، ١٩٢ والأشمونى ١ : ١٠٩ .

إلا إياك [١] ، لأنّه معمول للفعل بالاتفاق فلا يصحُّ اتصاله بغير عامله ، ثمّ حمل عليه غير المفرّغ ليجريا على سَنَنٍ واحد .

وإنما سُهل وصله فى الضّرورة لثلاثة أمور :

أحدها : أنَّ الأصل فى الضمير الاتصال .

الثانى:أنَّ الأصل فى الحرف الناصب للضمير أن يتَّصل به،نحو إنك ولعلَّك.

الثالث : أُجرى إلَّا مجرى أختها فأجريت مجراها فى الوصف بها . ٤٠٦

وزعم ابنُ مالك (فى شرح التسهيل) أنّ مافى البيت ليس بضرورة ، لتمكن الشاعر من أن يقول :

* أن لايكون لنا خِلٌّ ولا جارُ *

وإذا فتح هذا الباب لم يبق فى الوجود ضَرورة ، وإنما الضرورة عبارة عما أتى فى الشِّعر على خلاف ماعليه النثر . كذا قال ابن هشام فى شرح شواهده .

وهذا البيت أنشده الفراء (فى تفسيره) [٢] ولم يعزُه إلى أحد . قال شارح اللبّ : ورواية البصريين :

* أن لايجاورَنا حاشاكِ ديَّارُ *

قال صاحب الكشاف : ديَّار من الأسماء المستعملة فى النّفى العام ، يقال مافى الدِّيار دَيَّارٌ [٣] ، ودَيُّور ، كقَيَّامٍ وقَيُّوم.وهو فيعال من الدَّور،أو من

(١) كذا وردت العبارة فى النسختين . وكتب مصحح طبعة بولاق : «هكذا بالأصل ، ولعل العبارة : لأن إيا فى نحو مالقيت إلا إياك معمول » .

(٢) لم يرد هذا الشاهد فى سورة نوح عند كلمة « ديار » فلعله ساقط من النسخة المطبوعة من معانى القرآن .

(٣) كذا فى النسختين ؛ وفى الكشاف : «ما بالدار » ، وهو الوجه .

الدار ، أصله دَيْوار ، ففُعِل به مافعل بأصل سيِّد ؛ ولو كان فَعَّالا لكان دَوّار .

وقال ابن الحاجب (فى أمالى المفصَّل) : معناه إذا حصلت مجاورتك فانتفاء مجاورة كلٍّ أحد مغتفرةٌ غير مُبالًى بها ؛ لأنَّ مجاورتك هى المقصودَةُ دون جميع المجاوَرات . وأن لايجاورنا فى موضع مفعول ، إمَّا على تقدير حذف حرف جر ، كقولك : مابالیت بزيد ، أو على التعدّى بنفسه كقولك : مابالیت زيداً . وديّار فاعل ليجاورنا . انتهى .

وقول العينى إلاّ هنا بمعنى غير ، فاسدٌ يظهَر بالتأمل .

وهذا البيت قلَّما خلا عنه كتابٌ نحوى .والله أعلم بقائله .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثمانون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد س [1] :

٣٨٥ (كأنَّا يومَ قُرَّى إ نَّما نقْتُلُ إيَّانا)

على أن (إيَّانا) فصل من عامله لوقوعه بعد معنى إلا ، وهو شاذٌّ .

قال سيبويه فى بابٍ من أبواب المضمر : هذا بابُ مايجوز فى الشعر من ايّا ولا يجوزُ فى الكلام . فمن ذلك قولُ حُميدٍ الأرقط :

* إليكَ حتَّى بلغَتْ إيَّاكا *

وقال الآخر ، لبعض اللصوص :

كأنَّا يومَ قرَّى إ نَّما نقتُلُ إيانا . انتهى

(١) فى كتابه ١ : ٢٧١ ، ٣٨٣ . وانظر الخصائص ٢ : ١٩٤ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٣٩ والإنصاف ٦٩٩ وابن يعيش ٣ : ١٠١ ، ١٠٢ .

قال الأعلم : الشاهد فى وضع إيانا موضع الضمير المتصل فى نقتلنا ، وفى وضع إيَّاك موضع الكاف ضرورة .

وقال الزجاج : أراد بلغَتك إياك ، فحذف الكاف ضرورة . وهذا التقدير ليس بشيء ، لأنَّه حذف المؤكد وترك التوكيد مؤكِّداً لغير موجود ، فلم يخرج من الضَّرورة إلَّا إلى أقبح منها . والمعنى : سارت هذه الناقُة إليك حتى بلغتك . انتهى .

وقبله :

(أتتكَ عَنْسٌ تقطَعُ الأراكا)

والعَنْس ، بسكون النون : الناقة الشديدة ، أى تقطع الأراضىَ التى هى منابت للأراكِ . وكان حقُّ الكلام فى البيت الشاهد أنْ يقول : نقتل أنفُسَنا . لأنَّ الفعل لايتعدى فاعله إلى ضميره ، إلا أن يكون من أفعال القلوب ، لاتقول ضربتُنى ، ولا أضربُنى ولا ضربتَك ، بفتح التاء ، ولازيدٌ ضربه ، على إعادة الضمير إلى زيد ، ولكن : تقول ضربتُ نفسى ، وضربتَ نفسك ، وزيد ضربَ نفسه . وإنما تجنَّبوا تعدِّىَ الفعل إلى ضمير فاعِله كراهةَ أن يكون الفاعل مفعولاً فى اللفظ ، فاستعملوا فى موضع الضمير النفس ، نزَّلوها منزلةَ الأجنبىِّ ،واستجازوا ذلك فى أفعال العلم والظنّ الداخلة على جملة الابتداء فقالوا : حَسِبتُنى فى الدار ، ولم يأت هذا فى غير هذا الباب إلا فى فعلين ٤٠٧ قالوا : عدِمتُنى وفقدتنى . ولمَّا لم يمكن هذا الشاعرَ أن يقول : نقتل أنفسنا ولانقتلنا ، وضع إيَّانا موضع نا ، وحسَّن ذلك قليلاً أنَّ استعمال المتَّصل ههنا قبيح أيضاً ، وأنَّ الضمير المنفصل أشبه بالظاهر من المتصل ، فإيَّانا أشبه بأنفسنا من نا . ولكن أقبح منه قول حُميد :

* إليكَ حتى بلغَتْ إيّاكا *

لأنَّ اتصال الكاف ببلغَتْ حسنٌ .

صاحب الشاهد — والبيت من أبياتٍ لذى الإصبع العَدْوانى ، وهى :

أبيات الشاهد

(لقينا منهمُ جمعاً فأوفى الجمعُ ماكانا (١)

كأنَّا يوم قُرَّى إ نَّما نقتُل إيّانا

قَتلنا منهمُ كلَّ فتىً أبيضَ حُسَّانا

يُرَى يرفُل فى بُرْدَيْـ ـنِ من أبراد نَجْرانا)

كذا فى أمالى ابن الشجرى .

ولم يرو ابنُ الأعرابىِّ (فى أماليه) البيتَ الأوّل ، وأنشد بعد «نجران» :

(إذا يَسرحُ ضأناً مـ ـائةً أتبعَها ضانا)

وقوله : «فأوفى الجمع» إلخ هو فعل ماض من الوفاء ، ويجوز أن يريد فأوفى بما كان عليه ، فحذف وأوصل . ويجوز أن يريد فوفَّى الجمع الذى لقيناه ماكان عليه أن يفعله من الإقدام على قتالنا .

وقوله : (كأنَّا يومَ قُرَّى) إلخ بضم القاف وتشديد الراء المهملة بعدها ألفٌ مقصورة . قال أبو عبيد البكرى وياقوت (فى معجمَيْهما) : قُرَّى : موضعٌ فى بلاد بنى الحارث بن كعب . وزاد أبو عبيد : وقال أبو حنيفة الدِّينورى : قُرَّى : ماءة [قريبة (٢)] من تَبالة ، وتَبالة بفتح المثناة الفوقية بعدها باء موحدة بعدها لام ، على وزن فَعَالة : بلدٌ،وهى التى يُضرب بها المثل فيقال:« أهْوَنُ من تَبالة على الحجاج ».أبو اليقظان:هى أوّلُ عملٍ وليه الحجّاج ،وهى بلدةٌ صغيرة من اليمن،فلما قرب منها قال للدليل : أين هى ؟ قال : تستُرها عنك هذه الأكمة . قال : أهوِنْ علىّ بعملٍ بلدةٍ تسترها عنى أكمة ! وكرَّ راجعا .

---

(١) ط : «مانا» ، صوابه فى ش وأمالى ابن الشجرى .

(٢) التكملة من معجم مااستعجم ١٠٦٢ .

قال ابن الشجرى : ومعنى قوله كأنَّا نقتل إيّانا ، تشبيه المقتولين بنفسه وقومه فى الحُسْن والسيادة ، فلذلك وصفَه بما بعده ، أى هم سادةٌ يلبسون أبرادَ اليمن ، فكأننا بقتلنا إيَّاهم قتلنا أنفسنا . انتهى

وقال ابن الأعرابى : أى لاينبغى أن نقتُل منهم لنفاستهم ، ولكن ألجئونا إلى ذلك .

وقال الأعلم : وصف قوماً أوقعوا ببنى عمِّهم ، فكأنهم بقتلهم قاتلون أنفسَهم .

وقوله : «كلّ فتىً أبيضَ حُسَّانا » هو بضم الحاء وتشديد السين : وصف بمعنى الكثير الحُسْن ، كالطُّوَّال بمعنى المفرط فى الطُّول ، والكُبَّار بمعنى المفرط فى الكبر . والبياض هنا : نقاء العِرض عن كلٍّ مايعاب به .

وهذا البيت أورده سيبويه فى باب مالا يكون الاسم فيه إلاّ نكرة ، قال:حدَّثنى أبو الخطَّاب أنّه سمع من يوثق بعربيته من العرب يُنشد هذا البيت:

قتلنـــــا منهم كلَّ فتـىً أبـــيضَ حُسَّانـــا

فجعله وصفاً لكلَّ . انتهى

فأبيضَ وحُسَّان منصوبان على أنَّهما نعتان . ويجوز عندى أن يكونا صفتين لفتى ، وفتحتهما نائبة عن الكسرة لأنَّهما ممنوعان من الصرف .

٤٠٨ وتَبع ابن الشجرى سيبويه فقال : نصب حُسّانا على الوصف لكلَّ ، ولو كان فى نثر لجاز حُسَّانِينَ وصفاً [1] لكلّ على معناها ، لأنَّ لفظها واحد ومعناها جمع . قال : يقال حسَنة وحسنٌ ، فإذا بالغوا فى الحُسْن قالوا حُسَان وحُسَانة مخفَّفان ، فإذا أرادوا النّهاية فيه قالوا حُسَّان وحُسَّانة مشدّدان .

---

(١) ط : « وصف ».

وقوله:«يُرَى يَرفُل» إلخ الأول بالبناء للمفعول ، يقال رَفَل [١] فلانٌ فى ثوبه ، وذلك إذا طال الثوبُ على لابسه وجَرَّه فى مَشْيه ، ويفعلون ذلك تكبُّرا. ونَجْران : بلدٌ باليمن يُنسَج فيها البرود الجيدة [٢] .

ذو الإصبع العدوانى

وذو الإصبع العَدْوانى : شاعرٌ معمَّر من شعراء الجاهلية . قال أبو حاتم (فى كتاب المعمرين) : عاش ذو الإصبع ، وهو حُرثان بن محرِّث ، من عَدْوان بن عمرو بن قيس عيلان ، ثلثمائة سنة ، وقال :

أصبحتُ شيخاً أُرى الشَّخصين أربعةً
والشَّخْصَ شخصين لما مَسَّنى الكِبَرُ

لاأسمعُ الصَّوتَ حتى أستديرَ له
ليلاً وإنْ هو ناغانى به القمرُ

وإنما قال ليلاً ، لأنَّ الأصوات هادئة ، فإذا لم يسمع بالليل والأصوات ساكنة كان من أن يَسمع بالنهار مع ضجّة الناس ولَغَطهم أبعد [٣] . وإنما قيل له ذو الإصبع ، لأنه كانت له فى رجْله إصبعٌ زائدة .

وقال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : ذو الإصبع حُرثان بن عَمْرو ، من عَدْوان بن عمرو بن قيس عيلان ، وكان جاهليًّا . وسمى ذا الإصبع لأنَّ حيَّةً نهشت إصبعه فقطعها . انتهى .

وقال ابن الأنبارى (فى شرح المفضليات) :نسَبَه أحمد بن عُبيد وغيره فقالوا:هو حرثان بن الحارث.والأصمعىُّ يقول : ابن السموءل بن محرَّث بن

---

(١) ط : « يرفل » ، وأثبت ماورد فى ش مع أثر تصحيح .

(٢) ش : « تنسج » بالتاء .

(٣) مابعده من الكلام لم يرد فى كتاب المعمرين . وهو نهاية كتاب المعمرين .

شبابة [١] بن ربيعة بن هُبيرة بن ثَعلبة بن الظَّرِب بن عمرو بن عِياذ بن يشكُر ابن عَدْوان ، وهو الحارث [٢] ، بن عمرو بن سعْد بن قيس بن عيلان بن مُضَر بن نزار . وانما سمى ذا الإصبع لأن أفعى نهشت إبهامَ رجله فقطَعَها . ويقال إنه كانت له إصبعٌ زائدة . انتهى

وقال علم الهدى السيد المرتضى (فى أماليه غرر الفوائد ودرر القلائد): ومن المعمَّرين ذو الإصبع العدوانى ، واسمه حُرْثان بن محرِّث بن الحارث بن ربيعة بن وهب بن ثعلبة بن ظَرِب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عَدْوان ، وهو الحارث ، بن عمرو بن قيس بن عيلان [٣] بن مضر . وإنما سمى الحارث عدوان لأنه عدا على أخيه فَهْمٍ فقتله . وقيل بل فقأ عينه . وقيل : إنَّ اسم ذى الإصبع محرِّث بن حُرثان ، وقيل حرثان بن حويرث ، وقيل حرثان بن حارثة . ويكنى أبا عَدْوان . وسبب لقبه بذى الإصبع أن حيَّة نهشته على إصبعه فشَلَّت فسمِّىَ بذلك . ويقال إنه عاش مائة وسبعين سنة . وقال أبو حاتم : إنه عاشَ ثلثمائة سنة . وهو أحدُ حكام العرب فى الجاهلية .

ثم أورد السيِّد جملاً من أحواله الى أن أورد هذه الحكاية . وأوردها الزجاجى أيضا (فى أماليه الصغرى) [٤] بسندهما الى سعيد بن خالد الجَدَلى ، أنه قال : لما قدم عبد الملك بن مروان الكوفة بعد قتل مُصعب بن الزبير دعا الناس إلى فرائضهم ، فأتيناه فقال : ممَّن القوم ؟ فقلنا : من جديلة . فقال : جديلةُ عدْوان ؟ قلنا : نعم . فتمثلَّ عبدُ الملك :

---

(١) فى شرح المفضليات ٣١٢ : « بن شباب » .

(٢) فى شرح المفضليات : « بن عدوان بن الحارث » .

(٣) فى أمالى المرتضى ١ : ٢٤٤ : « بن قيس عيلان » ، وكل صواب .

(٤) انظر ملحقات أمالى الزجاجى بتحقيق كاتبه ص ٢٢١ — ٢٢٢ .

عَذِيرَ الحىِّ من عَدْوا نَ كانوا حيَّةَ الأرضِ
٤٠٩ بغى بعضُهم بعضاً فلم يُرْعوا على بَعْضِ
ومنهم كانت الساداتُ والمُوفون بالقرض [١]

ثم أقبل على رجلٍ كنّا قدّمناه أمامنا ، جسيمٍ وسيم ، فقال : أيُّكم يقول هذا الشعر ؟ فقال : لاأدرى . فقلت مِنْ خلفه : يقوله ذو الإصبع . فتركنى وأقبل على ذلك الجسيم فقال : وماكان اسمُ ذى الإصبع ؟ فقال : لاأدرى . فقلت أنا من خلفه : اسمه حُرْثان . فأقبل عليه وتركنى . فقال : لم سمى ذا الإصبع ؟ فقال : لاأدرى . فقلت أنا من خلفه : نهشته حيّةٌ على إصبعه [٢] . فأقبل عليه وتركنى . فقال : من أيِّكم كان ؟ فقال : لاأدرى . فقلت أنا من خلفه : من بنى ناج . فأقبل على الجسيم فقال : كم عطاؤك ؟ فقال : سبعُمائة درهم. ثم أقبل علىَّ فقال : كم عطاؤك ؟ قلت : أربعمائة درهم . فقال لكاتبه [٣] حُطَّ من عطاء هذا ثلثمائة وزدْها فى عطاءِ هذا . فرُحْتُ وعطائى سبعمائة وعطاؤه أربعمائة . ا هـ

وأورد له من شعره قوله :

أُكاشِرُ ذا الضِّغْنِ المبيِّنِ منهمُ وأضحك حتَّى يبدوَ النّابُ أجمعُ [٤]
وأُهدِنه بالقَول هَدْنا ولو يرى سريرةَ ماأُخفى لباتَ يفـزَّعُ

---

(١) بعده فى أمالى المرتضى ١ : ٢٥٠ :
ومنهم حكـــم يقضى فلا يُنْـقَض مايــقضى
ومنهم من يجيز النــا س فى السنة والفـرض
(٢) فى الأمالى : « فى اصبعه » .
(٣) فى أمالى المرتضى : « فقال : ياأبا الزعيزعة » ، وهو اسم كاتبه على ديوان الرسائل ، كما فى تاريخ الطبرى ٦ : ١٨٠ . وفيه ص ١٤٥ وقد قيل إن عبد الملك بن مروان لما خرج إلى الصلاة أمر غلامه أبا الزعيزعة بقتل عمرو . وفى الأمالى : «ياابن الزعيزعة ، تحريف .
(٤) ط : «أكاشر كالضغن» ، صوابه فى ش وأمالى المرتضى والزجاجى .

ومعنى أهدِنه : أسكِنه . ومنه قوله :

إذا ما الدَّهرُ جرّ على أناسٍ شَراشِرَهُ أنـاخ بآخرينـا
فقـلْ للشَّامـتين بنا:أفيقُـوا سيَلقى الشامتون كما لقينا

ومعنى الشَّراشرِ، هنا:الثقل. يقال:ألقى عليَّ شراشرهُ وجراميزه، أى ثِقله.

ومن قوله أيضا (١) :

ذهبَ الدين إذا رأونى مُقْبلاً هشُّوا إلىَّ ورحَّبُوا بالمقبلِ
وهمُ الذين إذا حملت حَمالةً ولقيتهمْ فكأنَّنى لم أحملِ

والحَمالَة بالفتح : تحملُّ ديةِ القتيل عن القاتل .

وحُرْثان بضم الحاء المهملة وسكون الراء بعدها ثاء مثلثة . ومحرِّث بكسر الراء المشددة على زنة اسم الفاعل (٢) . وعَدْوان بفتح العين وسكون الدال المهملتين . والسَّموءل بفتح السين والميم وسكون الواو بعدها همزة مفتوحة ولام . وشَبَابة بفتح الشين المعجمة بعدها موحَّدتان خفيفتان . وعِياذ بكسر العين المهملة بعدها مثناة تحتية وآخره ذال معجمة . والظَّرِب بفتح الظاء المعجمة المشالة وكسر الراء . وفَهْم بفتح الفاء وسكون الهاء وثالثه ميم ، وهو أخو عَدْوان .

* * *

وأنشد بعده :

(تَراكِها من إبلٍ تَراكِها)

وتقدم شرحُه مستوفى فى الشاهد الحادى والستين بعد الثلثمائة(٣).

---

(١) ط : « ومنه قوله أيضا » ، وأثبت مافى ش ومالى المرتضى .

(٢) الذى فى اللسان والقاموس أنه كمحمَّد ، بزنة اسم المفعول .

(٣) انظر هذا الجزء ص ١٦٠ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثمانون بعد الثلثمائة [١]:

٣٨٦ (ضَمِنَتْ إِيَّاهُم الأرضُ)

هذا قطعة من بيت ، وهو :

(بالباعث الوارثِ الأمواتَ قد ضَمِنت
إيّاهم الأرضُ فى دَهْر الدَّهاريرِ)

على أنَّ فصل الضمير ضرورة ، والقياس ضَمِنتْهم الأرض .

كذا أنشده ابن الشجرى (فى أماليه) وقال : ومثله فى القُبْح [٢] ضمير الرفع . قال طَرَفة :

٤١٠ أصرَمْتَ حبلَ الوصل بل صَرَموا ياصاح ، بل قطَعَ الوِصالَ همُ

وأنشدهُ شرّاح الألفية ، وابن هشام (فى شواهده) أيضاً ، بتقديم الباعث على الوارث . والأنسب الرواية الأولى .

والباء فى قوله (بالوارث) متعلِّقة بحلفت فى بيتٍ متقدِّم ، وهو :

(إِنِّى حَلفتُ ولم أَحِلفْ على فَنَدٍ فناءَ بيتٍ من السَّاعين معمورِ)

وقوله : « ولم أحلف على فند » الجملة حال من التاء فى حلفت . والفَنَد ، بفتح الفاء والنون : الكذِب .وفناءُ البيت : ساحته ؛ وهو بكسر الفاء بعدها نون ، وهو ظرف لقوله حلفت . وأراد بالبيت بيتَ الله الحرام ، زادَه الله شرفاً . ومن متعلقه بمعمورٍ . والسَّاعين : الذين يسعَوْن إليه من جميع البلاد . ومعمور صفة لبيت .

---

(١) الخصائص ١ : ٣٠٧ / ٢ : ١٩٥ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٤٠ والإنصاف ٦٩٨ والعينى ١ : ٢٧٤ والتصريح ١ : ١٠٥ والأشمونى ١ : ١١٦ وديوان الفرزدق ٢٦٦ .

(٢) ط : «فى الفتح» ، صوابه فى ش . وفى أمالى ابن الشجرى : « .. قبيح ، ومثله فى ضمير الرفع » .

و (الوارث) و(الباعث) : اسمان من أسماء الله الحسنى ، أقسَمَ بهما . والوارث : الذى يرجع إليه الأملاك بعد فناء المُلَّاك [١] . والباعث هو الذى يبعَثُ الخلق ، أى يُحييهم بعد الموت يومَ القيامة . و(ضَمِنَتْ) بكسر الميم بمعنى تضمنَّت عليهم ، أى اشتملت عليهم ، أو بمعنى كفلت ، كأنَّها تكفَّلت بأبدانِهم . و(الأرض) فاعل ضمنت . و (الدهر) : الزمان . ودهر الدَّهارير : الزمان السالف ، وقيل أوّل الأزمنة السالفة . وإذا قيل دهرٌ دَهاريرُ [٢] بالصفة فمعناه شديد ، كما يقال ليلةٌ ليلاء .

قال ابن هشام : و (الأموات) إمَّا منصوب بالوارث على أنَّ الوصفين تنازعاه وأعمل الثانى والأوّل لاضمير فيه [٣] ،وإما مخفوض بإضافة الأول أو الثانى ، على حد قوله [٤] :

* بين ذراعَىْ وجبهةِ الأسدِ *

وأما قوله : قد ضمنت إياهم الأرض ، فهو إما حالٌ من الأموات [٥] أو وصفٌ ، لأنَّ أل فيها للجنس .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ للفرزدق يمدح بها يزيد بن عبد الملك ، ويهجو يزيد ابن المهلَّب .

وقبله :

أبيات الشاهد

(ياخير حىٍّ وقَتْ نعلٌ له قَدَماً ... وميِّتٍ بعدَ رُسْلِ الله مقبورِ

---

(١) ش : «الملك» .

(٢) ط : « دهرِ الدهاريرَ » ، صوابه فى ش .

(٣) ط : « وإلا لأضمر فيه » ، صوابه من ش مع أثر تصحيح بخط الناسخ لا الشنقيطى .

(٤) ط : « على حد قولهم » ، وأثبت مافى ش .

(٥) ط : « إما حال من الأرض » ، صوابه فى ش .

إنِّى حلفتُ ولم أحلف على فنَدٍ فناءَ بيتٍ من السَّاعين معمورِ[١]
فى أكبَرِ الحجِّ حافٍ غيْرَ منتعلٍ من حالِفٍ مُحرِمٍ بالحجِّ مصبورِ[٢]
بالباعث الوارث الأمواتَ قد ضمِنَتْ إياهمُ الأرضُ فى دهر الدَّهاريرِ
إذا يثورون أفواجاً كأنَّهمُ جرادُ ريحٍ من الأجداث منشورِ
لو لم يبشِّرْ به عيسى وبيَّنَه كنتَ النبىَّ الذى يدعو إلى النورِ
فأنت إن لم تكن إيّاه صاحبهُ مع الشَّهيدينِ والصِّدّيقِ فى السُّورِ[٣]

والفَنَد ، بفتح الفاء والنون : الكذب . والمصبور : الذى صَبَر نفسه على أفعال الحجِّ ، أى حبسها.

وقوله : إذَا يثورون ، متعلِّق بالباعث ، يريد : كأنهم جرادٌ نشرته الريح وفرَّقته . ومنشور كان حقُّه الرفع ، لأنَّه نعتٌ لجراد ، ولكنَّه خفضَه على المجاورة .

وقوله : لو لم يبشِّرْ به إلخ ، هذا جوابُ القسم ، وفيه مبالغةٌ فاحشة . وترجمة الفرزدق تقدَّمت فى الشاهد الثلاثين [٤] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثمانون بعد الثلثمائة [٥] :

---

(١) فى شرح الديوان ٢٦٤ : « ونصب فناء لما ترك الصفة ، يريد فى فناء بيت » ، يعنى نصب على نزع الخافض . والكوفيون قد يسمون حروف الجر حروف الصفات لأنها تقع صفات لما قبلها من النكرات . انظر ابن يعيش ٨ : ٧ .

(٢) المصبور هنا : الذى صبر نفسه على الحج ، أى حبسها عليه .

(٣) فى الديوان : « اذ لم تكن » . والسور : جمع سورة ، وهى أعلى المنازل .

(٤) فى الخزانة ١ : ٢١٧ .

(٥) ديوان الأعشى ١١٩ . وأمالى ابن الشجرى ١ : ٣١٧ والإنصاف ٥٨ .

٣٨٧ (وإنَّ أمرأً أسرى إليكَ ودونه
من الأرض موماةٌ وبيداءُ سمْلَقُ
لَمحقوقةٌ أن تستجيبى لصوتِه
وأنْ تعلمى أنَّ المُعانَ موفَّقُ)

عَلَى أنّ الكوفيين أجازوا ترك التأكيد بالمنفصل فى الصفة الجارية عَلَى غير من هى له ، إن أُمِنَ اللَّبس ، فإنَّ قوله (لمحقوقة) خبر عن اسم إنّ وهو فى المعنى للمرأة المخاطبة ، ولم يقل لمحقوقةٌ أنت .

٤١١

وأقول : الظاهر من كلام ابن الشجرى (فى أماليه) ومن كلام ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) ومن كلام غيرهما ، أنَّ مذهب الكوفيِّين جوازُ ترك التأكيد مطلقاً ، سواء أُمِن اللبس أم لا .

قال ابن الأنبارى:احتجَّ الكوفيون لمذهبهم بالشِّعر المتقدِّم ،وبقوله:

ترى أرباقَهـــمْ متقلِّدِيهَـــا كما صَدِئَ الحديدُ عَلَى الكماةِ[1]

ولو كان إبراز الضمير واجباً لقال متقلِّديها هم ، فلما لم يبرز الضمير دلَّ عَلَى جوازه . وأجاب البصريُّون عن هذا بأنّه على حذف مضاف ، أى ترى أصحاب أرباقهم متقلِّديها . وعن الأوَّل بجوابين : أحدهما مانقله ابن الشجرى عن أبى عَليّ ، وهو أنَّه ليس فى قوله محقوقة ضمير ، لأنّه مسنَد إلى المصدر الذى هو أن تستجيبى ،فالتقدير لمحقوقةٌ استجابتك ، فجعل التأنيث فى قوله لمحقوقة للاستجابة للمرأة ، حتى إنّه لو قال لمحقوق بالتذكير لجاز ، لأنَّ تأنيث الاستجابة غير حقيقى . وحاصله أنَّ المصدر المؤوَّل نائبُ الفاعل لقوله محقوقة . وإلى هذا ذهب ابن هشام (فى شرح شواهده) .

---

(١) فى معانى الفراء ٢ : ٢٧٧ : « اذا صدئ الحديد » .

والجواب الثانى ماذكره ابن الأنباريّ ، بأنَّ قوله أن تستَجيبى مبتدأٌ مؤخر ومحقوقة خبر مقدم ، والجملة خبر اسم إنّ ، والرابط الضمير فى لصوته .

ويحتمل هذين الجوابين مانقله العسكرى [١](فى كتاب التصحيف) قال : أخبرنى أبى قال : أخبرنا عسَل بن ذَكْوان قال : قال أبو عثمان المازنى : سألنى الأصمعىُّ لم أنَّث محقوقة [٢] ؟قلت : لأنّه موضع مصدر مؤنَّث ، لأَنَّ معناه استجابتك لصوته ؛ وأَن تستجيبى هى استجابتك . فلم يردَّ علىَّ شيئاً . ا هـ

وأجاب صاحب اللباب بأَنَّ هذا لضرورة الشعر ، ولم يرتض الجوابين المذكورين . قال فيما أملاه على اللباب : قوله لمحقوقة إنَّما جرى على غير من هوَ له ، لأَنَّ التقدير وإنّ امرأً محقوقة بالاستجابة . لايقال جاز أن يكون تستجيبى فاعل محقوقة ، أَو مبتدأ خبره محقوقة مقدَّما ، لأَنه يقال زيد حقيق بالاستجابة ، فيسند إلى الذات ، ولايقال الاستجابة حقيقة بزيد . ولذلك يتأوّل قوله تعالى : ﴿ حقيقٌ عَلَى أَن لا أَقول [٣] ﴾ ، كما هو مذكور (فى الكشَّاف) .اهـ

وأَجاز شارحه الفَالى [٤] مامنعه ، وأجاب عما أَورده فقال :ويمكن أَن

---

(١) ط : « السكرى » ، صوابه فى ش

(٢) فى التصحيف ٣٦١ : «سألنى الأصمعى عنها لم أنث المحقوقة » .

(٣) الأعراف ١٠٥ .

(٤) فى النسختين : «القالى» بالقاف ، صوابه بالفاء ، كما سبق التنبيه فى مواضع كثيرة . وفى بغية الوعاة : « محمد بن سعيد بن محمد بن أبى الفتح السيرافى المعروف بالفالى بالفاء ، صاحب شرح اللباب لم أقف له على ترجمة » . لكن ذكر الميمنى فى الإقليد أن أسمه إسماعيل الفالى ، وأنه يوجد من كتابه كثير من النسخ بالهند .

يُقال إنَّ قوله أَن تستجيبى مبتدأ مؤخر [١] ومحقوقة خبر مقدم ، والجملة خبر إنّ،فقد جرت على من هى له . ومحقوقة بمعنى جديرة . يقال أَنت حقيقٌ أَن تفعل كذا،وزيد حقيق به ومحقوق به ، أَى خليق له . وكان حقه أَن يسند إلى الذات فيقال زيد حقيق بالاستجابة ، لا أَنّ الاستجابة حقيقة بزيد . ونظير ذلك مااستشكل من قوله تعالى : ﴿حَقيقٌ عَلَى أَنْ لا أَقولَ على اللهِ إلاَّ الحقَّ﴾ فيمن قرأ بغير تشديد الياء من علىَّ . وتأول بتأويلات أَحدها : أَنَّه على القلب . والثانى : أَنَّ مالزمَك فقد لزِمْتَه . والثالث : أَنَّ المراد حقيق على ترك القول إذْ أَكون أَنا قائله ، ولايرضى إلاّ بمثلى ناطقاً به [٢] .اهـ

والبيت الأَول من هذين البيتين قد أَنشده الشارح فى الشاهد الرابع بعد المائتين ، من باب الحال ، وتقدَّم الكلامُ عليه مع أَبياتٍ من أَوَّل القصيدة هناك [٣] .

صاحب الشاهد

والقصيدة للأعشى ميمون .

وقبله :

أبيات الشاهد ٤١٢

(وخَرقٍ مَخُوفٍ قد قطعتُ بجَسْرةٍ	إذا خبَّ آلٌ وسْطَـه يترقـرقُ
هي الصَّاحبُ الأدنى وبينى وبينها	مَجُوفٌ عِلافىٌّ وقِطعٌ ونُمْرُقُ
وتصبح من غِبِّ السُّرى وكأَنَّما	أَلمَّ بها من طائِفِ الجنِّ أولَقُ
وإنَّ امرأً أسرى إليك ودونه	.. .. البيتين [٤]
وكم دُونه من حَزن قُفٍّ ورَمْلةٍ	وسَهب به مُستوضِحُ الآلِ يبرقُ

---

(١) كلمة « مؤخر » ساقطة من ش .

(٢) ش : « الا بمثل ناطقاً به » .

(٣) الخزانة ٢ : ٢٥٢ .

(٤) فى الديوان ١٤٩ : «وكم دون ليلى من عدو وبلدة » .

وأصفرَ كالحنّاء ذاوٍ جِمامُـهُ متى مايذقْه فارطُ القوم يَصئُقُ (١)
به تُنْفَض الأحلاسَ فى كلّ منزل وتُعقَد أطراف الحبال وتُطلَقُ (٢)
وإنّ عتاق العيس سَوف يزوركم ثناءٌ على أعجازِهنّ معلَّقُ (٣)
ولا بدّ من جار يُجير سبيلَهـــا كما سَلك السّكّىّ فى الباب فَيتقُ (٤)

قوله : «وخرق» بفتح الخاء المعجمة : القفرُ ، والأرض تنحرِق فيها الرياح ، وهو مجرورٌ بربَّ المقدرة بعد الواو . والجَسْرة ، بفتح الجيم وسكون السين المهملة : النّاقة القوّية على السير . وخبَّ بمعنى خدع . والآل : السرّاب فى أوّل النهار ووسطِه ، ويترقرق أى ينصبُّ خبرُه ، والجملة صفة آل ، والعائد الضمير . يقال رَقرق الماءَ وغَيره ، إذا صبّه رقيقا . والسراب هكذا يُرى للنّاظر إليه .

وقوله : «هى الصاحب» إلخ الأدنى : الأقرب . والمجوف بالجيم : الرّحْل . والعِلافِىُّ منسوب إلى علاف ، بكسر المهملة ، وهو رجلٌ من قُضاعة كان يعمل الرِّحال . والقِطْع ، بكسر القاف : طِنفسة ، أى بساطٌ ، يجعله الراكب تحتَه ، ويغطِّى كَتِفَى البعير. والنُّمرق:الوسادة ، وهى هنا وسادةٌ فوق الرّحْل.

وقوله : «وتصبح من غِبّ» إلخ الغِبُّ بالكسر : عاقبة الشىء . وألمَّ بمعنى نزل ، وفاعله أوْلَق ، وهو الجنون . يريد أنّها شديدةٌ جداً لايحصُل لها إعياء كالمجنون .

وقوله : «وإنّ امرأً أسْرَى» إلخ ، هذا انتقالٌ من وصف ناقته إلى خطاب امرأة. وأراد بالمرءِ نفسه . وأسرى : لغةٌ فى سرى . ودُونه بمعنى أمامه وقُدّامه .

---

(١) فى الديوان : «طام جمامه اذا ذاقه مستعذب الماء» .
(٢) فى الديوان : « وتعقد أنساع المطى » .
(٣) ط : «تزوركم» ، صوابه فى الديوان وش مع أثر تصحيح.
(٤) فى الديوان : «يجيز سبيلها كما جوز السكى» .

والمَوماة ، بفتح الميم : الأرض التى لا ماء فيها . والبيداء : القفر . والسَّملق : الأَرض المستوية .

وهذا البيت رُوى (فى ديوانه وغيره من كتب الأَدب) كذا :

وإنَّ امرأً أهداكِ بينى وبينه فيافٍ تَنُوفاتٌ ويَهماءُ سَمْلَقُ

فالمراد من المرء ممدوحه ، والخطاب لناقته المذكورة .وكان ممدوحه أهداها له ، فالكلام على هذه الرواية من أوله إلى هنا خطابٌ لناقته . ومنه يظهر أنَّ المناسب فى الرواية الأُولى أيضا كونُ المراد بالمرء ممدوحَه والخطابُ لناقته ، وأنَّ أسرى بمعنى حُمِل على السُّرَى ، وإلى بمعنى على ، ليكون الكلام على وتيرةٍ واحدة . وفيافٍ : جمع فَيفاءَ [1] ، وهى الفلاة . و(تنوفات) : جمع تنوفة ، وهى القفر . واليَهماءُ بفتح المثناة التحتية : الأَرض التى لايُهتَدى فيها . وروى « خيفق » بدل « سملق » بفتح الخاء المعجمة وسكون المثناة التحتيَّة وفتح الفاء ، وهى الفلاة الواسعة .

وقوله : « أنَّ المُعان مُوفَّق » كلاهما اسم مفعول من الإعانة والتوفيق . قال السيد المرتضى (فى أماليه) : فيه قلبٌ [2] ، يريد أن الموفق معان . وقال المرزبانى (فى الموشح) : ينبغى للشاعر أن يتفقد مصراع كلِّ بيت حتى يشاكل ماقبله ، فقد جاء من أشعار القدماء مايختلف مصاريعه ، كقول الأعشى :

* وأن تعلمى أنَّ المعان موفَّقُ [3] *

---

(١) يقال فيفاء وفيفاة ، كلاهما بمعنى الصحراء الملساء .

(٢) فى ط : « قلت » موضع « فيه قلب » ، صوابه فى ش . والذى فى أمالى المرتضى ١ : ٤٦٦ «يريد أن الموفق معان» فقط .

(٣) ط : «وأن تعلموا» ، صوابه فى ش والموشح ٥٤ .

غير مشاكلٍ لما قبله . وكذلك قال صاحب (تهذيب الطبع) .

٤١٣ وقوله : «وكم دونه » إلخ ، الضمير للمرء . والحزن ، بالفتح : الأرض الوعرة . والقُفُّ بضم القاف : ماارتفع من الأرض . والسَّهب بالفتح : الفلاة والأرضُ المتّسعة .

وقوله : «وأصفَرَ كالحِنَّاء» يعنى ماءً أصفر كالحِنّاء . وذاوٍ : متغيِّر . والجمام بكسر الجيم : جمع جَمّ بفتحها ، وهو الماء الكثير . وفارط القوم ، بالفاء ، هو الذى يتقدَّمهم إلى الورْدِ لإصلاح الحوض والدِّلاءِ . يقال فرط القومَ يفرُطهم فَرْطاً ، إذا تقدَّمهم لما ذكرنا . وإنما يبصقُ عند ذوقه لمرارة الماء وتغيُّرِه .

وقوله : « به تُنفض » إلخ ، الحِلْس بكسر المهملة : كساءٌ على ظهر البعير تحت البَرْدعة [1] ويبسَط فى البيت تحت حُرِّ الثياب . وإنّما تُنفَض للرَّحيل .

وقوله : «وإنَّ عِتاقَ العِيس» الخ ، هذا المعنى أوَّلُ مَن اخترعه الأعشى ، وأخذَه مَن جاء بعده . قال القطامى :

لأعلِّقنَّ على المطىِّ قصائداً   أذَر الرُّواةَ بها طويلى المنطقِ [2]

وقال نُصَيب :

فعاجوا فاثْنَوْا بالذى أنتَ أهلُه

ولو سكَتوا أثنتْ عليك الحقائبُ

---

(١) ط : «البرذعة» بالذال المعجمة ، وكلاهما صحيح . وفى اللسان : « البردعة : الحلس الذى يلقى تحت الرحل . قال شمر : هى بالذال والدال » . وكلاهما بفتح الباء .

(٢) ط : « أزر » ، صوابه فى ش وديوان القطامى ٣٥ . وفى النسختين : « طويل المنطق » ، صوابه من الديوان .

ومن هنا أخذ أبو العتاهية قوله :

فإذا وردن بنا وردنَ خفائفاً ... وإذا صدرن بنا صدَرْنَ ثِقالا

وقوله : «ولا بدَّ من جارٍ» إلخ ، الجار له معان ، والمراد هنا المجير ، ويقال أيضاً للمستجير [١] وللحليف ، وللناصر ، وللمجاور الذى أجَرْتَه من أن يُظلَم . والسَّكِّىُّ ، بفتح السين المهملة وتشديد الكاف والياء ، وهو المسمار ، ويقال له السَّكُّ أيضاً بدون الياء . والفيْتَق ، بفتح الفاء وسكون المثناة التحتية وفتح المثناة الفوقية : النَّجَّار ، والحدَّاد .

وترجمة الأعشى تقدمت فى الشاهد الثالث والعشرين من أوائل الكتاب [٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون بعد الثلثمائة[٣]:

٣٨٨ (فلا تَطمعْ أبيتَ اللّعنَ فيها ... ومَنْعُكَها بشىءٍ يُستطاعُ)

على أنَّ مابعد الضمير المجرور إذا كان أنقَصَ تَعريفاً جاز فيه الانفصالُ والاتصالُ ، فإنَّه كما جاز (مَنعكها) يجوز منعك إياها . وكاف المخاطب محلُّها الجر بإضافة المصدر إليها وهو المنع ، وضمير الغائب أنقصُ تعريفا من ضمير المخاطب .

قال ابن هشام (فى شواهده) : هذا ممَّا اتُّفق على أنَّ فصلَهُ أرجح .

وأورده ابن الناظم والمرادىّ (فى شرح الألفية) على أنَّ هذا، أعنى وصل ثانى ضميرين عاملُهما اسمٌ واحد،ضعيف،والقياس:ومَنعُكَ إيَّاها.كذا نقل

---

(١) ط : « المتسجير » ، صوابه فى ش .

(٢) الخزانة ١ : ١٧٥ .

(٣) شرح شواهد المغنى ١١٦ والعينى ١ : ٣٠٢ والأشمونى ١ : ١١٨ ، ١٢٠ وشرح المرزوقى للحماسة ٢١١ .

العينيُّ عنهما هذا . والمنقول في اللغة أنَّ منَع مما يتعدى إلى المفعول الثانى تارةً بنفسه وتارة بحرف الجر ، يقال منعتك كذا ، أو منعتك عن كذا أو من كذا . ففى تصوير الفصل ينبغى أن يقَّيد المفعول الثانى بحرف الجر . وفاعل المصدر هنا محذوف ، أى مَنعيك [١] عنها . والهاء ضمير راجع لسَكابِ ، وهو اسم فرس . والباء فى قوله : (بشىء) زائدة فى خبر المبتدأ الذى هو منعكها . وبه استشهد ابنُ هشام (فى المغنى) . قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : قد جاء زيادة الباءِ فى الخبر ، ألا ترى إلى قول أبى الحسن فى قول الله تعالى : ﴿ جزاءٌ سِّيئة بمثلها [٢] ﴾ : إن تقديره جزاء سيئةٌ مثلها ، اعتباراً لقوله عَزَّ اسمه [٣] : ﴿ وجزاءُ سيئة سيئةٌ مثلها [٤] ﴾ ، فكأنَّه قال : ومنعكها شىءٌ يستطاع ، أى أمرٌ مُطاقٌ غير باهظٍ ولا معجز ، أى فالهُ عنها ولا تعلِّق فكرَك بها . ويجوز وجه آخر وهو أن يريد: ومنعكها بمعنىً من المعانى ممَّا يستطاع ، وذلك المعنى إمَّا غلبةٌ ومُعازَّة ، وإمّا بفداء نَفْديها به منك ، أو غير ذلك ، فيكون المعنى قريباً من الأوَّل ، إلا أنّه [٥] ألينُ جانبا منه. فالباء على هذا متعلقة بنفس المنع . ويجوز أيضاً أن تعلَّق بِيستطاع ، أى يستطاع بمعنى من المعانى ويُقْدَر عليه به . اهـ.

٤١٤

صاحب الشاهد

وهذا البيت آخر أبيات أربعة أوردها أبو تمام فى الحماسة ، ونسبَها إلى رجل من بنى تميم [٦] وقد طلبَ منه ملكٌ من الملوك فرسا يقال لها سَكابِ ، فمنَعه إيَّاها وقال :

---

(١) ط : «منعتك» ، صوابه فى ش .

(٢) يونس ٢٧ .

(٣) وكذا فى اعراب الحماسة ٣٨ « لقوله عن اسمه » .

(٤) الآية ٤٠ من الشورى .

(٥) ط : «لا أنه» ، صوابه فى ش واعراب الحماسة .

(٦) هو عبيدة بن ربيعة بن قحفان ، كما فى خيل ابن الأعرابى ٦٢ .ونسبت الأبيات فى الحماسة البصرية إلى القحيف العجلى .

(أبيتَ اللَّعنَ إنّ سَكابِ عِلقٌ نفيسٌ لا يُعارُ ولا يُباعُ [١] أبيات الشاهد
مفـدَّاةٌ مُكرَّمـة علينـا يُجاع لها العِيال ولا تجاعُ
سَليلـةُ سابقَيْـنِ تَناجلاهـا إذا نُسبا يضمُّهما الكُـراعُ
فلا تطمع أبيتَ اللعنَ فيها ... البيت
وكفِّى تستقلُّ بحملِ سَيْفِي وبى ممَّن تَهضَّمنى امتناعُ
وحَولى من بنى قُحفانَ شِيبٌ وشبّانٌ إلى الهيجـا سِراعُ
إذا فزعوا فأمرُهُم جميعٌ وإن لاقَوْا فأيديهم شَعـاعُ)

وقوله : «أبَيْتَ اللعنَ» الخ ، أى أبيت الأمر الذى تُلعن عليه إذا فعلتَه . قال المرزوقى (فى شرح الحماسة) :أبيت اللعنَ :تحيةٌ كان يستعطف به الملوك [٢]. وأصل اللَّعن ؛ الطرد . قال الشاعر :

وَلَكُلُّ ما نال الفتى قد نِلتُه إلاّ التحيَّه [٣]

يعنى إلا أن يقال لى : أبيتَ اللعن ؛لأنَّه تحية الملوك ، وكأنه قال : نلتُ كلَّ شيء إلا الملكَ . وسَكابِ : فرسٌ ، إذا أعربته منعته الصرف لأنه علم ، فلحصول التعريف فيه والتأنيث مع كثرة الحروف يمنع الصرف ، والشاعر تميمى وهذه لغةُ قومه . وإذا بنيته على الكسر أجريته مجرى حذامِ لأنَّه مؤنَّث معدول معرفة . فلمشابهته هذه الأوصاف:دَراكِ ونزالِ بنِيَ ،وهذه اللغة

(١) فى الحماسة : « لاتعار والاتباع » .

(٢) وكذا فى شرح الحماسة للمرزوقى ، والمراد : هذا التعبير . وفى ش مع أثر تغيير: « يستعطف بها الملوك » .

(٣) لزهير بن جَنَاب ، فى المعمرين ٢٦ .

حجازية . واشتفاق سَكاب من سكبتُ ، إذا صببتَ [١] . ويقال فى صفة الفرس بَحرٌ وسَكْب .

وقوله : «علق نفيس» أى مالٌ يُبخل به ، وهذا كما يقال هو عِلق مَضِنَّة بالكسر . يقول : إنَّ فرسى نفيسٌ لايُبذل للإعارة ، ولايُعرَض للبيع .

وقوله : « مفدَّاة مكرمة » ، إلخ يقول : هى لعزَّتها على أربابها تفدَّى بالآباء والأمَّهات ، وُتؤثَر تكريماً لها على العيال ، عند الإضافة والإقتار ، فيجوع العيالُ ولاتجوع هذه .

وقوله : « سليلة » إلخ يقول : هى ولد فرسين سابقين ، إذا نُسبا ضَمّ مَنَاسِبَهُما الكراع ، وهو بالضم فحل كريم معروف . وأصل الكُراع أنفٌ يتقدم من الجبَل ، فسمِّى هذا الفحل به لِعظَمه . وسليلة أُلحِق الهاءُ بها وإن كان فعيلا فى معنى مفعول لأنَّه جُعِل اسما ، كما تقول هى قتيلة [٢] بنى فلان . ومعنى سُلَّ نُزِع . ويقال نجلا ولدهما وتناجلاهُ بمعنى واحد ، ومنه النَّجل بمعنى الولد [٣] .

وقوله : «وفيها عِزَّة» إلخ نحيِّدها بالحاء المهملة ، أى نجعلها حائدة . وحَرّ بالمهملتين ؛ أى اشتَّد . والقِراع : مصدر قارعه ، أى ضاربه .

٤١٥ وقوله :(فلا تطمعْ) إلخ قال المرزوقى :يقول ارفع طمعك فى تحصيل هذه

---

(١) ط : « صلبت » ، صوابه فى ش .

(٢) فى النسختين : « قبيلة » ، والوجه ماأثبت .

(٣) مابعده من التفسير يبدو أنه متعلق ببيت ساقط من الأبيات هنا . كما تنبه الى ذلك مصحح المطبوعة الأولى نقلا عن هامش الأصل .. ومما يجدر ذكره أن المراجع التى بين يدى لم يرد فيها الا الأبيات الأربعة الأولى من هذه المقطوعة .

الفرس ، أبيت أن تأتىَ ماتستحق به اللعن ، ودفعك عنها يقدر عليه بوجهٍ مّا وبحيلةٍ ما . والمعنى :إنّى لأأسعفك بها إن استوهبتها ، ماوجدتُ إلى الردِّ طريقا . فلا تطمع مادامت لى هذه الحالة .

وقوله : «وكفّى تستقلّ» الخ يقال تهضّم حقّه ، أى ظلمه . وقُحفان بضم القاف وسكون الحاء المهملة بعدها فاء .. والشِّيب ، بالكسر : جمع أشْيب ، وهو الذى حَصَل له الشيب .

وقوله : «إذا فزعوا» إلخ الشَّعاع بفتح الشين : المتفرِّق . يقول : إن فزعوا من أمرٍ فكَلِمتُهم واحدة ، وإذا لاقَوُا العَدوّ فأيديهم متفرِّقة عليه بالطَّعن والضرب .

وعُبَيدة بن ربيعة : مصغر عَبْدة بالتأنيث ، وهو شاعرٌ فارس جاهلىٌّ (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثمانون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد س (٢) :

٣٨٩ (وقد جعلَتْ نفسى تَطِيب لضَغمةٍ
لِضَغمِهماهَا يقرعُ العَظْمَ نابُها)

على أنَّ الضمير الثانى إذا كان مساويا للأوَّل شذَّ وصلُه كما هنا ، فإنَّه جمع بين ضميرى الغيبة فى الاتصال ، وكان القياس لضغمهما إياها .

قال سيبويه فى باب إضمار المفعولين : إذا ذكرت مفعولين كلاهما غائب قلت(٣)أعطاهُوها وأعطاهاهُ(٤) ،جَازَ وهو عربىٌّ ؛ ولاعليك بأيِّهما بدأت ، من

(١) فى حواشى المطبوعة الأولى : «قوله وعبيدة بن ربيعة انظره فإنه لم يتقدم له ذكر . اهـ من هامش الأصل ». ويبدو أن البغدادى أراد أن يذكره فى نسبة أبيات الحماسة ، ولكنه لم يفعل .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٨٤ . وانظر أمالى ابن الشجرى ١ : ٨٩ / ٢ : ٢٠١ وابن يعيش ٣ : ١٠٥ والعينى ١ : ٣٣٣ .

(٣) كذا فى النسختين . والذى فى سيبويه : « فقلت » .

(٤) هذا مافى سيبويه . ورسمت فى النسختين : « أعطاها هو » .

قِبَل أنَّهما كلاهما غائب . وهذا أيضاً ليس بالكثير فى كلامهم ، والكثير فى كلامهم:أعطاهُ إياها (١) . على أنَّ الشاعر قال :

وقد جعلت نفسى تطيبُ لضَغمةٍ .. .. البيت اهـ

قال النحاس والأعلم : إنَّما كان وجه الكلام لضغْمِهما إيَّاها ، لأنَّ المصدر لم يستحكم فى العمل والإضمارِ استحكامَ الفعل .

وجَعَل هنا من أفعال الشُّروع ، ونفسى اسمها ، وجملة تطيب خبرها . والضَّغمة ، بفتح الضاد وسكون الغين المعجمتين : العَضَّة .

وقد اختلف الناس فى معنى هذا البيت ، وأصوبُ مَن تكلَّم عليه ابنُ الشجرى (فى أماليه) فى موضعين منها ، وتبعه صاحب اللباب (فى تعليقهِ على اللباب) قال : يقول : جعلتْ نفسى تطيب لأنْ أضغمَهما ضَغمة يَقرع لها النابُ العظمَ . وصفَ ضغمةً بالجملة ، والمصدر الذى هو الضَّغم مضاف إلى المفعول وفاعله محذوف ، التقدير:لضغمى إيَّاهما . والهاء التى فى قوله لضغمهماها عائدة إلى الضَّغمة ؛ فانتصابها إذن انتصابُ المصدر ، مثلُها فى قوله تعالى :﴿إنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتمُوهُ فى المَدِينة (٢) ﴾ .وأضاف الناب إلى ضمير الضغمة ، لأنَّ الضغم إنَّما هو بالناب . واللام فى قوله لضغمهماها متعلقة بيقْرع ، أى يقرع عظمَهُما نابى ؛ لضغمى إيَّاهما ضغمةً واحدة.اهـ

وعلى هذا الضَّغمتان والقَرْع والناب جميعُها للمتكلّم ، واللام الأولى متعلِّقة بقوله:تطيب .

وينبغى أن نورد الأبياتَ التى منها هذا البيتُ وسبَبَها ، حتى يتَّضح المعنى ويزول الإشكال ، فإنَّ غالبَ مَن تكلَّم عليه لم يقفْ على ماذكرنا .

---

(١) فى سيبويه : « أعطاه اياه » .

(٢) الآية ١٢٣ من الأعراف .

سبب الشعر

قال أبو محمد الأسود الأعرابى (فى ضالّة الأديب ، وهو ماكتبه على نوادر ابن الأعرابى) : إنَّ مُغَلِّس بن لَقيط ؛ وهو من ولد مَعْبد بن نَضْلة ، كان رجلاً كريماً حليما شريفا ، وكان له إخوةٌ ثلاثة : أحدهم أُطَيط ، بالتصغير ، وكان أُطيطٌ به بارًّا ، والآخران وهما مُدرِك ومُرّة مُمَاظِّين [1] ، فلمّا مات أُطيط أظهرا له العداوة ، فقال :

أبيات الشاهد ٤١٦

(أبقَتْ لك الأيّامُ بعدك مُدركا ومُرّةَ ،والدُّنيا قليلٌ عتابُها[2]

قَرِينين كالذِّئبين يبتدرانني وشرُّ صَحَابات الرِّجال ذئابُها

وإنْ رأيا لى غِرّةً أغريَا بها أعادىَّ ، والأعداءُ كلبىَ كلابُها [3]

إذا رأيانى قد نجوتُ تلمَّسَا لرجلي مُغَوّاةً هَياماً ترابُها

وأعرضتُ أُستبقيهما ثمَّ لا أرى حُلومَهما إلاّ وشيكاً ذَهابُها

لعلَّ جَوازى الله يَجزِين منهما ومرُّ الليالى صرفُها وانقلابُها

فيشمتَ بالمَرْأين مرءٌ تخطَّيَا إليه قَراباتٍ شديداً حجابُها[4]

وقد جعلَتْ نفسى تَطيب لضَغمةٍ أعضِّهماها يقرع العظم نابُها[5]

ولامثلَ يَومٍ عند سعدِ بن نوفل بِفَرْتاجَ إذ تُوفي علىّ هضابُها

لأجعَلَ مالم يجعل اللهُ لامرئٍ وأكتبَ أموالاً عَداءً كتابُها

خرجتُ خُروجَ الثّورِ قد عصَبتْ به سَلوقيَّةُ الأنسابِ خُضعٌ رقابُها

(١) المماظة : المخاصمة والمشاتمة والمنازعة . ش : «مماضين» ، تحريف .

(٢) فى معجم المرزبانى ٣٩٠ : «كريه عتابها» .

(٣) وكذا فى الحماسة البصرية ١ : ١٩٩ . وفى معجم المرزبانى ٣٩١ : «تعوى كلابها» .

(٤) ط : «تخطئا» ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٥) جعلت فى ش : « لضغمهماها » .

حُبِسْتُ بغُمَّى غمرةٍ فتركتُها وقد أترك الغُمَّى إذا ضاق بابُها[1])

ثم رثى أُطيطاً فقال :

(ذكرتُ أُطيطا والأَداوَى كأنَّها كُلَى من أدِيمٍ يستشنُّ هزومُها

لعمرى لقد خلَّيتَنى ومَواطِناً تُشيب النَّواصى لو أتاك يقينُها

وأبدتْ لىَ الأعداءُ بعدكَ منهم ثَرَى دِمَنٍ ماكان يبدو دفينُها)

انتهى ما أورده أبو محمد .

وقوله : «والدنيا قليل عتابها» أراد أنَّ عتابَ الدُّنيا غير نافع ، فمُعاتبها غير مُستكثر منه .

وقوله:«قرينين كالذئبين»شبَّههما بالذئبين لأنَّ الذئابَ أخبثُ السِّباع.

وقوله : «وإنْ رأَيا لى غِرَّة» إلخ روى بدله :

* إذا رأَيالى غفلةً أَسَّدَا لهَا *

أى أفسدا قلوبَ أعادىَّ حتَّى جعلا أخلاقَهم كأخلاق الأُسود .
والكَلْبى: جمع كَلِب ، كزَمْنَى جمع زمِن .

وقوله : «إذا رأيانى قد نجوتُ » إلخ تلمَّسا أَلِفُه ضميرُ الاثنين . والمُغوّاة ، بضم الميم وفتح الغين المعجمة وتشديد الواو : حُفرةٌ كالزُّبية . يقال :«مَنْ حَفر مُغَوَّاةً وقَعَ فيها» . والهَيَام بفتح الهاء ، لا بكسرها كما زعمه العينى ، بعدها مثناة تحتية:الرَّمل الذى لايتماسك أن يَسيل من اليد للينِه.ونقل العينى عن أبى على (فى التذكرة) أنَّ الروايـة عنـده «هَيَالَى تُرابُها»،قال:وهــذا يدلُّ على

(١) ط : « جلست » ، وأثبت مافى ش مع أثر تصحيح .

(٢) بين البيتين وسابقهما مايسمى بالإكفاء ، وهو اختلاف الروى بحروف متقاربة .

أنَّ التُّراب جمع تُرْب ، ولو كان مفرداً لقال هائل ترابها . قال صاحب العين : الهائل : الرمل الذى لايثْبُت . وضَرَبَ هذا مثلاً لكثرةِ معرفتهما بالشرّ ، والتحيُّلِ فى جلب أنواع الضَّرر . وفَرْتاج ، بفتح الفاء [1] : موضع .

والخُضع : جمع أخْضع ، وهو الذى فى عنقه تطامنٌ خلقة .

والغَمْرة ، بالفتح : الشِّدّة . والغُمِّى ، بفتح المعجمة وضمها : الغامَّة [2] أى المُبْهَمة [3] الملتبسة . وروى السِّيرافى بعد قوله هَياماً تُرابها :

(فلولا رجائى أن تؤوبا ولا أرى عُقولَكما إلاّ شديداً ذَهابُها
سَقيتكما قبل التفرُّق شَربةً يَمُرُّ على باغى الظِّلام شَرابُها
وقد جعلت نفسى تطيب... .. .. البيت).

والظِّلام ، بالكسر : جمع ظُلْمْ بالضم .

وقد أنشد البيت الشاهدَ أبو الحسن على بن عيسى الرَّبَعى هكذا :

فقد جعلَتْ نفسى تَهُمُّ بضَغمةٍ على عَلِّ غيظٍ يَقصِمِ العظمَ نابُها

والعَلّ بفتح المهملة : التكرُّر . والقَصْم بالقاف : كسْرٌ مع فصل . ٤١٧

وعلى هذا لا شاهد فيه ، والمشهور الرواية الأولى .

وقد اختلف العلماءُ فى معناه فقال الخوارزمى: الضَّغمة:العَضّة، ولضغمهماها بدلٌ من قوله لضغمةٍ،والضمير الأوّل لسُبعين ، أمّا الثانى فلضغمة،والضمير فى نابها لضغمة.يقول:لكثرة ماابتُليت [به] من المحن قد طابت نفسى أن يعضَّنى سبعان ناباهما يضربان العَظم.وقرعُ النابِ العظمَ كنايةٌ عن الصَّوت.هذا كلامه.وقال الأعلم:هذا الشاعر وصف شدَّةً أصابه بها رجلان،فيقول:قد جعَلتْ نفسى تطيب لإصابتهما بمثل الشدَّة التى أصابانى بها.

---

(١) وضبطه ياقوت والبكرى بكسر الفاء .

(٢) ط : «العامة» بالعين المهملة ، صوابه فى ش .

(٣) ط : « المهمة » ، صوابه فى ش .

وضَرب الضَّغمة مثلاً ، ثم وصف الضَّغمة فقال : يقرع العظمَ نابُها ، فجعل لها ناباً على السَّعة . والمعنى : يصل النابُ فيها إلى العظم فيقرعُه . "اهـ

وقال الأندلسيّ (فى شرح المفصل) : قيل إنَّ معنى البيت أنَّ نفسه طابت لإصابة الشِّدَّة ، من أجل أنَّ هذين القاصدَين له بالشدَّة أُصابتهما مثلُها . وفى البيت إشكالٌ ، فإنَّ الضغم عبارةٌ عن الشدّة ، فإذا قدَّرت إضافتها إلى المفعولِ وهو الظاهر وجَبَ أن يكون ضميرُها فاعلاً فى المعنى ، فلا يستقيم لوجهين : أحدهما : أنَّها ليست من ضمائر الرفع . والآخر : أنّ ضمائر الرفع لاتأتى بعد ضمير المفعول [١] .فالوجه أنْ يقال إنّ الضَّغم بمعنى الإصابة ، أضيف إلى الفاعل الذى هو ضمير التثنية ، ثمَّ ذكر بعد ذلك المفعول ، فكأنه قال : لإصابة هذه الشدة التى عبرَّ عنها بالضَّغمة أوّلاً . هذا كلامه .

ونقل ابن المستوفِى (عن حواشى المفصل) أنّه قال فى الحواشى : هما عائدان للأسد والضبع ، وقيل للأسد والذئب ، و«ها» للضغمة [٢] . ووجدت فى موضعٍ آخر من الحواشى قال : الضمير الأوّل يرجع إلى الذئب والضبع ، والثانى إلى النفس. وهذا أشبه من الأوّل، إلاّ أنَّه مع وجود مايعود إليه ضمير الاثنين من قوله قرينين كالذئبين،لاحاجة إلى أن يذكر ماذكره من الأسد والضّبع،أو الأسد [٣] والذئب؛لعدم [٤] ذكرهما فى الشعر.والذى أراه أنَّ معنى البيت:إنَّ نفسى قد طابت أن تصيبها ضغمةٌ بهذه الصِّفة لأجل ضغمهما

(١) ط : «أحدهما أنها ليست من ضمائر الرفع لأنها لاتأتى بعد ضمير المفعول» . وقد تنبه ناشر الأولى لهذا النقص . والتكملة هنا من ش .

(٢) ش : «وهما للضغمة» ، صوابه فى ط .

(٣) ط : «والأسد» ، صوابه فى ش .

(٤) ط : «تقدم» ، صوابه فى ش .

إياها ، إذْ ليسَا من نظرائى وأشكالى . فيكون موضع لام لضغمهماهَا نُصِبَ على أنّه مفعول له ، وموضع هما رُفِعَ بالفاعلية ، وموضع ها نصب بالمفعوليّة . هذا كلامه .

وقال ابن الحاجب (فى أماليه) ، ونقله شارح (اللباب) : يقول : طابت نفسى للشدَّة التى أصابتنى لوقوع القاصد لى بها فى أعظمَ منها . والضَّغمة عبارة عن الشدّة ، وهما اثنان قصداه بسوء فوقعاَ فى مثل ماطلباه له . وجَعَل من أفعال المقاربة ، ولضغمة معمول لتطيبُ إعمالَ الفعل فى مفعوله ، وليست بمعنى المفعول من أجله ، لأنّه لم يُرِدْ [١] أنَّها لأجل الضغمة، وإنَّما طابت بها .والتعليل هو قوله لضغمهماها ، أى طابت نفسى لما أصابنى من الشدة لإصابة مَنْ قصدنى بمثلها . والضَّغمة : العضَّة ، فكنى بها عن المصيبة . ويقال ضَغَمَ الشِّدَّةَ وضَغَمَتْه . وجاء البيت على الوجهين . فقوله : لضغمةٍ من قولهم عضَّته الشدة ، لقوله : يقرع العظمَ نابُها . وقوله : لضغمهماها من قولهم : عضضت الشِّدَّة ، لأنّ الفاعل ههنا ضمير مَنْ أصابها ، وضمير المفعول ضميرها ، أى لضغمهما إيّاها ، فهى معضوضةٌ لاعاضّة ، لمجيئها مفعولةً لا فاعلة . ويجوز أن يكون الموضعان من ضغمْتُ الشِّدَّةَ لا ضغمتنى ، ويكون قوله : يقرع العظم نابها مبالغةً فى أنّه عض الشِّدّة عضاً قويًّا بليغًا ، منتهى مايبلغه العَضّ . وكنى ببلوغ الناب العظمَ عن ذلك .

٤١٨

وموضع استشهاده مجىء الضميرين الغائبين متَّصلين وليس أحدهما فاعلاً وهما:ضمير الفاعلين ،وهو قوله له،وضمير الضغمة وهو قولك ها . وهو شاذّ،والقياس فى مثله ضغمهما إيّاها،كراهَة اجتماع ضمائر الغائبين البارزة من

(١) ط : « لم يرو » صوابه فى ش .

جنس واحد ، بخلاف مالو اختلفا . والضمير الأوّل فى موضع خفضٍ بالإضافة ، وهو فاعلٌ فى المعنى،والضمير الثانى فى موضع نصب على المفعولية بالمصدر ،أى لأنْ ضَغَماها . ويقرع العظم نَابها فى موضع صفة ، إما لِضَغْمةٍ الأولى وفصَل للضرورة بالجارّ والمجرور الذى هو لضغمهماها ، ويضعف لأجل الفصل بين الصفة والموصوف بالأجنبىّ ، وهو غير سائغ . وإمَّا فى موضع صفةٍ لمعنى قولك ها ، إذ معناه لضغمهما مثلها ، إذ الأولى لم تصب هذين وإنَّما أصابهما مثلُها ؛فهو فى المعنى مُراد . ومثل نكرةٌ وإن أضيفت الى المعرفة ، فجاز أن توصف بالجملة . ويجوز أن يكون يقرع العظم نابها جملة مستأنفة لتبيين أمْر الضغمة فى الموضعين جميعا ، فلا موضع لها من الإعراب ؛ لأنَّها لم تقع موضع مفرد . ومايُتوَهَّم من أنَّ لضغمهماها مضافَ إلى المفعول وها فى المعنى فاعل ، فيؤدى إلى أنَّه أضاف إلى المفعول وأتى بعده بالفاعل بصيغة ضمير المنصوب ـــ مندفعٌ بما تقدَّم ، من أنَّه لم يرد أنَّ الشدة عضت ،وإنَّما أراد أنهما عضَّا الشدة ، إذ لايستقيم [١] أن يضاف المصدر إلى المفعول ويؤتى بالفاعل بصيغة ضمير المنصوب باتّفاق ، فوجب حملُه على ماذكرناه ، دفعاً لما يلزم مما أجمع على امتناعه . ا هـ كلامه .

وهذا كلُّه مبنىٌّ على خلاف التحقيق ، ومنشؤه عدم الاطِّلاع على الأبيات وسببها ، وكذلك قول بعض فضلاء العجم (فى شرح شواهد المفصل) إن قوله لضغمهماها بدلٌ من قوله لِضغمةٍ .

والضمير الأوّل فى لضغمهماها للسَّبُعين .

وأما الثانى فقال صاحبُ (التحبير[٢] ،والإيضاح[٣]):لضغمة.ووافقهما

---

(١) فى النسختين : «إذ يستقيم» ، والوجه ماأثبت . وقد تنبه إلى هذا مصحح المطبوعة الأولى .

(٢) ش : «التخمير» . وقد ورد بهذا اللفظ فى الخزانة ٤ : ١١٩ ، ٢٦٣ بولاق . وهو لصدر الأفاضل الخوارزمى .

(٣) الإيضاح شرح لابن الحاجب على المفصل .

فى ذلك صاحب (الإقليد [١] ،والموصَّل [٢]) .وقال صاحب (المقتبس [٣]) : هو لنفسى . وتابعه فى ذلك صاحب (المقاليد [٤]).

وقوله : لضغمهماها مصدر مضاف إلى الفاعل على الوجهين ، إلَّا أنَّ المفعول فى الوجه الأَوّل يكون محذوفا وهو النفس ، وفى الثانى يكون مذكوراً . هذا كلامه .

وأغرب من هذا كله قول (شارح اللب السيِّد عبد الله) لضغمةٍ مفعول تطيب على أنّه مفعول به لا مفعول له . وقوله : لضغمهماها ، هو المفعول له . أىْ جعلت تطيب لضغمةٍ سبع يقرع العظمَ نابُ تلك الضغمة ، لضغمة هذين السَّبُعين النفس . والمراد به أنَّ ضغمة سبع واحدٍ أهوَنُ من ضغمة سَبُعين. اهـ

وقد لخَّص ابن هشام (فى شرح شواهده) هذه الأقوالَ فقال : وفى معنى البيت وتوجيهه أوجه :

أحدها:أنَّ الضغمة الأُولى له والثانية لهما ، أى نفسه طابت لأن يوقع بهما مصيبةٌ عظيمة لأجل ضغمهما إيّاه مثلَها.واللام من لضغمة تتعلَّق بتطيب،وهى لام التعدية،واللام من لضغمهما متعلق بضغمةٍ أو بجعلت أو بتطيب،وهى لام العلّة.وضمير التثنية فاعل،وضمير المؤنَّث مفعول مطلق.والمعنى ٤١٩

(١) الإقليد شرح على المفصل ، للتاج أحمد بن محمود بن عمر الخجندى .

(٢) الموصل من شروح المفصل . قال الميمنى فى الإقليد ١١٧ : «لعله كما فى الكشف لحسام الدين حسين بن على الصغناق ؟ المتوفى سنة ٧١٠ جمع فيه بين الإقليد والمقتبس» .

(٣) المقتبس هذا من شروح المفصل ، واسمه «المقتبس ، فى توضيح ما التبس» ، وهو للفخر الإسفيذرى المتوفى سنة ٦٩٨ .

(٤) لعله هو الإقليد ، أو هما كتابان .

لضغمهما إيّاى ضغمةً مثلَها ، فحذف المفعول به والموصوف وأناب عنه صفته ، ثم حذف المضاف وأناب عنه المضاف إليه ووصّله شذوذاً .

الثانى : أن يكون المعنى كذلك ، لكن يكون ضمير المؤنث عائداً على الصفة المتقدّمة فى اللفظ ، والمراد غيرها ، على حدِّ قولهم : عندى درهم ونصفه .

الثالث : أنَّ الضَّغمتين كلتيهما من فعل المتكلم ، أى جعلت نفسى لأجل إيذائهما لى تطيب لإيقاع ضغمةٍ بهما يقرع العظم نابُها ، لشدة ضغمهما [١] إيّاها ، فحذف المضافين : الشدَّة المضافة إلى الضغمتين ، وياء المتكلم المضاف إليها الضغمتان ، وهى فاعل المصدر . فاللامُ الأُولى متعلقة بتطيب ، والثانية متعلقة بيقرع .

الرابع : أنَّ الضغمتين للمتكلّم وأنَّ الثانية على تقدير ياء المتكلم كما تقدَّمَ ، ولكن الثانية بدل من الأُولى بإعادة الجارّ . فاللامان للتعدية ، والتقدير لأنْ أضغَمهما ضغمة يقرع العظمَ نابها .

الخامس : أنَّ الضَّغمة الأُولى لأجنبيّ والثانية لهما ، أى تطيب لأن يضغمنى ضاغمٌ ضغمةً يقرع العظم نابها لضغمهما إيّاىَ مثلها ، كما تقول : طابت نفسى بالموت لما نالنى من أذَى فلان . واللام الأُولى للتَّعدية والثانية للتعليل .

وراجحُ الأوجُهِ الثالثُ ؛ لأنَّ السِّيرافى روى : «تهُمُّ بضغمةٍ علىّ علَى غيظٍ » ، ولأنَّ بعضَهم روى :« لضغمة أعضَّهماها » . وضمير نابها راجعٌ للضَّغمة إمَّا على أنّه جعل لها ناباً على الاتساع ، والمراد صاحبها ، أو على أنَّ التقدير نابُ صاحبها ، ثم حذفِ المضاف . اهـ

---

(١) ط : «ضغمتها» ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

وقال ابن يَسعُون [١] (فى شرح [٢] شواهد الإيضاح) :استشهد به أبو علىّ على وقوع الضَّمير المتّصل موقع المنفصل ، لأن مجىء الضمير المنفصل مع المصدر أحسن ، والمصدر هو لضَغمهما ، وهو مضاف إلى هما ، وهما فى المعنى فاعلان ، والمفعول المضْغوم محذوف . ولو ذكره مع ها المتَّصلة العائدة على ضغمة لقال لضغمهماها إيّاى . ولو أتى بضمير الضغمة منفصلاً على الوجه الأحسن لقال لضغمهما إيّاى إيّاها ، فكان يتقدم لوجهين : أحدهما لأنّه ضمير المخاطب وهو أولى بالتقدم من ضمير الغائب . والوجه الثانى أنّ إيّاى ضمير المفعول به ، وإيّاها ضمير المصدر ، وهى فضلةٌ مستغنًى بما هو آكَدُ منها ، وكان الأصل لضغمهما إيّاى مثلها ، أى مثل تلك الضغمة ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، فكان ينبغى أن يأتىَ بالضَّمير المنصوب المنفصل . وحذفُ المفعول مع المصدر إذا كان معه الفاعل كثيرٌ ، كما قد يحذف معه الفاعل أيضاً .

هذا ماوقفت عليه .

مغلس بن لقيط

ومغلِّس بن لَقيط : شاعرٌ من شعراء الجاهلية ، وهو بضم الميم وفتح الغين المعجمة وكسر اللام المشددة . ولقيط بفتح اللام وكسر القاف . ومَعْبَد بفتح الميم الموحدة وسكون العين المهملة .

وكون الشعر لمغلِّس بن لقيط المذكور هو ماقاله الأعلم . قال : واسم هذا الشاعر مغلِّس بن لقيط الأسدى . والرجلان من قومِه ، وهما مدرك ، ومُرّة.

وكذا قال السيرافى ، لكنّه قال:هو لمغلّس بن لَقيط الأسدى، من ولد مَعبَد بن

---

(١) اسمه يوسف بن يبقى بن يوسف بن يسعون التُّجيبى الباجلى المتوفى فى حدود ٥٤٠ . وكتابه هو « المصباح ، فى شرح ماأعتم من شواهد الإيضاح ».

(٢) كلمة «شرح» ساقطة من ط . وإثباتها من ش .

نَضْلَة ، يعاتب فيه مُدرِك بن حصن ، ومُرّة بن عَدّاء ، ويذكر أخاه أُطَيط بن لقيط.

٤٢٠ وقال العَيْني : هو لمغلّس بن لقيط بن حبيب بن خالد بن نضلة الأسديّ ، جاهليٌّ ، هو وأخواه:بَعثر ونافع ابنا لقيط شعراء . وهو من قصيدة هائية يرثى فيها أخاه أُطيطا [1] ، ويشتكى من قرينَين له يُؤذيانه . وقيل هما ابنا أخيه ، وهما مدرك ، ومرة . اهـ

نسبة أخرى للشاهد

ونسب ابنُ الشجرى (فى أماليه) ، وتبعه شارح (اللباب) ،هذا الشعرَ إلى لقيط بن مُرة ، قال : رثَى فيه أخاه أطيطا ، وهجا مُرّة بن عَدّاءٍ ومُدركَ بن حِصْن الأسديِّين.

وقال ابن هشام (فى شرح شواهده) : هو لمغلّس [2] بن لقيط السَّعدى لا الأسديّ ، وكان له ثلاثة أخوة : مُرّة ،ومدرك ،وأطَيط وكان أبرَّهُمْ به ، فمات وأظهر الأخَوانِ عداوته وآذياه ، فقال يرثيه ويشتكى من أخويه . وقيل هما ابنا أخيه المذكور ، وقيل أجنبيَّان .

هذا ماوقفتُ عليه ، والله أعلم بحقيقة الحال .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التسعون بعد الثلثمائة [3]:

٣٩٠ (لئنْ كان إيَّاهُ لقدْ حالَ بَعْدَنا

عن العَهدِ ، والإنسانُ قد يتغيَّرُ)

على أنّ المختار فى خبر كان وأخواتها إذا كان ضميرا ، الانفصال كما هنا؛ لأنَّه خبر ، والأَصل فى الخبر الانفصال .

---

(١) ش : «شعراء يرثى أخاه أطيطا» بسقوط «فيها» و «وهو من قصيدة هائية» .

(٢) ط : «هو المغلس» ، وأثبت مافى ش .

(٣) ديوان عمر بن أبى ربيعة ٨٦ وابن يعيش ٣ : ١٠٧ والمقرب ١٦ والعينى ١ : ٣١٤ والتصريح ١ : ١٠٨ والأشمونى ١ : ١١٩ .

وقال بدر الدين (فى شرح ألفية والده) : الصحيح اختيارُ الاتِّصال لكثرته فى النظم والنَّثر الفصيح .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ لعُمَر بن أبى ربيعة . وقبله :

أبيات الشاهد

(أَلِكْنِى إليها بالسَّلامِ فإنّه يُشهَّر إلمامى بها وينكَّرُ
بآيةِ ماقالت غداةَ لقيتُها بمَدفع أكنانٍ : أهذا المشهَّرُ
قفى فانظرِى أسماءُ هل تعرفينه أهذا المُغِيرىُّ الذى كان يُذكرُ
أهذا الذى أطريتِ ذِكْراً فلم أكنْ وعَيْشِك أنساهُ إلى يومَ أُقبرُ
فقالت:نعمْ لاشَكَّ غيَّر لونَه سُرَى اللَّيلِ يُحيى نصَّهُ والتهجُّرُ
لئن كان إياه لقد حَالَ بَعْدَنا ... البيت)

قوله : «أَلِكنى» أى كنْ رسولى وتحمَّلْ رسالتى إليها .

وقوله : «قفى» أمرٌ من الوقوف ، والآمرة هى نُعْمٌ محبوبةُ الشاعر . « وأسماءُ » : صاحبة نُعْم . وأسماء منادًى بحرف النداءِ المحذوف . وروى أيضا:«قفى فانظرى ياأسم» وهو مرخَّم أسماء . وهذا على طريقته ، فإنَّه كثيراً مايتغزَّل بنفسه ، زعماً منه أنَّ المخدَّرات يعشِقْنه لحسنه وجماله ، وقد عيب عليه . والهاء فى «تعرفينه» ضمير الشاعر وهو عمر ، كما أنَّ المغيرىَّ عبارةٌ عنه . قال الخُوارَزمى : المغيرىُّ منسوبٌ إلى المغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم [1] وهو من أجداده .

وقوله: «وعيشك أنساه» ،الواو للقسم ، والجملة معترضة بين لم أكن وبين خبره وهو جملة أنساه. وسُرَى الليل فاعل غَيَّر ،والتهجُّر معطوف عليه ،

---

(١) ش : « ابن عمرو بن مخزوم » ، صوابه فى ط وجمهرة ابن حزم ١٤٤ وكتاب نسب قريش للزبيرى ٢٩٩ .

وهو السَّير فى الهاجرة . ويُحيِي : مضارعٌ معلوم من الإحياء ، وفاعله ضمير المغيرىّ ، ونصَّه مفعولُه .

وقوله :«قفى فانظرى» إلى آخر البيتين من مقول قالت : وزعم بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) أنَّ البيتين من مَقُول الشاعر ، فإنّه قال : والمعنى قلت لحبيبَتى أسماء : قفى ياأسماءُ فانظرى وتأمَّلى هل تعرفين هذا الرجل الذى ترينَه ؟ يريد به نفسه . ولما قال لها ذلك توهَّمتْه فقالت متعجِّبة متفكِّرة لفرط تغيُّره : الذى تَراه عمرُ المُغيرىُّ الذى كان يذكر عندنا ؟ والله لئن كان المغيرىُّ إيّاه لقد حال وتغيَّر عما عهدناه ، فإنَّه [١] عهدناه شابًّا وقد كبر ، وعهدناه ناضراً طريًّا وقد حال عن ذلك ! ثم قالت تسليةً له : والإنسان قد يتغيَّر عن حالٍ إلى حال ، فلا تحزن . ويجوز أن يكون هذا مقول الشاعر ، قال ذلك نفياً لتعجُّبها مما استعظمته من تغيُّره بعدها . أى إنَّ الإنسان يتغيَّر فلا تتعجبى .اهـ . وفيه مالا يخفى .

٤٢١

وقوله : (لئن كان) إلخ اللام موطئة للقسم ، واسم كان ضمير المغيرىّ وإياه خبرها ، وجملة (لقد حال) إلخ جواب القسم المحذوف ، وقد سدَّ مسَدَّ جواب الشرط .وحال بمعنى تغيرَّ ، من قولهم : حالت القوس ، أى انقلبت عن حالها التى عَمِرت عليها ، وحصل فى قالبها اعوجاج . و(بعدنا) متعلّق بحالَ . وكذلك قوله : (عن العهد) ، أى عمَّا عهدنا من شبابه وجماله . وجملة (والإنسان قد يتَغيرَّ) حالية . ومثله قول كُثيِّر عزَّة :

وقد زعمَتْ أنِّى تغيرَّتُ بعدَها
ومن ذا الذى ياعزَّ لايتغيَّرٌ

---

(١) ش : « فانا » .

وهذه القصيدة عدة أبياتها ثمانون بيتا أوردها القالىُّ (فى أماليه [١])، ومحمد بن المبارك بن محمد بن ميمون (فى منتهى الطَّلب من أشعار العرب) .

وقد أنشد المبرد أبياتاً منها (فى الكامل)[٢] وقال : يروى من غير وجه أنَّ ابن الأزرق [٣] أتى ابنَ عباسٍ رضى الله عنه يوماً ، فجعَلَ يسأله حتى أملّه ، فجعل ابن عباس يُظهر الضَّجَر ، وطلع عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة على ابن عباسٍ وهو يومئذٍ غلام ، فسلَّم وجلس ، فقال له ابن عباس : ألا تنشدنا شيئاً من شعرك ؟ فأنشده :

أمِن آل نُعمٍ أنتَ غادٍ فَمُبْكرُ
غداةَ غدٍ أم رائحٌ فمهجِّرُ

حتَّى أتَمَّها،وهى ثمانون بيتا ، فقال له ابن الأزرق : لله أنت ياابن عبَّاس،أنضرِب إليك أكبادَ الإبل نسألك عن الدين فتُعرِض ، ويأتيك غلامٌ من قريش فيُنشدك سفهاً فتسمعه ! فقال : تالله ماسمعت سفها . فقال ابن الأزرق : أمَا أنشدَك :

رأتْ رجلاً أيْمَا إذا الشمسُ عارضَتْ
فيخزَى وأما بالعشىِّ فيخْسَرُ

فقال : ماهكذا قال ، إنما قال :

* فيضحى وأما بالعشىِّ فيخصَرُ *

---

(١) انظر الأمالى ٣ : ١٤١ حيث ذكر صدر مطلع القصيدة .

(٢) الكامل ٥٧٠ . وانظر ديوان عمر ٨٤ — ٩٥ .

(٣) هو نافع بن الأزرق الحرورى ، الذى تنسب إليه طائفة الأزارقة ، وله أسئلة عن ابن عباس مجموعة فى جزء من روايته ، وأخرج الطبرانى بعضها فى مسند ابن عباس من المعجم الكبير ، وكان مقتله سنة ٦٥ . لسان الميزان .

قال : أوَ تحفظ الذى قال ؟ قال : والله ماسمعتها إلا ساعتى هذه ، ولو شئت أن أردَّها لرددتها . قال : فاردُدْها . فأنشده إياها . وروى الزُّبيريون أن نافعا قال له : مارأيت أروى منك قطُّ ! فقال ابن عباس : مارأيت أروى من عمر ، ولا أعلم من على . انتهى كلام المبرد .

وفى هذه القصيدة أبيات شواهدُ فى هذا الشَّرح وغيره ، لابأس بإيرادها هنا . وهى هذه :

قصيدة الشاهد

(أمِنْ آل نُعمٍ أنت غادٍ فمُبْكرُ ... غداةَ غدٍ أم رائحٌ فمهجِّرُ (١)

بحاجةِ نفسٍ لم تَقُلْ فى جوابها ... فتبلغَ عُذراً والمقالةُ تُعــذِرُ

نَهيمُ إلى نعمٍ فلا الشَّمْل جامعٌ ... ولا الحبلُ موصولٌ ولا القلب مُقْصِرُ (٢)

ولاقربُ نعمٍ إذْ دنت لك نافعٌ ... ولا نأيُها يُسلى ولا أنت تصبرُ

وأُخرى أتت من دونِ نُعم ومثلُها ... نَهَى ذا النهى ،لو ترعوى أو تفكِّرُ (٣)

إذا زرتُ نُعماً لم يزل ذو قرابةٍ ... لها كُلَّما لاقيتها يتنمَّــرُ

عزيزٌ عليه إن أَلِمّ بِبَيتها ... مُسِرٌّ لى الشَّحناءَ ،للبغضِ مظهرُ (٤)

---

(١) ط : «أورائح» ، وأثبت مافى الديوان وش مع أثر تصحيح.

(٢) فى الديوان والكامل : « تهيم » بالتاء .

(٣) ط : «لو يرعوى أو تفكر» ، والوجه توحيد حرف المضارعة كما فى ش . وفى الديوان والكامل : «لو يرعوى أو يفكر» .

(٤) فى الديوان : « والبغض يظهر » . وفى الكامل : « والبغض مظهر » .

٢٤٢

أَلِكْنى إليها بالسَّلام فإنَّه يُشَهَّرُ إلمامى وبها وينكَّرُ
على أنَّها قالت غداةَ لقِيتها بمَدفع أكنانٍ : أهذا المشهَّرُ
قفى فانظرى ياأسمَ هلْ تعرفينه أهذا المغيرى الذى كان يذكَرُ
أهذا الذى أطريتِ نعتا فلم أكُنْ وعيشِك أنساهُ إلى يومَ أقبرُ (١)
لئن كان إياهُ لقد حالَ بَعدَنا عن العهد ، والإنسان قد يتغيَّرُ
فقالت : نعم لاشكَّ غيرَّ لونَه سُرى الليل يُحيى نصَّه والتهجُّرُ
رأتْ رجلاً أمّا إذا الشمسُ عارضَتْ فيَضحَى وأمّا بالعَشِيِّ فيَخصَرُ
أخا سفرٍ جوابَ أرضٍ تقاذفتْ به فَلَواتٌ فهو أشعثُ أغبرُ
قليلٌ على ظهر المطِيَّةِ ظِلُّه سوى مانَفَى عنه الرِّداء المُحَبَّرُ
وأعجبَها مِن عيشها ظلُّ غُرفةٍ وريَّانُ ملتفٌّ الحدائقِ أنضرُ (٢)
ووالٍ كفاها كلَّ شيءٍ يُهِمُّها فليست لشيءٍ آخرَ الليل تسهرُ
وليلةَ ذى دَوْران جشَّمْتِنِى السُّرى وقد يَجشَم الهولَ المحبُّ المغرَّرُ (٣)
فبتُّ رقيباً للرِّفاق على شَفاً أراقبُ منهم من يطوف وأنظرُ (٤)
إليهمْ ،متى يستأخِذُ النَّومُ فيهم ولى مجلسٌ لولا اللُّبانةُ أوعرُ (٥)
وباتت قَلوصى بالعَراءِ ورحْلُها لطارقِ ليلٍ أو لمن جاءَ مُعْوِرُ

---

(١) ط : «فلم أكد» ، وأثبت ماق ش والديوان والكامل .

(٢) فى الديوان : « أخضر » .

(٣) ط والديوان : « جشمنى السرى » ، وأثبت ماق ش .

(٤) فى الديوان : « أحاذر منهم » .

(٥) الديوان : « متى يستمكن » .

فبتُّ أناجى النَّفسَ أين خِباؤُها ... وأنَّى لما تأتى من الأمر مصدرُ (١)
فدلَّ عليها القلبَ نارٌ عرفتها ... بها ، وهوى الحب الذى كان يظهرُ (٢)
فلمَّا فقدْتُ الصَّوتَ منهم وأُطفِئت ... مصابيحُ شُبّتْ بالعِشاء وأنوُرُ (٣)
وغاب قُميرٌ كنت أهوَى غيوبه ... وروَّح رُعيانٌ ونوَّمَ سُمَّرُ
ونفَّضت عنى النّومَ أقبلتُ مشيِة الـ ... ـحُباب ولكنِّى من القوم أزوَرُ (٤)
فحَيَّيتُ إذ فاجأتها فتولَّهتُ ... وكادت بمرفوع التحية تَجهَرُ (٥)
فقالت وعضَّت بالبنان : فضحتنى ... وأنت امرؤٌ ميسورُ أمرك أعسَرُ
أرَيْتَكَ إذْ هُنَّا عليك ألم تخَفْ ... رقيبا وحولى مِن عدوّك حُضَّرُ (٦)
فقلت:كذاكِ الحبُّ قد يحمِل الفتى ... على الهَوْل حتى يُستقادَ فيُنحرُ (٧)
فَوالله ماأدرى أتعجيلُ حاجةٍ ... سَرت بكَ أم قد نام مَن كنتَ تحذرُ
فقلت لها:بل قادنى الحبُّ والهوى ... إليكِ ، ومانفسٌ من الناس تَشعُرُ (٨)
فقالت وقد لانت وأفرخَ رُوعُها: ... كَلَاكَ بحفظِ ربُّكَ المتكبِّرُ
فأنتَ أبا الخطاب غيرَ مُنازَع ... علىَّ أميرٌ مامكثْتَ مؤمَّرُ (٩)

---

(١) الديوان : « وكيف لما آتى من الأمر » .

(٢) فى الديوان : « ربا عرفتها لها وهوى النفس الذى كاد » .

(٣) فى الديوان : « وأنوُر » بالهمز .

(٤) فى الديوان : « عنى الصوت » و « وشخصى خشية الحى أزور » .

(٥) الديوان : « بمخفوض التحية » .

(٦) فى الديوان : « لم تخف ، وقيت » .

(٧) هذا البيت لم يرد فى الديوان .

(٨) الديوان : « بل قادنى الشوق والهوى » .

(٩) الديوان : « غير مدافع » .

فبتُّ قريرَ العين أُعطِيتُ حاجتي ... أُقبِّل فاها في الخلاءِ فأُكثِرُ
فيالكَ من ليلٍ تقاصَرَ طولُه ... وماكان ليلي قبلَ ذلك يقصُرُ
ويالكَ من ملهىً هناك ومجلسٍ ... لنا لم يكدِّره علينا مكدِّرُ
يمجُّ ذكيَّ المسك منها مُفلَّجٌ ... نقيُّ الثنايا ذو غُروب مؤشَّرُ[1] ٤٢٣
يَرِفُّ إذا تَفترُّ عنه كأنّه ... حَصَى بَردٍ أَوْ أُقحوانٌ منوِّرُ[2]
وترنو بعينيها إلىَّ كما رنا ... إلى ظبيةٍ وسْطَ الخميلة جوْذُرُ
فلمَّا تقَضَّى الليلُ إلاّ أقلَّه ... وكادت توالى نَجمِه تتغوّرُ
أشارت بأَنّ الحيَّ قد حان منهمُ ... هُبوبٌ ولكنْ موعدٌ لك عَزْوَرُ
فما راعني إلاّ منادٍ : تَحمَّلوا ... وقد شُقَّ معروفٌ من الصُّبح أشقرُ
فلمَّا رأتْ من قد تَنوَّر منهمُ ... وأيقاظَهمْ قالت: أَشِرْ كيفَ تأمرُ[3]
فقلتُ: أُباديهمْ فإمَّا أفوتُهم ... وإمّا ينالُ السَّيفُ ثأراً فيثأرُ
فقالت : أتحقيقٌ لما قالَ كاشحٌ ... علينا، وتصديقٌ لما كان يؤثَرُ[4]
فإنْ كان ما لا بدَّ منه فغيرُه ... من الأمر أدنى للخفاء وأسترُ
أُقُصُّ على أُختىَّ بَدءَ حديثِنا ... وما بىَ من أن تَعلما متأخَّرُ[5]
لعلّهما أن تبغيا لك مَخرجاً ... وأنْ تَرحُبا سِرْباً بما كنتُ أحصَرُ[6]
فقامت كئيباً ليس في وجهها دمٌ ... من الحُزن تُذْرِي عَبرةً تتحدَّرُ[7]

(١) الديوان : « ذكي المسك منها مقبل » .
(٢) الديوان : « تراه إذا مافتر عنه » .
(٣) الديوان : « من قد تنبه » .
(٤) الديوان : « أتحقيقا » و « وتصديقا » .
(٥) الديوان : « ومالى من أن تعلما » .
(٦) الديوان : « أن تطلبا لك مخرجا » .
(٧) ط : « تدنى » ، صوابه من الديوان ومن ش مع أثر تصحيح .

فقالت لأختيها :أعِيناَ على فتىً أتى زائراً ،والأمرُ للأمر يقـدَرُ
فأقبَلَتَا فارتاعتـــا ثُمَّ قالتـــا أقِلِّى عليكِ اللّومَ فالخطبُ أيسَرُ
فقالت لها الصُّغرى :سأُعطِيهِ مُطْرَفى ودِرعى وهذا البُردَ ، إنْ كان يَحذرُ
يقـومُ فيـمشى بيننـا متنكّـراً فلا سرُّنا يفشُو ، ولاهو يَظهرُ
فكان مَجِنّى دونَ مَن كنتُ أتَّقى ثلاثُ شخوصٍ : كاعبانِ ومُعصِرُ
فلمَّا أجَزْنا ساحةَ الحىِّ قُلن لى: أمَا تتّقى الأَعداءَ والليلُ مقُمِرُ
وقُلن : أهذا دأبُك الدَّهرَ سادراً أمَا تستحِى أو تَرعوِى أو تفكّرُ
إذا جئتَ فامنَحْ طرفَ عَينِكَ غيرَنا لكى يَحسِبوا أنَّ الهوى حيث تَنظرُ
على أنَّنى يانُعْمُ قد قلتُ قَولةً لها، والعتاقُ الأرحَبيَّاتُ تُزْجَرُ (١)
هَنِيئاً لبعلِ العامريةِ نَشرُها الـ ـلّذيـذُ وريَّاهـا الـذى أتذكَّــرُ
فقمتُ إلى حرفٍ تخوَّنَ نَيَّها سُرى الليل حتَّى لحمُها يتحسَّرُ (٢)
وحَبْسى على الحاجاتِ حتَّى كأنَّها بقيَّـةُ لَوحٍ أو شجـارٌ مؤسَّرُ
ومـــاءٍ بمومـــاةٍ قليـــلٍ أنـــيسُه بسَابسَ لَم يَحْدُثْ بها الصَّيفَ مَحضرُ (٣)
به مُبتَنًى للعنكبـوتِ كأنَّـه على شَرَفِ الأرجاء خامٌ منشَّرُ (٤)
وردتُ وماأدرى: أمَا بعد مَوردى من اللَّيل أمْ ماقد مضَى منه أكثرُ

---

(١) الديوان : « سوى أننى قد قلت يانعم قولة » .

(٢) الديوان : « متحسر » .

(٣) الديوان : « لم يحدث به » .

(٤) الديوان : « على طرف الأرجاء » .

فطافت به مِغْلاةُ أرضٍ تخالُها إذا التفتَتْ مجنونةً حينَ تنظُرُ [١]
تُنازِعنى حِرصاً على الماء رأسَها ومِن دون ماتهوَى قَليب مُعوَّرُ
مُحاوِلةٌ للوردِ لولا زمامُها وجَذْبى لها كادتْ مراراً تَكسَّرُ [٢]
فلما رأيتُ الضَّرَّ منها وأنَّنى ببلدةِ أرضٍ ليس فيها مُعصَّرُ ٤٢٤
قَصرتُ لها من جانب الحوضِ مُنْشأً صغيراً كقِيدِ الشِّبرِ أو هو أصغرُ
إذا شرعَتْ فيه فليس لملتقَى مَشافِرها منه قِدَى الكفِّ مَسْأَرُ [٣]
ولا دَلْوَ إلاَّ القعبُ كان رِشاءَه إلى الماء نِسعٌ والجديلُ المضفَّرُ
فسافَتْ وماعافت وماصَدَّ شِربَها عن الرىِّ مطروقٌ من الماء أكدرُ

هذا آخر القصيدة . وقد شرح العَينىّ ألفاظَها اللغويَّة إجمالا .

وقوله : « رأت رجلاً أمّا إذا الشمس عارضَت » البيت ، أورده الشارحِ المحقِّق فى حروف الشرط من أواخر الكتاب ؛ ويأتى إن شاء الله شرحُه هناك .

وقوله : « فكان مجنِّى دون من كنت أتَّقى » . البيت ، أورده أيضا فى باب العدد .

وقوله : « إذا جئتَ فامنحْ طرفَ عينِكَ غيرنا » البيت ، أورده ابن هشام (فى المغنى) فى حرف الكاف برواية : « كما يحسبوا » .

---

(١) الديوان : « فقمت الى مغلاة أرض كانها » .

(٢) فى النسختين : « كانت » ، صوابه من الديوان .

(٣) قدى الشىء ، بكسر القاف وفتح الدال : قدره ومقداره . ش : « قذى » تصحيف صوابه فى ط والديوان .

وعمر بن ربيعة قد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد السابع والثمانين من أوائل الكتاب [١].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والتسعون بعد الثلثمائة ؛ وهو من شواهد س [٢] :

٣٩١ (ليت هذا الليلَ شهرٌ   لانَرَى فيه عَرِيبَا

ليس إيَّاىَ وإيَّا   كِ ولا نخْشَى رَقِيبا)

لما تقدَّم قبله ، من أنَّ الفصل هو المختار فى خبر كان وأخواتها كما قال (لَيْسَ إيَّاى) ، ولو وصل لقال: ليسنى .

قال سيبويه : ومثل ذلك كان إيَّاه ، لأنَّ كانَه قليلةٌ ، لاتقول : كانَنى ولَيسنى ، ولا كانَكَ ؛ فصارت إيَّا ههنا بمنزلتها فى ضربى إيَّاك . قال الشاعر :

* ليت هذا الليل شهر * إلخ

وبلغنى عن العرب الموثوقِ بهم أنَّهم يقولون : ليْسنى ، وكذلك كَانَنِى . اهـ

قال الأعلم:الشاهد فى إتيانه بالضمير بعد ليس منفصلاً ،لوقوعه موقع خبرها والخبر منفصلٌ من المخبر عنه،فكان الاختيار فصلَ الضمير إذا وقع موقعَه.واتِّصاله بليس جائزٌ لأنَّها فعل وإنْ لم تقوَ قوَّة الفعل الصحيح.و«ليس»

(١) الخزانة ٢ : ٣٢ .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٨١ . وانظر المقتضب ٣ : ٩٨ والمنصف ٣ : ٦٢ وابن يعيش ٣ : ٧٥ ، ١٠٧ والهمع ١ : ٦٤ .

فى هذا البيت تحتمل تقديرين : أحدهما أن تكون فى موضع الوصف للاسم قبلها ، كأنَّه قال : لانرى فيه عَرِيباً غيرِى وغيرَكِ . والتقديرُ الآخرُ : أَن تكون استثناءً بمنزلة إلاَّ . وعَريب بمعنى أحد ، وهو بمعنى مُعْرِب ، أى لانرى فيه متكلِّما يخبر عنَّا ويُعرِب عن حالنا . اهـ

وقوله : (ليت هذا الليل شهرٌ) قال أبو القاسم سعيد الفارقى فيما كتبهُ (فى تفسير المسائل المشكلة) فى أوّل (المقتضب للمبرد) : وقد رُوِى فى «شهر» الرفع والنصب جميعا ؛ وهو عندى أشبَهُ بمعنى البيت . وكلاهما حسن . وقد قضينا هذا فى كتابنا (تفسير أبيات كتاب سيبويه) . اهـ

ولم يظهر لى وجهُ النصب (١) .

و(نرى) من رؤية العين . و(عريب) من الألفاظ الملازمة للنفى ، واسم ليس ضمير مستتر راجعٌ إلى عريب ، وإياى خبرها بتقدير مضاف ، أى ليس عريبٌ غيرى وغيرك ، فحذف غير وانفصل الضمير وقام مقامه فى النصب . تمنَّي أن تطول ليلتُه بمقدارِ شهر . وجملة (لانرى فيه) خبر ثان للَيْتَ (١) . وجمله (لانخشى رقيبا) معطوف عليه ، والرابط محذوف أى فيه . ويجوز أن يكون جملة لانرى صفةً لشهرٌ .

٢٥: وقال بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) : يقول لحبيبته ليت هذا الليل الذى نجتمع فيه طويلٌ كالشَّهر ، لانُبصر فيه أحداً ليس إيّاى

---

(١) كتب مصحح المطبوعة الأولى : « قوله ولم يظهر لى وجه النصب ، أقول:يمكن أن يوجه نصبه على أنه خبر لكان مقدرة أو منصوب على الظرفية متعلق بمقدر . والله أعلم.اهـ من هامش الأصل».

وإيّاك ، أى ليس فيه غيرى وغيرك أحد . وهو استثناءٌ لنفسه كما قال إلّاكِ (١) ، ولا نخاف فيه رقيبا .

صاحب الشاهد

وهذا الشعر نسبَه خَدَمَةُ كتاب سيبويه إلى عُمر بن أبى ربيعة المذكور آنفاً .

العرجى

ونسبه صاحبُ الأغانى ، وتبعه صاحب الصحاح إلى العَرْجى ، وهو عبد الله ابن عمر بن عَمْرو بن عُثمان بن عَفّان . نُسِب إلى العَرْج ، وهو من نواحى مكّة ، لأنّه ولد بها ، وقيل بل كان له بها مال ، وكان يقيم هناك . والله أعلم .

وتقدّمت ترجمة العَرجى فى الشاهد السادس من أوائل الكتاب (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والتسعون بعد الثلثمائة :

٣٩٢ (عَدَدتُ قَومى كعديد الطَّيْسِ إذْ ذهَبَ القومُ الكرامُ ليسِى)

على أنّه جاء متّصلا . قال الزّنجانى : هذا الشعر أنشده السِّيرافى ، وفيه شذوذٌ من وجهين : الأوّل : أنَّه أتى بخبر ليس متّصلا . والثانى : أنّه أسقط نونَ الوقاية ، وحقُّه أن يقال : ليسَنِي . اهـ

وأنشدهُ شُرّاح الألفية على أنَّ حذف نون الوقاية منه ضرورةٌ.

وكذلك حكم ابن هشام بأنّه ضرورة ، فى قد ، وفى النون (٤) (من المغنى) وقال (٥)فى (شرح شواهده):والذى سهّل ذلك مع الاضطرار أمور:

---

(١) يشير إلى الشاهد المعروف ، وهو الشاهد ٣٨٤ من هذا الجزء :

وما نبالى إذا ماكنتِ جارتنا ألا يجاورنا إلّاكِ ديار

(٢) الخزانة ١ : ٩٨ .

(٣) ابن يعيش ٣ : ١٠٨ وشرح شواهد المغنى ١٦٧ والتصريح ١ : ١١٠ واللسان (طيس) وديوان رؤبة ١٧٥ .

(٤) ط:«بأنه ضرورة فإنه قد ذكره فى النون» ، وأثبت مافى ش .وانظر المغنى فى (قد)،وفى (النون).

(٥) ش : «قال» ، بدون واو .

أحدها : أنَّ الفعل الجامد يشبه الأسماء ، فجاء ليسى كما تقول غلامى وأخى ، ومن ثمَّ جاز : إنَّ زيداً لعسى يقوم كما جاز لقائمٌ ، ولايجوز إنَّ زيداً لقام . وجاز أيضاً نحو : ﴿ وأنْ ليس للإنسان إلَّا ماسَعَى (١) ﴾ ، كما جاز : علمت أنْ زيدٌ قائم (٢) ولايجوز علمت أنّ قام ولا أنّ يقوم

والثانى : أنّ ليس هنا للاستثناء ، فحقُّ الضمير بعدها الانفصال ، وإنّما وصَله للضرورة كقول الآخر :

* أن لايجاورنا إلّاكِ ديّارُ *

والنون ممتنعة مع الفصل ، فترَكَها مع الوصل التفاتا إلى الأصل .

الثالث : أنَّ ليس (٣) بمعنى غير ، ولا نون مع غير . اهـ

واسم ليس هنا ضمير اسم الفاعل المفهوم من ذهب ، والتّقْدير : ليس هو إيّاى ، أى ليس الذاهب إيّاى .

وقال (شارح أبيات الموشح) : اسم ليس مضمر يرجع إلى الكريم المستفاد من الكرام . وفيه مالا يخفى .

وقال ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصل) : كذا أنشد العلماء هذا البيت . ويروى :

* عَهدِى بقومى كعديدِ الطَّيسِ *

وهو الصحيح . وأنشدَه الخليل (فى كتاب العين فى طيس) لرؤبة ، صاحب الشاه قال : الطَّيس : العدد الكثير . وأنشد البيتين لرؤبة .

واختلفوا فى تفسير (الطَّيْس) فقال بعضهم : هو كل ماعلى وجه الأرض من خَلق الأنام . وقال بعضهم : بل هو كلٌّ كثير النَّسل نحو النمل والذُّباب والهوامّ .

(١) الآية ٣٩ من النجم .

(٢) ش : « أن زيدا قائم » .

(٣) ط : « ليسنى » ، صوابه من ش مع أثر تغيير .

وقال غيره : الطَّيس : الكثير من الرمل والماءِ وغيرهما . وأراد به رؤية هنا الرّمل. اهـ

وكذلك أنشده ابن الأعرابيّ (فى نوادره) : «عهدت قومى» . ورواه بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصَّل) : «عهدى بقومٍ» ، وقال : أراد بقومٍ المنكَّرِ قومَه ، بدليل رواية قومى ، واللام فى القوم إشارة إليهم ، وهذا من باب وضع الظاهر موضعَ المضمر ، والأصل : إذ ذهبوا . وفائدته التوصُّل إلى وصفهم بالكرم . وقوله : « عهدى بقومٍ» مبتدأ خبره محذوف ،وهو حاصل . وقوله : (لَيْسى) استثناء لنفسه من القوم الكرام الذاهبين . يفتخر بقومه ويتحسَّر على ذهَابهم فيقول : عهدى بقومى الكرامِ الكثيرينَ مثلَ كثرةِ الرمل حاصلٌ إذْ ذهبوا إلاَّ إيَّاى . فإنِّى بقيتُ بعدهم خَلَفاً عنهم . ولايبعد أن يريد قوماً غير كرام ، فيكون المعنى : أرى قومًا كثيرا غير كرام إذْ ذهب الكرام غيرى . انتهَى كلامه .

٤٢٦

وهذا المعنى هو الظاهر دون الأوّل ، وهو معنى قول العينى : والمعنى عددت قومى وكانوا بعدد الرمل ، ومع تلك الكثرة مافيهم كريمٌ غيرى . وعليه فيكون العامل فى إذ : عدَدت ، أو عهِدت ، أو عهدى ، على الروايات .

وقال شارح (أبيات الموشح) : قوله : « كعديد الطيس » : حال من قومى . وقوله : إذ ذَهب ظرف ليسى . يقول : عهدى بقومى الكرام الكثيرين مثلَ كثْرةِ الرمل حاصلٌ ، وليس فيهم الآن كريم غيرى ، إذْ ذهب القوم الكرام وبقيتُ بعدهم خَلفاً عنهم . هذا كلامُه فتأمَّلْه .

وقال العينى : عديد الطيس صفةُ مصدرٍ محذوف ، تقديره : عَدًّا كعدد الطيس . والعديد بمعنى العدَد . يقال هم عديدُ الحصَى والثرى فى الكثرة .

وترجمة رؤبة تقدَّمت فى الشاهد الخامس من أوائل الكتاب [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والتسعون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد س [٢] :

٣٩٣ (فإنْ لا يَكُنْها أو تَكُنْه فإنَّه أخوها غذَتْه أُمُّه بِلِبانِها)

لما تقدَّمَ قبلَه من وصل الضمير المنصوب بكان ؛ والقياس : فإن لايكن إيّاها أو تكنْ إيّاه .

وأنشده سيبويه (فى أوائل كتابه) فى باب الفعل الذى يتعدَّى اسمَ الفاعل إلى اسم المفعول ، واسمُ الفاعل والمفعول فيه لشيءٍ واحد ، قال فيه : وتقول: كُنّاهم كما تقول: ضربناهم . وتقول : إذا لم نكنْهم فمن ذا يكونهم [٣] كما تقول : إذا لم نضربهم فمن يضربهم . قال أبو الأسود الدؤلى :

فإلاّ يكنْها أو تكنه فإنَّه . . . البيت

قال الأعلم : أراد سيبويه أنَّ كان لتصرُّفها تجرى مجرى الأفعال الحقيقية فى عملها ، فيتصل بها ضمير خبرها اتصالَ ضميرِ المفعول بالفعل الحقيقى فى نحو ضربتُه وضَرَبَنِى وماأشبَهَه .اهـ

وقبْل هذا البيت :

دع الخمرَ تشربْها الغُواةُ فإنَّنى رأَيتُ أخاها مُجزئاً لِمكانها [٤]

---

(١) الخزانة ١ : ٨٩ .

(٢) فى كتابه ١ : ٢١ . وانظر المقتضب ٣ : ٩٨ والإنصاف ٨٢٣ وابن يعيش ٣ : ١١٧ والمقرب ١٦ والعينى ١ : ٣١٠ والأشمونى ٣ : ١١٨ وديوان أبى الأسود الدؤلى ٨٢ .

(٣) فى النسختين : « إذا لم تكنهم » بالتاء ، وكذلك فيما يأتى « إذا لم تضربهم » ، صوابه من سيبويه .

(٤) وكذا فى اللسان (كون) والديوان . لكن فى الإنصاف والعينى : « بمكانها » .

سبب الشعر

قال شُرَّاح أبيات سيبويه ، وشراح أبيات أدب الكاتب : سببُ هذا الشعر أنَّ مولىً لأبى الأسود الدؤلى كان يحمل تجارة إلى الأهواز ، وكان إذا مضى إليها تناول شيئاً من الشَّراب ، فاضطرب أمرُ البضاعة ، فقال أبو الأسود هذا الشعر ينهاه عن شرب الخمر . فاسم يكنها ضمير الأخ و «ها» ضمير الخمر ، وهو خبر يكن ، واسم تكنه ضمير الخمر ، والهاء ضمير الأخ ، وهو خبر تكن . وأراد بأخى الخمر الزبيب . يقول : دع الخمر ولاتشربها ، فإنى رأيتُ الزبيب الذى هو أخوها ومن شجرتها مُغْنياً مَكانَها [(١)] ، وقائماً مَقامها ، فإلا يكن الزبيب الخمرَ أو تكن الخمر الزبيبَ فإنَّ الزبيب أخو الخمر ، غَذَتهْ أُمُّه بلبانها . يعنى أنَّ الزبيب شَرِب من عروق الكرمة كما شرب العنبُ الذى عُصِر خمراً . وليس ثمة لِبانٌ وإنَّما هو استعارة . كذا قال جماعةٌ ، منهم الجواليقى ، قال (فى شرح أبيات أدب الكاتب) : نهاه عن شرب الخمر ، وقال له : إنَّ الزبيب يقوم مقامها . فإن لم تكن الخمر نفسُها من الزبيب فهى أختُه ، اغتذتا من شجرةٍ واحدة .

٤٢٧ ومنهم ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) قال : أراد بقوله أخاها الزبيب ، وجعله أخا الخمر لأنهما من شجرةٍ واحدة .

ومنهم ابن هشام (فى شرح شواهده) قال : زعم مولى أبى الأسود أنه يشرب الخمر لحرارتها ، فأمره بأكل الزبيب فإنه أخوها ، أى ارتضَعَ معها من ثديٍ واحد ، أى إنَّه شرب من عروق الكَرْمة كما شرب العنبُ الذى هو أصلها .

وقال جماعة:أراد بأخى الخمر نبيذ الزبيب،منهم الأعلم قال:وصَفَ نبيذَ الزبيب وأطلقه على مذهب العراقيين فى الأنبذة،وحثَّ على شربه وَتَرْكِ الخمر

(١) ط : « لمكانها » .

بِعَيْنِها ، للإجماع على تحريمها . وجعلَ الزبيب أصلاً للخمر لأنَّ أصلَهُما الكَرْمة . واستعار اللِّبان لما ذكره من الأخوة .

ومنهم ابن السيد (فى شرح أبيات أدب الكاتب) قال : يعنى بأخيها نبيذ الزبيب . يقول : إن لم يكن الزبيبُ الخمرَ أو تكن الخمر الزبيبَ فإنهما أخَوَانِ غُذيا بلبَنٍ واحد ، ينوب أحدهما مناب الآخر .

ومنهم صاحب (فرائد القلائد) . قال : إنَّ أخاها نبيذ الزبيب ،يريد به الماء الذى نُبذ بزبيب ليصير حلواً من غير أن تشوبَه حرمة ، فإنه أخوها ، إلا أنه حلال وهى حرام .

وقد أنشده الزجاج (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿يسألونك عن الخمرِ والميْسِرِ [١] ﴾،قال : الخمر المجْمَعُ عليه . وقياسُ كلِّ ماعمل عملَها أن يقال له خمر ، وأن يكون فى التحريم بمنزلتها ، لأنَّ إجماع العلماء أنَّ القِمَار كلَّه حرامٌ، وإنما ذُكر الميسر من بينه . وجعل كله حراما [٢] قياساً على الميسر ، والميسر إنما كان قِماراً فى الجُزُر خاصَّة . فكذلك كلُّ ماكان كالخمر فهو بمنزلته . وتأويل الخمر فى اللغة : أنَّه ماستَرَ على العقل ، يقال لكل ماستر الإنسانَ من شجرٍ وغيره خَمَر بالتحريك . وماستره من شجر خاصَّة ضَراً [٣] ، مقصور . يقال : دخل فى خُمَار الناس [٤] ، أى فى الكثير الذى يستتر فيهم . وخِمَار المرأة قِناعُها ، وإنما قيل له خمار لأنه يغطِّيها . والخمرة بالضم : التى يُسْجَدُ عليها إنّما سمِّيت بذلك لأنها

---

(١) البقرة ٢١٩ .

(٢) كلمة «حراما» ساقطة من ش .

(٣) رسمت فى ش « ضرًى » بالياء . ولم يذكر القصر فى كل من اللسان والقاموس ، بل جعلاه ممدودا « الضَّراء » .

(٤) يقال بفتح الخاء وضمها كما فى القاموس . ومثله غمار الناس بضم الغين وفتحها .

تستر الوجه عن الأرض . وقيل للعجين : قد اختمر ، لأنَّ فطورته قد غطَّاها الخمر ، أعنى الاختمار . يقال قد أخمرت العجين وخمرته وفطرته . فهذا كُلّه يدلُّ على أنَّ كلَّ مُسْكِرٍ خمرٌ ، وكلُّ مُسكِرٍ مُخالطٌ العقل [١] ومغطٌ عليه . وليس يقول أحد للشَّارب إلا مخمور، من كل مسكر ؛ وبه خُمَار . فهذا بيِّنٌ واضح. وقد لُبِّس على أبى الأسود الدؤلى فقيل له : إنَّ هذا المسْكر الذى سمَّوه بغير الخمر [٢] حلال ، فظنَّ أنَّ ذلك كما قيل ، ثم ردَّه طبعُه إلى أن حَكَم بأنَّهما واحد ، فقال :

دع الخمرَ يشربها الغُواةُ... .. .. البيتين

وماذكره خلاف المعنى الذى ذكره الجماعة . وقد وافقه فى هذا المعني أبو القاسم عبد الرحمن السعدى الأندلسى ـــ وتُوفِّىَ بمصر فى سنة خمس وخمسين وخمسمائة ـــ (فى كتاب مساوى الخمرة) ،وهو كتاب ضخم ، وهو عندى فى جلدين ، قال فيه : وقد حرَّم الخمرَ والقِمار والزِّنى على نفسه فى الجاهلية عُفَيِّف بن مَعد يكربَ [٣] الكندىُّ بقوله :

وقالت لى : هَلُمَّ إلى التَّصابى فقلتُ : عففتُ عمَّا تعلمينا
وودَّعتُ القِداحَ وقد أُرانى لها فى الدَّهر مشغوفاً رهينا
وحرَّمتُ الخمورَ علىَّ حتَّى أكونَ بقعر ملحودٍ رهينا [٤]

أنت ترى كيف تفهَّمَ مافى القِمار من المشاركة للزنى والخمر،فى سُوء ٤٢٨

(١) ط : « يخالط » ، والوجه ماأثبت من ش للتناسق .

(٢) ط : «بعير الخمر» ، صوابه من ش .

(٣) ذكره ابن حبيب فى المحبر ٢٣٧ ، ٢٣٩ فيمن حرم فى الجاهلية الخمر والسُّكَر والأزلام . وذكر أن اسمه كان « شراحيل » ثم سمى عُفَيِّفا لتحريمه على نفسه ذلك . وانظر القاموس (عفف) حيث ضبطه .

(٤) فى المحبر : « لقعر ملحود رهينا » . والملحود : اللحد ، وهو القبر .

الذِّكر . ولاتنس قوله:« وحرِّمت الخمور » فأتى بها بلفظ الجمع ، إشارةً إلى اختلاف أجناسها ، كالخمر المتَّخَذة من ماء العنب ، ونبيذ الزبيب والتمر والشعير والحنطة والعسل ، وأمثال هذه ، إذ الكلُّ خمورٌ مختلفة الألوان والطُّعوم والأمزجة . وقد قال ابن شُبرُمة [1] منبِّها على اشتراك هذه كلِّها فى المَعْنَى :

يا أَخِلَّاءُ إنَّما الخمرُ ذيبُ وأبو جَعدةَ الطِّلاءُ المُرِيبُ
ونبيذُ الزبيب مااشتدَّ منه فهو للخمر والطلاءِ نسيبُ

وقال عَبيد بن الأبرص :

وقالوا هى الخمر تُكنى الطِّلاءَ كما الذئب يكنى أبا جَعْدَةِ[2]

وقد قال أبو الأسود الدئليّ [3] :

دع الخمر يشربها الغُواة ... . البيت

فقيل له : فنبيذ الزبيب ؟ فقال :

فإلّا يكنْها أو تكنه فإنّه أخوها غذته أُمُّه بلبانها .اهـ

وقوله : (دع الخمر) ، أى اترك . و (الغواة) : جمع غاوٍ ، وهو الضالّ . وقوله : (مجزئاً) قال ابن الأنبارى (فى الزاهر) :يقال أجزأنى الشىء يُجزئنى ، إذا كفانى . وأنشدَ هذا البيت ، وروى بدله : « مغْنيا » بمعناه .

---

(١) هو عبد الله بن شبرمة بن حسان الضبى الكوفى ، القاضى . ولد سنة ٧٢ وتوفى سنة ١٤٤ . تهذيب التهذيب : وكان شاعرا فقيها ورعا .

(٢) وقالوا ، فى أول البيت ، ساقطة من النسختين ، وإثباتها من الديوان ٣ واللسان (جعد،طلا) . ط : « يكنى » ، وهى فى ش مهملة نقط الحرف الأول . والوجه ماأثبت .

(٣) ط : « الدؤلى » .

وقوله : «فإلاّ يكنها» الخ الفاء للتفريع والتفسير ، وإن شرطية ، ولا نافية وتكُنْه معطوف على تكنْها فهو منفىٌّ أيضاً ، وجملة فإنه أخوها جوابُ الشرط. وجملة غذْته أُمه إلخ لامحل لها من الإعراب ، لأنّها مفسِّرة للأُخوّة ، كقوله تعالى : ﴿ إنَّ مَثَلَ عيسى عندَ اللهِ كمثل آدمَ خَلَقه مِنْ تُراب [1] ﴾ . وقال العينى : هى خبرٌ بعد خبر ، ويجوز أن تكون حالا من الهاء فى أخوها ، والعامل فيها إنّ . هذا كلامه .

و(اللِّبان) بكسر اللام قال الأعلم : هو للآدميّين ، واللبنُ لغيرهم ، وقد يكون جمعَ لبن فى هذا الموضع . اهـ

قال ابن السكِّيتِ : يقال هو أخوه بِلبان أمه ولايقال بلبن أمه ، إنما اللبن الذى يشرَب . قال الكميتُ يمدح مَخْلد بنَ يزيد :

تَرى النَّدى ومَخْلداً حليفينْ كانا معاً فى مهدِه رضيعينْ [2]
* تنازعا فيه لِبانَ الثَّديينْ *

وقال الحريرى (فى درّة الغواص) [3]: اللِّبان : مصدر لابنه . قال ابن برى (فى حاشيته عليه) : اللِّبان مصدر لابنَه ، أى شاركه فى اللبن ، ليس بإجماع بل الأكثر على جواز غير ذلك . قال بعضهم : اللبان بمعنى اللبن ، إلَّا أنه مخصوصٌ بالآدمى ،وأمّا اللبنُ فعامٌّ فى الآدمى وغيره . وقال آخرون : اللِّبان جمع لَبَن .فممَّا جاء فيه اللِّبان للمشاركة فى اللبن قولهم :هو أخوه بلِبان أمِّه . كذا فسَّره يعقوبُ ،أى هو أخوه لمشاركته فى الرِّضاع.وعليه قول الكميت

---

(١) آل عمران ٥٩ .

(٢) لم يرد هذا الرجز فى ديوان الكميت جمع داود سلوم .

(٣) درة الغواص ص ٩٩ .

المذكور . وقال أبو سهل الهروىّ : لِبان هنا جمع لَبَن ، وعلى قول غيره هو لغةٌ فى اللبن . وكذلك بيت أبى الأسود الدؤلى . انتهى كلامه .

وترجمة أبى الأسود قد تقدمت فى الشاهد الأربعين [1].

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الرابع والتسعون بعد الثلثمائة [2] :

٣٩٤ (لولاكَ فى ذا العامِ لم أُحجُجِ)

على أنه يجوز ورود الضمير المشترك بين النصب والجر على قلّة بعد لولا . و «لولا» حرف جر عند سيبويه كما ذكره الشارح ، ويأتى نص كلامه فى البيت الذى بعد هذا .

وأنشده الزمخشرى فى سورة صٓ ، مستشهداً به على أنَّ لاتَ تجرُّ الأحيان كما أنَّ لولا تجر الضمائر .

وهو عجزٌ ، وصدره :

* أومَتْ بعينيها من الهودج *

وبعده :

(أنتَ إلى مكَّةَ أخرجتَنى ولو تركتَ الحجَّ لم أَخْرُجِ)

وروى :

* حُبًّا ولولا أنت لم أخرُجِ *

وهما من شعر عمر بن أبى ربيعة.و(أومَتْ):أشارت.والكاف فى

---

(١) الخزانة ١ : ٢٨١ .

(٢) أمالى ابن الشجرى ١ : ١٨١ والإنصاف ٦٩٣ وابن يعيش ٣ : ١١٨ ، ١٢٠ والعينى ٣ : ٢٦٤ والهمع ٢ : ٣٣ وملحقات ديوان عمر بن أبى ربيعة ٤٧٩ .

(لولاكَ) مفتوحة ، كما أن التاء من أنتَ كذلك . خاطبتُه حبيبته ومنَّت عليه بتحمُّل المشاقّ لأجله .

صاحب الشاهد

وزعم الخطيبُ التِّبريزى (فى شرح ديوان أبى تمام) أنَّ البيت الشاهدَ للعَرْجى المذكور آنفا . ولم يوجد فى ديوانه ، والذى رواه العلماء أنه لعمر بن أبى ربيعة ، وهو موجودٌ فى شعره . وسببُ توهُّمه : أنَّ للعرجىِّ أبياتاً على هذا النمط رواها الزجَّاجىُّ (فى أماليه الوسطى[1]) بسندِه إلى إسحاق بن سعد بن عمرو بن سعيد بنِ العاص، قال : كان العرجىُّ ،وهو عبد الله بن عمر بن عَمرو بن عثمان بن عفان ، يشبِّب بامرأةِ محمد بن هشام . وقال غيره : إنه يشبِّب بامرأته الحارثية :

أبيات الشاهد

عُوجِى علينا ربَّةَ الهودجِ ... إنَّكِ إن لاتفعلى تُحْرَجِى

أيسَرُ ماقال محبٌّ لدى ... بينٍ حبيب قولُه : عرِّجِ [2]

يَقضِى إليكم حاجةً أو يقُلْ ... هل لىَ مما بىَ من مَخرجِ [3]

مِن حَيِّكم بنتمْ ولم ينصرمْ ... وجدُ فؤادى الهائمِ المنضَجِ [4]

فما استطاعت غير أنْ أومأتْ ... بطرف عينَىْ شادنٍ أدعجِ [5]

تذُود بالبرد لها عَبرةً ... جاءت بها العينُ ولم تنشِجِ [6]

---

(١) انظر ملحقات أمالى الزجاجى بتحقيق كاتبه ص ٢٣٠ وديوان العرجى ١٧ والأغانى ١ : ١٥٦ .

(٢) فى النسختين : «عرجى» ، الوجه ماأثبت من الديوان والأغانى .

(٣) الديوان : « تقض اليه حاجة » وفى الأغانى : «نقض إليكم حاجة أو نقل » .

(٤) الديوان . «وجد فؤاد الهائم » .

(٥) الديوان : « نحوى بعينى شادن » .

(٦) أصل الديوان : لاتجود بالبرد » و «جادت بها العين » .

مخافةَ الواشين أن يَفطِنوا بشأنها والكاشحِ المزعِجِ [١]
أقولُ لماَّ فاتنـى منهمُ ماكنت مِن وصلِهمُ أرتجى
أنَّى أُتيحتْ لى يمانيةٌ إحدى بنى الحارث من مَذحِجِ
نمكث حولا كاملا كلَّه لانلتقى إلاَّ على مَنْهَجِ
فى الحجِّ إن حَجَّت وماذا مِنىً وأهلُه إنْ هىَ لم تَحْجُجِ)

فقال عطاء [٢] : الكثير الطيب ياخبيث .

وروى أيضاً صاحب الأغانى بسندِه أنَّ مما قال العَرْجى فى الجيداءِ أمِّ محمد بن هشام المخزومى ، وهى من بنى الحارث بن كعب :

* عُوجِى علينا ربَّةَ الهودجِ *

الأبيات الأربعة :

فلما سمع البيت الأخير عطاءُ بن أبى رَبَاح قال : الخير والله كله فى مِنًى وأهلِه ، حجَّت أم لم تحجج .

ولقى ابنُ سُريج عطاءً فى مِنًى وهو راكب على بغلته فقال له : سألتك بالله إلاّ ماوقفت حتى أُسمعَكَ شيئاً . قال : ويحكَ دعنى . فقال : امرأتى طالقٌ إن لم تقف ، مختاراً للوقوف ، لأُمسكنَّ بلجام بغلتك ثم لا أفارقها ولو قطعتْ يدى ، حتَّى أغنِّيَك وأرفعَ صوتِي . فقال : هاتِ وعجِّل . فغنَّاه : ٤٣٠

فى الحجِّ إن حجَّت وماذا منًى ... البيت

---

(١) الديوان : «لشأنها» .

(٢) هو عطاء بن أبى رباح ، كما سيأتى .

فقال : الخير والله كلُّه فى مِنىً وأهله ، لاسيما وقد غيَّبها الله عن مشاعره ، خلِّ سبيل البغلة.اهـ [١]

وقوله : «نلبث [٢] حولا كاملا كلَّه» البيت ، هو من شواهد الكوفيين استدلُّوا به على جواز توكيد النكرة المحدودة . وقد نقله عنهم ابن هشام (فى مغنى اللبيب) ، ولأجله أوردت هذه الأبيات .

وترجمة عمر بن أبى ربيعة تقدَّمت فى الشاهد السابع والثمانين [٣].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والتسعون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد س [٤] :

٣٩٥ (وكم موطنٍ لولاىَ طِحْتَ كما هَوَى

بأجرامِهِ من قلةِ النِّيقِ مُنْهوى)

لما تقدَّم قبله .قال سيبويه فى باب مايكون مضمراً فيه الاسم متحوِّلا عن حاله إذا أُظهر [٥]بعده :وذلك لولاك ولولاى ،إذا أُضمِرَ فيه الاسم جُرَّ ، وإذا أظهر رفع .ولو جاءت علامة الإضمار على القياس لقلت لولا أنت ،كما قال الله تعالى : ﴿لولا أنتمْ لكُنَّـا مؤمنين [٦] ﴾ ، ولكنهم جعلوه مجروراً .

---

(١) رمز الانتهاء هذا من ش فقط .

(٢) كتب مصحح المطبوعة الأولى : « قوله نلبث ، لعله رواية ، والا فالذى تقدم نمكث » .

(٣) الخزانة ٢ : ٣٢ .

(٤) فى كتابه ١ : ٣٨٨ . وانظر المقتضب ٣ : ٧٣ والخصائص ٢ : ٢٥٩ والمنصف ١ : ٧٢ وأمالى القالى ١ : ٦٨ والإنصاف ٦٩١ وابن يعيش ٣ : ١١٨ / ٩ : ٢٣ والمقرب ٤١ والعينى ٣ : ٢٦٢ والهمع ٢ : ٣٣ والأشمونى ٢ : ٢٠٦ / ٤ : ٥٠ ويس على التصريح ١ : ٣١٠ .

(٥) ط : «ظهر» صوابه فى ش . وفى سيبويه : « إذا أظهر بعده الاسم » .

(٦) الآية ٣١ من سورة سبأ .

والدليل على ذلك أنّ الياء والكاف لاتكونان علامة مضمر مرفوع ، قال يزيد بن الحكم :

وكم موطن لولاى طِحتَ ... . البيت

وهذا قولُ الخليل ويونس . وأمّا قولهم : عساك ، فالكاف منصوبة . قال الراجز :

* ياأبتا عَلَّكَ أو عَسَاكا *

والدليل على أنها منصوبةٌ إنك إذا عنيتَ نفسَك كان علامتك «نِي» ، قال عمران بن حِطَّان :

ولى نفسٌ أقول لها إذا ما تُنازعنى لعلِّى أو عسانى [(١)]

فلو كانت الكاف مجرورةً لقال:عساىَ ، ولكنهم جعلوها بمنزلة لعلَّ فى هذا الموضع . فهذان الحرفان لهما فى الإضمار هذا الحالُ ، كما كان للدُنْ حال مع غدوة ليست مع غيرها ، وكما أنَّ لات إذا لم تُعملها فى الأُحيان لم تعملها فيما سواها ، فهى معها بمنزلة ليس ، فإذا جاوزَتها فليس لها عمل [(٢)].

ورأىُ أبى الحسن أنَّ الكاف فى لولاك فى موضع رفع على غير قياس ، كما قالوا: ماأنا كانت ولاأنت كأنا ، وهذان [(٣)]علم الرفع،كذلك عسانى. ولايستقيم أن تقول :وافق الجرَّ فى لولاى كما وافقه النصب ،إذْ قلت مَعَكَ وضَرَبَكَ ؛ لأنك إذا أضفت إلى نفسك فالجرُّ مفارقٌ للنَّصبِ فى هذه الأشياء . ولاتقل وافق الرفعُ النَّصبَ فى عسانى كما وافق النصب الجرَّ فى

---

(١) هو الشاهد ٣٩٧ فيما سيأتى .

(٢) التعليقة التالية لأبى الحسن الأخفش ليست فى جميع نسخ سيبويه . وانظر سيبويه ٢ : ٣٧٥ من تحقيق كاتبه .

(٣) ط : « وهذا ان » ، صوابه فى ش .

ضَرَبَكَ ومعَك ، لأنهما إذا أضفْتَ [1] إلى نفسك اختلفا .وزعم ناسٌ أن موضع الياء فى لولاى ، ونى فى عسانى ، فى موضع رفع ، جعلوا لولاى موافقة للجر،ونى موافقة للنصب ، كما اتفق النصب والجر فى الهاء والكاف . وهذا وجهٌ ردىء لما ذكرت ، ولأنَّك لاينبغى أن تكسِر البابَ وهو مطردٌ وأنت تجد له نظائر . وقد يوجَّه الشىء على الشىء البعيد إذا لم يُوجَد له غيره . وربَّما وقع ذلك فى كلامهم ، وقد بُيِّن بعضُ ذلك وستراه فيما يستقبل إن شاء الله . هذا نصُّ سيبويه برُمَّتِه .

قال الأعلم : الشاهد فى هذا البيت إتيان ضمير الخفض بعد لولا التى يليها المبتدأ ، ولمَّا كان مبتدؤها محذوف الخبر أشبه المجرور لانفراده ، والمضمر لايتبين فيه الإعراب ، فوقع مجروره موقع مرفوعِهِ ، والأكثر لولا أنت كالظاهر . وردّ هذا المبردُ وسفَّه قائله تحامُلاً منه وتعسُّفا. اهـ

٤٣١

وقد رأيت كلام المبرد (فى الكامل) فإنَّه بعد أن نقل كلام سيبويه قال : والذى أقول أنَّ هذا خطأ ، ولايصلح أن تقول إلا لولا أنت ، قال تعالى : ﴿ لولا أنتُمْ لكُنَّا مؤمنين [2] ﴾ .ومَن خالفنا يزعم أنَّ الذى قلنا أجود ويَدَّعى الوجه الآخر ويُجيزه على بعد . اهـ

وقد فصَّل ابن الشجرى (فى أماليه) الأقوالَ فقال فى وقوع المضمر بعد لولا التى يرتفع الاسمُ بعدها بالابتداء:وللنحويين فى ذلك ثلاثة مذاهب:

فذهب سيبويه أنه يرى إيقاع المنفصل المرفوع بعدها هو الوجه،كقولك : لولا أنت فعلت كذا . ولايمتنع من إجازة استعمال المتصل بعدها كقولك :

---

(١) ط : «إذا أضفتهما» ، وأثبت مافى ش . والذى فى سيبويه : «لأنهما مختلفان إذا أضفت إلى نفسك» .

(٢) الآية ٣١ من سورة سبأ .

لولاى ولولاك ولولاه ، ويحكم بأنَّ المتَّصل بعدها مجرورٌ بها فيجعل لها مع المضمر حكما يخالف حكمها مع المظْهَر .

ومذهب الأخفش أنَّ الضمير المتصل بعدها مستعارٌ للرَّفع ، فيحكم بأنَّ موضعه رفع بالابتداء وإن كان بلفظ المضمر المنصوب أو المجرور . فيَجعل حكمها مع الضمير موافقا حكمها مع المظهر .

ومذهب المبرد أنه لايجوز أنْ يليَها من المضمرات إلا المنفصل المرفوع . واحتجَّ بأنه لم يأت فى القرآن غير ذلك . ودفع الاحتجاج بهذا البيت وقال : إنَّ فى هذه القصيدة شذوذاً فى مواضع ، وخروجاً عن القياس،فلا معرَّجَ على هذا البيت .

وأقول :إنَّ الحرف الشاذَّ أو الحرفين أو الثلاثة ، إذا وقع ذلك فى قصيدة من الشعر القديم لم يكن قادحاً فى قائلها ، ولا دافعاً للاحتجاج بشعره . وقد جاء فى شعرٍ لأَعرابىّ :

* لولاكَ فى ذا العامِ لم أحجُجِ *

وللمحتجِّ لسيبويه أن يقول : إنَّه لما رأى الضمير فى لولاى ونحوه خارجاً عن حيزِّ ضمائر الرفع ، وليسَت لولا من الحروف المضارِعة للفعل فتعملَ النصب كحروف النداء ، ألحقَها بحروف الجَرّ . وحجة الأَخفش أن العرب قد استعارت ضمير الرفع المنفصل فى قولهم : لقيتك أنت ، وكذلك استعارُوه للجرِّ [(١)] فى قولهم : مررت بك أنت ، أكَّدوا المنصوب والمجرور بالمرفوع . وأشذُّ منه إيقاعُهم إياه بعد حرف الجر فى قولهم : أنا كانت وأنت كأنا.فكما استعاروا المرفوع للنصب والجرّ كذلك استعاروا المنصوب للرفع فى قولهم : لولاى ولولاك ولولاه . اهـ

وقد نسب ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) مذهبَ الأَخفش إلى

(١) جعلها الشنقيطى فى نسخته : «للنصب» ، وليس بشىء .

الكوفيين ، وذكر حجج الفريقين ،وصحَّحَ مذهب الكوفيين ،وردّ كلام سيبويه بأنّ قوله إن الياء والكاف لايكونان علامة مرفوع غير مسلَّم ؛ فإنَّه يجوز أن يستعار للمرفوع علامة المخفوض. كما يستعار له علامة المنصوب فى نحو : عساك.

ثم قال : والذى يدلُّ على أن لولا ليس بحرف خفض أنّه لو كان كذلك لوجب أن يتعلَّق بفعل أو معنًى ، وليس هنا ذلك . وقول البصريين إنَّه قد يكون الحرف فى موضع مبتدأ لايتعلَّق بشىء ، قلنا : الأصل فى حروف الخفض أن يجوز الابتداء بها ، وأن تقع فى موضع مُفيدٍ [1]، وإنما جاءَ ذلك نادراً ، فى قولهم : بحسبك زيد وما جاءنى من أحد ، لأنَّ الحرف فى نية الاطِّراح ، إذ لا فائدة له ، بخلاف لولا فإنَّه حرفٌ جاء لمعنى وليس بزائد . ألاَ ترى أنَّك لو حذفتها لبطل ذلك المعنى الذى دخلت من أجله ؛ بخلاف الباء ومِنْ . فبانَ الفرقُ بينهما . انتهى كلامه . ٤٣٢

وما نسبه ابن الأنباريّ للكوفيين نسبَه النحَّاس (فى شرح أبيات سيبويه) للفراء قال : مذهب سيبويه عند المبرد خطأ ، لأنَّ المضمر يَعقُب المظهر فلا يجوز أن تقول المظهرَ مرفوعاً والمضمر مجروراً . وأبو العباس المبرِّد لايجيز لولاك ولولاه ، وإنما يقول لولا أنت . قال أبو العبَّاس : وحُدِّثتُ أن أبا عَمرو اجتهدَ فى طلب مثل لولاك ولولاى بيتاً يصدِّقه ، أو كلاما مأثورا عن العرب ، فلم يجِدْه . قال أبو العباس : وهو مدفوعٌ لم يأت عن ثقة . ويزيد بن الحكم ليس بالفصيح . وكذلك عندَه قولُ الآخر :

*لولاكَ هذا العامَ لم أحجج *

قال:إذا نظرت إلى القصيدة رأيت الخطأ فيها فاشياً [2].وقول سعيدٍ

(١) فى النسختين : «مقيد» بالقاف ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته بقلمه .

(٢) ط : «فاحشا» ، وأثبت مافى ش .

الأخفش [١] فى لولاك : وافق ضمير الخفض فى لولاى ؛ ليس هذا القول بشيء، ولايجوز هذا . وقال الفرّاء : لولاى ولولاك المضمرُ فى موضع رفع ، كما تقول : لولا أنَّك ولولا أنت . قال : فإنما دعاهم أن يقولوا هذا لأنَّهم يجدون المكنىَّ يستوى لفظُه فى الخفض والنصب والرفع ، فيقال ضَربَنا ، ومرَّ بنا ، وقُمنا ، فلما كان كذلك استجازوا أن تكون الكاف فى موضع أَنت رفعاً إذْ [٢] كان إعراب المكنىِّ بالدَّلالات لا بالحركات . قال أبو الحسن بن كيسان : الوجه لولا أنت ، ولايجوز أَن يكون المضمر خلاف المظهر فى الإعراب وهو بدلٌ منه وموضوعٌ موضِعَه ، ولكنَّ المكنىَّ مستغنٍ عن دلالته بالحرف الذى يوجَب فيه الرفع ولا يقع منصوب ولا مخفوض ؛ واكتفى بدلالةِ الحرف من دلالة المكنى ، وكان حرفٌ أخصر من حروف . قال : وهذا الذى اخترتُه هو مذهب الفراء .

ثم قال النحاس : وأما أبو إسحاق فجرى على عاداته [٣] فى الاحتجاج عن سيبويه والتصحيح عنه ، فقال : إنَّ خبر المبتدأ الذى بعد لولا لايظهر ، فأشبهتْ لولا حروف الجرِّ لوقوع اسم بعدها ، وكان المضمر لايتبين فيه إعراب ، فجعل موضع المجرور . وهذا احتجاجٌ لطيف لم نر أحداً يُحسنُ مثل هذا. وزاد عليه هذا أنه احتجَّ بقول رؤبة ، وهو ممن لاتُدفَع فصاحته :

* لولاكُمَا قد خرجت نفْساهما *

انتهى ماأورده النحاس مختصراً .

---

(١) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط تلميذ سيبويه .

(٢) ط : «اذا» ، صوابه فى ش .

(٣) ش : «عادته» ، بالإفراد .

قال ابن الأنباريّ : وأما إنكار أبى العباس المبرد جوازَه فلا وجه له ؛ لأنَّه قد جاء كثيراً فى كلامهم وأشعارهم . قال الشاعر :

وأنت امرؤ لولاىَ طِحتَ كما هوى ... البـــيت

وقال الآخر :

أتُطمعُ فينا من أراقَ دماءنا ولولاك لم يعرِض لأحسابنا حَسَنْ [1]

وقال بعض العرب :

* لولاكَ هذا العامَ لم أحجُج *

وأما مجىء الضمير المنفصل بعده فلا خلاف أنه أكثر وأفصح ، وعدم مجىء الضَّمير المتَّصل فى التنزيل لايدلُّ على عدم جوازه .

وقد أنشد المبرد (فى الكامل) فى الموضع الذى نقلنا منه آنفاً بيتاً فى وَقعةٍ للخوارج ، وهو :

ويـــومٌ بجىٌّ تلافَيْتَـــهُ ولولاك لاصطُلِمَ العسكرُ [2]

وجَىّ [3] : اسم مدينة .

---

(١) أى ياحسن . يعنى الحسن بن على بن أبى طالب . وفى النسختين : «لم تعرض لأحسابنا عبس» ، صوابه فى الإنصاف وابن يعيش ٣ : ١٢٠ والعينى ٣ : ٢٦٠ . وقبل البيت كما فى العين :

معاوى إنى لم أبايعك فلتة ومازال ماأسررتُ منى كما علن

والأبيات عند العينى ثمانية على روى النون من قصيدة لعمرو بن العاص ، يخاطب بها معاوية بن أبى سفيان .

(٢) ط : « ويوم يجىء » ، صوابه فى ش والكامل ٦٥٠ ومعجم البلدان ، وأوله فيه : « ويوما » بالنصب . وجى ، بالفتح وتشديد الياء : اسم مدينة ناحية أصبهان القديمة . قال ياقوت : « وتسمى الآن عند العجم : شهرستان » . وفى النسختين : « تلاقيته » بالقاف ، وصوابه بالفاء كما فى معجم البلدان ، مع نسبة البيت إلى أعشى همدان .

(٣) ط : « وجىء » ، صوابه فى ش .

وقوله : (وكم موطن) كم [1] هنا لإنشاء التكثير ، وهو مبتدأ خبره محذوف تقديره : لك . والموطن، قال صاحب الصحاح :هو المشهد من مشاهد الحرب . وقد استشهد صاحب الكشاف بهذا البيت عند قوله تعالى : ﴿ لقد نَصَرَكُم اللهُ فى مَوَاطِنَ كَثيرةٍ [2] ﴾ ، على أنَّ المراد بالمواطن مواقفُ الحروب ، كما فى البيت . ولولا هنا عند سيبويه حرف جرٍّ لايتعلَّق بشىء . وعند غيره الياء مبتدأ ، استعير لفظُ غير المرفوع للمرفوع ، وخبره محذوف تقديره حاضر . وجملة (طِحتَ) فى موضع النَّعت لموطن ، والرابط محذوف تقديره فيه ، وهو قد سدَّ مسدَّ جواب لولا عند من يجعلها على بابها ، وتكون معترضة بين النعت والمنعوت . قال ابن الشجرى : والجملة التى هى « لولاى طحت » مَحَلُّها جر على النعت لموطن ، والعائد محذوف . انتهى .

٤٣٣

وهذا باعتبار مذهب سيبويه .

و(طَاح)يطوح ويطيح أَيضاً بمعنى هلك وسقط،وكذلك إذا تاهَ فى الأرض.

وقوله :(كما هوى) إلخ مفعول مطلق لطحتَ من غير لفظه ، أى طِحْت طَيْحاً [3] كُهوىِّ الساقِطِ؛فما مصدرية،وقيل كافَّةٌ .وهَوَى بالفتح يهوِى بالكسر هُوِيًّا بضم فكسر فتشديد ، أى سقط إلى أسفل . و(الأجرام) : جمع جرم بالكسر ، وهو الجسَد .قال المبرد (فى الكامل) بعد إنشاده هذا البيت : جِرْم الإنسان : خَلْقُه . والنِّيق : أعلى الجبَل . وهذا مِثْل « شابَتْ مفارِقه »؛ كأنَّه جعل أعضاءه أجراماً توسُّعا .

وقد زلَّ قلمُ ابن الشجرىِّ فقال :بأجرامه أى بذنوبه،جمع جُرْم.

---

(١) ط : « وكم » بزيادة واو .

(٢) الآية ٢٥ من التوبة .

(٣) فى النسختين : « طحوا » ، تحريف .

ويروى :«بإجرامِه» مصدر أجرم ، بقال جرم وأجرم ، لغتان ، إذا أذنبَ . وأجرمَ لغة القرآن . انتهى .

ولا يخفى أنَّ جعل الأجرام جمع جُرم بالضم ، وتفسيره بالذَّنب ، لا وجه له هنا .

و(النِّيق) بكسر النون : أرفع الجبل . وقُلَّتُه : ماستدقَّ من رأسه .

و(مُنهوى) : ساقطٌ ، وهو فاعل هَوَى . ونُقل عن المبرد الطعن فى هذه أيضاً ، قال : انفعل لايجىء مطاوع فَعَل إلا حيث يكون علاجٌ وتأثير . وقال ابن جنى (فى شرح تصريف المازنىّ) . اعلَمْ أنَّ انفعَلَ إنما أصله من الثلاثة ، ثم تلحقها الزيادتان ، نحو قطعته فانقطع ، ولا يكاد يكون فعلٌ منه متعديا حتَّى تمكِن المطاوعةُ والانفعال . وقد جاء فعلٌ منه غير متعدّ ، وهو « وكم موطن لولاى طحت » البيت . فإنَّما هذه مُطاوِعُ هَوَى ، إذا سقط ، وهو غير متعدٍّ كما ترى . وقد جاء فى هذه القصيدة « مُنْغَوِى » قال أبو على : إنما بنى مِن هوى وغوى [1] منفعلاً ، لضرورة الشعر . انتهى .

وقال صاحب الصحاح : هوى وانهوى بمعنى . وقد جمعهما الشاعرُ فى قوله . وأنشد هذا البيت .

صاحب الشاهد

وهو من قصيدةٍ طويلة ليزيدَ بن الحكم ، يعاتب بها ابن عمّه ، وقيل أخاه . وقد تقدَّمت مشروحة فى الشاهد الثمانين بعد المائة [2] .

---

(١) ط : « إنما بنى منهوى ومنغوى » وهو تصحيف سَمْج ، صوابه من ش مع أثر تصحيح ، ومن سر الصناعة ١ : ٧٣ .

(٢) الخزانة ٣ : ١٣٠ — ١٣٩ .

وهذا البيتُ مع شهرته لم يعرفه شارح (شواهد التفسيرين) خَضرٌ الموصليّ ، حتى إنه قال : هو بيت لم يعزهُ أحدٌ إلى قائله .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والتسعون بعد الثلثمائة [١] :

٣٩٦ (لعلَّكَ يوماً أنْ تُلِم مُلِمَّةٌ)

على أنّه قد يجيء خبر لعلَّ مضارعا مقروناً بأنْ ، حملاً لها على عسى.

قال الزمخشرى (فى المفصل) : قد جاء فى الشعر :

(لَعلَّكَ يوماً أن تُلِمَّ مُلِمَّةٌ
عليكَ من اللائى يَدَعْنَك أَجدعا)

قياساً على عسى.

٤٣٤

وقال ابن هشام (فى المغنى) : ويقترن خبر لعلَّ بأنْ كثيراً ، حملاً على عسى . كقوله :

* لعللّك يوماً أن تلم ملمّةٌ *

وبحرف التنفيس قليلاً كقوله :

فقولا لها قَولا رقيقاً لعلَّها ... سترحمنى من زفرةٍ وعَويلِ

انتهى . فلم يخصّه بالشعر .

وأمّا كثرة الاقتران بأنْ فهو بالنسبة إلى اقترانه بحرف التنفيس.وأمّا بالنسبة إلى التجرد فهو قليلٌ قطعا.ويؤيِّده أن المبرد قال (فى الكامل)،عند إنشاده هذا البيت:إنَّ التجرد من أنْ هو الجيِّد،والاقتران بها غير جَيِّد. فلم يقيِّده بالشعر .

---

(١) المقتضب ٣ : ٧٤ والكامل ١١١ ، ٢٥١ وابن يعيش ٨ : ٨٦ وشرح شواهد المغنى ٣٢٧ والمفضليات ٢٧٠ .

وقال بعضهم : الخبر فى هذا البيت محذوف، تقديره:لعلَّكَ مُعَدٌّ لأن تلمَّ ملمّة ، أو نحوه .

قال الخطيب التبريزى (فى شرح المفضليات) قوله : « لعلك يوما أن تلم » إلخ ، أظنك أنْ ألم بك ملمَّةٌ من الملمَّات التى تتركك ذليلاً مجدوع الأنف والأُذن [١] . وخَبر لعلَّ محذوف مع حرف الجر من أن تلم ، ويكون تقدير الكلام ومعناه : لعلك لأرجوك لأنْ تلمَّ بك ملمَّة . قال سيبويه : لعلَّ طمعٌ وإشفاق . يريد أنه يكون للأمرين جميعاً . فإذا كان هذا المعنى فكأنه يرجو الشر [٢] له ، ويطمع فيه . انتهى .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة لمتمم بن نُويرة الصحابى ، رثى بها أخاه مالك بن نويرة لما قتله خالد بن الوليد بتهمة [٣] الرِّدَّة . وقد تقدم الكلام على قصَّةِ قتله مع شرح أبياتٍ من هذه القصيدة ، فى الشاهد السادس والثمانين [٤] .

وهذه أبياتٌ قبل البيت المذكور :

أبيات الشاهد

(ألم تأتِ أخبارُ المحلِّ سراتَكم
فيغضبَ منكُم كلُّ من كان مُوجَعا

بمشمتِهِ إذ صادفَ الحتفُ مالكاً
ومَشْهدِه ماقد رأى ثم ضيَّعا [٥]

آآثرْتَ هِدماً بالياً وسَوِيّةً
وجئتَ بها تعدو بريداً مُقَزِّعا

(١) ط : «والآذان» ، وأثبت الأوفق من ش .

(٢) ط : « يرجو البشر » ، صوابه فى ش .

(٣) ط : «التهمة» .

(٤) الخزانة ٢ : ٢٤ .

(٥) ط : «بمشمتة» ،صوابه فى المفضليات وش مع أثر تصحيح فيها .

فلا تَفرحَنْ يوماً بنفسِك إننى أرى الموتَ وقَّاعاً على من تشجَّعا

لعلك يوما أن تلمّ ملمة . . . البيت

نعيتَ امرأً لو كان لحمُك عنده لآواه مجموعاً له أو ممزَّعا

فلا يَهْنِئِ الواشينَ مقتلُ مالك فقد آبَ شانيه إياباً فودَّعا (١)

وهذا آخر القصيدة :

وقوله : « ألم تأت أخبارُ المُحِلّ» إلخ هو بضم الميم وكسر الحاء المهملة ، هو رجلٌ من بنى ثعلبة ، مرَّ بمالك مقتولا كأنه شامِتٌ ، فذمَّه متمم . وقال ابن الأنبارى : المحلّ بن قدامة مرَّ بمالك فلم يُوارِه . والسَّراة : الأشراف . وروى : « فيغضبَ مِنْهم » و «منها» أى من الأخبار . وقوله : « بمشمتِه » متعلق بموجعا ، وهو مصدر شَمِت به شماتة ومَشمَتاً (٢).

ويروى : « أنْ صادف الحتفَ مالكٌ » . ورفع الحتف أجود من نصبه . ومَشهده معطوف على مشمتِهِ ، والضَّمائر كلها للمُحِلّ .

وقوله : «أآثرت» استفهامٌ توبيخى ، والخطاب للمُحلّ . والهِدْم بالكسر :الثَّوب الخَلَق.والبالى:الفانى.والسَّوِية بفتح المهملة وكسر الواو :كساء محشوٌّ بثُمام أو نحوه ، يُجعَل على ظهر الإبل كالحَلْقة لأجل السَّنام.

---

(١) ط : «فلا يهنأ» ، هنا وفى التفسير فى آخر الكلام ، وصواب الرواية من ش والمفضليات . وهما لغتان ، يقال هنأنى الأمر يهنؤنى ويهنئنى . والأشْيَر فى الشعر « يهنئ » ، قال أعشى باهلة :

أصبت فى حرم منا أخا ثقة هند بن أسماء لايهنئ لك الظفر

وقال الأخطل :

إلى إمام تغادينا فواضله أظفره الله فليهنئ له الظفر

(٢) ط : « ومشمتة » ، صوابه فى ش .

قال أبو جعفر : أُعْطِىَ المحلُّ سَلبَ مالكٍ ففرح به ، وأقبلَ راجعا . وقَزّع الرجلُ ، بالقاف والزاى المُعجمة ، إذا أسرع فى سيره . وقزَّع القومُ رسولاً إذا أرسلوا [١] . أراد : إنك تسعى بخَبَره مسرعاً كمجىء البريد .

٤٣٥ وقوله : « فلا تفرحَنْ يوما » إلخ هذا دعاءٌ عليه ، أى لافرحْتَ بنفسك. وقوله : «وقَّاعا على من تشجَّعا» أى لايفلتُ من الموت أحدٌ . يقول : آثرت الثِّياب وجئتَ تعدو بشيراً تُرِى الناسَ أنّك قد فزعتَ لمقتله ، وإنما ذاك شماتةٌ منك وسرورٌ به .

وقوله : (لعلَّكَ يوما) إلخ ، الإلمام : النزول . و (الملمّة) : البليَّة النازلة. و(الأجدع) : المقطوع الأنف والأذُن ، ويستعمل فى الذليل ، وهو المراد هنا . يقول : أيها الشامتُ ، لاتكنْ فرحاً بموت أُخى ، عسى أن تنزلَ عليك بليَّةٌ من البليَّات اللاتى يتركْنَك ذليلاً خاضعا .

وقوله : « نعيتَ امرأ» إلخ النَّعْى : الإخبار بالموت . والممزَّع : الممزَّق والمفرَّق . يقول : لوْ كنتَ أنت القتيلَ لآوى لحمَك بدفنه ، سواء كان مجموعا أو ممزَّقا .

وقوله : « فلا يهنِئِ الواشين [٢] » إلخ هذا دعاءٌ عليهم فى صورة النّهى .

* * *

(١) فى شرح ابن الأنبارى للمفضليات ٥٤٣ : «أرسلوه» .

(٢) ط : « فلا يهنأ » .وانظر التعليق السابق .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والتسعون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد سيبويه [١]:

٣٩٧ (ولى نفسٌ أقولُ لها إذا ما
تُنازِعنى لعلِّى أو عسَانى)

على أنَّ سيبويه استدلَّ على كون الضمير ، وهو الياء ، منصوباً بلحوق نون الوقاية فى عسانى . قد تقدَّم نصُّ سيبويه قبل هذا بِيتين .

قال النحاس : قال سيبويه فى قولهم عساك : الكاف منصوبة . واستدلَّ على ذلك بقولهم : عسانى ، ولو كانت الكاف مجرورةً لقال : عساى . قال : ولكنَّهم جعلوها بمنزلة لعلَّ فى هذا الموضع . قال : فهذان الحرفانِ لهما فى الإضمار هذا الحال ، كما كان للدُنْ مع غدوة حالٌ ليست مع غيرها .

قال محمد بن يزيد المبرد : هذا غلطٌ منه ، يعنى جَعْلَه عسى بمنزلة لعلَّ . قال : لأنَّ أفعال الرجاءِ لاتعمل فى المضمر إلاّ كما تعمل فى المظهر . قال : تقديره عندنا أنَّ المفعول مقدّم والفاعل مضمر ، كأنَّه قال : عساك الخيرُ والشرُّ .

أراد المبرد أنَّ عسى ككان ، لأنَّهما فعلان . وذهب أبو إسحاق إلى صحَّة قول سيبويه ، واحتجَّ له بأنَّ عسى ليس بفعلٍ حقيقى ، بل هو شبيهٌ بلعلَّ . ووجدتُ بخطِّى عن أبى إسحاق : يجوز أن يكون الضمير فى موضع نصبٍ بعسى فى عساك والمرفوع محذوف ، أى عسى الأمر إيَّاك . وليس هذا بناقضٍ [٢] لما أخذته عنه ، لأنَّه قال : يجوز . فذاك عنده الأصل . وأجازَ قول المبرد . انتهى .

---

(١) فى كتابه ١ : ٣٨٨ . وانظر المقتضب ٣ ٧٢ والخصائص ٣ : ٢٥ وابن يعيش ٣ : ١٠ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٢ / ٧ : ١٢٣ والمقرب ١٨ والعينى ٢ : ٢٢٩ .

(٢) ط : «تناقضا» ، صوابه فى ش .

وزعم الأخفش تبعاً ليونس أنَّ عسى باقيةٌ على عملها عملَ كان ، ولكن استُعير ضمير النَّصبِ مكان ضمير الرفع .

قال ابن هشام (فى المغنى) : ويردُّه أمرانِ : أحدهما : أنَّ إنابة ضمير عن ضمير إنَّما ثبت فى المنفصل ، نحو ما أنا كأنت ولا أنت كأنا . والثانى : أنَّ الخبر قد ظهر مرفوعاً فى قوله [1]:

فقلتُ عساها نارُ كاسٍ وعلَّها ... تَشكَّى فآتِي نحوَها فأعودُها

انتهى .

صاحب الشاهد

وهذا البيت لعِمرانَ بنِ حِطّانَ الخارجّى . وقبله :

(ومَن يقصِدْ لأهلِ الحقِّ منهمْ ... فإنِّى أتَّقيه كما اتَّقانى

علىّ بذاك أنْ أحميِه حَقاً ... وأرعاه بذاك كما رعانى

يقال : قصدته وقصدت إليه . وضمير منهم للخوارج . ومن للبيان .

٤٣٦ جعل الخوارجَ بزعمه أهلَ حقٍ . أى من قصد لأهل الحقّ من الخوارج بمكروهٍ فإنّى أُدافِعه وأُحاربه ، واتّقيه كما يتقينى .

وقوله : (ولى نفسٌ تُنازعنى) إلخ يقول : إذا نازعتنى نفسِىَ فى حملها على ماهو أُصلحُ لها أقول: لها طاوِعينى لعلِّى أجد المرادَ والظَّفَرَ ، أو قلت لها: لعلِّى أفعل هذا الذى تدعونى إليه . فإذا قلت لها هذا القول طاوَعَتْنى .

عمران بن حطان

وعمران بن حِطّان ، هو على مافى الجمهرة : عمران بن حِطّان بن ظَبْيان بن شَعْل بن معاوية بن الحارث بن سَدوس بن شَيْبان بن ذُهل بن ثعلبة ابن عُكَابَةَ بن صَعب بن علىّ بن بكر بن وائل السَّدوسى ، البصرىّ ، التابعى المشهور ،أحد رءوس الخوارج من القَعَدية بفتحتين ، وهم الذين يرون الخُروج ويحسِّنونه لغيرهم ، ولا يباشرون بأنفسهم القتالَ . وقيل القعدية لا يَرون الحربَ وإنْ كانوا يُزَيِّنونه [2] .

---

(١) هو صخر بن الجعد الخُضْرى ، كما فى معجم الشواهد .

(٢) الحرب مؤنثة ، وحكى ابن الأعرابى فيها التذكير ، كما هنا .

وفى الأغانى : إنَّما صار ابنُ حِطَّانَ من القَعَدة لأنَّ عمره طال وكِبر وعَجَز عن الحرب وحُضورها ، فاقتصر على الدعوة والتحريض بلسانه . وكان أوّلاً مشمِّراً لطلب العلم والحديث ، ثم بُلِىَ بذلك المذهب . وقد أدرك صَدراً من الصحابة ، وروَى عنه أصحابُ الحديث .

قال ابن حجر (فى الإصابة) : وقد أخرج له البخاريُّ وأبو داود ، واعتذر عنه بأنَّه إنَّما خرَّج عنه ماحدَّث به قبل أن يبتدع . واعتذر أبو داود عن التخريج بأنَّ الخوارج أصحُّ أهل الأهواء حديثا عن قتَادة . وكان عِمرانُ لايُتَّهم فى الحديث . وكان سبب ابتلائه أنَّه تزوَّج امرأةً منهم فكلَّموهُ فيها ؛ فقال : سأردُّها عن مذهبها . فأضلَّته .

وفى الإصابة أنّها كانت بنتَ عمِّه ، بلغه أنَّها دخلت فى رأى الخوارج ،فأراد أن يردَّها عن ذلك فصرفته إلى مذهبها . وذكر المدائنى أنَّها كانت ذاتَ جمال ، وكان دميما قبيحا ، فقالت له مرّةً : أنا وأنت فى الجنَّة . قال : من أين علمتِ ذلك ؟ قالت : لأنَّك أعطِيتَ مثلى فشكرتَ ، وابتُليتُ بمثلكَ فصبرت .والشاكر والصابر فى الجنة . ومن شعره فى مدح عبد الرحمن ابنِ مُلجَم المرادىّ قبحَهما الله تعالى ، قاتِلِ أمير المؤمنينَ وقائِد الغرِّ المحجَّلين ، زوجِ البتول وصهرِ الرسول رضى الله عنه :

لله دَرُّ المرادىِّ الذى سفكت   كفَّاهُ مُهجةَ شرِّ الخلق إنسانا
أمسَى عشيّةَ غشَّاه بضربته   مُعطًى مُناهُ من الآثام عُريانا
يا ضربةً من تقيٍّ ما أَراد بها   إلاَّ ليبلغَ من ذى العرش رِضوانا
إنِّى لَأذكرُه حيناً فأحْسِبه   أوفَى البرية عند الله ميزانا

قال أبو محمد بن حزم : إنَّ ابنَ ملجَمٍ عند الخوارج النُّصيرية [1] أفضلُ أهلِ الأرض ، لأنّه خلَّص روح اللّاهوت من ظلمة الجسد وكدره . وعند الشّيعة أنّه أشقى الخلق فى الآخرة . انتهى .

وقد أجابه من القدماء بكرُ بن حمَّاد التَّاهَرْتى من أهل القَيروان ، وأَجابه عنها السيِّد الحميرىّ الشيعى ، وهى :

قلْ لابن مُلجَمَ والأقدارُ غالبةٌ — هَدمتَ ويلَكَ للإسلام أركانا

قتلتَ أَفضَلَ من يمشى على قدمٍ — وأوّلَ النـاسِ إسلامـاً وإيمانـا

وأعلمَ النَّاسِ بالإيمان ثُمَّ بما — سَنّ الرسول لنا شَرعاً وتِبيانا

٤٣٧ صِهرَ الرَّسول ومـولاه ونـاصِرَهُ — أَضحت مَناقبـه نوراً وبُرهانـا

وكان منه على رَغْم الحَسودِ له — مكانَ هارون من موسى بن عِمرانا

وكان فى الحرب سيفاً ماضياً ذَكرا — ليثاً إذا لَقِىَ الأقرانُ أقرانـا

ذكرتُ قاتِلَه والدمعُ منحـدرٌ — فقلت:سبحانَ ربِّ العرش سبحانا

إنّى لأحسَبِهُ ماكان من بشرٍ — يَخشى المعاد ولكنْ كان شيطانا

أشقَى مرادٍ إذا عُدَّت قبائلها — وأخسرُ النَّاس عند الله مِيزانا

كعاقر الناقة الأُولى التى جَلبتْ — على ثمودٍ بأرض الحِجْر خُسرانا

قد كان يُخبرهم أنْ سوف يَخضِبها — قبلَ المنيـة أزمانـاً وأزمانـا [2]

---

(١) ط : «النصريّة» صوابه فى ش . وفى الملل والنحل ٢ : ٢٤ أن النصيرية والإسحاقية من غلاة الشيعة . وذكر السمعانى فى الأنساب ٥٦٢ أن النصيرية من غلاة الشيعة ، ينتسبون إلى رجل اسمه «نصير» . كان فى زمن على عليه السلام ، وكان مع جماعته يزعم أن علياً هو الله . وذكر له قصة طويلة .

(٢) فى طبقات الشافعية : « أزمانا فأزمانا » . ويروى : « قبل المنية أشقاها وقد كانا » .

فلا عَفا اللهُ عنه ماتحمَّله ولاسقى قَبر عِمرانَ بنِ حِطّانا
لقولِه فى شقيّ ظلَّ مجترِماً ونال مانالَه ظلما وعُدوانا
«ياضربةً مِنْ تقيّ ماأراد بها إلاَّ ليبلغَ من ذى العَرْش رِضوانا»
بل ضربَةٌ من غَوىّ أوردتْه لَظَى فسوفَ يلقى بها الرَّحمنَ غضبانا
كأنه لم يُرِدْ قصداً بضربته إلاَّ ليَصْلَى عذابَ الخُلْد نيرانا

قال ابن السبكى (فى طبقات الشافعية [1]) : لقد أحسن وأجاد بكر بن حَمَّادٍ فى معارضته ، فرضى الله عنه وأرضاه ، وأخزى الله عمران بن حطان وقَبَحه ولعنه ، ماأجرأه على الله !

قال : وقال القاضى أبو الطَّيِّب الطبرىُّ :

إنىِّ لأبرَأ مما أنتَ ذاكِرُه عن ابن مُلجَمِ الملعونِ بُهتانا
إنِّى لأذكره يوماً فألعنُه دِيناً وألعنُ عمرانَ بنَ حِطَّانا
عليكَ ثُمَّ عليه من جماعتنا لَعائنٌ كثُرتْ سِرًّا وإعلانا
فأنتما من كلابِ النار جاء به نصٌّ الشريعة إعلاناً وتِبيانا

وقد أجاب أيضا الإمام طاهر بن محمد الأسفرائنى (فى كتاب الملل والنحل ، المسمَّى بالتبصير فى الدين) :

كذبتَ وآيمُ الذى حجَّ الحجيجُ له وقد رَكِبتَ ضلالاً منكَ بهتانا
لَتَلقيَنَّ بها ناراً مؤجَّجة يومَ القيامة لا زُلفَى ورِضوانا

---

(١) طبقات الشافعية ١ :٢٨٧ ـــ ٢٩٠ تحقيق الطناحى والحلو .

تبَّت يداه لقد خابت وقد خَسِرتْ وصار أبخَس من فى الحشْر مِيزانا
هذا جوابِىَ فى ذا النذْلِ مُرتَجِلاً أرجو بذاك من الرَّحمن غفرانا

ونقل الإمام الباقلّانىُّ أنَّ السيِّد الحميرىّ نقضها عليه بقوله (١) :

لادرَّ درُّ المرادىِّ الذى سفكَتْ
كفَّاهُ مهجةَ خيرِ الخلق إنساناً
أصبحَ مما تعاطـاه بضربتـه
مماً عليه ذَوُو الإسلام عُريانا(٢)
أبكَى السماءَ لبابٍ كان يعمُره
منها وحنَّت عليه الأرضُ تَحتانا
طوراً أقول : ابنُ مَلعونَين مُلتقَطٌ
من نَسل إبليسَ ،لابل كان شَيطانا(٣)
ويْلُمِّـهِ أيَّمـاذا أُمُّـه ولـدَتْ
لا إن كما قال عمران بن حِطَّانا(٤)
عبْـد تحمَّـلَ إثماً لو تحمَّلـه
ثَهلانُ طرفةَ عين هَدَّ ثهلانا

انتهى ماأورده ابن السبكى .

٤٣٨

ونقل الذهبىُّ (فى تاريخ الإسلام) أنَّ شعر عمران بن حِطّانَ المذكور لمَّا بلغ عبد الملك بن مروان أدركتْه الحميَّةُ ونذر دمه(٥) ، ووضع عليه العيونَ،

(١) القصيدة فى ديوان السيد الحميرى ٤٢١ ـــ ٤٢٦ . ونص الباقلَّانى التالى فى كتابه « مناقب الأئمة » كما فى طبقات الشافعية ١ : ٢٩٠ .
(٢) ط : « عما تعاطاه » ، صوابه فى ش وطبقات الشافعية .
(٣) فى الديوان : « بل قد كان شيطانا » .
(٤) فى الديوان والطبقات : «أيما لعنة ولدت » .
(٥) ط:«وهدر دمه»، صوابه فى ش وتاريخ الإسلام١ :٢٨٥ .

واجتهد الحجاج فى أخذه . وقيل : لما اشتهر بمذهبه أراده الحجاج ليقتله ، فهرب فلم يزل ينتقل من حىّ إلى حىّ إلى أن ماتَ فى تَوَارِيه ، فى سنة أربع وثمانين .

قال المبرد : (فى الكامل) : وكان من حديث عِمرانَ بنِ حِطّان ، فيما حدثنى العباس بن الفرج الرِّياشى ، عن محمد بن سلَّام ، أنه لما أطْرَده الحجاج كان ينتقِل فى القبائل ، فكان إذا نزل فى حيٍّ انتسب نسباً يقرب منه [١] ، ففى ذلك يقول :

نزلنا فى بنى سعد بن زيد وفى عَلَكٍّ وعامرِ عَوبثانِ [٢]
وفى لخمٍ وفى أُددَ بنِ عمروٍ وفى بكر وحَىٍّ بنى العَدَانِ[٣]

ثم خرجَ حتى نزل عندَ [٤] رَوح بن زنباع الجذامى ، وكان رَوحٌ يَقرى الأضياف ، وكان مسامراً لعبد الملك بن مَرْوان أثيراً عنده ، فانتمى له من الأزْد [٥]. وكان رَوح بن زنباع لايسمع شِعراً نادراً ولا حديثاً غريبا عند عبد الملك فيسأل عنه عمرانَ بن حِطان إلاّ عرفه وزادَ فيه [٦]

فذكَر ذلك لعبد الملك فقال: إن لى جاراً من الأزد ماأسمع من أمير المؤمنين خبراً ولا شعراً إلاّ عرفَه وزاد فيه .

فقال:خبِّرْنى ببعض أخباره .فخبَّره وأنشده ،فقال:إنَّ اللغة عدنانية،

---

(١) وكذا فى الكامل ٥٣١ . ش : « بقرب منه » .

(٢) فى النسختين : « عويثان » ، صوابه من الكامل وجمهرة ابن حزم ٢٥٤ والقاموس (عبث).

(٣) ش : «وفى بنى العدان» ، تحريف .

(٤) ش فقط : «على» ، وأثبت مافى ط والكامل .

(٥) ط فقط : «الى الأزد» .

(٦) الكلام بعده الى « فيه » التالية ساقط من ش .

وإني لأحسبه عمران بن حِطَّان . حتى تذاكروا ليلةً قولَ عمران بن حطان :

ياضربةً من تقيٍّ ماأراد بها إلاَّ ليبلغَ من ذِي العرش رِضوانا
إنِّي لَأذكرهُ حيناً فأحسبه أوفَى البريَّةِ عند الله مِيزانا

فلم يدر عبدُ الملك لمن هو . فرجع رَوحٌ فسأل عمرانَ بن حطان ، عنه ،فقال عمران :هذا يقوله عمران بن حطان يمدح به عبد الرحمن بن مُلجَم قاتل على بن أبي طالب ، رحمة الله عليه ! فرجع رَوحٌ إلى عبد الملك فأخبره ، فقال عبد الملك : ضيفك عمرانُ بن حطان اذهب [(١)] فجئني به . فرجع إليه فقال : إنَّ أمير المؤمنين قد أحبَّ أن يراك . فقال عمران : قد أردتُ أن أسألك هذا فاستحيت منك [(٢)] فامضِ فإنِّي بالأثَر . فرجع إلى عبد الملك فخبَّره [(٣)] فقال له عبد الملك : أمَا إنك سترجع فلا تجده . فرجع فوجد عمران قد احتمل وخلَّف رقعة فيها :

يارَوْحُ كم من أخى مثْوًى نزلتُ به
قد ظنَّ ظنَّك ، من لَخمٍ وغَسّانِ
حتى إذا خِفتُه فارقتُ منزِلَه
من بعدِ ماقيل :عمران بن حِطَّانِ
قد كنت جارَكَ حولاً ماتروِّعنى
فيه روائعُ من إنسٍ ومن جَانِ

(١) هذا مافى ش والكامل . وفى ط : « فاذهب » .

(٢) الكامل : «فاستحييت منك» بياءين . وكلمة « فامض » بعده ساقطة من ش .

(٣) الكامل : « فأخبره » .

حتى أردتَ بىَ العُظمى فأدركَنى
ماأدركَ الناسَ من خوف ابنِ مروانِ

فاعذِر أخاك ابنَ زنباعٍ فإنَّ له
فى النائبات خُطوباً ذاتَ ألوان

يوماً يمانٍ إذا لاقيتُ ذا يَمنٍ
وإن لقِيتُ معدِّيا فعدنانى

لو كنتُ مستغفراً يوماً لطاغيةٍ
كنتَ المقدَّم فى سِرِّى وإعلانى[1] ٤٣٩

لكنْ أبتْ لىَ آياتٌ مطهَّرة
عند الولاية فى طٰه وعِمرانِ

ثم ارتحل حتى نزل بزفرَ بنِ الحارث الكلابى ، أحد بنى عمرو بن كلاب ، وانتسب له أوزاعياً . وكان عمرانُ يطيل الصلاة ، وكان غلمانٌ من بنى عامر يضحكون منه ، فأتاه رجلٌ يوماً ممن رآهُ عند روح بن زنباع ، فسلَّم عليه فدعاه زفر فقال : من هذا ؟ فقال : من الأزد ، رأيته ضيفاً لروح بن زنباع . فقال له : زفر : ياهذا ، أزديًّا مرَّة وأوزاعيًّا مرَّة ، إن كنت خائفا أمَّنَّاك ،وإن كنت فقيراً جَبَرناك [2] . فلما أمسى خلَّف فى منزلِهِ رقعة وهرب ،فيها :

إن التى أصبحتْ يَعيَا بها زفرٌ
أعيت عياءً على رَوح بن زِنباعِ [3]

---

(١) ط : « لطاعنه » صوابه فى ش والكامل .

(٢) ش : « أجبرناك » ، صوابه فى ط .

(٣) ش فقط : « أصبحت يعنى بها » مع أثر تغيير .

مازال يسألنى حَولاً لأُخبرَه
والناسُ مابين مخدوع وخَدّاع
حتى إذا انقطعت عنّى وسائله
كَفَّ السُّؤالَ ولم يُولَع بإهلاعِ
فاكفف كما كفَّ عنى إنّنى رجلٌ
إمَّا صميمٌ وإمَّا فَقْعةُ القاعِ
واكفف لسانك عن لومى ومَسألتى
ماذا تريد إلى شيخ لأوزاعِ
أمَّا الصلاةَ فإنِّى لستُ تاركَها
كلُّ امرئٍ للذى يُعنى به ساعى
أكرِمْ برَوح بن زنباعٍ وأسرتِهِ
قومٌ دعا أوَّليهمْ للعلا داعِ
جَاورتُهُمْ سَنَة فيما أُسَرُّ به
عِرضى صحيحٌ ونومى غيرُ تَهجاعِ
فاعملْ فإنك منعىٌّ بواحدة
حسبُ اللبيب بهذا الشَّيب مِن ناعى

ثم ارتحل حتَّى أتى عُمان ، فوجدهم يعظِّمون أمر مرداسٍ أَبى بلالٍ[1] ويظهرونه ، فأظهر أمره فيهم،فبلغ ذلك الحجَّاجَ فكتب إلى عامل عُمَان فيه[2]فهرب عمران حتى أتى قوماً من الأزد،فلم يزل فيهم حتى مات.وفى نزوله يقول [3]:

---

(١) فى النسختين : «أمر مرداس بن أبى بلال» ، صوابه من الكامل . وأبو بلال هو مرداس بن أدية الخارجى ، كما سيأتى .

(٢) كلمة «فيه» ليست فى ش ولا فى الكامل . وفى الكامل : « إلى أهل عمان » .

(٣) الكامل : « وفى نزوله بهم يقول » .

نزلنا بحمد الله فى خير منزل
نُسَرّ بما فيه من الأُنس والخَفَرْ
نزلنا بقوم يَجمعُ الله شَملهمْ
وليس لهم أصلٌ سوى المجدِ يُعتصَرْ (١)
من الأزد إنَّ الأزد أكرمُ معشرٍ
يمانيةٍ طابُوا إذا نُسِب البشرْ
فأصبحتُ فيهم آمناً لا كمعشرٍ
أتَونى فقالوا : مِن رَبيعة أو مضرْ
أم الحىُّ قَحطان ،وتلكُمْ سفاهةٌ
كما قال لى رَوحٌ وصاحِبُه زفرْ
وما منهما إلا يُسَرُّ بنسبةٍ
تقرِّبنى منه وإنْ كان ذا نفَرْ
فنحنُ بنو الإسلام واللهُ واحدٌ
وأولَى عبادِ الله بالله مَنْ شكرْ

وكان عمران رأس القَعَدية من الصُّفرية ،وفقيهَهُم وخطيبهم وشاعرَهم . وقال ، لما قتل أبو بلال ، وهو مرداسُ به أُدَيَّة ،وهى جَدَّته ،وأبوه حُدَيْر (٢)، وهو أحد بنى ربيعةَ بنِ حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم :

لقد زادَ الحياةَ إلىَّ بغضاً وحُبًّا للخروج أبو بلال
أحاذرُ أن أموتَ على فراشى وأرجو الموتَ تحت ذُرَى العَوالى (٣)

---

(١) الكامل : «وليس لهم عود» .

(٢) ط : «حدبر» صوابه فى ش والكامل ٥٣٠ .

(٣) بعده فى الكامل بين هذا البيت وتاليه :

ولو أنى علمت بأن حتفى كحتف أبى بلال لم أبال

٤٤٠ فمن يكُ همُّه الدُّنيا فإنِّى لها واللهِ ربِّ البيتِ قالى

وفيه يقول :

ياعينُ بكِّى لمرداسٍ ومصرعِهِ يارَبَّ مرداسٍ ألحِقْنى بمرداسٍ [١]

تركتَنى هائما أبكى لمرزِئتى فى منزلٍ موحشٍ من بعد إيناسِ

أنكرتُ بعدكَ ماقد كنت أعرفُه ماالناسُ بعدك يامِرداسُ بالناسُ

إمَّا شربتَ بكاسٍ دارَ أوَّلُها على القرون فذاقوا جُرعة الكاسِ

فكُلُّ من لم يذقْها، شاربٌ عجِلاً منها بأنفاسِ وِرْدٍ بعد أنفاس

هذا ماأورده المبرد (فى الكامل) .

وقال المرزبانى : كان عمرانُ شاعراً مُفْلقا مُكْثِرا . وقال الفرزدق : كان عمرانُ من أشعر الناس ، لأنه لو أراد أن يقول مثلَنا لقال ، ولسنا نقدر أن نقول مثله .

ويروى أنَّ امرأته قالت له يوما : أمَا زعمت أنك لم تكذب فى شعرك قَطُّ ؟ قال : أوقَعَ ذلكِ ؟ قالت : نعم ، ألم تقل :

فهناك مَجزأة بن ثو رٍ كان أشجعَ من أُسامه

أفيكون رجلٌ أشجعَ من أسد . قالَ : أمَا رأيتِ مجزأة بن ثور فتح مدينةً والأسدُ لايقدر على ذلك .

وروى عن قتادة أنه قال : لقينى عمران بن حِطَّانَ فقال : ياعمِّى ؛ احفظْ عنِّى هذه الأبيات :

حتّى متى تُسقَى النفوسُ بكأسِها ريبَ المنون ، وأنت لاهٍ تَرتعُ

أفقَدْ رضيتَ بأن تُعلَّل بالمُنَى وإلى المنية كلَّ يومٍ تُدفعُ

---

(١) فى الكامل : « يارب مرداس اجعلنى كمرداس » .

أحلامُ نوم أمْ كظلٍّ زائل إنَّ اللبيبَ بمثلها لايُخدَعُ (١)

وفى تاريخ الإسلام للذهبى : أنَّ سفيان الثَّورى كان يتمثل بأبيات عمران بن حِطّان هذه :

أرى أشقياءَ الناس لايسأمونها على أنهم فيها عُراةٌ وجُوَّعُ

أُراها وإن كانت تُحَبُّ فإنها سحابة صيف عن قليل تَقَشَّعُ

كركبٍ قضَوْا حاجاتِهم وترحَّلوا طريقُهُم بادى الغيابة مَهيعُ (٢)

ومن شعره السائر :

أيُّها المادح العبادَ ليُعطَى إنَّ لِلهِ مابأيدى العبادِ

فسَلِ اللهَ ماطلبتَ إليهم وارجُ فضلَ المهيمن العَوَّادِ

ومن شعره ، وأورده أبو زيد (فى النوادر) ، وقال : إنها قصيدةٌ طويلة :

وليس لعيشنا هذا مَهَاهٌ وليست دارُنا هاتَا بدارِ (٣)

وإن قلنا لعلَّ بها قراراً فما فيها لحىّ من قرارِ

لنا إلاّ ليالىَ هيِّناتٍ وبُلغتنا بأيامٍ قصارِ

أُرانا لانمَلُّ العيشَ فيها وأُولِعنا بحرص وانتظارِ

ولا تَبقى ولا نَبْقَى عليها ولافى الأمر نأخذ بالخِيارِ

---

(١) بعده فى تاريخ الإسلام ١ : ٢٨٥ :

فعزودنٌ ليوم فقرك دائبا واجمع لنفسك لا لغيرك تجمع

(٢) الغيابة ، كذا وردت فى النسختين . والغيابة الهبطة من الأرض . والذى فى تاريخ الإسلام : «بادى العلامة» .

(٣) ط : «مهاة» ، وأثبت مافى ش مع أثر تغيير ، وانظر اللسان (مهه ٤٣٩) وما سيأتى فى تفسير البغدادى . وفى ملحقات نوادر أبى زيد ٣١٠ من نسخة عاطف أفندى : «قال أبو الحسن : يروى مهاة ومهاه » .

ولكِنّا الغَـداةَ بنـو سبيـل عَلَى شرف يُيسَّرُ لانحدارِ [1]
٤٤١ كركبٍ نازلينَ على طريـقٍ حثيثٍ رائحٌ منهمْ وسارى
وغـادٍ إثرَهـمْ طرَبـاً إليهـم حثيث السَّير مُؤْتَنَفَ النَّهارِ

والبيت الأول من شواهد سيبويه ، أورده على أن هاتا اسمُ إشارة للمؤنث بمعنى هذه .

والمهاهُ ، بهاءين وفتح الميم : الصفاء والرقَّة . والصُّفْرية ، بضم الصاد وسكون الفاء : جنسٌ من الخوارج ، نسبوا إلى زياد بن الأصفر رئيسِهم . وزعمَ قومٌ أنَّ الذى نُسبوا إليه هو عبد الله بن الصفَّار ، وأنَّ الصِّفرية بكسر الصاد . كذا فى الصحاح . ويقال للخوارج الشُّرَاة بالضم ، والواحد شارٍ ، سُمُّوا بذلك لقولهم : إنّا شَرَينا أنفسنا فى طاعة الله ، أى بِعناها بالجنة ، حين فارقْنا الأئمة الجائرة . يقال منه . تشرَّى الرجُل .

وقد أَطنب المبرِّد (فى أواخر الكامل) فى الكلام على الخوارج وفِرَقهم ووقائعهم . ومن أراد الاطلاع عليه فليرجع إليه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والتسعون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد س [2] :

٣٩٨ * ياأَبَتَا عَلَّكَ أَوْ عَسَاكا *

---

(١) ط : «ولكن» ، صوابه فى ش .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٨٨ / ٢: ٩٩ . وانظر ٣ : ٧١ والخصائص ٢ : ٩٦ والمحتسب ٢ : ٢١٣ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٧٦ ، ١٠٤ والإنصاف ٢٢٢ وابن يعيش ٢ : ١٢ / ٣ : ١٢٠ / ٧ : ١٣٢ وشرح شواهد المغنى ١٥١ والتصريح ١ : ٢١٣ / ٢ : ١٧٨ والهمع ١ : ١٣٢ والأشمونى ١ : ٢٦٧ / ٣ : ١٥٨ وملحقات ديوان رؤبة ١٨١ .

على أنَّ الكاف [خبرٌ] منصوب المحل ، واسم عسى ضمير مستتر على أحد قولى المبرّد . وقد تقدم نص سيبويه قبل هذا بثلاثة أبيات [(١)] .

وقد أنشد أبو على (فى إيضاح الشعر) هذا البيت والذى قبله عن سيبويه ، ونَقَل عنه أنَّ الكاف منصوبة ، ولو كانت مجرورة لقال عساى . قال أبو علىّ : وجْهُ ذلك أنَّ عسى لما كانت فى المعنى بمنزلة لعلَّ ،ولعلَّ [(٢)] وعسَى طمَع وإشفاق ، فتقاربا ، أجرىَ عسى مجرى لعلَّ إذْ كانت غير متصرِّفة كما أنَّ لعلَّ كذلك ، فوافقَتْها فى العمل حيث أشبَهتْها فى المعنى والامتناعِ من التصرُّف .

فإن قلت : إذا صارت بمنزلتها لهذا الشبه فما المرفوعُ بها ، وهى إذا صارت بمنزلة لعلَّ تقتضى مرفوعاً لا محالة ، لأنه لايكون المنصوب فى هذا النحو بلا مرفوع . قيل : إنَّ ذلك المرفوعَ الذى تقتضيه محذوف ، ولم يمتنع أن تحذفه ، وإن كان الفاعل لايحذف ، لأنَّها إذا أشبهت لعلَّ جاز أن تحذف خبر هذه الحروف ، من حيث كان الكلامُ فى الأصل الابتداء والخبر ، فحذفت كما تحذف أخبار المبتدآت . وكذلك المرفوع الذى يقتضيه عسى حُذِف على هذا الحدّ ، كما حُذف الخبر من لعلَّ فى قوله : « علك أو عساكا » ، وقوله :

* لَعلِّى أو عسانى *

وكما حُذف فى :

* إنّ محلاً وإنّ مرتحَلا [(٣)] *

وكما حذف الخبر فى قوله سبحانه :﴿إنَّ الذين كَفَروا ويصُدُّون عَنْ

---

(١) انظر ماسبق فى ص ٣٣٧ .

(٢) ش : « وقال لعل » بإقحام « وقال » .

(٣) للأعشى فى ديوانه ١٥٥ . وعجزه : * وإنَّ فى السفر مامضى مهلا *

سبيل الله (١) ﴾ ، لا كما يحذف الفاعل . ويقوِّى ذلك أنهم قالوا : « عسَى الغُوَير أبؤساً » ، فجعلوها بمنزلة مايدخل على الابتداء والخبر . ومما يقوِّى حذف ذلك لهذه المشابهة وأنّ حذفه لايمتنع من حيث امتنع حذف الفاعل ، أنَّ ليس لمَّا كانت غير متصرِّفةٍ صارت عينُها بمنزلة ليت فى السكون ، ولم يكن فى يائها الكسر والسكون ، ويكون ذلك المحذوف غائباً ، كأنه عساك الهالك ، أو عساك هو .

فإن قلت : فإن جاء شيءٌ بعد شيء من هذه الأبيات التى تشبه ماذكر من عساك تفعل ، ولعلى أو عسانى أخرج ، فما يكون الفاعل على قوله ؟

قيلَ : أمَّا على ماذهب إليه من أنّه بمنزلة لعل فلا نظر فيه ، ويكون بمنزلة لعلَّك تخرج ، والقول فيه كالقول فيه . وأمَّا على القول الآخر الذى رأيناه غير ممتنع فهو أشكل ، لأنَّ الفاعل لايكون جملة . فإنْ شئت قلت : إنْ الفعل فى موضع رفع بأنّه فاعل ، وكأنه أراد عسانى أن أخرج ، فحذف أن ، وصار [الفعل مع] أن المحذوفة (٢) فى موضع رفع بأنَّه فاعل ، كما كان فى موضع رفع بالابتداء ، فى قولهم : « تسمع بالمعَيدىِّ خيرٌ من أنْ تراه » ، وكقول أبى دُوَاد : ٤٤٢

* لولا تجاذبه قد هربْ * (٣)

وقد جاء ذلك فى الفاعل نفسه . أنشد أحمد بن يحيى :

وماراعَنا إلاّ يسيرُ بشرطةٍ وعهدى به قيناً يفُشُّ بِكِيرِ (٤)

---

(١) الآية ٢٥ من الحج .

(٢) ش : « وصار أن المحذوفة » فقط . وإكماله من ط .

(٣) وكذا أورد فى ديوانه ٢٩٣ بدون صدر ، لكن برواية : « لولا تجاذبه » بالنون .

(٤) لمعاوية الأسدى . وفى ط : «يغش بكير» ، صوابه فى ش والخصائص ٢ : ٤٣٤ وابن يعيش ٤ : ٢٧ والعينى ٤ : ٤٠٠ واللسان (فرج) .

فكما أنَّ هذا على حذف أنْ ، وتقديره ماراعنا إلاَّ سيره بشُرطة ، كذلك يكون فاعل عسى فى نحو عسى يفعل إنما هو على عسى أن يفعل ، كقوله تعالى : ﴿ عسى أن تكرَهُوا شيئاً [١] ﴾ ، فتحذف أن وهى فى حكم الثبات .

ولو قال قائل إنَّ عسى فى عسانى وعساك قد تضمَّن ضميراً مرفوعاً ، وذلك الضمير هو الفاعل ، والكاف والياء فى موضع نصبٍ على حدِّ النصب فى قوله : «عسى الغُوير أبؤسا» لاعلى حدِّ تشبيهه بلعلَّ ولكنَّ على أصل هذا الباب ، كأنه عدَّاه إلى المضمر على حدِّ ماعدَّاه إلى المظهر الذى هو أبؤس — كان وجهاً . فأمَّا فاعلها فإنّه لايخلو من أحد أمرين : إمَّا أن يكون قد جَرَى له ذكر ، أو لم يجر له ذكر . فإن كان ذكره قد جرى فلا إشكال فى إضماره . وإن لم يجر له ذكر فإنَّما تُضمره لدلالة الحال عليه ، كما ذُكِر من قولهم : إذا كان غداً فأتنا ، فكذلك يكون إضمار الفاعل فى عسى ، وتكون على بابها ولا تكون مشبَّهة بلعلَّ . والأوَّل الذى ذهب إليه كأنَّه إلى النفس أسبق . انتهى كلام أبى على .

وقد استشهد لما ذكره [٢] الشارحُ المحقق جماعةٌ ، منهم الزمخشرى (فى المفصل) ، وابن هشام (فى المغنى) . وفيه شاهدان آخران :

أحدهما ماذكره سيبويه من أنّ فيه تنوين الترنم . قال : وأمَّا ناسٌ كثير من بنى تميم فإنهم يُبدلون مكان المدَّة النونَ فيما ينوَّن ومالا ينوَّن لماَّ لم يريدوا الترنم ، ثم أبدلوا مكان المدة نونا ، ولفظوا بتمام البناء وماهو منه ، كما فعل أهل الحجاز ذلك بحروف المدّ ، سمعناهم يقولون ، للعجاج :

---

(١) البقرة ٢١٦ .

(٢) ش : « بماذكره » .

* ياأبتَا عَلَّكَ أوْ عساكَنْ *

ثانيهما : ماذكره شارح اللباب وغيره ، من أنَّ فى ياأبتا الجمعَ بين عِوَضين ، فإنَّ التاء عوضٌ من ياء المتكلم ، وإنَّما جاز الألف دون ياء المتكلم ، لأنَّ التاء عوض من ياء المتكلم ، فيمتنع الجمع بين العوض والمعوَّض بخلاف الألف ، فإنّ غايته أن يذكر عِوَضانِ ، وهو غير ممتنع ، وليس فيه الجمع بين العوض والمعوَّض، كما زعم العينى وتبعه السيوطى (فى شواهد المغنى).

وقد خَطَّأَ أبو محمد الأعرابى الأسود رواية : « ياأبتا » ، وقال : إنَّما الرواية «تأنَّيا» . وهو من التأنِّى كما يجىء بيانه .

وقد ذكر جميع شرّاح الشاهد أَنَّ ماقبله :

* تقول بنتى قد أنَى إناكا *

وأنَى : فعلٌ ماض بمعنى قَرُب . والإنَى بكسر الهمزة والقصر : الوقت . قال تعالى : ﴿ غَيرَ ناظِرِينَ إناه [1] ﴾ على أحد قوليه . وأنَى إناك : حان حِينك أى حينُ ارتحالك إلى سفر تطلب رزقاً ، فسافرْ لعلك تجدُ رزقاً . أو حان رحيلك إلى من تلتمسُ منه شيئاً تنفقه علينا .

و(علَّك) بمعنى لعلَّك ، والخبر محذوف . وزعم العينى وتبعه السيوطى أنَّ أناك بفتح الهمزة . قال : أصله أناءك . والأناء على فَعال : اسمٌ من الفعل المذكور . ٤٤٣

وقد نازع أبو محمد الأعرابى فى كون هذا ماقبله ، وقال : هما من أرجوزتين . وردَّ ردًّا شنيعا على ابن السِّيرافى ، فإنه قال (فى شرح أبيات سيبويه) : قوله : ياأبتا علَّك أو عساكن ، قبله :

(١) الآية ٥٣ من الأحزاب .

* تقولُ بنتى قد أَنَى إناكا *

وفى شعره :

* فاستعزم اللّٰه ودَعْ عساكا *

وقوله : قد أَنَى إناكا ، أى ممن تلتمس منه مالاً تنفقه . وقوله : ياأبتا علَّك أو عساكا ، أى لعلك إن سافرتَ أصبت مانحتاج إليه .وقوله : «فاستعزم اللّٰه» إلخ ، أى استخِرْهُ فى العزم على الرحيل والنصر ، ودعْ قولك عسایَ لاأفوز بشیءٍ إذا سافرتُ ويحصُل بيدى التَّعب .

قال أبو محمد الأعرابى (فى فُرحة الأديب) : خلط ابن السيرافى ههنا من حيث أنَّ النَّوى أشباه . وصحَّف فى كلمة من البيت أيضاً ، وهو قوله ياأبتا ، وإنما هو :

* تأنَّياً علَّك أو عساكا *

وسيأتيك بيانه . وذلك أنّ قوله :

* فاستعزم اللّٰه وَدَعْ عساكا *

من أرجوزةٍ ، وقوله :

* تأنَّياً علَّك أو عساكا *

من أرجوزة أخرى . فالتى فيها فاستعزم اللّٰه ، هى قوله يمدح بها الحارث ابن سُلَيمٍ الهُجَيمى ، يقول فيها :

(تقول بنتى قد أَنَى إناكا فاستعـزم اللّٰه ودَعْ عَساكا
ويُـدرِك الحاجـةَ مُختطـاكا قد كاد يَطوى الأرَضَ مُرتقاكا

تُخْشَى وتُرجَى ويُرى سَناكا فقلت : إنى عائكٌ مَعَاكا [١]
عَيشاً ولاانتجـــع الأَراكا فابلغْ بنى أميةَ الأملاكا [٢]
بالشام والخليفــةَ المِــلاكا وبخراسان فأيــــن ذاكا
منِّـــى ولاقـــدرةَ لى بذاكا أو سِرْ لكَرمانَ تجد أخاكا
إنّ بها الحارثَ إن لاقاكا أجدى بسيْبٍ لم يكن رِكاكا)

والأرجوزة الأخرى يمدح فيها إبراهيم بن عربىّ ، وهى :

(لمَّا وضعتُ الكُور والوِراكا عن صَلَبٍ مُلاحَكٍ لِحَاكا
أسرّ من إمسيِّها نِسْعاكا أصفر من هجم الهجير صاكا [٣]
تصفير أيدى العُرُس المَدَاكا تأنّياً عَلَّك أو عساكا [٤]
يسأَل إبراهيـــمَ ماألهاكا من سَنتيْـــنِ أتَتَـــا دِرَاكا
تلتحيـــانِ الطَّلــحَ والأَراكا لم تدعا نَعلاً ولا شِراكا [٥])

هذا ماأورده ، والله أعلم بالصواب . والأكثرون على أنَّ هذا الرجز لرؤبة ابن العجّاج ، لا للعجّاج . وقد تقدَّم ترجمتهما فى أوائل الكتاب [٦] .

* * *

---

(١) عاك معاشه يعوك عوكا ومعاكا : كسبه وأصلحه . وفى النسختين : « عانك » صوابه من فرحة الأديب مخطوطة الدار .

(٢) فى فرحة الأديب : « غيثا » .

(٣) فى النسختين : «أصغر من هجم الهجير» ، صوابه من فرحة الأديب .

(٤) ط : «تصغير» ، وأثبت مافى ش وفرحة الأديب .

(٥) فى النسختين : « يلتحيان » ، صوابه من فرحة الأديب . والضمير للسنتين فى الشطر السابق .

(٦) الخزانة ١ : ٨٩ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والتسعون بعد الثلثمائة [١] :

٣٩٩ (هَلْ تُبلِغَنِّى دارَها شَدَنيَّةٌ
لُعِنتْ بمحروم الشَّرابِ مُصَرَّمِ)

على أنّ النون الأولى فى تُبلغنِّى نون التوكيد الخفيفة ، والنون الثانية نون الوقاية .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من معلَّقةِ عنترةَ بن شدّادٍ العَبْسى . وقبله :

(تُمسِى وتصبحُ فوق ظهرِ حَشيّةٍ وأَبيتُ فوقَ سراةِ أدهمَ مُلجَمِ
وحَشِيَّتى سَرجٌ على عَبْلِ الشَّوَى نَهدٍ مَراكلُه نبيلِ المحزِمِ ٤٤٤
هل تُبلِغنِّى دارَها شَدَنيَّةٌ .. .. البيت
خَطَّارةٌ غِبَّ السُّرَى زَيَّافةٌ تَقِصُ الإكامَ بذاتِ خُفٍّ مِيثَمِ)

قوله : «تمسى وتصبح» الضمير المؤنث لحبيبته ،وهى عبلة . والحَشِيَّة : الفِراش المحشوُّ . والسَّراة ، بفتح السين : أعلى كلِّ شيء ، وأراد به هنا ظهرَ فرسه . يقول : تمسى وتصبح فوق فراشٍ وطىءٍ ، وأبيت أنا فوق ظهر فرس أدهم مُلجم . يعنى أنها تَتنعَّم وأنا أُقاسى شدائد الأسفار والحروب .

وقوله : « وحشيتى سرجٌ » مبتدأ وخبر . يريد أنَّه مستوطىءٌ بسرج الفرس كما يستوطىءُ غيرُهُ الحشيَّة والاضطجاع عليها . ثم وصف الفرس بأوصاف محمودة ، وهى غلظ القوائم ، وانتفاخُ الجنبين ، وسِمَنُهما . والعَبْل ، بالفتح : الغليظ . والشَّوَى بالفتح : القوائم ، جمع شَواة . أى على فرس غليظ القوائم

(١) من معلقة عنترة بن شداد .

والعِظام ، كثير العَصَب . والنهد بفتح النون: الضَّخم المشْرِف . والمَرَاكل : جمع مَرْكل كجعفر ، وهو الموضع الذى يصيب رجلَ الفارس من الجنبين إذا استوَى على السَّرج . والنبيل : العظيم . والمحزِم : موضع الحِزام .

وقوله : (هل تُبلغنِّى) إلخ استبعدَ الوصولَ إليها لشدة بعدها ، فاستفهمَ عنه . وأبلغه المنزِلَ ، إذا أوصله إليه . و(دارَها) أى دار عبلة . و(شدنيَّة): ناقة منسوبة إلى شدَنٍ بفتحتين ، وهو حىٌّ باليمن ، وقيل أرض فيه .

وقوله : (لُعِنت) بالبناء للمفعول ، قال التبريزى فى شرح المعلقة : دعَا عليها [(١)] بانقطاع لبنها ، أى بأن يُحرم ضرعُها اللبنَ فيكون أقوى لها ، وأسمنَ وأصبرَ على معاناة شدائد الأسفار ، لأنّ كثرة الحملِ والولادِة يُكسبها ضعفا وهُزَالاً . ويجوز أن يكون غير دعاء ويكون خبراً . وأصل اللَّعن البعد .

وقوله : (بمحروم الشَّراب) أى بضرعٍ ممنوع شرابه . وأصل حُرِم مُنِع : وقيل بمحرومِ الشراب ، أى فى محروم الشراب . وقال خالد بن كلثوم : لُعنت : نحّيت عن الإبل ، لماَّ عُلم أنها معقومة ، فجعلت للركوب الذى لايصلح له إلاَّ مثلها . و(المصرَّم) : الذى أصاب أخلافه شىء فَقَطعه ، من صِرارٍ أو غيره .

وقال أبو جعفر : المُصرَّم : الذى يُلوَى رأسُ خِلْفه حتى ينقطع لبنه . وهو هنا مثل ، يريد : أنَّها معقومة ولا لبن لها . انتهى .

وقال الأعلم (فى شرح الأشعار الستة):قوله لعنت ،أى سُبَّت بضرعها كما يقال : لعَنَه الله ماأدهاه وماأشعره ! وإنما يريد أنَّ ضرعَها قد حُرِم اللبن

---

(١) ط : «دعاء عليها» ، وأثبت مافى ش . وفى شرح التبريزى : « يدعو عليها » .

فذلك أوفرُ لقوَّتها وأصلبُ لها ، فتُلْعَن ويدعى عليها على طريق التعجُّب من قوَّتها . والمصرَّم : المقطوع اللبن . وقيل معنى لعنت أنَّه دعا عليها بأنَّ ضرعها يكون مقطوعَ اللبن ، إذْ كان أقوى لها . والمعنى الأوَّل أحسنُ وأبلغ . انتهى .

وقوله : « خطَّارة غِبّ » إلخ ، هو صفة لشدَنية . والخطَّارة : التى تَخْطِر بذنبها يَمنةً ويسرة ، لنشاطها . والسُّرَى : سَير الليل . وغِبُّ الشيء : بَعْدَه . يقول : هى خَطَّارة بعدَ السُّرى ، فكيف بها إذا لم تَسْرِ . والزيَّافة : التى تزيف فى سيرها ، كما تزِيف الحمامةُ ، تسرع . وقوله : « تقِصُ الإكام » أى تكسرها بأخفافها ، لشدة وطئها وسرعة سيرها . يقال وَقَص يَقِصُ بالقاف والصاد المهملة . ويروى : « تَطِسُ » بمعناه . يقالُ وطس يطِس ، إذا كَسر . والإكام ، بالكسر : جمع أكَم بفتحتين ، كجبال جمع جبل ، وهو ماارتفع من الأرض . والمِيثم : الشديد الوطء . يقال وَثَم الأرض يَثِمُها بالمثلثة ، إذا وطئها وطْئاً . وقوله : «بذات خُفٍّ» . أى بقوائم ذات أخفاف .

٤٤٥

وقد تقدَّم فى الشاهد الثانى عشر من أوائل الكتاب شرحُ أبياتٍ من هذه القصيدة ، مع ترجمته عنترة [١] .

* * *

وأنشد بعده،وهو الشاهد الموفى الأربعمائة،وهو من شواهد سيبويه[٢]:

٤٠٠ (تَراه كالثَّغامَ يُعَلُّ مِسكاً
يسوءُ الفالياتِ إذا فَلَيْنِى)

(١) الخزانة ١ : ١٢٢ .

(٢) فى كتابه ٢ : ١٥٤ . وانظر ابن يعيش ٣ : ١٩ والعينى ١ : ٣٧٩ والهمع ١ : ٩٥ واللسان (فلا) والحماسة بشرح المرزوقى ٢٩٤ .

عَلَى أنه قد جاء حذف نون الوقاية مع نون الضمير للضرورة ، كما هنا . والأصل : إذا فلينني ، بنونين .

قال سيبويه : وإذا كان فعلُ الجميع مرفوعاً ثم أدخلتَ فيه النون الخفيفة أو الثقيلة حذفت نون الرفع ، وذلك قولك : لَتفعلُنَّ ذلك ولتذهَبُنَّ ، لأنَّه اجتمعت فيه ثلاث نونات ، فحذفوها استثقالاً . وتقول : هل تفعلُنَّ ذاك ، بحذف نون الرفع ، لأنك ضاعفت النون ، وهم يستثقلون التضعيف ، فحذفوها إذْ كانت تحذف ، وهم فى هذا الموضع أشدُّ استثقالاً للنونات ، وقد حذفوها فيما هو أشدُّ من ذا [1] . بلَغنا أنَّ بعض القراء قال : ﴿تحاجُّونى [2]﴾ ، وكان يقرأ : ﴿ فبِمَ تبشِّرونى [3] ﴾ خفيف ، وهى قراءة أهل المدينة ، وذلك لأنهم استثقلوا التضعيف . قال عمرو بن معديكرب :

تراه كالثَّغام يُعلُّ مِسكاً يسوء الفالياتِ إذا فَلَيْنى

يريد : إذا فلينني . انتهى .

قال الأعلم : الشاهد فى حذف النون فى قوله فلينى ، كراهةً لاجتماع النونين ؛ وحذفت الياء دون جماعة النِّسوة لأنها زائدة لغير معنىً . انتهى .

وهذا موافقٌ لما قاله الشارح .

وأخذ ابن مالك بظاهر كلام سيبويه (فى التسهيل) أنَّ المحذوف هنا نون النسوة ، وقال : هو مذهب سيبويه . ووجَّهَهُ فى شرحه بأنهم حافظوا على بقاء نون الوقاية مطلقاً لما كان للفعلِ بها صونٌ ووقاية .

---

(١) يعنى حذف نون من نونين لا من ثلاثة .

(١) الأنعام ٨٠ .

(٣) الحجر ٥٤.

والبيت من أبيات ثمانية لعمرو بن معديكرب ، قالها فى امرأةٍ لأبيه ، تزوجها بعده فى الجاهلية . وهى : أبيات الشاهد

(تقول حليلتى لما قَلَتنى ... شرائحُ بين كُدرىّ وجُونِ
تراه كالثغام يُعَلُّ مسكاً ... يسوء الفالياتِ إذا فلينى[1]
فزيَّنْكِ فى شريطِكِ أُمَّ عمرو ... وسابغةٌ وذو النونين زَينى
فلو شَمَّرن ثمَّ عدَوْن رَهواً ... بكلِّ مُدجَّج لعرفتِ لونى
إذا ماقلتُ إنَّ على دَينا ... بطعنة فارسٍ قضَّيتُ دينى
لَقعقعةُ اللِّجام برأس طرِفٍ ... أحبُّ إلى من أن تنكحينى
أخاف إذا هَبطن بنا خَبَاراً ... وجدَّ الركضُ أن لاتحملينى
فلولا إخـوتى وبنـىَّ منها ... ملأتُ لها بذى شُطَب يمينى)

الحليلة : الزوجة . وقلتنى ، من القِلَى ، وهو البغض . وشرائح خبر مبتدأ محذوف ، أى شعركَ شرائح . والجملة مقول القول . وشرائح : جمع شريج بفتح[2] الشين المعجمة وآخره جيم : الضرب والنوع . قال ابن دريد فى (الجمهرة) : كل لونين مختلفين هما شريجان . وأنشد هذا البيت . ٤٤٦

وقوله : «بين كُدريٍّ وجُون » أى بعض الشرائح كدرىٌّ ، أى أغبر وبعضها جُون . والكدرىّ :منسوبٌ إلى الكدرة . وجُون بضم الجيم:جمع جَوْنة ، وهو مصدر الجون بالفتح ؛ وهو من الأضداد ، يقال للأبيض جَون وللأسود جون .

وقوله :(تراه كالثغام) إلخ الضمير المستتر للحليلة ،والضمير البارز المنصوب لشعر الرأس المفهوم مما قبله . ورواه الفراءُ وابن دريد : (رأته)

---

(١) فى هذه القافية والثلاثة بعدها مايسمَّى بسناد الحذْو .

(٢) فى النسختين : « بضم » ، وهو تحريف ظاهر .

بالماضى ، وهو من رؤية العين . وكالثغام حالٌ من الهاء ، وكذلك قوله يُعلُّ . والثَّغام ، بفتح المثلثة والغين المعجمة ، قال الأعلم : هو نبتٌ له نَوْر أبيض يشبَّه به الشيب . وقال صاحب الصحاح : هو نبتٌ يكون فى الجبل ، يبيَضُّ إذا يبس ، يقال له بالفارسية دِرَمْنه إسبِيذ ، يشبه به الشيب ، الواحدة ثَغامة. وعَلَلته ماءً عللاً ، من باب طلب : سقيته السَّقية الثانية . وعَلّ هو يَعِلُّ ،من باب ضرب ، إذا شرب . قال الأعلم : ومعنى يُعَلُّ يطيّب شيئاً بعد شىء.وأصل العلل الشّرب بعد الشُّرب. وهذا غير مناسب ، فإنّه هنا متعدٍّ إلى مفعولين : أحدهما نائب الفاعل وهو الضمير المستتر العائد إلى ماعاد إليه الهاء من تراه ، والثانى مسكا . وقوله : (يسوءُ الفاليات) فاعله ضمير الشَّعر ، والفاليات مفعوله ، وهو استئناف ، وهو دليل جواب إذا . والفالية هى التى تَفلى الشعر ، أى تخرج القمْلَ منه .

وقوله : «فَزينكِ فى شريطكِ» إلخ هذا خطابٌ لها . وأمَّ عمرو منادى . والزَّين : نقيض الشين ، مصدر زانَه بمعنى زيَّنه ، إذا جعل له زينةً . والشريط ، قال جامع ديوانه : هو العيبة الصغيرة .والعَيْبة . بالفتح : ماتجعل فيه الثياب . وقوله : وسابغةٌ ، خبر مقدَّم ، وزَينى مبتدأ مؤخر . والسابغة : الدِّرع الواسعة الطويلة . وذو النونين : السيف ، والنون:شَفْرته .

وقوله : «فلو شمَّرن ثم عَدَوْنَ» إلخ يعنى النساء الفاليات . وشمَّر إزاره تشميراً :رفعه . والرهو:السير السهل ، مصدَرُ رَهَا يرهُو فى السَّير ، أى رَفَق. والمدجّج بجيمين،على صيغة اسم المفعول،هو [1]اللابس آلة الحرب والسلاح.

---

(١) ط : «وهو» بالواو .

وقوله : «إذا ماقلت» إلخ هو بضم التاء فى الموضعين . والطِّرف ، بالكسر : الفرس الجواد . والخبار بفتح الخاء المعجمة بعدها موحدة : الأرض الرِّخوة . وذو شُطَب ، هو السيف ، وشُطَب السيف : طرائقه التى فى مَتْنه ، الواحدة شُطْبة .

وترجمة عمرو بن معديكرب تقدَّمت فى الشاهد الرابع والخمسين بعد المائة [١] . وهو من الصَّحابة رضى الله عنهم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى بعد الأربعمائة ، وهو شواهد س [٢]:

٤٠١ (كَمُنيةِ جابرٍ إذْ قال ليتى
أصادِفُه وأفقِـدُ جُلَّ مالى)

على أنَّ حذف نون الوقاية من (ليتى) ضرورة عند سيبويه .

قال سيبويه : وقد قالت الشعراء ليتى إذا اضطُرُّوا ، كأنَّهم شبَّهوه بالاسم حيث قالوا الضاربى ، والمضمر منصوب . قال زيد الخيل :

كمنية جابر إذْ قال ليتى أُصادفُه وأُتلِفُ بعضَ مالى

انتهى

صاحب الشاهد

وهذا مِنْ أبياتٍ لزيد الخيل رضى الله عنه ، وأوّلها :

أبيات الشاهد

(تمنّى مَزْيدٌ زيداً فلاقَى أخا ثقةٍ إذا اختلفَ العوالى

---

(١) الخزانة ٢: ٤٤٤ .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٨٦ . وانظر نوادر أبى زيد ٦٨ ومجالس ثعلب ١٢٩ والمقتضب ١ : ٢٥٠ والمقرب ١٩ وابن يعيش ٣ : ٩٠ ، ١٢٣ والعينى ١ : ٣٤٦ والأشمونى ١ : ١٢٣ واللسان (ليت) .

٤٤٧ كمنية جابرٍ إذْ قال ليتى . . . البيت

وقد اقتصر عليهما أبو زيد (فى نوادره) وبعدهما :

(تلاقَينا فما كُنَّا سواءً ولكنْ خَرَّ عَنْ حالٍ لحالِ
ولولا قولُهُ يازَيدُ قَدْنى لقد قامت نُويرة بالمآلى
شَككتُ ثيابَه لمَّا التقينا بمطَّردِ المَهَزَّة كالخِلالِ)

وقوله : «تمنى مَزيد» إلخ ، مَزْيد بفتح الميم وسكون الزاء المعجمة بعدها مثناة تحتية ، قال ابن السيرافى وغيره : هو رجلٌ من بنى أسد ، كان يتمنَّى أن يَلقى زيدَ الخيل ، فلقيه زيدُ الخيل فطعنه فهرب منه . وقوله : «أخا ثقه» أى صاحب وثوق بشجاعته وصَبرِه فى الحرب . والعوالى : جمع عالية ، والعالية من الرمح : مايلى الموضعَ الذى يركَّب فيه السِّنان . يعنى وقت اختلاف الرماح ومجيئها وذهابها للطِّعان .

وقوله : (كمُنْيةِ جابر) إلخ ، هو فى موضع المفعول المطلق ، أى تمنَّى مزيد تمنِّياً كتمنِّى جابر . والمنية بالضم : اسم للتمنى ، وفى الأصل الشىء الذى يتُمنَّى . وإنما قال تمنَّى مزيدٌ زيداً ، ولم يقل تمنَّانى مزيد ، للتهويل والتفخيم فإنّ زيداً قد اشتهر بالشجاعة ، فلو أتَى بالضمير لفات هذا . وجابر : رجلٌ من غطفان تمنَّى أن يلقى زيداً حتىَّ صبَّحه زيد ، فقالت له امرأته : كنت تتمنى زيداً فعِندك ! فالتقيا فاختلفا طعنتين وهما دارعان ، فاندقَّ رمح جابر ولم يُغْنِ شيئاً ، وطعنه زيدٌ برمح له كان على كعبٍ من كعابة ضَبَّةٌ من حديد ، فانقلبَ ظهراً لبطن ، وانكسر ظهرهُ ، فقالت امرأته وهى ترفعه منكسراً ظهره : كنت تتمنى زيداً فلاقيت أخا ثقة . ومعنى البيتين أنَّ مزيداً تمنى أن

يلقى زيداً كما تمنّى جابر ، وكلاهما لقِيَ منه مايَكره .

وقال [١] أبو جعفر النحَّاس فى قول زيد الخيل :

ألا أبلغ الأقياسَ قيسَ بنَ نوفل
وقيس بنَ أُهبانٍ وقيسَ بنَ جابرِ

قال : قيس بن جابر هو الذى يقول فيه زيد :

* كمنيةِ جابرٍ إذْ قال ليتى *

فسمّاه باسم أبيه ، كما قال الآخر :

* يحمِلنَ عبّاس بنَ عبد المطلب *

وإنما يريد عبد الله بن عباس . انتهى .

وروى أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل : «كمنيَةِ حائن» بالنون ، أى هالك ، والمراد به جابر المذكور . وقوله (وأفقِدَ جلَّ مالى) فقد يَفقِد من باب ضرب ، بمعنى عَدِم . وروى بدله : «وأُتلِف» من الإتلاف . وجُلّ الشىءِ : معظمه . وهذه رواية الجوهرى ، وروى غيره : «بعض مالى» .قال العينى : والأوَّل أحسن . ومَن زعمَ أنَّ بعضا يَرِدُ بمعنى كلّ وخرَّجَ عليه قوله تعالى : ﴿ يُصِبْكُم بعضُ الذى يَعِدُكم [٣] ﴾ ، وقولَ الأعشى [٤] :

قد يُدرك المتمنّى بعضَ حاجَتِه
وقد يكونُ مع المستعجل الزَّلَلُ

---

(١) ط : «قال» بدون واو .

(٢) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادى ، المعروف بالنحاس أو ابن النحاس .

(٣) الآية ٢٨ من سورة غافر .

(٤) ط : «قال الأعشى» ، وأثبت مافى ش .

ـــ صحَّ عنده حملُ رواية الجماعة على ذلك ، فيكون أبلغَ من رواية الجوهرىّ . إلاّ أنَّ هذا القول مردود . انتهى .

و(إذْ) ظرفٌ عاملهُ مُنْية ، وجملة (أصادفه) خبر ليت . و(أفقدَ) منصوبٌ بإضمار أنْ ؛ فإنّها تضمر بعد واو المعية الواقعة بعد التمنى . قال بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصَّل) : قال صدرُ الأفاضل : وأفقِدَ بالنصب كما لو كان مكان الواو الفاء ، كأنّه قال : ليتنى أصادف زيداً وأن أفقدَ بعض مالى ، أى يجتمع [1] هذا مع فِقدان بعض المال .

٤٤٨

وقال العينى : أفقد بالرفع جملة فعلية ، عطفٌ على أصادفه . كذا قيل ، وفيه نظر ، لأنَّه يلزم أن يكون فقد بعض ماله متمَنًّى ، وليس كذاك ، والصحيح أنَّه مرفوع على أنّه خبر مبتدأ محذوف تقديره : وأنا أفقد بعض مالى وتكون الواو للحال . انتهى .

أقول : لامانع على الوجه الأوّل من جعل الواو للمعية .

ثم قال : ويقال أفقد منصوب لأنَّه جوابُ التمنّى . وهذا لايتمشَّى إلاّ إذا قرئ بالفاء : «فأفقد» . انتهى .

أقول : كأنَّه لم يطرقْ أذنه أنَّ المضارع ينصب بإضمار أن بعد واو المعية كما ينصب بعد فاء السببية فى جواب أحد الأشياء الثمانية .

وقُلْ لمَنْ يدَّعى فى العلم فلسفةً
حفِظتَ شيئاً وغابتْ عنك أَشياءُ

---

(١) ط : « أو يجتمع » ، وأثبت مافى ش .

ثم قال : ولكن يجوز نصبه بإضمار أنْ .

أقول : كأنَّ هذا الإضمار عنده من القِسم السماعىّ الذى لم يطَّرد . وفيما قلنا غُنيةٌ عن هذا . فتأمَّلْ .

وقوله :«تلاقينا فما كنَّا سواء» إلخ ، خَرّ بالخاء المعجمة : سقط . والحال بالحاء المهملة : موضع اللِّبْد [1] من ظهر الفرس . والحال الثانية : الوقت الحاضر . أى سَقَط عن ظهر الفرس بطعنٍ فى الحال .

وقوله : «ولولا قوله» أى لولا قولُ جابر . وقدنِى : اسمُ فعلٍ بمعنى حَسْبِى . ونُويرة ، بضم النون : امرأة جابر . قال بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) : والمآلى : جمع مئلاةٍ [2] ، وهى الخرقة التى تكون مع النائحة تأخذ بها الدمع . أى لولا قولُ جابر حسبى يازيدُ من الطعن قامت امرأته ملْتبسةً بالخِرَق تنوحُ عليه وتبكى . أى قتلتُه .

وقوله : «بمطَّرد المهزَّة» أراد به الرمح ، فإنه إذا هزَّ باليد يطَّرد . والخِلال بكسر الخاء المعجمة : العُود الذى يتُخلَّل به ، وربما يُخَلُّ [3] به الثوب أيضاً . أرادَ أنَّ الرمح كانَ سنانهُ دقيقاً مثلَ الخِلال .

زيد الخيل

وزيد الخيل ، هو كما قال صاحب الاستيعاب : زيد بن مُهَلْهِل بن زيد ابن مُنْهِب [4] الطائى ،قدم على رسول الله ﷺ ، فى وفد طيِّئ

---

(١) فى النسختين : «الكبد» ، صوابه ماأثبت . وانظر اللسان (حول ٢٠٤) .

(٢) ط : «مئلاء» ، صوابه فى ش .

(٣) ش مع أثر تغيير : « يخلل » بلامين .

(٤) منهب كمحسن ، بضم الميم وكسر الهاء ، كما فى القاموس .. وانظر ترجمة زيد فى الشعراء ٢٤٤ وأسد الغابة ٢ : ٢٤١ والإصابة ٣ : ٣٤ والأغانى ١٦ : ٤٦ .

سنة تسع فأسلم ، وسماه رسول الله ﷺ زيد الخير ، وقال له : « ماوُصِف لى أحدٌ فى الجاهلية فرأيته فى الإسلام إلاَّ رأيته دون الصِّفة غيرك » . وأقطَع له أرَضِين فى ناحيته . ويكنى أبا مُكنِف ، وكان له ابنانِ :مُكنِف ، وحرَيث وقيل حارث . أسلما وصحبَا النبى ﷺ ، وشهدا قتال الرِّدَّة مع خالد بن الوليد . وكان زيدُ الخيل شاعراً محسنا خطيباً ، لَسِناً شُجاعا ، بُهْمَةً كريما . وكان بينه وبينَ كعب بن زهير هجاء ، لأنَّ كعباً اتَّهمه بأَخْذِ فرس له . قيل مات زيدُ الخيل مُنصرَفَه من عند النبى ﷺ محموماً ، فلما وصل إلى بلده مات . وقيل بل مات فى آخر خلافة عمر . وكان قبل إسلامه قد أسرَ عامرَ بنَ الطُّفيل وجزَّ ناصيته .

هذا ماأورده صاحب الاستيعاب .

وقيل له زيدُ الخيل لخمسةِ أفراس كانت له [١] .

وكان طويلاً جسيماً ، موصوفا بطول الجسم وحُسْن القامة ، وكان يركب الفرس العظيم الطويل فتخطُّ رجلاه فى الأرض ، كأنّه راكبٌ حمارا [٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى بعد الأربعمائة [٣] :

٤٠٢ (أيُّها السائلُ عَنهمْ وعَنِى
لستُ من قَيْسَ ولَا قيسُ مِنِى)

---

(١) فى الأغانى ١٦ : ٤٦ أنها ستة أفراس ، وهى : الهطال ، والكميت ، والورد ، وكامل، ودءول ، ولاحق . وقد ذكرها جميعا فى شعره .

(٢) ش : « راكب حمار » بالإضافة . وفى الأغانى :« كأنه على حمار » .

(٣) انظر العينى ١ : ٣٤٢ .

على أنَّ حذف النون ضرورة عند سيبويه ، والقياس : عنِّى ومنِّى ، بتشديد النون فيهما .

قال ابن هشام (فى شرح شواهده) : إذا جُرَّتِ الياء بمن أو عن وجبت النون، حِفظاً للسكون ؛ لأنه الأصل فيما يبنون . وقد يترك فى الضرورة.قال:

أيُّها السائلُ عنهمْ وعَنى ... البيت

وفى النفس من هذا البيت شىء ، لأنالم نعرف له قائلا ولا نظيراً ؛ لاجتماع الحذف فى الحرفين . ولذلك نسبه ابن الناظم إلى بعض النحويين ولم ينسبه إلى العرب . وفى التحفة : لم يجيء الحذف إلاَّ فى بيتٍ لايُعرَفُ قائله . اهـ

ووقع فيه قيسٌ فى موضع الضمير مرتين . وارتفاع الثانى بالابتداء ، لأنَّ لَا لاتعمل إلاَّ فى النكرات . انتهى كلام ابن هشام .

وقيسُ فى الموضعين غير منصرفٍ للعلمية والتأنيث المعنوى ، لأنّه بمعنى القبيلة . وهو أبو قبيلة من مُضَر ، ويقال له قيس عيلان ، واسمه الناس بن مضر بن نزار ، بهمزة وصل ونون ، وهو أخو الياس بمثناة تحتية . قال ابن الكلبى (فى الجمهرة): إنما عيلان عبدٌ لمضر حَضَنَ الناس وربَّاه ، فغلب عليه ونُسِب إليه. وقال صاحب القاموس[1]:وقيس عيلانَ تركيب إضافىٌّ لأنَّ عيلان اسمُ فرسِ قيس ، لااسم أبيه كما ظَنَّه بعض الناس.اهـ . يقال تقيَّس فلانٌ،إذا تشبَّه بهم أو تمسَّك منهم بسبب،إمَّا بحِلْف أو جِوارٍ أو وَلاء.قال رؤبة:

* وقَيْسَ عيلانَ ومَن تقيَّسا [2] *

(١) النص التالى لم يرد فى القاموس بهذا النص فى كل من مادتى (قيس، عيل) . وفى هامش أصل المطبوعة : «لم أر هذا النص فى القاموس ، فلعله نقل بالمعنى » .

(٢) قبله فى ديوان العجاج ١٣٨ :

وإن دعونا من تميم أرؤسا والرأسَ من خزيمة العَرَنْدسا

وقال الجواليقى (فى شرح أدب الكاتب):قيس عيلان بن مضر ، ويقال قيس بن عيلان ، واسمه النَّاس بالنون ، وأخوه الياس بالياء . وكان الناس،بالنون متلافاً ، وكان إذا نفِد ماعنده أتى أخاه الياس ، بالتحتيَّة ، فيناصفه أحياناً،ويؤيسه أحياناً،فلما طال ذلك عليه وأتاه كما يأتيه قال له الياس:غلبَتْ عليك العَيلةُ فأنت عَيلان.فسمِّىَ لذلك عيلان،وجُهِل الناس.ومن قال قيس بن عيلان فإنَّ عيلان كان عبداً لمضر حضن ابنه الناس فغلب على نسبته .اهـ

وقد تقدم هذا الكلام فى الشاهد السادسَ عشر[١] من أوائل الكتاب . والقبيلة المنسوبة إلى قيس هى خَصَفَة بن قيس ، بفتح الخاء المعجمة والصاد المهملة والفاء . وخَصفة أيضاً : أبو قبيلة ، وهى محارب بن خَصَفَة بن قيس .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [٢] :

٤٠٣ (قَدْنِىَ من نَصرِ الخُبَيْبين قَدِى
ليس الإمامُ بالشَّحيحِ المُلْحِدِ)

على أنَّ هذا ضرورة ، والقياس قَدْنى بالنون .

قال سيبويه:وسألته رحمهُ الله،يعنى الخليل بن أحمد،عن قولهم قطنى ومِنِّى وعنِّى ولدُنِّى ، مابالهم جعلوا علامةَ المجرورههنا كعلامة المنصوب؟ فقال:

---

(١) الصواب أنه الخامس عشر . انظر الخزانة ١ : ١٣٨ .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٨٧ . وانظر نوادر أبى زيد ٢٠٥ وسمط اللآلى ٦٤٩ والمحتسب ٢ : ٢٢٣ وأمالى ابن الشجرى ١ : ١٤ / ٢ : ١٤٢ والإنصاف ١٣١ وابن يعيش ٣ : ١٢٤ / ٧ : ١٤٣ وشرح شواهد المغنى ١٦٦ والعينى ١ : ٣٧٥ والتصريح ١ : ١١٢ والهمع ١ : ٦٤ والأشمونى ١ : ١٢٥ واللسان (لحد) . وسيأتى فى ٣ : ٣٤ بولاق .

إنَّه ليس من حرفٍ تلحقه ياء الإضافة إلا كان متحرِّكا مكسورا ، ولم يريدوا أن يحركوا الطاء ولا النونات ، لأنها لاتذكر أبداً إلاَّ وقبلها حرفٌ متحرك مكسور ، وكانت النون أولى ، لأنَّ من كلامهم أنْ تكون النون والياء علامةَ المتكلم ، فجاءوا بالنُّون لأنها إذا كانت مع الياء لم تخرج هذه العلامة من علامات الإضمار ، وكرهوا إن يجيئوا بحرف غير النون فيخرجوا من علامات الإضمار . وإنما حملهم على أَنْ لم يحركوا (١) الطاء والنونات كراهيةُ أنْ يشبه الأسماء نحو : يدٍ وهَنٍ . وأمَّا مايحرك آخره فنحو مَعَ ولَدُ ، كتحريك أواخر هذه الأسماء ، لأنه إذا تحرك آخرهُ فقد صَارَ كأواخرِ الأسماء ، فمن ثَمَّ لم يجعلوها بمنزلتها . فمن ذلك : معِى ولدِى فى مَعَ ولدُ (٢) . وقد جاء فى الشعر قَدِى . قال الشاعر : ٤٥٠

* قَدْنىَ من نصر الخُبَيْبين قَدِى *

لما اضُطرّ شبّهه بحَسبْى وهَنِى ، لأنَّ مابعد حسب وهَن مجرور ، كما أنَّ مابعد قَطْ مجرور (٣) ، فجعلوا علامةَ الإضمار فيهما سواء ، كما قال : ليتى حيث اضُطرّ . انتهى كلام سيبويه .

وردَّه صاحب الكشاف والبَيْضاوى عند قوله تعالى : ﴿ قد بَلَغْتَ مِنْ لَدُني عُذْراً (٤) ﴾ على قراءة نافع ، بتحريك نون لدن والاكتفاء بها عن نون الوقاية ، كما فى :

* قدنىَ من نصر الخُبَيبينِ قَدِى *

---

(١) فى سيبويه : « على أن لايحركوا » .

(٢) فى سيبويه وش : « ولدِى فى لَدُ » فقط .

(٣) سيبويه : « كما أن مابعد قد مجرور » .

(٤) من الآية ٧٦ فى سورة الكهف .

وعند ابن مالك نونُ الوقاية فى قَدْنى وقطنى غَيْر لازمة ، بل يجوز ذكرها وحذفها . واستشهد لِقَطْ بما روى فى الحديث من قوله : « قَطِى قَطِى بعزَّتكَ [١]» ، يروى بسكون الطاء وبكسرها مع الياء وبدونها . وقال فى الألفية :

وفى لدُنِّى لَدُنى قَلَّ وَفى
قَدْنى وقَطْنى الحذفُ أيضاً قد يَفي

قال الشاطبى : قوله ؟ «قَلّ » دليلٌ على أنّ هذا جائزٌ عنده فى الكلام لامختصٌ بالشعر . وهذا دأبه فى النظم . إنما يعبِّر بلفظ القلّة عما جاء فى النثر . وهو ثابتٌ بقراءة نافع وأبى بكر . ونبَّه بذلك على مخالفة ظاهر كلام سيبويه .

قال (فى شرح التسهيل) : وزعم سيبويه أن عدم لحاقها من الضَّرورات . وليس كذلك ، بل هو جائز فى الكلام الفصيح ، كقراءة نافع : ﴿ قد بلغتَ منْ لَدُني عُذْراً ﴾ بالتخفيف . ثم قال الشاطبى : وقوله : وفى قدنى وقطنى الحذف أيضاً قد يَفى ، يريد أنَّ حذف نون الوقاية فيهما قد يأتى . وإتيانُه بقَدْ يفى ، إشعارٌ بأنَّه مسموع فى الكلام ، بل قد يكثر كثرةً ما ، إذْ معنى يفى يكثر ، أى إنه يكثرُ فى السَّماع [٢] ، فلا يكون معدوداً فى الشَّواذّ ولا فى الضرائر . وهذا تنكيت منه على سيبويه ومن قال بقوله : إنَّ عدم اللحاق يختصُّ بالشعر . اهـ

وقد تبعه ابن هشام (فى شرح شواهده) قال:إذَا جُرَّت الياءُ بِلَدُنْ أو قَطْ أو قد،فالغالب إثبات النون،حِفظاً للسكون،وقد يترك.ودليله فى لدن قوله

---

(١) هو من حديث النار حين تمتلئ فتقول ذلك لربها . انظر اللسان (قطط ٢٥٦ جبر ١٨٢) ونهاية ابن الأثير (قط) .

(٢) ش : «يكثر أنه يكثر فى السماع» بإسقاط «أى» .

تعالى : ﴿ قد بلَغْتَ من لدنّى عُذْرا ﴾ قرئ مخففا ومشدَّدا . وأمّا قول سيبويه : إنّ تركَ النون مع لدن ضرورة فمردود بالقراءة ، ولايقال إنها جاءت على من يقول لَدُ ، وتكون النون للوقاية ، لأنه لا وجه حينئذ لدخول النون ؛ إذ لا سكونَ فيحفظ . ودليله فى قد قوله :

* قدنىَ من نصر الخُبيبينِ قدِى *

وفى هذا نظرٌ واضح .

وقد أَغرب الجوهرىُّ فى زعمه أنَّ لحاق النونِ لقَدنى على خلاف القياس .قال:فأمّا قولهم قَدْك بمعنى حسبك فهو اسم ، تقول : قدى وقدنى أيضاً بالنون على غير قياس؛لأنَّ هذه النون إنما تزاد فى الأفعال. واضح البطلان[1].

وقال ابن هشام (فى المغنى) : قد الاسمية على وجهين :

اسم مرادفٌ لحسْب ، والغالب فيها البناء ، يقال قَدْ زيدٍ درهمٌ وقدنى بالنون ، حرصاً على السكون . وتُعرَب بقلَّة ، يقال قَدُ زيد درهم بالرفع كما يقال حَسْبُه درهمٌ بالرفع ، وقَدِى بغير نون كما يقال حَسْبِى .

والوجه الثانى : اسم فعل مرادفة ليكفى ، يقال : قدْ زيداً درهمٌ ، وقدنى درهمٌ كما يقال : يكفى زيداً درهم ، ويكفينى درهم .

وقوله :« قدنى من نصر الخبيبين قدى » يحتمل قد الأولى أن تكون مرادفةً لحسب على لغة البناء ، وأن تكون اسم فعل . وأمّا الثانية فتحتمل الأوَّلَ وهو واضح ، والثانىَ على أنَّ النون حذفت ضرورة ، ويحتمل أنَّه اسم

(١) واضح البطلان ، من كلام البغدادى ، لا من كلام الجوهرى .

فعل لم يذكر مفعوله ، فالياءُ للإطلاق والكسر للساكنين. اهـ

وفيه أمور :

أحدها : قال الدماميني : لو كانت مرادفة ليكفى لكانت فعلا ، واللازم باطل . ولاأدرى لم جعلها بمعنى المضارع مع أن مجيء اسم الفعل بمعناه فيه كلام [1] ، وابن الحاجب يأباه . وقد صرح ابن قاسم أنها بمعنى كفى. ا هـ

والصواب ماقاله الشارح فى باب اسم الفعل أنَّ معنى قدك اكتفِ ، ومعنى قدنى لأكتَفِ . فيكون الأول أمراً لِلمخاطَب ، والثانى أمراً للمتكلم نفسه . وهذا كلامٌ فى غاية الوضوح .

وثانيها : إذا كانت قد فى الموضعين بمعنى يكفى فأين فاعلها ؟

ثالثها : يردُ على قوله إنّ الياء للإطلاق والكسرة للساكنين ، قولُ شارحه الدمامينى : إنَّ حرف الإطلاق حرف مَدّ يتولد من إشباع حركة الرويّ ، فلا وجود له إلا بعد تحريك الرويِّ ، فإذنْ لم يلتق ساكنان . اهـ

وقد أعاد ابن هشام هذا الكلام (فى شرح شواهده) فقال : الشاهد فى قوله قدنى بإلحاق النون . وأمَّا قَدِى فقال الشارح ــ يعنى ابنَ الناظم ــ وغيرُه : إنَّه شاهدٌ على ترك النون . وليس كما قالوا ، لجواز أن يكون أصله قَدْ ، ثم ألحق ياء للقافية ،وكسر الدال للساكنين . وإنما شاهد الحذف قوله :

* قدِى الآنَ من وجدٍ على هالكٍ قدى [2] *

---

(١) ش : « مع أن فى مجىء اسم الفعل بمعناه كلاما » .

(٢) من بيت فى الحماسيَّة ٣٠١ بشرح المرزوقى ص ٨٩٦ . وصدره .

* فأقسمت لا آسىَ على إثر هالك *

والشاهد فى قد الأولى . فأمَّا الثانية فمحتملة لما ذكرنا.اهـ

ولا يخفى فساد قوله : «ثم أُلحق ياء للقافية» ، فإنها دالية لا يائية .

وقوله : (من نصر الخبيبين) من متعلقة بقَدْنى ، لأنَّه بمعنى لأُكتفِ كما حققه الشارح فى باب اسم الفعل . وذهب بعضهم إلى أنَّ قدنى مبتدأ بمعنى حسبى ، والجارّ والمجرور خبرهُ ، وأنَّ المعنى حسبى من نصرة هذين الرجلين ، أى لا أنصرهما بعد (١) . قال ابن هشام (فى شرح الشواهد) : ويجوز أن يكون النصر هنا بمعنى العطية ، كقول بعض السؤَّال : «من ينصُرنى ينصره الله » وخرج عليه قوله تعالى : ﴿ مَنْ كان يظنُّ أنْ لن يَنْصُرَهُ اللهُ (٢) ﴾ . وعلى هذا فالإضافة للفاعل : ويرجح الأوَّل أنه لم يفرد أبا خبيب بالذكر ، وإنما يكون العطاء غالباً من ولىِّ الأمر . اهـ

و (الخُبيبين) قيل مثنَّى خُبيب وقيل جمع خُبيب . فعلى الأول الباء الثانية مفتوحة ، وعلى الثانى مكسورة . وخبيب ، بضم الخاءِ المعجمة وفتح الموحدة : مصغَّر خِبّ . وخُبيب هو ابن عبد الله بن الزُّبير . وكان عبد الله يكنى بأبى خُبيب . قال بعض فضلاءِ العجم (فى شرح شواهد المفصل) : وكنيته المشهورة أبو بكر ، وكانوا إذا أرادوا ذمَّه كَنَوه بأبى خُبيب . وفى حاشيته : لعلّه للإشعار بكونه منقولا من مصغر الخِبّ بالكسر ، وهو الرَّجُل الخدَّاع . وقال ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصل) : أراد بالخبيبين مثنًّى:عبد الله ومُصعباً ابنَى الزبير . وخالف ماجاء للعرب من نحوه ، مثل العُمرَينِ ، يريدون أبا بكر

---

(١) ش : « أى لاأنصره بعد » .

(٢) الآية ١٥ من الحج .

وعمر ، للخفَّة ، والقمرين للشمس والقمر ، لتغليب المذكر ، لأن عبد الله بن الزبير يكنى أبا خبيب باسم ولده ، وأبا بكر ، فإذا ذَمُّوه قالوا : أبو خبيب . قال فَضَالة بن شَرِيك :

أرى الحاجاتِ عند أبى خُبَيب
نَكِـدْنَ ولا أميَّـةَ بالبـلادِ [(١)]

فعلى ماذكره الشاعر ينبغى أن يريد به خبيباً واحِدَ إخوته من بنى عبد الله بن الزُّبير ، وهم [(٢)]:حمزة ، وثابت، وعَبّاد ، وقيس ، وعامر ، وموسى.اهـ

٤٥٢

ولايخفَى أنَّ هذه الإرادة غيرُ مناسِبة لما سيجيء .

وأورد المبرد هذا البيت عند ذكر الخوارج وقال : يريد خبيبا ومن معه .

وقال الإمام أبو الوليد الوقَّشيُّ [(٣)] (فى حاشيته على الكامل) : هذا خطأ ، إنما يريد أبا خبيب وهو عبد الله بن الزبير .

وأنشده المبرد (فى أوائل الكامل أيضاً) وقال : أراد عبد الله ومُصعَباً ابنَي الزبير ، وإنما أبو خبيب عبد الله .

وكتب أبو الوليد (فى حاشيته) هنا أيضا : أنشده فى ذكر الخوارج : « الخبيبِينَ » جمعاً ، وقال : يريد خُبَيبا ومن معه ، كقراءة

---

(١) هو الشاهد ٢٦٢ . الخزانة ٤ : ٦١ . وقد اختلف فى قائله .

(٢) ط : « وهو » ، صوابه فى ش .

(٣) ط : «أبو الوليد الوعلى» ش : « أبو الوليد أبو على » . والصواب ماأثبت . وأبو الوليد هذا هو هشام بن أحمد بن هشام الكنانى الحافظ ، المتوفى سنة ٤٨٨ . ونسبته إلى وقش بفتح الواو وتشديد القاف على وزن بقم ، وهى مدينة بالأندلس من أعمال طليطلة . ومن تأليفه : نكت الكامل للمبرد . انظر معجم البلدان ، وبغية الوعاة .

من قرأ : ﴿ سلامٌ على الياسِينَ ﴾ . قال : فإنّما يريد الياسَ ومن كان معه على دينه . كذا وقع هنا يريد خُبَيبا ، وإنما هو يريد أبا خبيب على كنيته الأخرى المشهوره ، ذهاباً إلى نسبة الخِبِّ إليه . اهـ

ونقل ابن المستوفى عند شرح قوله :

* بصير بما أعيا النطاسِىَّ حِذْيَما [1] *

والأصل ابن حِذْيَم . عن الخوارزمى : أنَّ هذا ليس من باب الحذف ، إنما هو من باب تعدِّى اللقب من الأب إلى الابن ، كما فى قوله :

* كراجى النَّدى والعُرفِ عند المذلَّقِ [2] *

أى ابن المذلَّق . ألا ترى أنه يقال : «أَفَلسُ من ابن المذلَّق» . ومنه :

* قدنىَ من نصر الخبيبين قدِى *

ونقل ابن هشام (فى شرح الشواهد) عن ابن السِّيد (فيما كتبه على الكامل) ردَّ رواية التثنية ، بأنَّ الشاعر قال هذا الشعر عند حصار طارقٍ ، ومصعبٌ ماتَ قبل ذلك بسِنين . اهـ

ولم أر لابن السِّيد شيئاً من شرحه على هذا البيت فى الموضعين من الكامل .

وذكر العينى للتثنية وجهين:أحدهما:أنَّ المراد عبد الله وأخوه مصعب.

---

(١) الصافات ١٣٠ .

(٢) لأوس بن حجر ، وهو الشاهد ٣١٤ فى الخزانة ٤ : ٣٧٠ .

(٣) سبق الكلام عليه فى حواشى ٤ : ٣٧٢ . وصدره :

★ فأنك إذ ترجو تميما ونفعها ★

وثانيهما : أنَّ المراد عبد الله وابنه خُبيب المذكور . وعلى هذا الثانى لايرِدُ الردُّ المذكور عن ابن السيد .

ورواه جماعة بلفظ الجمع ، ومنهم أبو زيد (فى نوادره) قال : أراد الخبيبيِّينَ ، فحذف ياء النسبة . وأورد له نظائر .

ومنهم يعقوب بن السكيت (فى إصلاح المنطق) قال ابن السيرافى (فى شرح شواهده) : الخبيبين جمع ، يريد به عبد الله بن الزبير وأصحابه ، وجعلهم كأنَّ كل رجل منهم خُبَيب . ومثل هذا يُفْعَل كثيراً ، يقولون الأشعرون إذا نسبوا إلى الأشعر ، كأنَّهم جمعوا رجالاً كل اسم رجل منهم أشعر ، وإنما أشعر الذى أضيفوا إليه ، فصار الخبيبين فى موضع الخبيبِيِّينَ ، والأشعرون فى موضع الأشعريِّين ، فحذفوا ياء النسبة وجعلوا الاسم كأنَّه لكلٍّ واحدٍ من المنسوبين . اهـ

ومنهم أبو عبيدة ، نقله عنه أبو الحسن الأخفش (فيما كتبه على نوادر أبى زيد) .

ومنهم أبو جعفر النحاس (فى تفسير القرآن) قال : إنما يريد أبا خبيب عبد الله بن الزبير ، فجمعه على أنه من كان معه على مذهبه داخلٌ فيه .

ومنهم ابن جنى (فى المحتسب،فى سورة الصافات) عند قراءة ابن محيصِن : ﴿ وإنَّ الياس [1] ﴾ بغير همز ،﴿ سلامٌ على الياسِين ﴾ بغير همز . قال : فأمَّا الياس موصول الألف فإن الاسم منه ياسٌ بمنزلة باب ودار ، ثم لحقه لام التعريف . والياسين على هذا كأنه على إرادة ياء النسب ، كأنه الياسِّيين ، كما

---

(١) الصافات ١٢٣ .

حكى عنهم صاحب الكتاب : الأشعرون والنميرون ، يريد الأشعريِّين والنميريِّين . وروينا عن قطرب عنهم [١]: هؤلاء زيدون منسوبون إلى زيدٍ بغير ياء النسبة . وقال أبو عمرو : هلك اليزيدون [٢] يريد : ثلاثة يزيديِّين . وقد يجوز أن يكون جعل كلَّ واحدٍ منهم من أهل الياس ياساً ، فقال الياسين ، كقوله :

* قَدنيَ من نصر الخبيبِينَ قدى *

يريد أبا خبيب وأصحابه ، كأنَّه جعل كل واحد منهم خبيباً . اهـ

٤٥٣ يفهِمُ صنيعه أنه إذا جعل كلَّ واحدٍ منهم خبيباً لايكون على تقدير ياء النسبة ، وإذا كان على قديرها يراد أصحابُ أبى خُبيب فقط ، ولا يدخل أبو خُبيب فيهم . كما قال أبو محمدٍ التَّوَّزىّ : من أنشده بالجمع يريد أصحاب ابن الزُّبير ، كما يقال المهالبة . وحقه الخبيبِّين بالتشديد ؛ ولكنه حذف ياء النِّسبة ، نقله عنه صاحب كتاب (التفسُّح فى اللغة) . وإليه ذهب ابن هشام (فى شرح شواهده) قال : يروى الخبيبَيْنِ مثنَّى على إرادة عبد الله وأخيه مُصْعب ، ويروى على الجمع على إرادة عبد الله ومن على رأيه ، وكلاهما تغليب . ويحتمل على الجمع أن يريد مجرد أصحاب عبد الله ، على أنَّ الأصل الخُبَيْبِيِّينَ ، ثم حذفت الياء كقولهم : الأشعرين . اهـ

وهذا خلاف ماتقدَّم عن ابن السيرافى،وخلافُ قول أبى على (فى الإيضاح الشعرى) قال:من أنشده على الجمع أراد الخبيبيِّين [٣]ونَسَب إلى

---

(١) كلمة «عنهم» ساقطة من ش ثابتة فى المحتسب ٢ : ٢٢٣ .

(٢) ش : « الزيدون » ، صوابه فى ط والمحتسب .

(٣) ط : «الخبيبين» ، صوابه بياءين فى آخره كما فى ش .

أبى خبيب ، يريده ويريد شيعته [١] . وعلى هذا قراءة من قرأ : ﴿ سلامٌ على الياسين ﴾ أراد النَّسب إلى الياس . ومن أنشد على التثنية أراد عبد الله ومصعباً ، فثنَّاهما كما قالوا : العجَّاجان [٢] .اهـ

ويؤيد كلامَ ابن جنى ومن تبعهَ ، صنيعُ المبرد (فى الكامل) قال عند ذكر الخوارج : باب للنسب [٣] وهو أن يسمَّى كل واحد منهم باسم الأب إذا كانوا إليه ينسبَون . ونظيره المهالبة والمسامعة والمناذرة ، ويقولون : جاءَنى النُّمَيرون والأشعرون ، جعلَ كل واحد منهم نميراً وأشعر . فهذا يتصل فى القبائل . وقد تنسب [٤] الجماعة إلى الواحد على رأيٍ أو دين ، فيكون له مثلَ نسب الولادة ، كما قلت أزرقىٌّ لمن كان على رأى ابن الأزرق ، كما تقول تيمىٌّ وقيسىٌّ لمن ولده تميمٌ وقيس . ومن قرأ : « سلامٌ على الياسين [٥] » فإنما يريد الياس عليه السلام ومن كان على دينه ، كما قال :

* قدنى من نصر الخُبَيبينَ قدى *

يريد أبا خبيب ومن مَعَه [٦].اهـ

وقوله:(قدى) تأكيدٌ للأوَّل . و(ليس الإمام) إلخ ، أراد بالإمام الخليفة ، وعرَّض بعبد الله بن الزبير ، فإنه كان بخيلاً . والشُّحُّ : البُخل . وشَحَّ يَشُحّ من باب قتل ، وفى لغةٍ من بابى ضربَ وتعب ، فهو شحيحٌ من

---

(١) ش : « فيريد شيعته » .

(٢) يعنون العجاج وابنه رؤبة .

(٣) ش : «باب النسب» . والذى فى الكامل ٣٢٣ : «فأما قولهم الأزارقة فهذا باب من النسب آخر . وهو ... » الخ .

(٤) هذا مافى ط والكامل . وفى ش : « وقد نسب » .

(٥) الصافات ١٣٠ .

(٦) بدل هذا كله فى ش : « خبيبا ومن معه » ، نقص وتحريف .

قوْمٍ أَشحَّاء . و(الملحد) قال صاحب المصباح : مِنْ أَلْحدَ فى الحرم بالألف ، إذا استحلَّ حرمته وانتهكها . وألحدَ إلحاداً : جادل [١] ومارَى . ولحد بلا ألِف بمعنى جار وظلم .

صاحب الشاهد

والبيتان من أرجوزة لحُمَيدٍ الأرقط . قال ابن المستوفِي [٢] : ويروى :

* ليس أميرى بالظَّلُوم الملحدِ *

ولم أر البيت الأوَّل فى ديوانه : وأوَّلها :

(ليسَ الإمامُ بالشَّحيحِ الملحدِ
ولا بوَبْرٍ بالحجــاز مُقْــرِدِ
إن يُرَ بالأرض الفَضاء يُصطَدِ
وينجَحِرْ فالجُحر شرُّ محكِدِ [٣])

وهى أربعة أبيات . اهـ

وكذلك أورد الأبيات القالىُّ (فى أماليه) ولم يورد بيت قدنى . وأورد أبو عُبيدٍ البكرى (فى شرح أمالى القالى) أبياتاً ثلاثة قبلها ، قال : يمدح الحجّاج ، وهى :

(قلت لعنسِى وهى عَجْلَى تعتدى
لانومَ حتى تَحْسِرى وتُلهَدِى [٤]

---

(١) ط: « حاول » ، صوابه فى ش .

(٢) هو المبارك بن أحمد بن أبى البركات الإربلى ، ولد سنة ٥٦٤ ، وتوفى سنة ٦٣٧ . ومن كتبه « إثبات المحصل فى نسبة أبيات المفصل » . وهو الذى يعنيه البغدادى فى مواضع كثيرة .

(٣) ط : «وينحجر» ، صوابه بتقديم الجيم ، كما فى ش وكما سيأتى فى الشرح .

(٤) سمط اللآلىء ٦٤٩ ــ ٦٥٠ .

أو تَرِدِى حوضَ أبى محمَّد
ليس الأميرُ بالشحيح الملحِدِ)

إلى آخر الأبيات وقال : هذا تعريضٌ بابن الزبير فى قوله : « بالشحيح الملحد » ، يريد أنّه ألحد فى الحرم .

[وفى قوله : «ولا بوَبْر بالحجاز مُقرِدِ» . والوَبْرْ ، بفتح الواو وسكون الموحدة وآخره راء مُهملة : دُوَيِّبَّةٌ مثل السِّنّور طحلاء اللون ، حسنة العينين لاذنَبَ لها ، تُوجد فى البيوت . والمُقْرِدِ : اللاصق من جَزَع أَو ذُلّ . وقوله : « حتى تَحْسِرِى وتُلهَدِى » يقال لُهِد البعيرُ يُلهَد ، إذا عضَّ الحِملُ غاربه وسنامَه حتى يؤلمه [1]] . انتهى .

وقوله : «قلت لعنسى» إلخ ، العنس بفتح العين وسكون النون : الناقة الصُّلبة . وعجلَى : مؤنث عجلان .وتعتدِى ، من العدْوِ .وتحْسرِى : مضارع حَسَر بالفتح يحسِر بالكسر حُسورا ،إذا أعيا . وتُلهَدى ، يقال لُهِد البعير يُلهَد ، إذا عضَّ الحِمْل غاربه وسَنامه حتى يؤلمه . ولهَدَهُ الحمل ، أى أثقله . قال الأصمعى : لهَدَ القومُ دوابَّهم : أجهدوها وأتعبوها .

٤٥٤

وقوله :«أو ترِدِى» إلخ أو بمعنى إلى أو إلّا .وتَرِدِى ، من الوِرْد ، منصوب بحذف النون بأنْ مضمرة بعد أوْ . وأبو محمدٍ : كنية الحجَّاج بن يوسف الثقفى .

وقوله : «ولا بوَبْر» إلخ : قال ابنُ الأثير (فى النهاية) : الوبْر بسكون الباء:دويّبَّةٌ على قدرِ السِّنَّور غبراء أو بيضاء،حسنة العينين،شديدة الحياء

(١) مابين المعقفين تكملة من ش ساقطة من ط .

خجازية ، والأنثى وَبْرة . ويشبَّه بها تحقيراً . اهـ .وضبطه العينى وتبعه السيوطى (فى شرح شواهد المغنى) بفتح الواو وسكون التاء المثناة من فوق وفى آخره نون ، بمعنى واتن . يعنى : ولابدائمٍ ثابت بأرض الحجاز . ويقال للماء المَعِين الدائم الذى لايذهب : واتن ، وكذلك بمعناه واثن بالمثلثة . هذا كلامه ، وهذا تحريفٌ منه قطعا . ومُقْرِد : اسم فاعل من أقرد بالقاف ، بمعنى ذلّ وخضع . وقال الجوهرىّ : أقرد ، أى سكن وتماوَتَ . وروى:«مفرَد» بالفاء على أنه اسم مفعول من أفردته ، إذا عزلته .

وقوله : «إن يُرَ يوماً» إلخ الجملة الشرطية صفةٌ لوبر ، ونائب الفاعل فى «يُرَ» ضمير الوبر . والفضاء بالفاء . ويُصطَد بالبناء للمفعول.

وقوله «وينجَحِر» إلخ قال صاحب الصحاح : الجُحر بضم الجيم : واحدُ الجِحَرَة والأجحار . وأجْحَرته ، أى ألجأته إلى أن دخل جحره ، فانجحر . وفاعل ينجحِر ضمير الوبر أيضاً . والمحكِد ، بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وكسر الكاف : الأصل ، ويقال له المَحتِد أيضاً بكسر المثناة الفوقية .

حميد الأرقط

وحُمَيدٌ الأرقط : شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، وهو مُعاصر الحجَّاج . وهو حميد بن مالك بن رِبعىّ بن مُخَاشِن بن قيس بن نَضْلة بن أحَيم [1] بن بَهدَلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . وقيل هو أحد بنى ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وهم ربيعة الجوع . وسمِّى الأرقط لآثارٍ كانت بوجهه . والرُّقَط : النقط . والرُّقطة : سوادٌ يشوبه نقَط . والأرقط من الغنم : مثل الأبغث . والأرقط : النمر .

---

(١) فى الاشتقاق ٢٥٤ بتحقيق كاتبه : « وأما بهدلة فمنهم أحيم وكان شريفا » .

ولم أر ترجمة حميد هذا (فى كتاب الشعراء لابن قتيبة) ، ولا (فى المؤتلف والمختلف للآمدى) ولا (فى الأغانى) ، فيما يحضرنى منه . وإنما نقلت ترجمته من الأنساب [١] .

وقيل قائل الشعر المذكور أبو بَجْلة [٢] ، قاله ابن يعيش (فى شرح المفصل) . ولا أعرف هذا . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(إذ ذهبَ القَوْمُ الكرامُ ليسى)

وأوّله :

* عددتُ قومى كعديد الطَّيْسِ *

وتقدّم الكلام عليه قريباً [٣] .

* * *

وأنشد بعده :

(وليس حامِلَنى إلاَّ ابنُ حَمَّالِ)

أوله :

* ألاَ فتًى من بنى ذبيان يحملنى *

وتقدم شرحه فى الشاهد الخامس والتسعين بعد المائتين من باب الإضافة [٤]

* * *

---

(١) انظر أيضا سمط اللآلى ٦٤٩ ومعجم الأدباء ١١ : ١٤ .

(٢) ش : « أبو نخيلة » ، وأثبت مافى ط . والذى فى شرح المفصل « أبو بحدلة » . وقال الميمنى : « وفى العينى ١ : ٣٥٨ والسيوطى ١٦٦ ونقلوا عن ابن يعيش أنه نسبها لأبى مجدلة » .

(٣) فى الشاهد ٣٩٢ من هذا الجزء ص ٣٢٤ .

(٤) الخزانة ٤ : ٢٦٥ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع بعد الأربعمائة [1]:

٤٠٤ (وكائنْ بالأَباطحِ مِن صديقٍ
يَرانى لو أُصِبْتُ هو المُصَابا)

على أنّه ربَّما وقع ضميرُ الفصل بلفظ الغيبة بعد حاضر ، لقيامه مقام مضاف غائب ، أى يَرَى مُصابى هو المصاب . ٤٥٥

بيانه : أنَّ هو فصلٌ وقع بعد ضمير الحاضر ، أى المتكلِّم ، فكان حقُّه فى الظاهر أن يقول : يرانى أنا المصاب ، لأنَّ ضمير الفصل يجب أن يكون وَفْق ماقبله فى الغيبة والخطاب والتكلم ، لأنَّ فيه نوعاً من التوكيد ، تقول : علمت زيداً هو المنطلقَ ، وعلمتك أنت المنطلقَ ، وعلمتنى أنا المنطلقَ . وحينئذ يتوجَّه عليه سؤالان : أحدهما كيف وقع ضمير الغيبة بعد ضمير المتكلِّم ، وحقُّ الفصل أن يكون وَفقا لما قبله ؟ وثانيهما : أنَّ المفعول الثانى فى باب علم يجب أن يكون موافقاً للمفعول الأول فى الماصدَق ، فكيف يصحُّ حمل المصاب الذى هو بمعنى المصيبة على الياء فى يرانى ؟

وأجاب الشارح المحقق عنهما بما ذكره ، وهو أنّ الضمير الحاضر ، وهو الياء ، قائم مقام المضاف الغائب ، أى يرى مُصابى هو المُصَابَ . والمعنى يرى مُصابى هو المُصَابَ العظيم ، ويسقط بهذا الجواب السؤالان .

ووجه قيام الياء مقام المضاف أنَّ مفعول يرى فى الحقيقة هو المضاف المحذوف ، والياء مضاف إليه،فلمَّا حذف المضاف قام الياء المجرور محلاً مقامَ

---

(١) أمالى ابن الشجرى ١ : ١٠٦ وابن يعيش ٣ : ١١ / ٤ : ١٣٥ والمقرب ٢٢ وشرح شواهد المغنى ٢٩٦ والهمع ١ : ٦٨ ، ١٥٦ / ٢ : ٧٦ والأشمونى ٤ : ٨٧ وديوان جرير ١٧ .

ذلك المضافِ المنصوب على المفعولية ، فالفصل مطابق للمحذوف لا للقائم مَقامه . وإنما وصف المضاف بالغائب لأنه اسمٌ ظاهر ، وهو فى حكم الغائب ، ولهذا يعود ضمير الغيبة إليه . والمصاب على هذا مصدرٌ ميمى ، كقولهم : جبر الله مُصابك ، أى مصيبتك . وإنما وَصَف المصاب بالعظيم لتحصل الفائدة . ومثله فى حذف الصفة : ﴿ الآن جِئْتَ بالحقِّ (٢) ﴾ ، أى بالواضح . وإلا لكفَروا بمفهوم الظَّرف ، إذ يكون المعنى : وقبل الآنَ لم يجئْ بالحق ، فيكون إنكاراً لما جاء به أوّلا . ويجوز أن لاتقدَّر الصفة ، ويكتفى بالفائدة الحاصلة من الحصر . والمعنى: لو أصبت يَرى مُصيبتى هى المصيبة ، ولايعدُّ غيرها مصيبة ، وذلك من تأكُّد صداقته ، لايكترث بمصيبة غيرى ولا يهتمّ لها .

ولصحَّة المعنى هنا لم يقدِّر الشارح المحقّق الصفة. فلِلهِ دَرُّه ، ماأدقَّ نظره!

وهذا الذى ذكره فى هذا البيت أحد تخريجين لأبى على الفارسى ، ذكرهما (فى إيضاح الشعر) قال : يجوز أن يكون التَّقدير فى يرانى : يرى مصابى أى مصيبتى ومانزل بى ، المصابَ ، كقولك : أنت أنت ومصيبتى المصيبة . أى ماعداهُ جلَلٌ هين ، فيكون هو فصلاً بين المضاف المقدر وبين الظاهر .

واقتصر على هذا التخريج ابن الشجرى (فى أماليه) ثم قال : ولو أنه قال يراه لو أصبت هو المصابا ، فأعاد الهاءَ من يراه إلى الصديق ، والمعنى يرى نفسه، كما جاء فى التنزيل : ﴿ إنَّ الإنسانَ لَيطْغَى * أنْ رآهُ استَغْنى (٣) ﴾ــ لَسَقط الاعتراض،واستغنى عن تقدير المضاف،ولكان المصاب اسم مفعول من قولك:

---

(١) ط : «وصفنا» ، والوجه ماأثبت من ش .

(٢) الآية ٧١ من البقرة .

(٣) العلق ٦ ، ٧ .

أصيب زيد ، فهو مصاب . ولكن المروىّ : «يرانى» . انتهى .

أقول : لم يرو الأخفش (فى كتاب المعاياة) إلاّ : « يراه لو أصِبت هو المصابا » بالمثناة التحتية وضمير الغائب .

وقال ابن هشام (فى المغنى) : ويروى : «يراه» أى يرى نفسه ، و «تراه» بالخطاب ، ولاإشكال حينئذ ولا تقدير . والمصاب حينئذ اسم مفعول لامصدر . ولم يطلع على هاتين الروايتين بعضهم فقال : ولو أنه قال يراه ، لَكان حسناً ، أى يرى الصديق نفسه مُصاباً إذا أصبت . اهـ

والتخريج الآخر الذى ذكره أبو على : أن يكون تأكيداً لمستترٍ فى يرانى لافصلا . قال : موضع هو رفع لكونه تأكيداً للضّمير الذى فى يرانى ، لأنّ هو للغائب ، والمفعول الأوّل فى يرانى للمتكلم ، والفصل إنما يكون الأوّل فى المعنى ، كقوله سبحانه : ﴿ أنا أقلَّ مِنْكَ مالاً وَوَلَداً [1] ﴾ . ألا ترى أنّ أنا هو المفعول الأول المعبَّر عنه بِنِى . والمعنى يرانى هو المصابا ، أى يرانى لاصّداقة المصابَ ، لغِلظ مُصيبتى عليه للصداقة ، وليس كالعدوّ أو الأجنبى الذى لايُهمُّه ذاك . اهـ

٤٥٦

فالمصاب على هذا اسمُ مفعول لا مصدر .

وبقى تخريجٌ ثالث نقله ابن هشام عن بعضهم (فى المغنى) ، وهو أن يجعل هو فصلاً للياءِ . ووجّهه بأنّه لما كان عند صديقه بمنزلة نفسه حتى كانَ إذا أصيب كأنّ صديقه قد أُصيب ؛ فجعل ضمير الصديق بمنزلة ضميره ، لأنه نفسُه فى المعنى . اهـ

وزعم ابن الحاجب (فى أماليه) أنّ الرواية: «لو أُصِيبَ هو المصابا»

(١) الاية ٣٩ من الكهف .

وقال : شرط الفصل أن يأتى على طِبْق الخبر ، فكان ينبغى أن يكون أنا ، لأنَّ المصاب مفعول ثان ليرانى ، والمفعول الأوَّل الياء وهى للمتكلم ، والمفعول الثانى هو الأوَّل فى المعنى ، فكان يجب أن يكون الفاصل على القياس أنا . ووجْهُه أنه ليس على الفصل ، بل هو تأكيدٌ للضمير المستتر فى يرانى ، أو للضمير فى أصيب . وأمَّا إن قدِّر لو أُصِبْتُ لم يستقم المعنى ، إذ تقديره يرانى مصاباً إذا أصابتنى مصيبة . ولا يخبر بمثل ذلك عاقل ، إذْ لايُتَوهَّم خلافه . اهـ

فالمصاب المذكور عنده اسم مفعول ، لامصدر .

وقد خفىَ هذا على ابنِ هشام فقال (فى المغنى) بعد نقل كلامه : وعلى ماقدَّمناهُ من تقدير الصفة لايتَّجه الاعتراض .

قال الدمامينى (فى الحاشية الهندية) : الصفة التى أشار إليها إنَّما قدَّرها على جعل المصاب مصدراً لا اسمَ مفعول ، وكلامُ ابن الحاجب فيما إذا كان المصاب اسمَ مفعول لامصدراً ، ولذلك جعله مفعولا ثانياً ليرى ، والمفعول الأول هو الياء ، ولولا ذلك لما صحَّ بحسب الظاهر . والاعتراض الذى أشار إليه ابن الحاجب غير متَّجه مع الإعراض عن تقدير الصفة ، وذلك لأنَّ مبناه على أن يكون مصاباً اسم مفعول نكرة ، والواقع فى البيت ليس نكرةً ، بل هو معرَّف بأل ، والحصر مستفاد من التركيب كقولك : زيد هو الفاضل لاغيره . وكذا المعنى فى البيت ، أى لو أُصبت رآنى المصابَ ، بمعنى أنه لايرى المصاب إلا إيایَ دون غيرى ، كأنه لعظم مكانه عنده وشدَّة صداقته له ، تتلاشى عنده مصائبُ غير صديقِه ، فلا يرى غيره مصابا ، ولايرى المصاب إلا إياه ؛ مبالغة . فالمعنى صحيح متجه كما رأيت ، بدون تقدير صفة . اهـ

وقوله (لو أصبتُ) جملة معترضة بين مفعولىْ يرى ، وجواب لو محذوف يدلُّ عليه ماقبله . ويرانى بمعنى يعلمنى ، وفاعله ضمير صديق ، والجملة خبر كائن . و(بالأباطح) كان فى الأصل صفة لصديق ، فلما قدِّم عليه صار حالاً منه . و(من صديق) تمييز لكائن ، وتمييزها مجرورٌ بمن فى الغالب . و(كائنْ) هنا خبرية لإفادة التكثير ككم الخبرية . ورواه الأخفش (فى المعاياة) :

* وكم لى فى الأباطح من صديقٍ (١) *

وأورده الزجاج (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿وكائن من نبىٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كثيرٌ (٢)﴾. قال : وكائن على وزن فاعل ، وأكثر ماجاء الشعرُ على هذه اللغة . ثم أنشد هذا البيت مع أبيات أُخر .

و(الأباطح) : جمع أبطح ، وهو مسِيلٌ واسعٌ للماء فيه دُقاق الحصَى .

وهذا البيت من قصيدةٍ لجرير بن الخَطَفى ، مدح بها الحجَّاج بن صاحب الذ يوسف الثقفىّ . وبعده :

(ومَسْرورٍ بأوبتنا إليه وآخرَ لايحبُّ لنا إيابا)

ومنها :

(إذا سَعَر الخَليفة نارَ حربٍ

رأى الحجَّاجَ أثقبَها شهابا)

---

(١) الكلام التالى لهذا الشطر إلى « بأوبتنا إليه » فى س ١٤ ساقط من ط . وإثباته من ش .

(٢) الآية ١٤٦ من آل عمران . وهى قراءة نافع ، وابن كثير ، وأبى عمرو .

ومطلع القصيدة :

٤٥٧ (سئمت من المواصَلة العتايا

وأمسَى الشَّيبُ قد ورِثَ الشَّبابا)

ومعنى وراثة الشيب الشبابَ حلوله محله ، فإنّ الوارث يحلُّ محَلَّ الموروث .

وترجمة جرير قد تقدَّمت فى الشاهد الرابع من أوائل الكتاب (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس بعد الأربعمائة (٢) :

٤٠٥ (هو البينُ حتَّى ماتأنَّى الحزائقُ)

تمامه :

(وياقلبُ حتى أنت ممنْ أفارقُ)

على أنه قد يخبر عن ضمير الأمر المستبهِم تقدبراً بالمُفرد ، كما أُخبر بالبين هنا عن هو ، كأنه قيل : أىُّ شىء وقع من المصائب ؟ فقال :هو البين.

وقوله : (حتى ماتأنَّى) مبنىٌّ على مايفهَم من استعظام أمر البين المستفاد من الضمير ، أى ارتقى أَمر البين فى الصُّعوبة حتى لاتتأنَّى جماعاتُ الإبل أيضاً .

وفى هذا ردٌّ على الواحدى فى زعمه أنّ هذا الضمير من قبيل مافسِّر بجملة . وهذه عبارته : هو كنايةٌ عن البين ، يسمُّون ماكان من مثل هذا الإضمارَ على شريطة التفسير ، كقوله تعالى : ﴿ قل هُوَ اللهُ أحد ﴾ .

---

(١) الخزانة ١ : ٧٥ .

(٢) ديوان المتنبى ١ : ٤٥١ بشرح العكبرى .

وقوله تعالى : ﴿ فإنَّها لاتَعْمَى الأبصار [١] ﴾ ، وقولِ الشاعر :

* هى النَّفسُ ماحملتها تتحمَّلُ *

ومثله كثير . اهـ

وقال المبارك بن المستوفى (فى النظام) : قال أَبو القاسم عبد الواحد بن علىّ : يقول : الحقُّ والشأن هو الفراق لا الاجتماع ، كأنه نظر فيه إلى قوله تعالى : ﴿ الذى خَلَق الموتَ والحياةَ [٢] ﴾ ، فقدّم الموتَ لأنَّ الانتهاء إليه ، والأمور بخواتمها . وهذا تفسيرٌ بعيدٌ من معنى البيت ، وتقدير ضمير الشأن بما قدَّره به يغاير ماقدَّره النحويون . اهـ .

و(تأنَّى) أُصله تتأنَّى بتاءين ، مضارع من التأنِّى ، وهو التلبُّث . و(الحزائق) : جمع حَزِيق بالحاء المهملة والزاى المعجمة ، قال صاحب القاموس :الحزيق والحزيقة والحَزَاقة:الجماعة ، والجمع الحزائق . والظاهر أنه بمعنى الجماعة مطلقاً لابمعنى جماعة الإبل ، كما صرح به الشارح . ويدلُّ لما قلنا كلامُ شُرَّاحه . قال ابن جنى : تأنَّى : تَمَكَّث . والحزائق : جمع حَزِيق ، وهو الجماعة . وقال أبو اليُمْن الكِندىّ : أى هذا الذى تشتكيه هو البين ، حتى لاُمكثَ للجماعات فى التفرُّق ، بل لها إسراعٌ وعجلة . ثم التفتَ إلى خطاب قلبهِ ، أى أنت أيضاً مع عُلْقتك فىَّ الموجبةِ لقُربك أنت مفارِق .

و(حتى) فى الموضعين ابتدائية . وأشار إليه ابن جنى بقوله : معناه يفارقنى كلُّ أحدٍ حتى أنت مفارق ، كما قال الفرزدق :

---

(١) سورة الحج ٤٦ .

(٢) الآية الثانية من سورة الملك .

* فياعجبا حتى كليبٌ تَسبُّنى (١) *

أى يسبُّنى كل أحدٍ حتى كليبٌ تسبُّنى .

قال ابن هشام (فى المغنى) : حتى الابتدائية حرفٌ يبتدأ بعده الجمل ، أى يُستأنف . فيدخل على الجملة الاسمية والفعلية ، قال الفرزدق :

* فياعجبا حتى كليبٌ تسبُّنى *

ولابدَّ من تقدير محذوف قبل حتى من هذا البيت يكون مابعد حَتَّى غايةً له ، أى فواعجَبَا يسبُّنى الناس حتى كليب تَسبّنى . اهـ

قال الواحدى : ومعنى البيت : هو البين الذى فرَّق كلّ شىء ، حتى لايتمهَّل ولا يتأنَّى الجماعاتُ أن يتفرّقوا إذا جرى حكم البين فيهم . ثم خاطب قلبه : وأنت أيضاً على مالَكَ من علائق القُرْب ممن أفارقه . يعنى : الأحبَّة ، إذا فارقونى ذهب القلب معهم ، ففارقنى وفارقته . اهـ

صاحب الشاهد ٤٥٨

وهذا البيت مطلعُ قصيدةٍ لأبى الطيِّب المتنبِّى ، مدح بها الحسين بن إسحاق التَّنوخى .

وترجمة المتنبى تقدّمت فى الشاهد الواحد والأربعين بعد المائة (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد المفصل (٣) :

---

(١) من شواهد سيبويه ١ : ٤١٣ والخزانة ٤ : ١٤١ بولاق . وصدره فى ديوانه ٥١٨ :

* فياعجبا حتى كليب تسبنى *

(٢) الخزانة ٢ : ٣٤٧ — ٣٦٣ .

(٣) ابن يعيش ٣ : ١١٧ . وانظر الخصائص ٢ : ١٧٠ وشرح شواهد المغنى ١٤٤ وديوان الهذليين ٢ : ١٥٨ .

٤٠٦ (على أنَّها تعفُو الكلومُ وإنَّما
نُوكَّلُ بالأدنى وإنْ جَلَّ مايمضى [١])

على أنّ الضمير فى (أنّها) ضمير القصّة .

فى التسهيل وشرحِه لابن عقيل : وإفرادُه لازم ، لأنّ مفسِّره مضمونُ الجملة . وهو مفرد . وكذا تذكيره . والمنقول عن البصريين جواز التأنيث لإرادة القصة ، وعن الكوفيين المنعُ مالم يَلِهِ مؤنث ، نحو : إنها جاريتاك ذاهبتان ، وإنها نساؤك ذاهبات ، أو مذكر شبِّه به مؤنث ، نحو : إنَّها قمرٌ جاريتك ، أو فعلٌ بعلامة تأنيث ، كقوله تعالى : ﴿ فإنَّها لاتَعمَى الأبصار ﴾ فيرجَّح تأنيثه باعتبار القصَّة على تذكيره باعتبار الشان . فيجوز فى هذه المسائل الثلاث : التذكير والتأنيث ، لكن الراجح التأنيث ؛ لأنَّ فيه مشاكلةً تحسِّن اللفظ ولا يختلف المعنى بذلك ، إذ القصة والشأن بمعنًى واحد . اهـ

و(تعفو) هنا فعل لازم بمعنى تَدرُس وتبرأ . و(الكلوم) فاعله ، جمع كَلْم ، وهو الجُرح والحَزّة ، والجملة خبر ضمير الشأن . ولم يحتج إلى رابط لأنّها نفس المبتدأ فى المعنى . اهـ

صاحب الشاهد والبيت من أبيات لأبى خراش الهذلى ، أوردَها السكَّرى (فى أشعار الهذليين) ؛ وكذلك المبرد (فى الكامل) ، وأبو تمام فى أول باب المراثى (من الحماسة) . وكذلك الأصبهانى أوردها (فى الأغانى) ، والقالى (فى أماليه) ، وهى :

---

(١) ط : «توكل» ش : «يوكل» . والأخيرة رواية أجازها البغدادى فى تفسيره التالى . والرواية الغالبة بالنون كما أثبت من الديوان والأغانى ٢١ : ٤٣ والقالى ١ : ٢٧١ والكامل ٣٣٧ . وهو الذى لا يتعارض مع نص البغدادى .

أبيات الشاهد

(حَمِدتُ إلهى بَعدَ عُرْوَةَ إذْ نجا
خِراشٌ ، وبعضُ الشَّرِّ أهوَنُ من بعضِ
فوالله ماأنسى قتيــلاً رُزئتــهُ
بجانب قَوسَى مامشَيتُ على الأرضِ
على أنَّها تعفو الكلومُ وإنَّما
نُوَكَّل بالأَدنى وإنْ جلَّ مايمضى[١]
ولم أدرِ مَن ألقَى عليه رداءَه
على أنَّهُ قد سُلَّ عن ماجِدٍ مَحضِ
ولم يكُ مثلوجَ الفؤادِ مهبَّجا
أضاع الشبابَ فى الرَّبيلة والخَفْضِ[٢]
ولكنَّــه قد نازعته مَجــاوعٌ
عَلَى أنَّه ذو مِرَّة صادقُ النَّهضِ)

عُروة : أخو أبى خراش ، وخراشٌ : ابنه . وأخطأ بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) ، وتبعه شارح أبيات الموشح ، فى زعمه أنَّ عروة ابنُ الشاعر .

وخِراش بالراء لابالدال .

أبو خراش الهذلى

وأبو خراش اسمه خُويلد بن مُرَّة ، وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثانى والسبعين[٣] . وكان لأبى خراش تسعة إخوة ، منهم عُروة بن مُرَّة ، وزهير بن مُرَّة

---

(١) انظر الحاشية السابقة .

(٢) ط : « مهيجا » بالياء ، صوابه بالباء الموحدة كما فى ش وسائر المراجع .

(٣) الخزانة ١ : ٤٤٣ .

قال المبرد (فى الكامل) : جاور عروةُ بن مرة أخو أبى خراش الهذلى ثُمالَة من الأزد (١) فجلس يوماً بفناء بيته آمناً لايخاف شيئاً ، فاستدبره رجل منهم بسهمٍ فقصم صلُبه ، ففى ذلك يقول أبو خِراش :

لعنَ الإله وجوهَ قومٍ رُضَّعٍ
غدروا بعروةَ من بنى بَلَّالِ

وأَسرت ثمالةُ خراشَ بنَ أبى خراش ، فكان فيهم مقيما ، فدعا آسرُهُ رجلاً منهم للمنادمة ، فرأى ابن أبى خراش مُوثقا فى القِدّ (٢) فأمهَلَ حتى قام الآسر لحاجةٍ ، فقال المدعوّ لابن أبى خِراش : من أنت ؟ قال : أنا ابن أبى خراش . فقال : كيف دِلِّيلاك ؟ قال : قطاة . قال : فقمْ فاجلسْ ورائى . وألقى عليه رداءه ، ورجع صاحبهُ فلما رأى ذلك أصلتَ له السيفَ ، فقال : أسيرى ! فنثر المجير كنانته وقال : والله لأرمينَّك إنْ رُمْتَه ؛ فإنى قد أجرته ! فَخَلَّى عنه ، فجاء إلى أبيه فقال له : من أجارك ؟ فقال : والله ماأعرفُه . فقال أبو خراش : ٤٥٩

* حَمِدت إلهى بعد عروة إذ نَجا * الأبيات

وتزعم الرُّواةُ أنها لاتعرف رجلا مَدح من لايعرف غير أبى خراش . وقوله : «وجوه قوم رُضّع» هو جماعة راضع ، وقوم يقولون : هو توكيد للَّئيم

(١) ط : «بن الأزد» ، صوابه فى ش والكامل ٣٣٧ . وهو ثمالة بن أسلم بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد ، كما فى جمهرة ابن حزم ٣٧٧ .

(٢) القد ، بالكسر : سيور تقد من جلد فطير غير مدبوغ فتشد بها الأقتاب والمحامل ونحوها . ط : «القيد» صوابه فى ش والكامل .

كما يقولون : جائع نائع [١]. وقوم يقولون : الراضع : الذى يرتضع من الضَّرع لئلا يسمع الضيفُ والجار الحلَبَ منه [٢] . وقوله : كيف دِلِّيلاك ، فهو كثرة الدلالة . والفِعِّيلَى إنما تستعمل فى الكثرة . اهـ

وقال صاحب الأغانى : خرج زهير بن مُرّة ، أخو أبى خراش ، معتمراً حتَّى ورد ذات الأُقَيْر من نَعْمان [٣] ، فبينا هو يسقى إبلًا له إذ ورد عليه قومٌ من ثمالة . فقتلوه ، فغزاهم أبو خِراشٍ وقتل منهم أهل دارَين ، أى حِلَّتين ، من ثمالة. ثمَّ إنَّ عروةَ وخِراشاً خرجا مُغيرَين على بطنينِ من ثمالة ، يقال لهما : بنُو رِزام وبنو بَلَّال ــ بتشديد اللام الأولى ــ فظَفِرَ بهما الثماليون ، فأمّا بنو رزام فنَهَوْا عن قَتلهما ، وأبَت بنو بلَّال عن قتلهما ، حتى كاد يكون بينهم شرٌّ ، فألقى رجلٌ منهم ثوبه عَلَى خراش حين شُغِل القوم بقتل عُروة ثم قال : انجُ . وانحرف القومُ بعد قتلهم عروة إلى الرجل وكانوا سلَّموه إليه [٤] فقالوا : أيْنَ خراش ؟ فقال : أفلت منِّى فذهب . فسعى القومُ فى أثره فأعجزهم ، فقال أبو خراش فى ذلك يَرْثِى أخاه عُروة ويذكر خلاص ابنه خراش :

حمدتُ إلهى بعد عُروة إذ نجا .... الأبياتِ اهـ

وذكر التِّبريزى (فى شرح الحماسة) بعد نقل هذين القولين عن المبرد أيضاً ، أنَّ مُلقِيَ الرِّداءِ كان مجتازاً بعروة ، فرآه بادىَ العورة مصروعاً ،

---

(١) بعده فى الكامل : «وحسن بسن ، وعطشان نطشان ، وأجمع أكتع » .

(٢) الكامل : «لئلا يسمع الضيف أو الجار صوت الحلب فيطلب منه » .

(٣) فى النسختين : «ذات الأقبر» بالباء ، صوابه بالياء مع هيئة التصغير ، كما فى معجم البلدان « الأقير » .

(٤) فى الأغانى ٢١ : ٤٣ : « وكانوا أسلموه اليه » .

ففعل به ذلك . قال التبريزى : قد رُوى فيما حُكى عن الأصمعى وأبى عبيدة أنهما قالا : لانعرف من مَدح من لايعرفه غير أبى خراش .

وقد سلك من شعراء الإسلام مَسلكَه أبو نواس ، فى أبياتٍ أوّلُها :

ودارِ ندَامَى عطّلوها وأدلجوا بها أثرٌ منهم جديدٌ ودارسُ
مَساحبُ من جَرّ الزِّقاق على الثرى وأضغاثُ رَيحانٍ جَنىٌّ ويابسُ
ولم أدرِ من همْ غيرَ ماشهدتْ لهم بشرقىٍّ ساباط الديارُ البسابسُ

وقوله : « حمدتُ إلهى بعد عروة » إلخ قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة):إذْ بدلٌ من بعدَ عروة ، والمعنى : أشكر الله بعد مااتّفق من قتل عروة على تخلُّص خِراش ، وبعض الشرّ أخفُّ من البعض ، كأنّه تصوَّر قتلهما جميعاً لو اتفق ، فرأى قتلَ أحدِهما أهون .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) وأخذه التبريزى (فى شرحها) : فإن قيل : ليس فى الشرّ هين ، وأفعل هذا يستعمل فى مشتركين فى صفة [(١)] زاد أحدُهما على الآخر ، فكيف يجوز هذا ولا هيِّنَ فى الشرّ ؟ وجوابه أنّ هذا كلامٌ محمول على معناه دون لفظه ، وذلك أنه إن كان هناك حالٌ تهوِّن الشرَّ مِن صبرٍ عليه أو احتساب ، أو طلب ذكر أو ثواب ، فإنه أيضاً مراتبُ ، وليس بجارٍ على سَننٍ واحد .

وقال التبريزى :قلت [(٢)]: إنَّ للشرِّ مراتب ، فإذا جئت إلى آحادها

---

(١) ط : « وأفعل هذا فى مشتركين يستعمل فى صفة » ، صوابه فى ش كما هو فى شرح الحماسة للتبريزى ٢ : ٢٨٢ . وفى إعراب الحماسة الورقة ١١٠ : « إنما يقال هذا أفعل من هذا فى الصفة يشترك فيها الموصوفان ثم يزيد فيها أحدهما على صاحبه » . والنص هنا بعده مطابق لنص ابن جنى فى إعراب الحماسة .

(٢) فى النسختين : «قال» ، والوجه ماأثبت من شرح التبريزى .

وقد تصوَّرتَ جملها ورُتَبَ الآحادِ فيها ، وجدتَ كلًّ نوع منها بمضامَّته للغير له حالٌ فى الخفة والثقل . وإذا كان كذلك فلا يمنع أن يوصَف منه شيء بأنه أهونُ من غيره .

٤٦٠ وقوله : « فوالله ماأنسى » إلخ رواه القارى [1] : « فوالله لاأنسى ».

وقَوسَى بالقاف والقصر ، قال المبرد (فى الكامل) : هو بلدٌ تحلُّه ثمالة بالسَّراة : وقال القالى (فى المقصور والممدود) وتبعه أبو عبيدة (فى معجم مااستعجم) : هو موضعٌ ببلاد هُذيلٍ ، وفيه قتل عروة . وأنشد هذا البيتَ .

وهذا خلاف الصواب .

وأخطأ أبو عبيدة فى قوله : عروة أخو أبى كبير . وقال أبو عبيد أيضا (فى شرح أَمالى القالى) : إن قَوْسى رواه أبو على القالى بفتح القاف ، وغيره يأبى إلاَّ ضمَّها . وقال (فى معجم مااستعجم): بفتح أوله وضمه معا .

وقال ياقوت (فى معجم البلدان) : إن قَوْسى بفتح القاف وسكون الواو وسين مهملة ثم ألف مقصورة ، تكتب ياء : بلد بالسَّراة ، وبه قتل عروة أخو أبى خراش الهذلى .

ورزئته بالبناء للمفعول ، أى أُصبت به . قال المرزوقىُّ وتبعه التبريزى : تعلق الباءُ من قوله بجانب بقتيلاً ، كأنه قال : ماأَنسى قتيلا على الأرض بجانب قوسى رزئته ، ورزئته وبجانب جميعاً صفة للقتيل ، وقد دخله بعض الاختصاص بذكرهما . اهـ . فأَراد بالتعلُّق التعلُّقَ المعنوىّ ، وهو كونه صفة كما صرَّح به فى آخر الكلام .

---

(١) انظر ماسبق فى حواشى الجزء الأول من الخزانة ص ٢٧٥ . وللقارى هذا شرح على ديوان الهذليين .

وقد غفل عنه الدماميني (فى الحاشية الهندية) فقال : قال المرزوقى فى الباء من قوله بجانب : يتعلّق بقتيلا . الظاهر أنه لايعنى قتيلا المذكور ؛ لأنَّ وصفَه مانعٌ من إعماله ، وإنَّما يعنى قتيلاً محذوفا . أى رُزئتُه حالة كونه قتيلاً بجانب قوسى . هذا كلامه .

وقوله : « مامشَيْتُ على الأرض » قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) ، وأخذه التبريزى : مامع الفعل فى تقدير مصدر ، وحُذف اسم الزمان معه ، كأنه قال : مدَّة مشْيِى على الأرض ، وإن أمش على الأرض . وفى الكلام نيَّةُ الشرط والجزاء ، كأنه : قال لاأَنسى قتيلا رزئته إن مشيت على الأرض . ومعناه إن بقيتُ حياًّ . فلذلك وقع الماضى فيه فى موضع المستقبل ، لأنَّ مامشيت على الأرض فى موضع ماأمشى على الأرض .

وقوله : (على أنها تَعفو الكلوم) إلخ قال التبريزى : هذا يجرى مجرى الاعتذار منه ، والاستدراك على نفسه فيما أُطلقه من قوله : لاأنسى قتيلا رزئته . والضمير للقصَّة ، وخبر إنَّ الجملة بعدها . ولو قال على أنه لجاز ، وكان الضمير للشأن . ويعنى بالكَلْم الحَزَّة عند ابتداء الفجيعة . اهـ

و(تعفو) : تنمحى وتذهب وتبرأ ، من عفا المنزِل يعفو عَفْوا وعُفُوًّا وعَفَاءً بالفتح والمد ، بمعنى درس وانمحى . ويأتى متعدِّيا ، يقال عفَته الريح بمعنى مَحَتْه . وليس بمرادٍ هنا .

وقوله : (نوَكَّل [١]) بالبناء للمفعول ،يروى بالنون وبالمثناة التحتية ، من وكَّلته بأمر كذا توكيلا ، إذا فوَّضتَهُ إليه ، أى أَلزمتَهُ به إلزاما . والأدنى : الأقرب ، أى الرزىِّ الأقرب . قال القارى [٢] : يقول : إنما نحزن على الأقرب

---

(١) انظر ماسبق فى حواشى ٤٠٥ .

(٢) ش : «القالى» مع أثر تغيير . وانظر الحاشية السابقة فى ٤١٠ .

فالأقرب ، ومَن مضى نَسِيناه ولو عظم مامضى . ومثله :

حادثٌ مامُنِي يَعُولك والـ ـأقدمُ تنساهُ وإنْ هُوَ جَلّ (١)

انتهى .

قال أبو عُبيد البكرى (٢) (فى شرح أمالى القالى) : قال الأصمعى : هذا بيت حكمة (٣) .

وقد ألمَّ بهذا البيت أبو بكر بن دريد من قصيدة أوردها القالى فى ذيل أماليه :

بلى ، غير أنَّ القلبَ ينكؤه الأسى الـ ـمُلِمُّ وإنْ جلَّ الجوى المتقدِّمُ (٤)

٤٦١ وضدُّ هذا قول هشام فى أخويه : أوفى ، وغيلانَ ذى الرمة :

تَعزَّيتُ عن أوفىَ بغَيلانَ بَعدَهُ عَزاءً وَجفنُ العينِ ملآنُ مُتْرَعُ

ولم يُنْسِنِى أوفى المصيباتُ بعده ولكنَّ نَكْءَ القَرْح بالقَرْح أوجَعُ (٥)

قال التبريزى : موضع (٦)(على أنها) نصبٌ على الحال ، والعامل فيه مأأنسي .وهذا كما تقول:مأأترك حَقَّ فلان على ظَلْع لى ، كأنَّ التقدير :

(١) ش : « حادث مايثنى بعولك » . ومنى ، أى قُدّر . يعولك : يغلبك ويثقل عليك ويهمك .

(٢) سمط اللآلىء ٦٠١ .

(٣) فى النسختين : «أبو بكر» فقط ، والتصحيح للشنقيطى فى المخطوطة .

(٤) فى النسختين : «ينكره الأسى» ، صوابه من ذيل أمالى القالى ٣ : ١٢ .

(٥) ط : « ولكن نكاء » ش : «ولكن نكا أ» ، كلاهما محرف .

(٦) ط : « قال التبريزى فى موضع » .

أؤديه ظالعا . فعلى هذا يجىء : ماأنسى قتيلا رُزئته على عفاء الكلوم ، أى أذكره عافياً جُرحى كسائر الجراح (١).اهـ

قال ابن الحاجب (فى أماليه على أبيات المفصل) : إنَّ «على» هذه تقع فى شعر العرب وكلامِهم كثيراً ، والمعنى فيها استدراك وإضرابٌ عن الأول . ألَا ترى أنك إذا قلت لايدخل فلانٌ الجنة لسوء صنيعِهِ ، على أنه لاييأس من رحمة الله ، كان استدراكاً لما تقدَّم وإضراباً عن تحقيقه . وكذلك قوله فى البيت الذى قبله :

* فوالله ماأنسى قتيلا رُزِئته * البيت

ثم قال : على أنها تعفو الكلوم . لأنَّ المعنَى : على أنّ العادة نسيان المصائب إذا تطاولت ، والحزنُ (٢) عَلَى ماكان من المصاب قريبَ العَهْد . وهذا إضرابٌ واستدراك لما تقدَّم من قوله:أنسى . وكذلك قوله ، وهو أيضاً فى الحماسة :

وقد زعموا أَنَّ المحبّ إذا دنا
يُمَلّ وأنَّ النأىَ يشفى من الوجدِ (٣)
بكلٍّ تداوينا فلم يُشْفَ مابنا
عَلَى أنَّ قربَ الدار خيرٌ من البعدِ
عَلَى أنَّ قربَ الدارِ ليس بنافع
إذا كان مَن تهواهُ ليس بذى ودِّ

---

(١) الذى فى التبريزى : « عافيا كلمى كسائر الكِلَام » . والكلم : الجرح .

(٢) ط : «والجزاء» ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٣) من الحماسيه ٥٠٣ بشرح المرزوق ص ١٢٩٩. وهى لابن الدُّمَينة .

فقوله : «بكلٍّ تداوينا فلم يشف مابنا» ثم قال « على أنَّ قرب الدار خير من البعد » كالإضراب عن الأوّل ، لأن المعنَى : فلم يحصل لنا شفاءٌ أصلا ، وإذا كان قربُ الدار خيراً فى المعنَى المراد ، ففيه شفاءٌ أو بعض شفاء أصلا . وكذلك قوله : « على أنَّ قرب الدار خير من البعد » ، فاستدركَ أنَّه لايكون خيراً إلا مع الودّ ، فأبطل العمومَ المتقدِّمَ فى قوله قرب الدار خير من البعد . هذا معناها ، وأما تعلُّقها على الوجه الإعرابىِّ فيحتمل أمرين : أحدهما أن تتعلق بالفعل المتقدم قبلها كما تعلقت حاشا الاستثنائية بما قبلها لكونها أوصلت معنى ماقبلها إلى مابعدها على وجه الإضراب والإخراج . وأظهرُ منه أن يقال إنها فى موضع خبر محذوف [1] ، كأنه قيل : والتحقيق على أنّ الأمر كذا . فتعلُّقُها بمحذوف كما يتعلق كل خبرٍ جارٍّ ومجرور ، لأنّ الجملة الأُولَى وقعت عن غير تحقيق ، ثم جىء بما هو التحقيق فيها . وحذف المبتدأ لوضوح المعنَى . اهـ

وقد لَخَّص ابن هشام (فى المغنى) هذا الكلام فى على . والعجب من ابن هشام فإنه ذكر (فى شرح شواهده) ماقاله التبريزى من كون على أنها تعفو حال وعامله لاأنسى ، وغفل عن كلام المُغْنِى هذا .

والذى رواه أبو بكر القارى (فى أشعار الهذليين) ، والمبرد (فى الكامل) ، وأبو علىّ القالى(فى أماليه)، وابن جنِّى (فى المحتسب): «بلى[4]إنها تعفو الكلوم وإنما».

---

(١) كذا فى النسختين ، أى خبر مبتدأ محذوف .

(٢) ط : «لتعلقها» ، صوابه فى ش .

(٣) هو أحمد بن محمد بن عاصم الحلوانى القارىء ، تلميذ المبرد والسكرى . وتوفى سنة ٣٣٣ كما فى تاريخ بغداد ٥ : ٧٦ . وانظر فهرست ابن النديم ١١٩ وإنباه الرواة ١ : ٩٨ ومعجم الأدباء ٤ : ١٨٧ .

(٤) ط : « على » ، صوابه ماأثبت من ش ، وهو الثابت فيما ذكر من المراجع .

قال أبو عبيد البكرى (فيما كتبه على أمالى القالى) : هذا رجوعٌ من قوله الأوَّل إلى ماهو أصَحُّ .

وقال ابن جنى عند توجيه قراءة الأعرج وغيره : ﴿ ياحسرَهْ عَلَى العِباد [1] ﴾ من سورة يس ، ساكنة الهاء : قالوا فى تفسيرِ قوله تعالى : ﴿ لايؤاخذْكم الله باللَّغْوِ فى أيمانِكُم [2] ﴾ : هو كقولك : لا واللّهْ ، وبَلَى واللّه ، فأين سرعة اللفظ بذكر اسم الله تعالى هنا من التثبُّت فيه والإشباع له ، والمماطلة عليه [3] من قول الهذلى : .

٤٦٢

* فوالله لاأنسىَ قتيلاً رُزئته * البيت

أفلا ترى إلى تَطَعُّمِكَ [4] هذه اللفظةَ فى النطق هنا بها ، وتمطِّيك لإشباع معنى القسم عليها . وكذلك أيضاً قد ترى إلى إطالة الصوت بقوله من بعده:

بلى إنَّها تعفو الكلوم .... البيت .

أفلا تراه لمَّا أكذبَ نفسه وتداركَ ماكان أفرط فيه لفظُه ، أطال الإقامة على قوله بلى ، رجوعاً إلى الحق عنده ، وانتكاثاً عما كان عقد عليه يمينَه . فأين قوله هنا فوالله ، وقوله بلى ، منهما فى قوله : لا والله وبَلَى واللّه . وعليه قوله تعالى : ﴿ ولكن يؤاخِذُكُمْ بما عَقَّدتم الأيمانَ [5] ﴾ ، أى وكَّدْتموها وحقَّقتموها . انتهى كلامه .

---

(١) الآية ٣٠ من سور يس . وانظر المحتسب ٢ : ٢٠٨ .
(٢) البقرة ٢٢٥ والمائدة ٨٩ .
(٣) عليه ، ساقطة من ش .
(٤) تطعم الكلام : تذوُّقه . ش « تنطعك » وماأثبت من ط يطابق ما فى المحتسب .
(٥) المائدة ٨٩ .

وقوله : «ولم أُدرِ مَن ألقى عليه رداءَه» إلخ ، قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : مَنْ هنا استفهام ، وخبرها ألقى . ويجوز أن تكون موصولة فتكون منصوبة الموضع بأدرِى على حدِّ قولك : مادَرَيت به ، ثم تحذف حرف الجر (١) . ولايحسن أن تكون نكرة وألقى صفةً لها ؛ لأنه يصير المعنى لم أدر إنساناً أَلقى عليه رداءه (٢) ، وهذا رّبما أوهم أنه لم يلقِ أحدٌ منهم رداءه . والأمرُ بضدّ ذلك . اهـ

وقوله : «على أنّه قد سُلَّ» قال التبريزى : موضع على نصبٌ على الحال كأنّه قال : لا أدريه مسلولاً عن ماجد محض . وروى فى الحماسة : « سِوى أنّه » وهو استثناءٌ منقطع ، والمعنى لاأعرف اسمه ونسبه ، لكنّه ولدُ كريم بما ظهَرَ من فعله .

قال القارى : لما صُرع خِرَاش ألقى عليه رجلٌ ثيابَه فواراه ، وشُغِلوا بقتل عروة فنجا خِراشٌ . والرجلُ الذى ألقى عليه ثوبه من أزد شَنوءة ، فقال : لاأدرى مَن ألقى عليه ثيابه ولكنه سلَّ عن ماجدٍ مَحْض ، يعنى الرداء . والماجد المحض ، أى خالص النسب ، هو الذى ألقى عليه ثوبه . اهـ

فالمسلول على هذا هو الرِّداء لا الولد كما قال التبريزى .

وقال أبو عبيد البكرى (فيما كتبه على أمالى القالى) : فى هذا البيت ثلاثة أقوال : قال قوم : إنَّ عروة لما قتِل ألقى عليه رداءهُ رجلٌ من القوم فكفّنه به . وقال آخرون : بل الذى أَلقَى عليه الرجلُ هو خِراش (٣) . وذلك

---

(١) بعده فى إعراب الحماسة ١١١ : « فيقضى الفعل إليه فينصبه » .

(٢) ط فقط : «رداء» ، بدون هاء .

(٣) فى اللآلى ٦٠١ : «بل الذى ألقى عليه الرجل رداءه هو خراش » .

أنَّ رجلا من ثُمالة ألقى عليه رداءه ليَخْفَى عليهم ، وقد شُغل القوم بقتل عروة فقال : اهرُبْ . وعطف القوم عليه فلم يروه . وقيل : بل ألقى رجلٌ عَلَى خراش رداءَه إجارةً له ؛ وكذلك كانوا يفعلون .

وهذا مثلُ قول بعضهم (١) يذكر رجلا منَّ عليه :

ولمَّا رأيت أنّـه مُتَعَبَّـط
دعوتُ بنى بدر وألحفْته بُردِى (٢)

انتهى .

وقد تقدَّم هذا الأخير عن المبرد .

وقوله: «ولم يكُ مثلوجَ الفؤاد» إلخ قال القارى : أى لم يكن مثلوجَ الفؤاد ضعيفَه ، أى بارد الفؤاد . والمثلوج :البارد . يقال للرجل إذا لم يكن ذا رأى وحزم : ماأبردَفؤاده وما أخلاهُ ! من ذاك . وقال التبريزى : كأنّه أصاب فؤاده ثلج فبردت حرارته . والمهبَّج ، بفتح الموحدة المشددة بعدها جيم ، قال القارى : هو المثقَّل الكثير اللحم المنتفخ الوجه . وقال التبريزى : هو المرهَّل اللحم المتغير اللون . والرَّبيلة ، بفتح الراء المهملة بعدها موحدةٌ ، قال القارى : يقال إنها النَّعمة والخِصب . وإنه لربِلُ اللَّحم ، إذا كان رطب اللحم . وليس عندى كما قالوا ، لِبيتٍ سمعتُه ، وهو :

---

(١) هو البريق الهذلى ، كما فى اللآلىء . وانظر شرح أشعار الهذليين للسكرى ٧٥٤ .

(٢) المتعبط : المقتول على غير علة . وفي النسختين : «متغيط» صوابه فى اللآلى وشرح أشعار الهذليين . ورواية عجزه فى أشعار الهذليين :

★ دعوت بنى زيد وألحقته جردى ★

وقال : بنو زيد من هذيل . وقال أيضا : والجَرْدُ : الثوب الخلق .

رَبَلنا عَلَى الأعدا لنبتغىَ البَوَا
ولا مَنْ وَتَرْنا يُستَقادُ وتيرُ (١)

فالرَّبيلة : الكَثْرة والشدَّة . يقال رَبِل بنو فلان إذا كثُروا . والوتير : الموتور . والبَواء : أن يُقتَل الرجلُ بالرَّجل . اهـ

وقال التبريزى : الرَّبيلة : الرُّطوبة والسِّمَن . يقال رجل رَبِلٌ . ومعنى الشعر أنه رجع إلى صفة عروة فقال : كان ذكىَّ الفؤاد شَهماً ، لم يكن ممن ضيَّعَ شبابه فى صَلاح البدن . وهذا أولى ، لشيئين : أحدهما قوله ولم يك ، لأنَّه يدلُّ ظاهرُه عَلَى أنَّه نعت فائتٍ . والآخر وصفه بأوصاف لايُوصف بها من لايعرف . ولايُعدَل عن هذا الوجه ، وإن كان قد ذكر أنَّه (٢) من صفات الذى أنجى خِراشا . اهـ

والخَفْض : الدعة والراحة .

وقوله : « ولكِنَّه قد نازعَتْه » إلخ قال التبريزى : ويروى « ولكنَّه قد لوَّحته مَخامصٌ » . ولوَّحته : غيَّرته . والمخامص : جمع مَخْمَصَة ،وهى خلاء البطن من الطعام جُوعا . والمجاوع مِثل المَخَامص ، وإنما أثَّرت فيه المجاوِعُ ، لأنَّه إذا سافر آثَرَ صحبَه عَلَى نفسه بزادِه ويَجُوع (٣) . وقوله :«صادق النَّهْض » ، يعنى النهوض للمكارم والعُلا ، لايكذِب فيها إذا نَهَض لها .

---

(١) البوا : مقصور البواء كسحاب ، وهو التساوى والتكافؤ فى الأموال والأقدار والدماء . وفى ش : « على الأعداء نبتغى البوا » . ولا يستقيم به الوزن .

(٢) فى النسختين : «بأنه» ، صوابه من التبريزى . وفى التبريزى : «من صفة» بالإفراد .

(٣) فى التبريزى : « بزاده فيشبعهم ويجوع » .

هذا ماأورده صاحبُ الحماسة وغيره ، وزاد أبو بكر القارى ، والمبرِّد (فى الكامل) بعد هذا بيتين ، وهما :

(كأنهمُ يَشَبَّثونَ بطائـرٍ
خفيفِ المشُاشِ عظمُه غيرُ ذى نَحْضِ)

قال القارى : يقول : هؤلاء الذى يَعْدون خلْفَ خراش كأنهم يتعلَّقون بطائر خفيف المشاش ، أى ليس بكثير اللحم . يقال لكل ماستُخفَّ وخفَّ : إنّه لخفيف المشاش ، بضم الميم . والطائر : العقاب . ثم قال : « عظمه غير ذى نحض » أى هو خفيف ليس بمثقل . والنحض : اللحم . اهـ . وهو بفتح النون وسكون الحاء المهملة . ويَشَّبَّثونَ أصله يَتَشَبَّثون . وروى المبرد : « كأنهم يَسعَون فى إثرِ طائرٍ » . وهذا البيت يؤيد مااختاره التبريزى من أنّ الكلام فى وصف خراش

(يُبادر جُنحَ اللَّيلِ فهو مُهابذٌ
يحُثُّ الجناحَ بالتبسُّط والقَبضِ)

قال القارى : فهو مُهابذ ، يعنى الطائر . والمهابذ : السَّريع ، فهو جادٌّ ناج . وأصله من مَرَّ يُهْذِب إهذاباً ، ولكنه قَلَب . والقبض : أنَّ يَقبض جناحَيه . وقال لى الأصمعى : سمعتُ ابن أبى طرفة ينشد:« مُهابذ » وإنما أراد مُهاذب ، فقلبَه فقال : مُهابذ . يقال : مرَّ يُهذِب إهذاباً ، إذا عدا عدْواً شديداً . وقد سمعت غيره يقول : مُهابذ أى جادّ . اهـ

قال المبرد : وقوله : فهو مهابذ ، يقول : مجتهد . وهذيلٌ فيها سعىٌ شديد وفى جماعةٍ من القبائل [1] التى تحلُّ بأكناف الحجاز .

* * *

(١) فى النسختين : « فيها سعى شديد فى جماعة القبائل » . وإكمال النص من الكامل ٣٣٨ .

وأنشد بعده :

(إنَّ من يدخُلِ الكنيسةَ يوماً

يلقَ فيها جآذراً وظباءَ)

على أنَّ اسم إنّ ضمير شأن محذوف ، والجملة بعدها خبرها . وإنما لم يُجعل مَنْ اسمها لأنها شرطية ، بدليل جزمها الفعلين ، والشرط له الصدر فى جملته ، فلا يعمل فيه ماقبله .

وقد تقدَّم الكلامُ على هذا البيت فى الشاهد الثامن والسبعين [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد سيبويه [٢] :

٤٠٧ (إنّ من لَامَ فى بنى بنتِ حَسَّا

نَ أَلُمْهُ وأَعصِهِ فى الخطوبِ)

على أن اسم إنّ ضمير شأن محذوف .

٤٦٤

قال سيبويه فى باب مايكون فيه الأسماء التى يجازى بها بمنزلة الذى ، وذلك قولك : إنّ من يأتينى آتيه ، وكان من يأتينى آتيه ، وليس من يأتينى آتيه . وإنما أذهبْتَ الجزاء هنا لأنك أعملت كان وإنّ ، ولم يسُغْ لك أن تدَعَ كان وإشباهَه معلَّقة لاتُعملها فى شىءٍ ، فلما أعملتهنَّ ذهب الجزاءُ ولم يكن من مواضعه.ألا ترى أنك لو جئت بإنْ ومتى،تريد إنّ إنْ وإنّ متى

---

(١) الخزانة ١ : ٤٥٧ .

(٢) فى كتابه ١ : ٤٣٩ . وانظر أمالى ابن الشجرى ١ : ٢٩٥ والإنصاف ١٨٠ وابن يعيش ٣ : ١١٥ وشرح شواهد المغنى ٣١٢ وديوان الأعشى ٢١٩.

كان محالا . وإن شغلت هذه الحروف بشىء جازيت فمن ذلك قوله : إنّه من يأتنا نأته ، وقال جل وعز : ﴿إنه مَنْ يأتِ ربهّ مُجْرِماً فإنّ له جَهَنَّمَ [١]﴾ ، وكنتُ من يأْتِنِى آتِه . وتقول : كان مَن يأتنا نُعطه ، وليس من يأتنا نعطه، إذا أضمرت الاسمَ فى كان أو فى ليس ، لأنّه حينئذٍ بمنزلة لست وكنت . فإن لم تضمر فالكلامُ على ماوصفنا . وقد جاء فى الشّعر : إن من يأتنى آتِه . قال الأعشى :

إنَّ مَن لامَ فى بنى بنت حَسَّا نَ ... البيت

فزعم الخليل أنه إنما جازى حيث أضمر الهاء ، فأراد : إنه . ولو لم يرد الهاء كان محالاً . اهـ

فعلم أنّ حذف اسم إنَّ فى هذا مخصوصٌ بالضرورة .

وكذلك قال الأعلم : الشاهد فى جعل مَن للجزاء مع إضمار منصوب إنّ ضرورة .

وقال النّحاس : يقدره سيبويه على حذف الهاء ، وهو قبيح . وفيما كتبته عن أبى إسحاق : لم يجز إنَّ من يأتنى آتِه من جهتين ، لأنَّ مَن إذا كانت شرطا وَاستفهاماً لم يعمل فيها ماقبلها ، ولأنّ تقديرها تقدير إنْ فى المجازاة ، فكما لايجوز إنّ إنْ تأتنا نكرمك ، كذا لايجوز هذا . فإذا جاء فى الشعر فعلَى إضمار الهاء . وقال أبو العباس (فى الشرح[٢]) : وأجاز الزيادى : إنّ مَن يأتنا نأته ، على غير ضمير فى إنّ . وهذا لايجوز ، لامتناع الجزاء مِن أن يعملَ فيه ماقبله . اهـ .

---

(١) الآية ٧٤ من طه .

(٢) شرح أبى العباس محمد بن يزيد المبرد ، وهو الرد على سيبويه .

و(لامَ) فاعله ضمير مَن الشرطية ، والجملة فى محل جزم لأنّه شرط ، و(ألمه) مجزوم ، والأصل ألومه فحذفت الواو للساكن ، وهو جزاء الشرط ، والهاءُ ضمير من . و(أعصه) معطوف على ألمه ، وأصله أعصيه ، فحذفت الياءُ لما ذكرنا فى ألمه . و(الخطوب) : جمع خَطب ، وهو الأمر والشأن .

صاحب الشاهد

والبيت فى ديوان الأعشى كذا :

من يلمنى على بنى بنت حَسّا ن ....إلخ

وعليه لاشاهد فيه .

وهو من قصيدة له مَدح بها قيساً أبا الأشعث بن قَيسٍ الكِندىّ .

أبيات الشاهد

وأوّلها :

(مِن ديارٍ هضبٌ كهضب القَليبِ (١)
فاض ماءُ الشؤونِ فَيضَ الغُروبِ
أخلفَتْنـى بها قُتيلـةُ مِيعـا
دِى وكانت للوعد غيرَ كذوبِ (٢))

إلى أن قال :

(مَن يَلُمنى على بنى بنتِ حساّ
نَ أَلُمْه وأَعْصه فى الخطوبِ
إنّ قيساً قَيسَ الفَعال أبا الأشـ
ـعث أمسَتْ أعداؤُه لِشَعُوبِ

(١) كذا . وفى الديوان ٢١٨ : « من ديار بالهضب هضب القليب » .

(٢) فى النسختين : « وكان » ، صوابه من الديوان .

ذاكُم الماجدُ الجواد أبو الأشـ
ـعث أهلُ النَّدى وأهلُ السُّيوبِ
كلَّ عام يُمدُّنى بجَمُومٍ
عندَ تركِ العِنان أو بنجِيبِ
تلك خيلى منه وتلك ركابى
هُنَّ صُفرٌ أولادُها كالزَّبيبِ)

قوله : «من ديار» إلخ من تعليلة . والهضْب الأول : المطر ، يقال هَضبتهم السماءُ ، أى مطرتهم . وهضب القليب : ماء لبنى قنفد [1] من بنى سُليم . كذا قال البكرى (فى معجم ماastعجم) . وهو فى الأصل جمع هَضْبة ، وهو الجبل المنبسط على وجه الأرض . والقليب : البئر ، لأنه قُلب ترابها . والشؤون : جمع شأن ، وهو مجرى الدَّمع فى العين . والغروب : جمع غَرْب بفتح المعجمة وسكون المهملة : الدلو العظيمة .

٤٦٥

وقُتيلة بالتصغير : اسم امرأة . وقوله:بنى بنت حسان ، وحَسّان أحد تبابعة اليمن .

وقوله : «إنَّ قيسا» إلخ هو قيْس بن مَعديكرب الكندىّ ، مات فى الجاهليَّة . وقد تقدمت ترجمته فى الشاهد الثانى بعد المائتين [2] ، وكان يكنىَ بابنه الأشعث .

---

(١) قنفد ، بالدال المهملة كما فى معجم ماستعجم طبعة وستنفلد ٥٤٧ . وفى طبعة السقا : «قنفذ» بالذال المعجمة ، وكلاهما صحيح . وفى اللسان : «القنفد : لغة فى القنفذ حكاها كراع عن قطرب » .

(٢) الخزانة ٣ : ٢٣٩ .

قيس

والأشعث اسمه معديكرب ، كان أبداً أشعث الرَّأس ، فسُمِّىَ : الأشعث . وهو من الصَّحابة ، وفد على النبى ﷺ سنة عشر وأسلم ، وكان شريفا مُطاعَاً جواداً شجاعا . وهو أوَّل من مشَت الرجالُ فى خدمته وهو راكبٌ . وكان من أصحاب علىّ ، رضىَ الله عنه ، فى وقعة صفين ، وقد قاتل قتالاً شديداً حتى هجم على أصحاب معاوية ودفَعهم عن ماء الفرات وأخذه منهم ، بعد أن مُنع منه أصحابُ علىّ رضىَ الله عنه بليلة . وصلَّى عليه الحسن بن علىّ رضىَ الله عنهما وله من العمر ثلاث وستون سنة .

والفَعَال بفتح الفاء : الكرم والجود . وشَعُوب ، بالفتح : علم للمنيَّة .

والسُّيوب : جمع سيب ، بفتح السين المهملة وسكون المثناة التحتية ، وهو العطاء .

يُمدُّنى من الإمدادِ . والجموم ، بفتح الجيم : الفرس الكثير الجرى . وقوله : « عند ترك العِنان » أى عند تركك تحريكه فى الجرى يعطيك ماعنده من الجرى عفواً . والنجيب : الجمل الكريم .

وقوله : «تلك خيلى منه» ،أى من قيس . والركاب : الإبل ، لا واحد له من لفظه ، وإنما يعبَّر عن واحده بالراحلة . وصُفْر : جمع أصفر بمعنى أسود . وقد استشهد به البيضاوىُّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿صفراءُ فاقعٌ لونها (١)﴾ من سورة البقرة . قال : عن الحسن البصرى : صفراء : سوداء شديدة السَّواد ، وبه فسِّر قوله تعالى : ﴿جِمالاتٌ صُفْر (٢)﴾ . وقال الأعشى :

تلك خيلى منه وتلك ركابى .... البيت

(١) الآية ٦٩ من البقرة .

(٢) الآية ٣٣ من المرسلات . وهى قراءة الجمهور . وقرأ حمزة والكسائىّ وحفص وأبو عمرو : « جِمالة » بالإفراد . تفسير أبى حيّان ٨ : ٤٠٧ .

ولعله عبَّر بالصُّفرة عن السَّواد ، لأنها من مقدّماته ، أو لأنَّ سواد الإبل يعلوه صفرة . وفيه نظر ، لأنَّ الصُّفْرة بهذا المعنى لاتؤكَّد بالفقوع . انتهى .

وهذا اعتراضٌ على تفسير الصُّفرة فى الآية بالسواد . وأما البيت فسكت عنه .

واعترضه صاحب الكشف (١) من وجهين : الأوَّل أنّ الزبيب الغالبَ عند العرب الطائفىُّ ، وهو إلى الصُّفرة أقربُ منه إلى الحمرة . والثانى جواز أن يراد : هُنَّ صُفر وأولادها سود . وأجيب عن الأول بأن تشبيه الشىء بالزبيب صار علماً فى الوصف بالسواد فى لسان الفصحاء ، وكون بعض أفراده أصفرَ وأحمر لايقدح فى ذلك . وعن الثانى بأنَّ الظاهر من العبارة كون أولادها فاعلا لصفر ، أو كون هُنّ صفر جملةً وأولادها كالزبيب أُخرى ، فبعيدٌ لايتبادر إلى الفهم السليم .

وترجمة الأعشى قد تقدمت فى الشاهد الثالث والعشرين من أوائل الكتاب (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن بعد الأربعمائة ، وهو من أبيات المفصّل (٣) :

---

(١) فى النسختين : «صاحب الكشاف» ، والوجه ماأثبت ، وليس من المعقول أن يعترض الزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨ على البيضاوى المتوفى سنة ٦٩١ . كما أن هذا الكلام لم يرد فى تفسير الزمخشرى إنْ فرض أنه اعتراض على القول لاعلى القائل . أما صاحب الكشف هذا فهو عمر بن عبد الرحمن الفارسى القزوينى المتوفى سنة ٧٤٥ .

(٢) الخزانة ١ : ١٧٥ .

(٣) ابن يعيش ٨ : ٧١ ، ٧٣ . وانظر المنصف ٣ : ١٢٨ والإنصاف ٢٠٥ والمقرب ٢٠ وشرح شواهد المغنى ٣٩ والعينى ٢ : ٣١١ والهمع ١ : ١٤٣ والأشمونى ١ : ٢٩٠ .

٤٠٨ (فلَو أنَّكِ فى يوم الرَّخاءِ سَألتِنِى)

تمامه :

(طلاقَكِ لم أبخَلْ وأنتِ صديقُ)

٤٦٦ على أنّ إعمال أنْ المخففة فى الضمير البارز شاذٌّ.وفيه شذوذٌ آخر ، وهو كون الضمير غيرَ ضمير الشأن ، لأنهم قالوا : إنّ أنَّ إذا خفِّفت وجب أن يكون اسمها ضميراً غائبا وأن يكون ضمير شأن . قال سيبويه فى الباب السابق ، بعد قول الأعشى :

فى فتيةٍ كسُيوف الهِنْدِ قد علموا
أنْ هالكٌ كلُّ مَنْ يحفى وينتعلُ

يريد معنى الهاء [(١)] ، ولايخفِّف أنَّ إلاّ عليه ، كما قال : قد علمت أن لايقول ، أى أنَّه لايقول ، وقال تعالى : ﴿ أفلا يَرَوْنَ ألاَّ يرجعُ إليهم قولا [(٢)] ﴾ وليس هذا بقويٍّ فى الكلام كقوة أن لايقولُ ، لأنّ لا عوض من ذهاب العلامة . ألا ترى أنهم لايكادون يتكلَّمون بغير الهاء فيقولون : قد علمت أنْ عبد الله منطلق . انتهى .

وقال الفراء (فى تفسيره [(٣)]) من سورة الحِجْر ، عند الكلام على حَذف نون الوقاية : وقد خفَّفت العرب النون من أنَّ الناصبة ثم أنفذوا لها عملها ، وهى أشدُّ من ذا . قال الشاعر :

---

(١) فى سيبويه ١ : ٤٤٠ بولاق : « فهذا يريد معنى الهاء » .

(٢) الآية ٨٩ من سورة طه .

(٣) معانى الفراء ٢ : ٩٠ .

فلو أنْكِ فى يومِ الرَّخاءِ سألِتِنى
فِراقَكِ لم أبخلْ وأنتِ صديقُ

فما رُدَّ تزويجٌ عليه شهادةٌ
ولا رُدَّ من بعَدِ الحَرَارِ عتيقُ

وقال الآخر (١):

وقد علم الضَّيفُ والمرمِلون
إذا اغبرَّ أُفقٌ وهَبَّت شَمالا

بأنْكَ ربيعٌ وغيثٌ مَريعٌ
وقدماً هناك تكون الثِّمالا

انتهى .

وظاهره أنها تعمل مطلقاً كالمثقَّلة . ونقل ابن المستوفى عنه (فى شرح أبيات للفصل) : لم يسمع من العرب تخفيف أنَّ وإعمالها إلاّ مع المكنىّ ، لأنَّه لايتبيَّنُ فيه الإعراب ، فأمّا مع الظاهر فلا . ولكن إذا خفَّفوها رفعوا . انتهى .

ومنه تعلم أنَّ نقل ابن هشام (فى المغنى) عن الكوفيِّين أنهم زعموا أنها إذا خففت لاتعمل شيئاً غير صحيح . وتحريره أنَّ اسمها إذا كان ظاهراً لاتعمل شيئاً .

والبيت خطابٌ لزوجته فى طلبها الطلاق ، ويريد بيوم الرخاء قبل إحكام عَقد النكاح ، بِدليل البيت الثانى .

---

(١) هو جنوب أخت عمرو ذى الكلب ، كما سيأتى فى الشاهد ٨٦٩ .

وبه يسقط قول الدماميني (في الحاشية الهندية على المغنى) : إنّ الشاعر خاطبَ امرأته واصفاً نفسَه بالجود . وقوله : «في يوم الرخاء» من التّتميم . وكذا قوله : «وأنت صديق» ؛ لوقوع كلٍّ منهما في كلام لايفيد خلاف المقصود مفيداً لنُكتةٍ ، وهي المبالغة في الاتّصاف بالجود . ويحتمل أن يكون مراده وصف نفسه بمحبّته هذه المرأة ، وأنّه قد يؤثر مايختاره هو ، حرصاً على رضاها وحصولِ مرادها . انتهى .

وتبعه العيني فقال : إنّه يصف نفسَه بالجود حتى لو سأله الحبيب الفراقَ مع حبِّه لأجابه إلى ذلك وإن كان في الدَّعة والرَّاحة، كراهةَ ردِّ السائل. وإنما خصَّ يوم الرخاء لأن الإنسان ربما يفارق الأحباب في يوم الشِّدَّة. هذا كلامه.

ونقل السيوطي (في شرح شواهد المغنى) كلام العيني .

وزعم بعضُهم أنَّ الخطاب لمذكر ، وروى: «فراقَكَ» بدل «طلاقَكِ» . وهذا كله ناشئٌ من عدم الاطلاع على البيت الثاني . ويوم الرخاء متعلق بسألتني ، وطلاقك مفعوله الثاني ، والجملة خبر أن المخففة ، ولم أبخل جواب لو ، وجملة أنت صديقٌ حال من ضمير أبخل .

٤٦٧ فإن قلت : كان الواجب أن يقول وأنت صديقة ؟ قلت : قال الشارح المحقق (في شرح الشافية) عند الكلام على جمع الصفة جمعَ تكسير : وقد جاء شيء من فعيل بمعنى فاعل مستوياً فيه المذكر والمؤنث ، حملا على فعيل بمعنى مفعول نحو : جَديد وسَديس ، وريح خَريق ، ورحمة الله قريب . ويلزم ذلك في سديس وخريق . انتهى .

وقال صاحب العباب : قد يقال للواحد والجمع والمؤنّث ، قال الله تعالى : ﴿ أو صديقِكُمْ (١) ﴾ أي أصدقائكم . وقال :

---

(١) الآية ٦١ من سورة النور .

نَصبنَ الهوى ثمَّ ارتمين قُلوبَنَا

بأعيُنِ أعداءٍ وهنَّ صديقُ [١]

وأنشد الليث [٢]:

إذِ الناسُ ناسٌ والزَّمان بعزَّة

وإذْ أُمُّ عمَّارٍ صديقٌ مساعِفُ [٣]

انتهى . والحَرَار بفتح الحاء المهملة : مصدر حَرَّ يَحَرّ ، من باب تعب ، أى صار حُراً .

والبيتان أنشدهما الفرَّاءُ ولم يعزهما لأحَد .

(١) لجرير فى ديوانه ٣٩٨ واللسان(صدق ٦٣) ورواية الديوان : « دعون الهوى » .

(٢) ط : « وأنشد البيت » ، صوابه فى ش .

(٣) لأوس بن حجر فى ديوانه ٧٤ . وانظر اللسان والتاج (سعف) ونوادر المخطوطات ١ : ١٥٩ . وفى النسختين : « إذا الناس » . صوابه من المراجع السابقة . والمعروف فى الرواية : «بغرة» ، كما فى اللسان والنوادر .

اسم الاشارة

أنشد فيه ، وهو الشاهد التاسع بعد الأربعمائة ، وهو من أبيات المفصَّل [(١)]:

٤٠٩ (ذُمَّ المنازلَ بعد مَنزلةِ اللِّوى
والعيشَ بعد أولئكَ الأيَّامِ)

على أن (أولاءِ) يشار به إلى جمع ، عاقلا كان أو غيره كما فى البيت ؛ فإنّ أولاء أشير به إلى الأيام ، وهو جمعٌ لغير مَن يعقل . وكذا قوله تعالى : ﴿إنّ السَّمْعَ والبَصَرَ والفُؤادَ كُلُّ أولئكَ كانَ عنهُ مسْئُولا [(٢)]﴾.

وأورده صاحبُ الكشاف عند هذه الآية أيضا .

قال ابن هشام (فى شرح الشواهد) : ويروى : (الأقوام) بدل (الأيام) فلا شاهد فيه . وزعم ابن عطية أنَّ هذه الرواية هى الصواب ، وأنّ الطبرىّ غَلِطَ إذ أنشده:«الأيام» ، وأنَّ الزجاج تبعه فى هذا الغلط . انتهى .

قلت : رواه محمد بن حبيب (فى النقائض [(٣)]) ، ومحمد بن المبارك (فى منتهى الطلب من أشعار العرب) : «الأقوامِ» كما قال ابن عطية .

---

(١) ابن يعيش ٣ : ١٢٦ ، ١٣٣ / ٤ : ٣٦ ، ٣٧ / ٩ : ١٢٧ ، ١٥٩ . وانظر المقتضب ١ : ١٨٥ وشرح شواهد الشافية ١٦٧ والعينى ١ : ٤٠٨ والتصريح ١ : ١٢٨ والأشمونى ١ : ١٣٩ ، وديوان جرير ٥٥١ .

(٢) الآية ٣٦ من الاسراء .

(٣) النقائض ٢٦٩ .

صاحب الشاهد وهو من قصيدةٍ لجرير بن الخطَفى ، هجا بها الفرزدقَ ، وعِدّتها ستة وعشرون بيتاً . ومطلعها :

(سَرتِ الهمومُ فبِتنَ غيرَ نيامِ
وأخو الهموم يرومُ كلَّ مَرامِ
ذمَّ المنازل بعد منزلة اللوى ... البيت)

وقال بعد بيتين :

أبيات الشاهد

(فإذا وقفتُ على المنازل باللوَى
فاضت دموعى غيْرَ ذاتِ نظامِ
طَرقتكَ صائدةُ القلوب وليس ذا
حِينَ الزيارةِ فارجِعى بسلامِ
تُجرِى السِّواكَ على أغرَّ كأنّه
بَرَدٌ تحدَّرَ من متون غمامِ
لولا مراقبةُ العيون أرَيننا
مُقَلَ المَها وسوالفَ الآرامِ)

ثم بعد أن تغزَّل بأبياتٍ شرعَ فى هجو الفرزدق فقال :

(إنَّ ابن آكلةِ النُّخالة قد جَنَى
حَرباً عليه ثقيلةَ الأجرامِ
خُلِق الفرزَدقُ سَوءةً فى مالك
ولِخَلْفِ ضَبَّة كان شرَّ غلامِ [(١)]

(١) فى النسختين : «حلق الفرزدق» ، صوابه من الديوان . وفى ط : « سورة فى مالك والخلف » ، صوابه من ش والديوان .

مهلاً فرزدقُ إنَّ قومَك فيهِمُ
خَوَرُ القلوبِ وخِفَّة الأحلامِ
الظَّاعنون عَلَى العَمَى بجميعهمْ
والنَّازِلونَ بشرِّ دارِ مُقامِ
لو غيرُكمْ عَلِقَ الزُّبيرُ بحبْلِهِ
أدَّى الجوارَ إلى بنى العوَّامِ
كان العِنانُ على أُبيك محرَّما
والكِيرُ كان عليه غَيْرَ حرامِ)

٤٦٨

وبعده بيتان هما آخر القصيدة (١)

وقوله : (ذُمَّ المنازلَ) إلخ قال ابن هشام : الأرجح فيه كسر الميم الذى هو واجبٌ إذا فك الإدغام على لغة الحجاز ، ودونه الفتح للتخفيف ، وهو لغة بنى أسد ، والضمُّ ضعيف ووجهه إرادة الاتباع . والمنازل : جمع مَنزل أو منزلة ؛ فهو كالمساجد والمحامد (٢) . وهذا أولى ، لقوله : (مَنزلة اللوى) . و(بَعدَ) إمّا حالٌ من المنازل ، أو ظرف . و(العيش) عطف على المنازل . و(الأيام) صفةٌ لاسم الإشارة أو عطف بيان .

وقوله : «طرقتْك صائدة» إلخ هذا التفاتٌ من التكلم إلى الخطاب . والطروق : الإتيانُ ليلا . قال ابن هشام : قد عِيب عليه طرْدُ خِيال محبوبته . وأجيب بأنه طرَقَه فى حال السفر ، فأشفق عليه من الخطر .

وقوله : «تُجرى السِّواكَ على أغرَّ» ، أى على ثغر أغرّ .

---

(١) الحق أن بعد هذا البيت سبعة أبيات لابيتين . الديوان ٥٥٣ .

(٢) اذ أن المساجد جمع مسجد ، والمحامد جمع محمدة .

وقوله : «لولا مراقبة العيونُ» أى الرقباء ، جمع عين وهو الجاسوس .

وقوله : «إن ابنَ آكلةِ النُّخالةِ» يعنى البَعيث . وأَراد بآكلة النُّخالة الخنزيرة [١] . والبَعيث شاعرٌ من بنى مجاشع . والجرم بكسر الجيم : الجسَد ، يقال رماه بأجرامه ، أى بجسده .

والخلف بسكون اللام : الردىءُ من الناس وغيرهم ، وبِفتحها : الجيِّد من الناس ومِن كلِّ شىء .

وقوله : «الظَّاعنون» إلخ معناه أنَّهم يركبون مالا ينالون غايته ، وينزلون شرَّ البقاع لنذالتهم ، لايمكَّنون من موضع جيِّد .

وقوله : «لو غيرُكم عَلِقَ الزبير» إلخ الحبل هنا : الذمة . والجوار : المجاروة والذمَّة . وعَلِقَ الشىء بكذا ، من باب تعب ، وتعلّق به ، إذا نشب به واستمسَك . يريد أنَّ قوم الفرزدق غَدَرُوا بالزبير بن العوام فقتلوه . يقول : لو كان فى ذمة غيركم لأدّى ذمته إلى بنى العوّام ولم يَغدر به .

وملخص سبب قتله أن الزبير لما جاء مع عائشة فى وقعة الجمل ، ذكّره علىٌّ رضى الله عنه بقول النبى عليه الصلاة والسلام : « إنك ستحاربه وأنت ظالمٌ له » فاسترجعَ وقال : أذكَرْتنى شيئاً أنسانيه الدّهر . ثم فارقَ المعركة آخذاً طريق مكة ؛ فنزل على قومٍ من بنى تميم ، فقام إليه عمرو بن جُرموز المجاشعى فأضافه ثم قال له : يأبَا عبد الله ، حدِّثنى عن خصالٍ أسألك عنها . قال : هاتِ . قال : خَذْلُك عثمان وبيعتك عليًّا ، وإخراجُك أمّ المؤمنين ، وصلاتك خلف ابنك ، ورجوعُك عن هذه الحرب ، فظنّ بى كلّ شىء إلاّ الجبن ! فانصرف وهو يقول : والهفى على ابن صفيَّة ، أضرمَها ناراً ثم أراد أن يَلحق بأهله ، قتَلنى الله إن لم أَقتُلْه .

---

(١) ط : « الخنزير » . صوابه فى ش .

ثم رجع إليه كالمستنصح . قال : يأبا عبد الله ، دون أهلك فيافى ، فخُذْ نجيبى هذا وخلِّ فرسَك ودرعك فإنهما شاهدانِ عليك بما تكره . ولم يزل به حتى ترك عنده فرسه ودرعَه ، وخرج معه إلى وادى السِّباع ، وأراه أنه يريد مُسايرته ومؤانَستَه ، فقتله غِيلة وهو يصلِّى ، وأتَى بسيفه إلى أمير المؤمنين وأخبره بقتله ، فبشّره علىٌّ بالنار . ثم خرج ابن جُرموز على علىٍّ مع أهل النهروان فقتل مع من قُتِل هناك .

وهذا البيت أورده المبرد (فى الكامل) إلاّ أنّه رواه بنصب «غيرَكم» قال : ٤٧٩ نُصِب بفعلٍ مضمر يفسِّره مابعده ، لأنها للفعل [١] . وهو فى التمثيل : لو علق الزُّبير غيركم . انتهى .

وأورده أيضاً أبو بكر بن السّراج (فى الأصول) فى باب أنَّ المفتوحة ، قال : إن الأسماء تقع بعد لو على تقدير الفعل الذى بعدها . فممَّا وَلِيهَا من الأسماء قول الله عز وجل : ﴿ لو أنتم تملِكُون [٢] ﴾ ، وقال جرير :

* لو غيركم علق الزبير بحبله *

البيت . انتهى .

والظاهر أن الرواية عنده بالرّفع ، وهو الصحيح لأنّ علق لايتعدّى إلَى مفعول صريح .

وكذلك رواه ابن هشام (فى مغنى اللبيب) عند الكلام عَلَى «لو غيرُكُم [٣]»

---

(١) فى الكامل ١٥٨ : « لأنه للفعل » يعنى أن كلمة « لو » أو لفظها إنما هو للفعل لاتدخل إلا عليه .

(٢) الآية ١٠٠ من سورة الاسراء .

(٣) ط : « لو » فقط ، وتكملته من ش .

بالرفع . ويردُ عليه أنّ هذا لايصحُّ ، لأنّ المتعلق بالحبل الزبير لاغيركم . وقد يوجَّه بأنّ التعلق من الطرفين : من الزبير بنزوله عندهم ، ومن الغير بحفظ الذمام . وفيه تعسُّف ، والظاهر أن هذا مما حذف فيه كان الشأنية ، كقوله :

* لو فى طُهَيَّة أحلامٌ لماَ عرضوا (١)*

وجملة «غيركم علق الزبير بحبله» من المبتدأ والخبر ، خبر كان الشَّأْنيَّة المحذوفة . أو يكون غيركم اسم كان المحذوفة الناقصة ، وجملة علق الزبير فى محل نصب على أنَّه خبرها .

وإنما أطنبتُ فى شرح هذا البيت لأنى لم أر أحداً وفَّى حقَّه من الشُّرَّاح ، حتى إنَّ الدمامينى مع جلالته مافَهِم معناه ، قال(فى الحاشية الهندية على المغنى):والذى يظهر أنَّ غرض الشاعر ذمُّ مخاطَبيهِ بأنهم لاقوَّة لهم يحكمون بها من التجأ إلى جوارهم.يقول:لو تمسَّك الزبير بذمة غيركم لم يلتفت إلى جوار قومه واستمسك بهؤلاء الذين استجار بهم ، لكونهم من الحماية له بحيث يفوقون عُصبة قومه . يعنى:وأما أنتم فلستم بهذه المثابة ، فلا يعتدُّ الزبير باعتصامكم،بل هو مستمسك بجوار قومه لايردُّ عليهم (٢) لافتقاره إليه وضعفكم .

هذا كلامه على البيت بحذافيره ، ولايخفى أنّ هذا لامساس له بالبيت، ومنشؤُهُ عدم الاطلاع على القصيدةِ وغرضِ الشاعر .

وقوله : «كان العِنان على أبيك محرَّما» إلخ أراد عنان الفرس . والكِير : كُور الحدَّاد (٣) . يريد أنهم ليسوا بفُرسان ، وأن أباه قَينٌ،أى حدَّاد .

وقد عارضه الفرزدقُ بقصيدةٍ ، منها هذه الأبيات :

---

(١) تمامه كما فى المغنى ٢٦٨ : * دون الذى أنا أرميه ويرمينى * .

(٢) أى لا يرد عليهم جوارهم ، بل يظل مستمسكا به .

(٣) كذا فى النسختين . وهو سهو من البغدادى ، فإن الكير هو منفاخه . وأما الكور فهو المجمرة المبنية من الطين ونحوه .

قال ابن صانعة الزُّروب لقومِه
لاأستطيع رواسىَ الأعلامِ (١)
قالت تجاوبُه المَرَاغةُ أُمُّه
قد رُمْتَ ويلَ أبيك غيرَ مَرامِ (٢)
ووجدتَ قومَك فقَّئُوا من لُؤمهم
عَينيك عند مكارمِ الأقوامِ
صَغُرتْ دِلاؤهُمُ فما مَلئُوا بها
حَوضاً ولا شهدوا غداةَ زِحامِ (٣)
أشبَهْتَ أُمَّكَ إذْ تعارضُ دارماً
بأدِقَّةٍ مُتقاعِسينَ لئامِ
وحسبتَ بحرَ بَنى كليب مُصدِراً
فغَرِقتَ حين وقعتَ فى القَمْقامِ (٤)
فى لُجَّة غمرَتْ أباك بحورُها
فى الجاهليَّة كان والإسلامِ

إلى هنا كلام أمِّ جرير له . ومن هنا شرع يفتخر فقال :

إنَّ الأقارعَ والحُتَاتَ وغالباً
وأبا هُنيدةَ دافَعُوا لمَقَامِى (٥)

---

(١) ط : «صابغة» صوابه فى ش مع أثر تصحيح والديوان ٨٤٩ والنقائض ٢٦٢ . والزروب واحدها زرب ، وهى حفيرة تحتفر مثل البئر يبنى حولها فتصير كالحظيرة ، تحبس فيها الجداء والعنوق عن أمهاتها .

(٢) فى الديوان والنقائض : «كل مرام» .

(٣) فى الديوان والنقائض : « عراك زحام » .

(٤) مصدرا ، أى يرتوى شاربه فيصدر عنه .

(٥) أبو هنيدة هو صعصعة،وهنيدة هى بنته هند امرأة الزبرقان بن بدر.انظر النقائض والأغانى ٢ : ٥٠/١١ : ٩٦.

بمناكبٍ سَبقت أَباكَ صدورُها
ومآثـــرٍ لمتوَّجِيـــنَ كرامِ
إنِّى وجدتُ أبى بنَى لىَ بيتَه
فى دَوحة الرؤساءِ والحُكّـامِ
من كلِّ أبيضَ من ذؤابة دارمٍ
ملكٍ إلى نَضَدِ الملوكِ هُمامِ
مِنّا الذى جمَعَ الملوك وبينهم ٤٧٠
حربٌ يُشَبُّ وَقودُها بضِرامِ
خالى الذى ترك النَّجيعَ برمحه
يومَ النقا شَرِقاً على بسطامِ
وأَبى ابنُ صَعصعةَ بنِ ليلى غالبٌ
غلبَ الملوكَ ورهْطُه أعمامى

ويأتى إن شاء الله شرحُ جميع هذا عند الكلام على قوله :

* فى لجة غمرت أباك بحورها *

فإنه من شواهد هذا الكتاب فى باب الأفعال الناقصة [١] .

* * *

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد العاشر بعد الأَربعمائة [٢]:

٤١٠ (تجلَّدْ لايَقُلْ هَؤُلاءِ هذا
بَكى لمَّا بكى أسفاً وغَيظا)

---

(١) هو الشاهد ٧٢٩ .

(٢) ابن يعيش ٣ : ١٣٦ .

على أنَّ (هَوْلاءِ) بفتح الهاء وسكون الواو مخفف هَؤلاء بحذف ألف ها وقلب همزة أولاءِ واوا .

وقال ابن جنى (فى الخاطريَّات) : الأَصل هؤلاء ، فحذفت الأَلف ، ثمَّ شبَّه هَؤُل بعَضُد فسكّن ، ثم أبدل الهمزة واواً وإنْ كانت ساكنة بعد فتحة ، تنبيهاً على حركتها الأَصلية . ومثله فى المعتل قول بعضهم فى بئس : بَيْسَ بياء ساكنة بعد الباء . وأسهل من ذلك أنْ يقال : أبدل الهمزة من هؤلاءِ واوا على غير قياس ، ثم استثقلت الضمة على الواو فأسكنت فحذفت الألف لالتقاءِ الساكنين .

وقال الشَّلوبين (فى حاشيته على المفصل) : كثر هؤلاء فى كلامهم حتى خفَّفوه فقالوا:هَوْلاء . قال الشاعر :

تجلَّدْ لايقلْ هَوْلاء هذا
بكى لماَّ بكى أسفاً عليكا

فالقافية فى رواية الشلوبين كافيَّة . ولم أدرِ أيُّ الروايتين صحيحة ، لأَنِّى لم أقفْ على شيءٍ بأكثر من هذا . والله أعلم .

و(تجلَّدْ) : فعل أمرٍ من الجلادة ، وهو التحفظ من الجزع . ويَقُلْ مجزومٌ بلا الناهية .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشر بعد الأربعمائة [1]:

٤١١ (فقلتُ له والرُّمحُ يأطِرُ مَتنَه
تأمَّلْ خُفافاً إنَّنى أنا ذلكا)

---

(١) الكامل ٥٦٩ ، ٥٤٣ والشعراء ٣٠٠ والإنصاف ٧٢٠ .

على أنَّ الإشارة فيه من باب عظمة المشار إليه ، أى أنا ذلك الفارس الذى سمعتَ به . نزَّل بُعْدَ درجتِه ورفعةَ محله منزلةَ بُعْدِ المسافة . وكذا القول فى قوله عز وجل: ﴿ آلم * ذلك الكتابُ ﴾ . وقال المبرد (فى الكامل) نقلا عن ابن عباس ، وتبعه ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) قالا : قد يأتى اسمُ الإشارة البعيدُ بمعنى القريب ، كما يكون «ذلك» بمعنى هذا . قال تعالى : (إلم * ذلك الكتابُ) . وقال خُفاف بن ندبَة :

* تأمَّلْ خُفافاً إننى أنا ذلكا *

أى هذا . وأقرَّه أبو الوليد الوَقَّشى (فى شرح الكامل) وقال : وأقرب مُتَأَوَّلًا من ذا وذاك فى قول خفاف وأولى بالتأويل ، أن يريد أى أنا خفاف ، فكنى عنه بقوله أنا ذلك ، كما يقول لك القائل : أنت زيد ؟ فتقول له : أنا ذلك الذى تريد . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيتَ من أبيات لخُفَاف بن نَدْبة الصحابى ، وهى :

أبيات الشاهد

(فإن تَك خيلى قد أصِيبَ عميدُها
فإنى على عَمدٍ تيممَّتُ مالِكا

نَصبتُ له عَلْوَى وقد خامَ صُحْبتى
لأبنِىَ مجداً أو لأثأرَ هالِكا

لدُنْ ذرَّ قرنُ الشَّمسِ حتى رأيتهمْ
سِراعاً على خيل تؤُمُّ المسالكا

٤٧١

فلماَّ رأيتُ القومُ لا وُدَّ بينهم
شَريجين شَتَّى منهمُ ومُواشِكا

تيَمَّمْتُ كبشَ القوم لماَّ رأيتُه
وجانبت شُبّانَ الرِّجال الصَّعالكا

فجادت له يُمنىَ يدىًّ بطعنةٍ
كسَتْ متنتَيْهِ أسودَ اللونِ حالكا
وقلتُ له والرُّمحُ يأطِرُ متنَهُ
تأمَّلْ خُفافاً إنّنى أنا ذلكا
أنا الفارسُ الحامى حقيقة والدى
به تُدركُ الأوْتارُ قِدماً كذلكا)

قوله : « إن تكُ خيلى » إلخ أراد بالخيل هنا الفُرسان . والعميد : السيِّد الذى يعُمدَ أى يقصد ، أى إنْ قُتِل سيِّد الفرسان . وروى : «صميمُها» والصميم : الشريف والخالص . وأراد بهذا السيد الذى قُتِل ابنَ عمِّه ، وهو معاوية بن عمرو بن الشَّريد ، وهو أخو صخر والخنساءِ الصحابية الشاعرة . وتيمَّمت : قصدت . ومالك ، هو ابن حمار ، وهو سيِّد بنى شَمْخ بن فزارة . وكان من خبره أنَّ خفاف بن ندبة غزا مع معاوية بن عمرو ، مُرَّةَ وفَزارة ، فعمد ابنا حرملة : دريدٌ وهاشم المرِّيَّان ، عَمْدَ معاوية (١) ،فاستطرد له أحدهما فحمل عليه معاوية فطعنه فى عضده ، وحمل الآخر على معاوية فطعنه متمكنا ، فلمَّا تنادوْا : قُتِلَ معاوية ! قال خفاف : قتلنى الله إنْ برِحتُ مكانى حتى أثأرَ به ! فحمل على مالك المذكور فطعنه فقتله . وإنما تيمَّمه لأنه عِدْلُ معاوية .

وقوله:«نصبت له عَلوَى» إلخ ،ويروى : «وقفْتُ له عَلوى» ،وهو بفتح المهملة وسكون اللام وبالقصر :اسم فرس خُفاف ، أورده القالى (فى

(١) ط « المريان لمعاوية » ، وأثبت مافى ش .

المقصور والممدود) . وخام ، بالخاء المعجمة ، بمعنى ارتدَّ . يقال أخام الرجل يَدهُ عن الطعام ، إذا رفع يدَه عنه . والصُّحبة : مصدر صحِبه يصحبه . وأراد به الأصحاب. والمجد: الشرف. وأثأرَ هالكاً ، أى آخذ بثأرِ هالك ،يعنى معاوية.

وقوله : «لدن ذرَّ قرنُ» إلخ ، يقال ذرَّ قرنُ الشمس ذرُوراً ، بالذال المعجمة ، من باب قعد [١] : طلعت . وقرنها : أوّل مايظهر منها . ولدن : ظرف لقوله نصبت له علوى .

وقوله : « شريجين » : مثنَّى شريج : بفتح الشين المعجمة وكسر الراء وآخره جيم ، حالٌ من القَوم ، أى صِنفين . وشتَّى ومُواشكا : بدلٌ من شريجين . وشتَّى : جمع شتيت ، كجرحى جمع جريح . ومُواشك : اسم فاعل بمعنى مُسرع . يعنى رأيت القوم قسمين : فريقٌ منهم رجَع وتشتَّت عن معاوية قبل قتله كما يأتى فى خبر مقتله ، وفريقٌ هارب مُسرعٌ بعد قتله .

وقوله : «تيمَّمتُ كبشَ» إلخ هو جواب لمّا . وكبشُ القوم : رئيسُهم وسيِّدهم . وإنما جانَب الشبابَ ولم يَقتُل منهم لأنهم ليسوا بكفءٍ لمعاوية . والصعالك : جمع صُعلوك ، والقياس الصعاليك ، وهم الفُقَراء .

وقوله : «فجادت له» أى لمالك . والمتنة : مثل المتن ، كما جاء به فى البيت بعده . قال ابن فارس : المتنان : مُكْتَنفا الصلب من العصَبِ واللحم . ومتنت الرجل متنا من بابَىْ ضرب وقتل [٢] ، إذا ضربتَ متنه . وأراد بأسود اللون الدمَ . والحالك : الشديد السَّواد .

---

(١) ط : «فقد» ، صوابه فى ش .

(٢) فى هامش ش بخط الناسخ «صوابه من بابَىْ ضرب ونصر» !

وقوله : (وقلت له) إلخ معطوف على جادت ، والعاطف هو الواو لا الفاء كما فى الشرح . والضمير لمالك ، وجملة (والرُّمحُ يأْطِرُ مَتْنَه) حالٌ من الهاء ، وجملة (تأمَّلْ خُفافَا) مقول القول . ويأطِر : يحنو ويثنى [1] . يقال أطره أطراً من باب ضرب ، إذا عَطفه ، ومنه إطار المنخل . ومتنه مفعول يأطر ، أى يعطف ظهر مالك . و(تأمَّلْ) فعل أمرٍ خطابٌ لمالك ، من تأمَّلت الشىء ، إذا تدبَّرتَه،وهو إعادتك النظرَ فيه مرَّةً بعد أخرى حتى تعرفه . و(خُفَاف) بضم الخاء المعجمة وفاءين كغراب : اسمُ الشاعر . وإنما قال له ذلك ليعرِّفه أنَّه هو الذى قتله . روى الأخفش (فى شرح ديوان الخنساء) أنَّ خفافا لما قال له ذلك قال مالكٌ :أَنت ابن ندبة يريد أنتَ ابن جاريةٍ سوداء ،يعيِّره بذلك.

٤٧٢

وقوله : (إننى أنا ذلك) ،استئنافٌ بيانىٌّ ، كأنَّه قال له : هل أنت مما يتأمَّل إنما أنت ابن ندبة . فقال له : إنَّنى أنا ذلك الشجاع الذى سمعتَ به . وأنا إمّا تأكيدٌ للياء كما تقدم وجههُ فى الشرح فى بابه ، وإمّا مبتدأ خبره لك والجملة خبر إننى ، والألف فى ذلك للإطلاق ، وكذلك فى جميع هذه القوافى .

وقوله : «أنا الفارس» إلخ استئنافٌ نحوى ، وهو ابتداءُ كلام لا علاقة له بما قبله معنى ، ابتدأ به للافتخار . وفى نهاية ابن الأثير : فلانٌ حامى الحقيقة إذا حَمَى مايجب عليه حمايتُه . انتهى .

وحقيقة والده هنا : أخْذُ ثأر ابن أخيه ؛ لأنه يحقُّ على والده أن يأخذ ثأر معاوية . قال عامر بن الطفيل قاتله الله :

لقد علمتْ عُليا هَوازِنَ أنَّنى أنا الفارسُ الحامى حقيقةَ جعفرِ

---

(١) يقال حنى الشىء يحنيه ويحنوه ، لغتان .

وجعفر هذا أبو جدِّهِ ، لأنّه عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب .

وقوله :« به تُدرَك الأوتار » إلخ أى إنما تُدرك الأوتار بالحَمْى الدالّ عليه الحامى ، لابغيره . أو الضمير راجعٌ للحامى ، يقال حميت المكان من الناس حَمْيا من باب رمى ، وحِمْية بالكسر ، إذا منعتَهُ عنهم . والحماية اسم منه . وتدرَك بالبناء للمفعول . والأوتار : جمع وتر بالكسر ، وهو الثأر والذَّحل ، أى الحقد . وقوله : «قِدْماً كذلك» ، أى كذلك تدرك الأوتار قِدماً ، بكسر القاف . قال صاحب الصحاح : يقال قِدْماً كان كذا وكذا ، وهو اسمٌ من القِدَم جعل اسماً من أسماء الزمان .

وروى صاحب الأغانى كذا :

أنا الفارسُ الحامى الحقيقةَ والذى
به أُدرَكَ الأبطالُ قدماً لذلكا (١)

وزاد بعده ، وهو :

وإنْ ينجُ منها هاشمٌ فبطعنةٍ
كستَهْ نجيعاً من دم الجوف صائكا

قال : حَقَّق خفافٌ أنَّ الذى طعنه معاوية هو هاشم بن حرملة .

خفاف بن ندبة

وخُفَاف بن نَدْبَة هو خفاف بن عمير بن الحارث بن الشَّريد بن رياح ابن يَقَظة بن عُصَيَّة بن خُفاف بن امرئِ القيس بن بُهْثة بن سُليم بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفَة .

---

(١) الذى فى الأغانى ١٣ : ١٣٥ : «قدما كذلكا» .

وخفاف بضم الخاء المعجمة ، هو بمعنى الخفيف ، يقال رجلٌ خُفاف وخفيف بمعنىً ، كطُوال وطويل . والخِفّ بالكسر بمعنى الخفيف أيضاً .

وعمير : مصغر عَمْرٍو . والشَّريد اسمه عمرو . ورياح بكسر الراء بعدها مثناة تحتية . ويَقَظة ، هو ضد النوم . وعُصَيَّة : مصغر عصاً . وبُهْثَة بضم الموحدة وسكون الهاء بعدها ثاء مثلثة . وسُلَيم بالتصغير .

وأما نَدْبة فهو اسمُ أمِّه ، كان سباها الحارث بن الشَّريد حين أغار على بنى الحارث بن كعب ، فوهبها لابنه عمير فولدت له خفافاً ، وكانت امرأةً سوداء . كذا فى الأغانى .

وقال ابن الكلبيُّ (فى الأنساب) : نَدْبة هى بنت الشَّيطان بن قَنان بن سلمة بن وَهب بن عبد الله بن ربيعة بن كعب . انتهى .

وقال صاحب العباب : ندبة هذه كانت سوداءَ حبشية ، وهى بفتح النون وسكون الدال بعدها باء موحدة ، مأخوذ من قولهم : رجلٌ نَدْبٌ ، أى خفيفٌ فى الحاجة ، وامرأة ندبة . وفرس نَدْب ، أى ماضٍ . وندُبَ ندابة مثل شَجُع شجاعة ، أى خفّ فى العمل . ٤٧٣

والشَّيطان منقول من الشَّيطان الرجيم ، عليه الخِزى .

وقَنَان ، بفتح القاف بعدها نونان خفيفتان .

وخفاف بن نَدْبة مخضرمٌ أدرك الجاهلية والإسلام،وشهد فتح مكة [1]،وكان معه لواءُ بنى سُليم،واللواء الآخر مع العباس بن مِرداس.وشهد حُنينا والطائف، وثبت على إسلامه فى الرِّدّة،وبقَى إلى زمن عمر بن الخطاب

---

(١) انظر الخزانة ٤ : ١٥ .

وكنيته أبو خُراشَة . وكان فى الجاهلية يُهاجى العبّاس بن مِرداس ، وله يقول العباس :

أبا خُراشة أمَّا كنتَ ذانفر   فإنَّ قومىَ لم تأكُلهمُ الضَّبعُ

وتقدَّم الكلام عليه (١).

وخفاف هو أحد فرسان قيس وشعرائها المذكورين .قال الأصمعى : خفاف ودريد بن الصمة أشعرُ الفرسان ، وهو أحد أغربة العرب ، أى سُودانهم ؛ لأنَّه كان أسودَ حالكا ؛ وهو القائل :

كلانا يسوِّده قومُه   على ذلك النّسبِ المُظْلِمِ

يعنى السُّودان .

وأغربه العرب هم: عنترة بن شدَّاد ، وسُلَيك بن السُّلَكة ، وأبو عمرو ابن الحُبَاب ، وخفاف بن ندبة ، وهشام بن عقبة بن أبى مُعَيط .

وأمَّا معاوية المذكور فهو ابن عمِّ خُفاف ، وهو أخو الخنساء الصَّحابية وأخو صخر . وقد قتل معاوية وصخرٌ فى الجاهليَّة . روى هشامٌ عن أبيه قال : كان عُمَير بن الحارث (٢) بن الشّريد يأخذ بيد ابنيه صخر ومُعاوية ، فى الموسم فيقول : أنا أبو خيرَىْ مُضَر ، فمن أنكر ذلك فليغيِّر ! فما يغيِّرٌ ذلك عليه أحد .

خبر مقتل معاوية بن عُمَير

وهذا خبر مقتل معاوية :

روى صاحبُ الأغانى عن أبى عبيدة قال:إنَّ معاوية وافى عكاظَ فى

(١) فى الشاهد ٢٤٩ بالجزء الرابع ص ١٣ .

(٢) ط : «عمرو بن الحارث» ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح . وانظر ماسبق فى النسب .

موسم من مواسم العرب ، فبينما هو يمشي بسوق عكاظ إذْ لقى أسماء المرِّيَّة ، وكانت جميلة ، وزعم أنها كانت بغيًّا ، فدعاها إلى نفسه فامتنعت عليه وقالت :أما علمتَ أنى عند سيِّد العرب هاشم بن حرملة ! فأغضبته (١). فقال:أما والله لأُقارِعَنَّه عنك . قالت : شأنَكَ وشأنه . فرجعت إلى هاشم فأخبرته بما جرى فقال هاشم : لانَرِيمُ أبياتنا حتى ننظر مايكون من جهده.قال:فلما خرج الشهرُ الحرام وتراجع الناسُ من عكاظ خرج معاوية غازياً يريد بنى مُرَّةَ وبنى فزارة ، فى فرسانٍ أصحابه من سُليم ، حتى إذا كان بمكان يدعى الحوزة أو الجوزة — والشكُّ من أبى عبيدة — سَنَحَ له ظبىٌ فتطيَّر منه(٢).ورجع فى أصحابه ، فبلغ ذلك هاشمَ بن حَرملة ، فقال : مامنعه من الإقدام إلاّ الجبن.فلما كان فى السنة المقبلة غزاهم حتى إذا كان فى ذلك المكان سَنَحَ له ظبى وغراب ، فتطيَّر فرجع ، ومضى أصحابُه ،وتخلَّف فى تسعةَ عشرَ فارساً منهم لايريدون قتالا ، إنما تخلَّف من عُظم الجَيْش راجعاً إلى بلاده ، فوردُوا ماءً وإذا عليه بيتُ شَعَر ، فصاحُوا بأهله فخرجتْ إليهم (٣) امرأة فقالوا:ممن أنتِ ؟ قالت:امرأةٌ من جُهينة،أَحْلافٌ لبنى سهم بن مُرة بن غطفان . فوردُوا الماء ،فانسلّت فأتت هاشمَ بن حرملة فأخبرته أنهم غير بعيدٍ، وعرَّفَتْه بعِدّتهم (٤).وقالت:لاأرى إلاّ معاويةَ فى القوم! فقال : يالكاع،أمُعاوية فى تسعة عشر رجلا ؟! شبَّهتِ وأبطلْت ! قالت : بل قلتُ الحقّ ، وإن شئتَ لأصفنَّهُم لك رجلا رجلاً . قال : هاتى . ٤٧٤

قالت:رأيت فيهم شاباً عظيم الجُمَّة،جبهتهُ قد خَرَجَتْ من تحت مِغفره

---

(١) فى الأغانى ١٣ : ١٣٤ : « فأحفظته » .

(٢) فى الأغانى : «دومت عليه طير وسنح له ظبى فتطير منهما» .

(٣) ط : «اليه» ، صوابه من الأغانى ومن ش مع أثر تصحيح .

(٤) فى النسختين : «أنهم غير بعيد وبعدتهم» . وتكملته من الأغانى .

صبيحَ الوجه عظيم البطن ، على فرس غرَّاء . قال : نعم هذه صفة معاوية وفرسِه السَّمَاء [١] . قالت : ورأيت رجلا شديد الأُدْمَةِ شاعراً ينشدهم . قال :ذلكِ خفاف بن نَدبة.قالت : ورأيت رجلا ليس يبرح وسطهم [٢] إذا نادَوه رفعوا له أصواتهم . قال : ذلكِ عباسٌ الأصمُّ . قالت : ورأيت رجلاً طَويلاً يكنونه أبا حبيب ، ورأيتهم أشدَّ شيءٍ له توقيراً . قال : ذاكِ نُبَيشَة بن حبيب [٣]. قالت : ورأيت شابّا جميلا له وَفْرةٌ حسنة . قال : ذلكِ العباس بن مرداس . قالت : ورأيت شيخاً له ضفيرتان ، فسمعته يقول لمعاوية : بأبى أنت ، أطَلْتَ الوقوف . قال : ذلكِ عبد العزَّى زوج الخنساء أخت معاوية .

قال :فنادى هاشم فى قومه وخرج ، وزعم أنّ المرىّ لم يخرج إليهم إلاّ فى عِدّتهم من بنى مرة.قال: فلم يشعر السُّلميُّون حتى طلعوا عليهم فثاروا إليهم فلقُوهم ،فقال لهم خفاف:لا تُنازلوهم رجلا رجلا ، فإنّ خيلَهم تثبُت للطِّراد وتحمِل ثِقَل السلاح،وخَيلكم قد أنهكها الغَزْو ،وأصابها الحفاء.قال:فاقتتلوا ساعة ، فانفرد هاشمٌ ودريد ابنَا حرملة لمعاوية ،فاستطرد له أحدهُما،فشدَّ معاوية عليه وشغله ،واغترَّه الآخر فطعنه فقتله.واختلفوا أيُّهما استطرد له وأيُّهما قتله .وكان بالذى استطردَ له طعنةٌ طعنه إيَّاها معاوية،ويقال هو هاشم

---

(١) السماء ، من أسماء خيلهم ، كما فى القاموس ، وفى الأغانى والعقد ٥ : ١٦٣ : «الشماء» ، تحريف ، وقد قيدها البغدادى فى آخر الشرح ، بأنها بلفظ السماء خلاف الأرض .

(٢) ليس يبرح وسطهم ، ساقط من ش ثابت فى ط والأغانى .

(٣) الكلام من «رجلا طويل» إلى هنا ساقط من ش . وفى الأصل : «نبيثة» ، صوابه فى الأغانى وجمهرة ابن حزم ٢٦١ والاشتقاق ٣١١ . وقال ابن دريد : «نبيشة : تصغير نبشة ، وكل شىء كشفت عنه التراب فقد نبشته » .

(٤) الكلام بعده إلى «قال» ساقط من ش .

وقال الآخرون : بل دريد أخو هاشم . قال : وشدّ خفاف بن ندبة على مالك بن حِمار [١] سيد بنى شمخ بن فزارة ، فقتله . ولما دخل الشهرُ الحرام من السنة المقبلة خرج صخرٌ أخو معاوية حتى أتى بنى مرة فوقف على ابنَىْ حرملة ، فإذا أحدهما به طعنةٌ فى عضده زعم خفاف فى شعره أنه هاشم . فقال صخر :أيُّكُما قتل أخى معاوية ؟ فسكتا . ثم قال الصحيحُ للجريح : مالك لاتجيبه ؟ فقال:وقفت له فطعننى هذه الطعنة فى عضُدى وشدّ أخى فقتله ، فأيَّنا قتلت أدركتَ ثأرك ، إلا أنا لم نسلبْ أخاك . قال : فما فعلت فرسُه السَّمَاء ، قال : هاهى ، خذْها . فأخذها فرجع ، فلما كان فى العام المقبل غزاهم صخرٌ وهو على فرسه السَّماء ، فقال : أخاف أن يعرفونى ويعرفوا غُرَّة السَّماء فيتأَهَّبوا . فحمَّم غرَّتها . فلما أشرف على الحىِّ رأوها فقالت فتاةٌ : هذه والله السَّماء ! فنظر هاشم فقال : السماء غرَّاءُ وهذه بهيم . فلم يشعرُوا إلاّ والخيلُ عليهم ، فاقتتلوا ، فقتل صخر دريدا وأصاب بنى مُرّة فقال :

ولقد قتلتكُمُ ثُناءَ ومَوْحَـداً
وتركتُ مُرّةَ مِثلَ أمسِ المدبرِ
ولقد دَفعتُ إلى دريدٍ طعنةً
نَجلاءَ تُزغِل مثل عَطِّ المنحَرِ [٢]

تُزغِل : تخرج الدم قِطعاً قطعاً . قال : والزُّغلة : الدُّفعة الواحدة من الدّم والبول .

(١) ط والأغانى : «حماد» ، صوابه بالراء كما فى ش والاشتقاق ٢٨٣ ، ٣٠٩ والحيوان ١ : ٣٨٠ .

(٢) فى ط والعقد ٥ : ١٦٥ : «غط المنخر» ، صوابه من ش واللسان (دبر ، زغل) .

وقال صَخرٌ أيضاً فيمن قُتل من بنى مُرّة :

قتلتُ الخالدَين به وبشراً
وعمراً يوم حَوْزة وابنَ بشرِ

ومِن شَمْخٍ قتلتُ رجالَ صدقٍ
ومن بدرٍ فقد أوفيتُ نذرى

ومُرّة قد صبَحناها المنايا
فروَّينا الأسنّةَ غير فخرِ

٤٧٥ ومن أفناءِ ثعلبةَ بنِ سعدٍ
قتلتُ ، وماأُبِيئهمُ بوِترِ

ولكنّا نريد هلاكَ قومٍ
فنقتلُهُمْ ونَشرِيهم بكَسْرِ

وقال أبو عبيدة : ثم إنَّ هاشم بن حرملة خرج غازياً ، فلما كان ببلاد جُشم بن بكر بن هوازن نزل منزلاً ، وخلا لحاجته بينَ شجر ، ورأى غفلته قيسُ بن الأمرار الجُشَمىّ ،فتبعه وقال : هذا قاتل معاوية ، لانَجَتْ نفسى إن نجا [1] ! فلما قعد لحاجته تكمَّن له [2] بين الشجر ، حتى إذا كان خلفه أرسلَ عليهِ مِعْبلةً [3] فقتله . فقالت الخنساء فى ذلك :

فداءُ الفارسِ الجشَمىِّ نفسى
وأُفديهِ بمن لى مِنْ حميمِ

(١) فى الأغانى ١٣ : ١٤٠ والعقد ٥ : ١٦٦ : «لا وألت نفسى إن وأل» .

(٢) فى الأغانى : « تقتر له » ، وفى العقد : «كمن له عمرو بن قيس» .

(٣) المعبلة ، بكسر الميم : نصل طويل عريض . والجمع معابل .

خصصت بها أخا الأمرار قيساً
فتىً فى بيتِ مكرُمَةٍ كريمِ [(١)]

أُفدِّيه بكلِّ بنى سُليمٍ
بظاعِنِهمْ وبالأَنَسِ المقيمِ [(٢)]

كما مِنْ هاشمٍ أقررتْ عينى
وكانت لاتنام ولا تُنيمِ [(٣)]

انتهى كلام الأغانى .

وروى الأخفش (فى ديوان الخنساء) عن ابن الأعرابى ، أنَّ قيساً كان رجلا راعيا ، فأغار عليه هاشم بن حرملة فأخذهم وقال : أتيتكم بهذا الراعى وغنمه . فاغتفله الراعى فرماه فقتله .

وللخنساء مراثٍ كثيرةٌ فى أخيها معاوية وصخر .

والسَّماء التى هى اسم فرس معاوية،هى بلفظ السَّماءِ خلاف الأرض.

وقد روى ابن عَبدِ ربِّه (فى العقد الفريد) عن أبى عبيدة أيضا خبر مقتل معاوية على غير هذا الوجه الذى نقلناه عن الأغانى ، تركناه لطوله ، ومن أراد الاطلاع عليه فلْينظره فى باب أيام العرب من العقد الفريد [(٤)] . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى عشر بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد سيبويه [(٥)] :

---

(١) ط : «حضضت» ، صوابه فى ش .

(٢) فى الأغانى : «بجل بنى سليم» .

(٣) فى هذا البيت إقواء .

(٤) العقد فى يوم حوزة الأول ويومها الثانى ٥:١٦٣ — ١٦٦ .

(٥) فى كتابه ٢ : ١٤٥ ، ١٥٠ وانظر المقتضب ٢ : ٣٢٣ والهمع ٢ : ٧٦ وديوان زهير ١٨٢ . وسيعاد الشاهد فى ٤ : ٢٠٤ ، ٤٧٨ بولاق .

٤١٢ (تَعلَّمَنْ هالعَمْرُ اللهِ ذا قسَماً)

هذا صدر ، وعجزه :

(فاقدُرْ بذرعِكَ وانظرْ أينَ تنسَلكُ)

على أن الفصل بين ها وبين ذا بغير إنَّ وأخواته كالقسم قليل ، كما هنا.

قال سيبويه فى باب ما يكون [ما] (١) قبل المحذوف به عوضاً من اللفظ بالواو : قولك إى ها الله ذا ، يثبت ألفُها (٢) ، لأنَّ الذى بعدها مدغم . ومن العرب من يقول : إى هاالله ذا ، فيحذف الألف التى بعد الهاء ، ولا يكون فى المقسم ههنا إلا الجر ، لأنَّ قولهم ها صار عوضاً من اللفظ بالواو ، فحذفت تخفيفاً على اللسان . وأما قولهم ذا ، فزعم الخليل أنه المحلوف عليه كأنه قال : إى والله للأَمْر هذا ، فحذف الأمر لكثرة استعمالهم هذا فى كلامهم ، وقدّم ها كما قدَّم قومٌ : ها هو ذا ، وها أنا ذا . وهذا قول الخليل . وقال زهير :

تَعلَّمَنْ ها لعمرُ الله ذا قسما .... البيت . انتهى

قال النحاس : قال الخليل فى ذا : إنَّه المحلوف عليه ، فكأنه قال : إى والله الأمر هذا ، فحذف الأمر وقدَّم ها كما قدَّم قومٌ : ها هو ذا . وعند غيره أن المعنى : هذا ماأقسم به . وقسماً مصدرٌ فى القولين ، وملقبله يدلُّ على الفعل . انتهى .

وقال الأعلم :الشاهد فيه تقديم ها التى للتنبيه على ذا ،وقد حال بينهما بقوله لعمر الله.والمعنى: لعمر الله هذا ماأقسم به،ونصب قسماً على المصدر

---

(١) التكملة من ش وسيبويه ٢ : ١٤٥ .

(٢) فى الكتاب : « تثبت ألف ها » .

المؤكّد لما قبله ، لأنَّ معناه أقسم ، فكأنه قال : أقسم لعَمر الله قسماً . ومعنى تَعلَّمنْ اعلم ، ولايستعمل إلاّ فى الأمر.

٤٧٦ وقالِ أيضاً (فى شرح الأشعار السّتّة) قوله : تعلَّمنْ أى اعلم ، وها : تنبيه . وأراد : هذا ما أقسِم به . ففرَقَ بين ذا وها بقوله لعمرُ الله ، ونصب قسماً على المصدر المؤكَّد به معنى اليمين .

وقال شارح ديوان زهير صَعُودا [١] ، وكان ضعيفاً فى النحو : وقوله تعلَّمَنْها أى اعلمها ، والمعنى تعلَّمنْ هذا ، وصل ها بالنون من تعلمن ، وفرق بين ها وذا ، ونصب قسماً بتعلَّمْ ، يريد : ياهذا كما تقول : اعلمْ زيدُ [٢] ، أنى زائرك ، أى يازيد . قال الأصمعى : وقد رويت : «ذا قسَمٍ» فذا حينئذ نصب على الحال ، وهى ذو التى تتصرَّف ، وتصرُّفها فى الإعراب نحو : ذو مال وذا ثوب وذى قوم . وبعضهم يقول : تَعَلَّمَنْها لعمر الله ذا ، ثم ينصب قسماً على كلامين ، كأنه قال : تعلم قسماً ، فاقصد بذرعك ، أى اعرف قدرك . هذا كلامه ، وكله خلاف الصواب ، وإنما نقلناه للتعجُّب .

وقوله : (فاقِدُرْ بذرْعك) إلخ قال الأعلم (فى شرح الأشعار الستة) : أى قدِّر لخطوك . والذَّرع : قَدْر الخطو . وهذا مَثَلٌ ، والمعنى لاتَكلَّفْ ما لا تطيقُ منِّى ؛ يتوعَّده بذلك . كذلك قوله : «وانظُرْ أين تنسلك» . والانسلاك : الدُّخول فى الأمر ، وأصله من سُلوك الطريق . والمعنى لاتُدخِل نفسك فيما لايَعْنِيكَ ولايجدى عليك . اهـ .

---

(١) صعودا : لقب له ، واسمه محمد بن هبيرة الأسدى ، كان من أعيان الكوفة وعلمائها بالنحو واللغة وفنون الأدب ، قدم بغداد واختص بعبد الله بن المعتز ، كما كان مؤدبا لأولاد محمد بن يزداد وزير المأمون .

(٢) ط : «زيدا» ، صوابه فى ش .

والأحسن أن يكون اقدرْ من قَدَرت قدْراً من بابى ضرب وقتل ، وقدَّرته تقديراً بمعنى . والاسم القَدَر بفتحتين ، ومفعوله محذوف تقديره : فاقدُرْ خطوك بذَرْعك . وذرع الإنسان : طاقته التى يبلغها . وروى : «فاقصِدْ بذرعك» من قَصد فى الأمر قصداً من باب ضرب ، إذا توسَّط وطلبَ الأسدَّ ، ولم يجاوز الحدّ . فالباء بمعنى فى . و(الذَّرْع) بمعنى الطاقة أيضا .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة لزهير بن أبى سلمى ، عِدّتها ثلاثة وثلاثون بيتاً . قال الأصمعى : ليس فى الأرض قصيدةٌ على الكاف أجودَ من قصيدة زهير التى مطلعها :

بانَ الخليطُ ولم يأْوُوا لمن تَرَكُوا
وزوّدوك اشتياقاً أيَّةً سلكَوا (١)

ومن قصيدة أوس بن حجر التى أوّلها :

زعمتُّمُ أنَّ غَولاً والرِّجامَ لنا
ومَنْعِجاً فاذكروا ، والأمرُ مشترَكُ

وهذه القصيدة هدَّد بها زهيرٌ الحارثَ بن ورقاء ، أخابنى الصَّيداء بن عمرو ابن قُعَين الأسدى ، فإنه كان أغار على طائفةٍ من بنى سُليم بن منصور ، فأصاب سَبْيا ثم انصرفَ راجعاً ، فوجد غلاماً لزهير حبشياً يقال له يسار ، فى إبلٍ لزهير ، وهو آمنٌ فى ناحيةِ أرضهم ، فسأله : لمن أنت ؟ قال : لزهير بن أبى سُلمى . فاستاقَه وهو لايحرِّم ذلك عليه لحلف أسد وغطفان ، فبلغ ذلك زهيراً فبعث إليه : أنْ ردّ ماأخذتَ . فأبى ، فقال زهيرٌ فى ذلك هذه القصيدة يهدِّده

(١) ط : «استباقا» ، صوابه فى ش والديوان ١٦٤ .

بأنه يهجوه إن لم يُرسل ما أخذه . وهذا أوّلُ الكلام معه بعد التغزُّل :

(هَلّا سألتَ بنى الصَّيداء كلَّهمُ
بأىِّ حبلِ جوارٍ كنتُ أمْتَسِكُ

فلن يقولوا: بحبلٍ واهنٍ خَلَق
لو كان قومُكَ فى أسبابه هلكوا

ياحارِ لا أُرمَيَنْ منكم بداهيةٍ
لم يَلْقَها سُوقةٌ قبلى ولامَلِكُ [1]

أُردُدْ يساراً ولا تَعنُف عليه ولا
تمعَكْ بعرضكَ إنَّ الغادرَ المعِكُ

ولا تكونَنْ كأقوامٍ علمتُهمُ
يَلْوُون ماعندهمْ حتَّى إذا نُهكِوا

٤٧٧ طابت نفوسهمُ عن حق خَصمهمُ
مخافةَ الشرِّ فارتدُّوا لماَ تَركوا

تعلمنْ ها لعمرُ الله ذا قسماً
... البيت.

لئن حللتَ بجوّ فى بنى أسد
فى دين عمرو وحالَت بيننا فَدَكُ

ليأتينّك منّى مَنِطقٌ قَذَعٌ
باقٍ كما دنَّسَ القُبطيَّةَ الودكُ)

هذا آخر القصيدة :

قوله :«هلاَّ سألتَ بنِي الصَّيداء»الخ بنو الصيداء:قومٌ من بنى أَسد،وهم

---

(١) ط : «لم يلقها» ، وأثبت مافى ش والديوان ١٨٠ .

رهط الحارث بن وَرْقاء . وأىَّ منصوب بأُمْتسك . والحبل: العَهْد والميثاق . قال صَعوداء:إنما يعنى الحِلف الذى بين مُزينة وغطفان ، وصهرَه فى بنى الغَدِير[1].

والواهن: الضَّعيف . والخَلَق بفتحتين : الذائب .وجملة لو كان قومك إلخ من المقول المنفى . يقول : سلْهم كيف كنت أفعلُ لو استجرتُ بهم فإنى كنت أستوثق ولا أتعلَّق إلا بحبل متين .

وقوله:«لو كان قومك» إلخ أى فى أسباب ذلك الحبل . يقول:هو حبلٌ شديد محكم ،فمن تمسّك به نجا ، وليس بحبل ضعيف مَن تعلق بأَسبابه هلك.

وقوله :«ياحار» إلخ هو مرخم الحارث بن ورقاء . ولا ناهيَة ، وأرمينْ بالبناءِ للمفعول مؤكد بالنون الخفيقة . والسُّوقة : الرَّعية . وهذا البيت من شواهد علم العروض .

وقوله : «اردُدْ يساراً» إلخ هو عبد زهير ، كان الحارث أَسرهُ . وتَعنف بضم النون ، من العنف ، وهو فعل الشيء على غير وجههِ والتجاوزُ فيه . والمَعْكُ : المطل ، وماضيه ومضارعه بفتح العين . والمعِك بكسر العين : الذى يماطل . يقول : ماتمُطْلنى فمطلك غدر ، وكلما مطلتنى لحق ذلك بِعزضك . وإنما يتوعَّده بالهجو .

وقوله : «ولاتكونَنْ كأقوام» إلخ يقال لواه يَلويه لَيًّا ولَيَّانا ، أى مطَلهُ. يمطلون بما عليهم من الدَّين . ومعنى نُهِكوا شتموا وبُولغ فى هجائهم؛ وأصله من نهكته الحمى ، إذا بلغت من جسمه وهزلته .

---

(١) ط : «وضميره فى بنى الغدير» ،صوابه فى ش . وفى شرح ديوان زهير ٥٥ : «وكان أبو سلمى تزوج إلى رجل من سهم بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان يقال له الغدير ــ والغدير هو أبو بشامة الشاعر ــ فولدت له زهيرا وأوسا » .

وقوله : «فارتدوا لما تركوا» أى لمَّا أوذوا بالهجاء دفَعُوا الحقَّ إلى صاحبه وارتدُّوا إلى عطاء ماكانوا تركوه ومنعوه من الحقّ،مخافةً من الشر ، وإبقاءً على عرضهم .

وقوله : «لئن حللتَ بجوٌ» البيتين اللام الأولى موطئة ، والثانية جواب القسم . جوّ بالجيم : اسم وادٍ . ودين عمرو ، بالكسر : طاعته وسُلطانه . وعمرو هو عمرو بن هند ملك العرب . وفَدَك ، بفتح الفاء والدال [١].

والقَذَع ، بفتح القاف والذال المعجمة : اسمٌ بمعنى السبِّ البليغ . يقال أقذع فلانٌ لفلان ، أى استقبله بكلام قبيح . وباق ، أى يبقَى على الدهر بجريانِه على أفواه الناس . والقُبْطية ، بضم القاف وكسرها : ثياب بيضٌ تصنَع بالشام ، وقد يقع على كلِّ ثوب أبيض . والودَك : الدَّسَم . يقول : لئن نزلتَ بحيث لاأدركك ليرِدَنَّ عليك هجوى ، ولأُدنِّسنَّ به عِرضَك كما يدنِّس الدسمُ الثيابَ البيض .

وقال أبو حاتم: فلما أَتت القصيدة الحارثَ بنِ ورقاء لم يلتفتْ إليها ؛ فقال زهير :

تَعلّمْ أنَّ شرَّ الناسِ حيٌّ ... يُنادِى فى شِعارهِمُ يَسارُ
ولــولا عَسْبُــــه لرددتموه ... وشرُّ مَنيحةٍ عَسْبٌ مُعارُ [٢]
إذا جَمحت نساؤكُم إليه ... أشظَّ ، كأنّه مَسَدٌ مُغَارُ
يُبربِرُ حين يَعدُو من بعيدٍ ... إليها ، وهو قبقابٌ قُطارُ
كطفلٍ ظلَّ يهدِجُ من بعيد ... ضئيلِ الجسم يَعلوه انبهارُ ٤٧٨

---

(١) قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان أو ثلاثة .

(٢) فى ديوان زهير ٣٠١ : « أير معار » .

إذا أبْرَتْ به يوماً أهلّتْ كما تُبْزِى الصعائد والعِشارُ
فأبلغ إن عرَضْتَ لهم رسولاً بنى الصَّيداء إنْ نفعَ الجِوارُ[1]
بأنَّ الشعر ليس له مَردٌّ إذا وردَ المياهَ به التِّجارُ

وقوله : «تعلم أنّ شرَّ الناس» إلخ الشعار: علامة القوم فى سفرهم وغَزْوهم وحربهم ، نحو : ياأفلَح ، وياسلامة ، فيصير كلُّ قوم إلى داعيهم . وكان شعار رسول الله ﷺ يومَ حنين : يأهْلَ القرآن . فلما انهزم الناسُ صاح العباس : يأهلَ القرآن ، فرجع الناسُ وكان الفتحُ . ويَسَار : عبد زهير .

والعَسْب : الضِّراب والجماع . يقول : لولا حاجة نسائكم إليه لرددتموه علىَّ . والمنيحة : العاريَّة .

وجمحت : مالت . وأشظَّ : قام متاعه وصلُب واشتدَّ . والمسد : الحبل . والمُغَار : الشديد الفتل . يقال أغرتُ الحبل ، أى فتلتُه محكما .

ويبربر: يصوِّت مثلَ بربرة الفحل إذا أراد الناقة ، والتيسِ إذا أراد الشاة . والقَبقاب : المصوِّت ، من القبقبة ، وهى هدير الفحل . والقُطَار ، بضم القاف : القائم المنتصب الرأس يقطر إحليلهُ من الشهوة .

والهَدَجان: مقاربة الخطْو فى سرعة . والانبهار : علوُّ النَّفس عند التعب . شبَّهه فى عَدْوه على أربع إليها عند إرادة الفاحشة وعلوِّ نفسه من الحرص والشهوة ، بطفل صغير يحبو بينهم لضعفه .

---

(١) فى شرح ثعلب ٣٠٥ وشرح الشنتمرى ٤٩ : « إن نفع الجوار » ، بالجيم . ط : «يقع» ، صوابه فى ش والشرحين .

والإبزاء ، بالموحدة والزاء المعجمة ، من جميع الإناث : أن ترفع استَها إلى الفحل . وأهلّت : رفعت صوتَها . والصعائد : جَمْع صَعُودٍ ، وهى الناقة التى تُخدِجُ على سبعة أشهر أو ثمانية ، فتعطف على ولَدِها التى ولدته فى العام الماضى فتدرُّ عليه . وقيل هى التى مات ولدها فعُطِفت على ولدها الأول . والعِشار : جمع عُشَراء ، وهى التى أتى عليها مذ حملت عشرة أشهر ، وربما بقى الاسم عليها بعد ذلك . وعليه مخرج البيت ، لأنَّه شبَّه النساء فى حاجتهن إلى الجماع وإبرازهن أعجازَهن وإهلالهنَّ عند ذلك ، باحتياج الصَّعائد التى ألقت أولادها لغير التمام ، والعشارِ التى وَلدت ثم حنَّت إلى الفحل ، ولذلك وصفَه بالبربرة والقبقبة ،وهما صوتُ الفحل عند الضِّراب . والحوار بكسر المهملة : المحاورة والمجاوَبة .

وقال أبو حاتم:فلما بلغتهم الأبيات قالوا للحارث بن ورقاء:اقْتُلْ يساراً.فأبى عليهم وكساه وأحسنَ إليه،وردّه مع الإبل إلى زهير،فمدحه زهير بعد ذلك(١).

ولولا خوف الإطالة لأوردت جملةً مما قال فيه .

وترجمة زهيرٍ تقدَّمت فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائة (٢) :

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث عشر بعد الأربعمائة ، وهو من أبيات المفصل (٣) :

---

(١) بقصيدته الرائية فى الديوان ٣٠٥ ، ومطلعها :

أبلغ بنى نوفل عنى فقد بلغت منى الحفيظة لما جاءنى الخبر

وقصيدته اللامية التى مطلعها فى الديوان ٣٠٨ :

أبلغ لديك بنى الصيداء كلهم أن يسارا أتانـا غير مغلـول

(٢) الخزانة ٢ : ٣٣٢ .

(٣) ابن يعيش ٨: ١١٣، ١١٤وشرح شواهد الشافية ٨٠ وديوان النابغة ٢٧ .وسيأتى أيضا فى ٤ : ٤٨٧ بولاق .

٤١٣ (ها إنّ تا عِذْرةٌ إنْ لم تكُنْ نفعَتْ)

هو صدر ، وعجزه :

(فإنّ صاحبَها قد تاهَ فى البلدِ)

على أنّ الفصل بين (ها) وبين (تا) بغير إنّ وأخواتِها قليل ، سواء كان الفاصلُ قسماً كما تقدَّم ، أو غيرَه كما هنا ، فإنّ الفاصل هنا إنّ .

وتا . اسم إشارةٍ لمؤنث بمعنى هذه . وروى : « ها إنّ ذى عِذْرةٌ » . وروى أبو عبيدة : «وإنّ ها عِذرَة » ، فلا شاهد فيه على روايته .

وهذا البيت آخر قصيدةٍ للنابغة الذبيانىّ ، مدحَ بها النعمان بن المنذر ملك الحِيرة ، واعتذر إليه فيها مما افتُرِىَ عليه . ٤٧٩

وقد بيّنّا سببَ اعتذارِه فى ترجمته فى الشاهد الرابع بعد المائة [(١)] ، وتقدَّم شرح أبياتٍ منها . وقبله :

(نُبِّئْتُ أنَّ أبا قابوسَ أوعَدَنى
ولا قَرارَ عَلَى زأرٍ من الأسد)

ها إنّ تا عذرة .... البيت

نبئت ، بالبناء للمفعول بمعنى أُخبرت . وروى : «أنبئت» .وأبو قابوس : كنية النعمان بن المنذر .وقابوس معرّب كاوس ،على وزن طاوس :اسم ملكٍ من ملوك العجم. وأوعدَ بالألف لا يكون إلا فى الشرّ ،بمعنى هَدَّدنى

(١) الخزانة ٢ : ١٣٥ .

وزأر : مصدر زأر الأسد بالهمز يَزئِر ويزأر زأراً ، إذا صوّت بِحَنَقٍ . وهذا تمثيل لغضبه.

وقوله:(ها إن تا) إلخ ها للتنبيه ، وتا:اسم إشارة لما ذكره فى قصيدته من يمينه على أنه لم يأتِ بشيءٍ يكرهه ، وهى مبتدأ خبره عِذْرة . قال بعضهم :إنّ عِذْرتى هذه عِذرة . وقال الخطيب التبريزى فى شرحه لهذه القصيدة : الإشارة للقصيدة ، أى إنّ هذه القصيدة ذات عِذرة [١].والعذرة بكسر العين اسم للعُذر ،وبضمِّها قال صاحب الصحاح : يقال عذرته فيما صنع أعذره عَذراً، و عُذراً.والاسم المعذرة والعُذْرَى.وكذلك العِذرة، وهى مثل الرِّكبة والجِلْسة. وأنشد هذا البيت.وقال صاحب المصباح:عذرته فيما صنع عَذْرا من باب ضرب : رفعتُ عنه اللَّوم ، فهو معذور ، أى غير مَلُوم . والاسم العُذْر ، وتضمُّ الذال للإتباع وتسكن . وقوله : (إنْ لم تكن نفعَتْ)روى أيضاً : «إلا تكنْ نَفعت» .

وقوله : (إنَّ صاحبَها) أى صاحب العِذرة ،ويعنىَ به نفسه . و(تاه) الإنسان فى المفازة يتيه تَيها : ضلَّ عن الطريق ؛ وتاه يَتُوه تَوهاً لغة . وقد تيَّهْته وتوّهته ، ومنه يستعار لمن رام أمراً فلم يصادف الصواب ، فيقال إنّه تائه .كذا فى المصباح . و(البلد) : الأثر والأرض ، وقيل هنا بمعنى المفازة ، فإنَّ مَن تحيَّر فى المفازة يَهلِك . وقال شارح ديوانه : معناه لاأفارق بلدك مادمتَ ساخطاً علىّ . والمعنى عندى : إن لم تقبل عذرى وترضى علىَّ [٢] فإنى أختلُّ حتى إنِّى أضلُّ فى البلدة التى أنا فيها ، لما أنا فيه من عِظَم الدهشة الحاصلة لى من وعِيدِك . فتأمّلْ .

* * *

(١) ط : «عذر» ، وفى ش : «ذا عذرة» ، صوابهما ماأثبت .

(٢) ش : «وترضى عنى» .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابعَ عشرَ بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س [١]:

٤١٤ (ونحنُ اقتسَمْنا المالَ نِصفينِ بَيننا
فقلتُ لهم : هذا لها ، ها وذا ليا)

على أنّ الفصل بِالواو بين ها وذا قليل ، والأُصل : وهذا ليا .

نقل بعضُ فضلاءِ العجم (فى شرح أبيات المفصل) عن صدر الأَفاضل : إنّما جاز تقديم ها على الواو لأنّ هاتنبيهٌ ، والتنبيه قد يدخل على الواو إذا عطفْتَ جملة على أخرى ، كقولك : ألا إنَّ زيدا خارج ألا وإنَّ عمراً مقيم.اهـ

قال سيبويه فى (باب استعمالهم علامة الإضمار الذى لايُوقَع مَوقعَ مايضْمر فى الفعل) ، قال:وكذلك ها أنا ذا ،وها نحن أولاءِ ، وهاهو ذاك ، وها أنت ذا ، وها أنتم أولاء ، وها أنتنَّ أولاء ، وإنَّما استُعملتْ هذه الحروفُ هنا لأَنَّك لاتقدر على شيء من الحروف التى تكون علامة فى الفعل ، ولا على الإضمار الذى فى فَعَلَ .وزعم الخليل أنّ هاهنا هى التى مع ذا إذا قلت هذا ، وإنَّما أرادوا أن يقولوا هذا أنت ، ولكنَّهم جعلوا أنت بين هاوذا ، وأرادوا أن يقولوا أَنا هذا وهذا أنا ، فقدَّموا «ها» وصارت أَنا بينَهما . وزعم أَبو الخطَّاب أن العرب الموثوقَ بهم تقول : أَنا هذا ، وهذا أنا . ومثل ماقال الخليل فى هذا قول الشاعر: ٤٨٠

ونحن اقتسمنا المال نِصفين بيننا .... البيت

(١) وهو من شواهد س ، ساقط من ط . وانظر سيبويه ١ : ٣٧٩ والمقتضب ٢ : ٣٢٣ وابن يعيش ٨ : ١١٤ والهمع ١ : ٧٦ وملحقات ديوان لبيد ٣٦٠ . وسيعاد مرة أخرى فى ٤ : ٤٧٨ .

(٢) ط : «بعد» ، صوابه فى ش .

كأنه أراد أن يقول : وهذا لى ، فصيَّر الواو بين ها وذا . وزعم أنَّ مثل ذلك : إى هاالله ذا ، أى إنما هو هذا . وقد تكون هافى ها أنت ذا غير مقدَّمة ، ولكنها تكون بمنزلتها فى هذا . ويدلك على هذا قوله عز وجل : ﴿ها أنتم هؤلاءِ﴾، فلو كانت هاهنا هى التى تكون أوّلاً إذا قلت هؤلاء لم تعد « ها » ههنا بعد أنتم . وحدثنا يونسُ أيضاً تصديقا لقول أبى الخطاب [١] أن العرب تقول : هذا أنت تقول كذا وكذا . ولم يرد بقوله هذا أنت أن يعرِّفه نفسه ، كأنه يريد أنْ يعلمه أنه ليس غيرَه . هذا محال ، ولكنه أراد أن ينبِّه ، كأنَّه قال : الحاضر عندنا أنت ، إذ الحاضرُ [٢] القائل كذا وكذا أنت . وإن شئت لم تقدِّمْ ها [٣] فى هذا الباب ، قال عز وجل : ﴿ ثمَّ أنتُمْ هؤلاء تَقْتُلونَ أنفُسَكم [٤] ﴾ .

هذا نصُّ سيبويه ، ونقلناه بطوله لكثرة فوائده .

قال الأعلم [٥]: الشاهد فى فصله بين ها وذا بالواو ، ونصب نصفين على الحال . وفى هذا حجة لما أجازه سيبويه من الحال فى قول ذى الرمة :

ترى خَلَقها نصفٌ قناةٌ قويمة
ونصفٌ نقاً يرتجُّ أو يتمرمرُ

وأطال على المبرد فى إبطال جوازه ، فإنه قال [٦]: سيبويه رفع نصف ومابعده على القطع والابتداء ،ولو نصب على البدل أو على الحال لجاز .

---

(١) ط : «تصديقا لأبى الخطاب» ، وأثبت مافى ش وسيبويه .

(٢) سيبويه : « والحاضر »

(٣) فى النسختين : «لم تقدمها» ، والوجه ماأثبت من سيبويه .

(٤) الآية ٨٥ من سورة البقرة .

(٥) انظر سيبويه ١ : ٢٢٣ بولاق .

(٦) الكلام التالى للأعلم فى موضع سابق للشاهد فى سيبويه ١ : ٢٢٣ بولاق يقابله ماسبق فى ٢ : ١١ .

وغلَّطه المبرد وزعم أنّ نصفاً معرفة لأنه فى نية الإضافة ، فكأنه قال : ترى خلقَها نصفه كذا ونصفه كذا . والحجة لسيبويه أنه نكرة وإن كان متضمنا لمعنى الإضافة ، وليس من باب كلٌّ وبعض ، لأنَّ العرب قد أدخلت عليه الألف واللام وثنّته وجمعته ، وليس شىء من ذلك فى كلّ وبعض . وصَف امرأةً فجعل أعلاها فى اللطافة كالقناة ، وأسفلها فى امتلائه كالنقا المرتجِّ المتمرمِر ، أى يجرى بعضُه فى بعض . انتهى .

ومعنى البيت الشاهد واضح .

ونسبَه الأعلم إلى لبيد ؛ وكذلك نسبه الأندلسى (فى شرح المفصل) صاحب الشاهد إليه . وأنا لم أَره فى ديوانه . وكذلك قال قبلى ابنُ المستوفى (فى شرح أبيات المفصل) : إنه لم يره فى ديوانه .والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(حَنَّت نَوَارِ ولات هَنَّا حَنَّتِ)

هذا صدر ، وعجزه :

(وبَدَا الذى كانت نَوارِ أجنَّتِ)

على أنّ هَنَّا بمعنى الزمان ، أى لات حين حَنّت ؛ فهى ظرف زمان لإضافتها إلى الجملة .

قد تقدم الكلام عليه مفصَّلا فى الشاهد الثالث والثمانين بعد المائتين (١).

والحنين:نزاع النفس إلى شىء . ونَوارِ: اسم امرأةٍ مبنىٌّ على الكسر فى لغة الجمهور ، وعند تميم معرب لاينصرف . وأجنَّت ، بالجيم بمعنى أخْفَت وسترت ، وتاؤه وتاء حنّتِ مكسورتان للوزن .

---

(١) الخزانة ٤ : ١٩٥ .

باب الموصول

أنشد فيه ، وهو الشاهد الخامسَ عشرَ بعد الأربعمائة [١] :

٤٨١ **٤١٥** (وإنّى لَرَاجٍ نَظْرَةً قِبَلَ التى
لَعَلّى وإنْ شطَّتْ نَواها أَزورُها [٢])

على أنّ جملة (لعلّى) إلخ صلة التى ، بتقدير القول ، أى التى أقول لعلى أزورها.وإنما قدَّر أقول [٣] لأنَّها إنشائية لايصحُّ وقوعُها صلة ، فقدَّرَ القول لتكون خبريَّة.وينبغى أن يقول التى أقول فيها لعلّى،ليحصل عائد الموصول.

وهذا تخريج أبى على الفارسىّ (فى التذكرة القصرية) ،قال فيها : قول الفرزدق :

* وإنّى لراجٍ نظرةً قِبَلَ التى *

هو على غير الظاهر ، وتأويلُه الحكاية ، كأنه قال : التى أقول فيها هذا القول . وإضمار القول شائع كثير ، والحكاية مستعملَة إذا كان عليها دليل . والدَّلالة هنا قائمة ، وهى أنَّ الصلة إيضاحٌ ، وماعدا الخبرَ لايوضِّح .

وقال أيضاً (فى إيضاح الشعر) : جاء فى هذا البيت للفرزدق الصلة غير الخبر ، والصلة لاتكون إلاَّ خبراً كما أنَّ الصِّفة كذلك .

---

(١) ديوان الفرزدق ٦٦١ برواية : «وإن شقت على أنالها» . وانظر شرح شواهد المغنى ٢٧٤ والهمع ١ : ٩٥ والأشمونى ١ : ٦٣ .

(٢) ويروى : « أنالها » ، كما سبق فى التخريج .

(٣) كلمة «قدر» ساقطة من ش .

فإن قلت : فقد جاء مِنَ الموصولة [١] ماوُصِل بغير الخبر ، نحو ماقالوه : كتبت إليه : أنْ قُمْ وبأنْ قم ؟ قلت : ذلك وإن جاء فى «أنْ» لايستقيمُ فى الذى ونحوِه من الأسماء ، لأنَّ الذى يقتضى الإيضاحَ بصلته ، وليست أنْ كذلك . ألَا ترى أنَّها حرف ، وأنَه لايرجع إليها ذكرٌ من الصلة . وهذا وإن جاء فى البيت فإنَّ النحويين يجعلون لعلَّ كليت ، فى أن الفاء لاتدخل على خبرها ، فلا يجيزون : لعلَّ الذى فى الدار فمنطلق كما لايجيزون ذلك فى ليت .

فإن قلت : أحمل لعلَّ على المعنى ، لأنّه طمع كأنه قال : أطمع فى زيارتها ؟ قيل لك : فصِلْهُ أيضا بالتمِّنى [٢] وقل : المعنى الذى أتمّنى ، وصِلْه بالاستفهام والنداء ، وجميع [٣] مالم يكن خبراً ، وقل : المعنى الذى أنادى ، والذى أستفهم . فهذا لا يستقيم .

ويجوز فيه أنْ تقدِّر قبل لعلّى فعلا وتحذفه لطول الكلام ، فيكون الصلة الفعل الذى هو أقول فيها ، وهو خبرٌ لاإشكالَ فيه . وحسن الحذفُ لطول الكلام . اهـ

وأورده ابن هشام (فى الجملة المعترضة من الباب الثانى من المغنى) على أنَّ جملة «وإنْ شطَّت نواها» معترضة بين لعلّى وبين أزورها .وصلة التى قولٌ محذوف كما ذكرنا .

وذكره الخفَّاف (فى شرح جمل الزجاجى) على أن أزورها صلة التى ، وفصل بينهما بلعلَّ وإن شطَّتْ [٤] على وجه الاعتراض ، ويكون خبر لعلَّ

(١) ش : « من الموصولات » .
(٢) ش : «فصله أيضا بليت» .
(٣) ش : « أو جميع » .
(٤) ط : « وان سقطت ».

محذوفا تقديره : لعلى أبلغ ذلك . والفصلُ بين الصِّلة والموصول بجملٍ جائز . قال الشاعر :

* ذاك الذى وأبيك يعرف مالكاً (١) *

ففصل بالقسَم بين الصلة والموصول .

وتبعه ابن هشام (فى المغنى) فقال : ويحتمل أنَّ هذا البيت من قبيل الاعتراض بين الموصول وصلته على أنّ تقدير الصلة أزورها ، ويقدر خبر لعلّى محذوفاً ، أى لعلِّى أفعل ذلك .

وهذا التخريج مأخوذٌ من كلام أبى على (فى إيضاح الشعر) ، ومالرتضى ظاهره ، بل وجَّهَه فقال : فإن قلت أراد بأزورها التقديم ، كأنّه قال : التى أزورها ؟ قلنا:إنَّ ذلك لايستقيم ، لأنّه واقعٌ موقع الخبر ، وتقدير الخبر على لعلّ لايستقيم . والوجه فيه أنّه لمَّا جرى أزورها خبراً للعلّ سدَّ أزورها مسدَّ الصلة التى يجب أن تكون خبراً ، فكأنه أراد التى أزورها ، فأغنى ذكر أزورها خبرا للعلّ عن ذكره لها قبْلَ لعلّ ، والمعنى على التقديم . وأشبه هذا قولَهم : لو أنّ زيداً جاءنى ، فى أن الفعل الجارىَ فى الصلة سدَّ مسدَّ الفعل الذى يقع قبل أنَّ بعد لو ، ولولا هذا الفعل لم يجز . ألا ترى أنّه لايجوز : لو مجيئك . فكذلك سدَّ ذكره بعد لعلِّى مسدَّ ذكره قبل لعلِّى .فهذا وجهُه. ولاينبغى أن يقاس على هذا ولا يؤخذ به ، وكأنّ الذى حسَّن هذا طولُ الكلام وذكر الخبر فى الصلة (٢).وقد رأيتَ طول الصلة يجوز فيه مالا يجوز إذا لم تطُلْ.اهـ ٤٨٢

ولم يكتب الدّمامينى ولا شارح شواهد المغنى على هذا البيت شيئاً .

---

(١) لجرير فى ديوانه ٤٣٠ . وانظر معجم الشواهد . وتمامه :

* والحق يدفعُ تُرَّهاتِ الباطلِ *

(٢) ط : « وذكر الجزاء فى الصلة » ، صوابه فى ش .

هذا . وآخر البيت مغيَّر عن أصله ، والرواية الصحيحة :

* لعلّى وإن شقَّت علىّ أَنالُها *

والبيت من قصيدةٍ لاميّة كما يأتى بعضُها . وحينئذٍ يأتى فى أَنالها ماقيل فى أزورها ، بل يتحتم إضمار القول .

صاحب الشاهد

والقصيدة مدحَ بها الفرزدقُ بلالَ بن أَبى بردة . وأوّلها :

أبيات الشاهد

(وقاتلةٍ لى لم يُصِبنى سهامُها رَمَتْنى على سوداءِ قلبى نِبالُها [1]
وإنّى لرامٍ رميةً قِبلَ التى لعلّى وإن شقّتْ علىَّ أنالُها
أَلا ليت حَظّى من عُليَّة أنّنى إذا نمتُ لا يسرِى إلىّ خيالُها
فلا يُلْبثُ الليلَ الموكَّلُ دونها عليه بتكرار الليالى زوالُها)

وبعد هذا شرعَ فى مدحه .

وقوله : (وقاتلةٍ لى) إلخ هو من القتل ، يقول : ربَّ امرأة قتلتنى مع أنّها لم تصبنى بسهامِها الحقيقيّة ، لكنها رمت سُويداءَ قلبى بنبال عُيونها فقتلتنى . وقوله : رمتنى ، جواب ربّ .

وقوله : (وإنى لرامٍ) إلخ يقال رمى نظَره نحوَ كذا ، أَى توجّه نحوه ، ورمى نحوه رَميةً ، إذا قصده قصداً . ومنه الحديث :«ليس وراء الله مَرمًى» أى مقصِد تَرامَى إليه الآمال [2] ، ويوجَّهُ نحوَه الرجاء . و (شطّتْ) من بابى ضرب وقتل . يقال شطّت الدار أى بعُدت . و(نواها) : فاعل شطّت .

---

(١) فى الديوان : « وقائلة » ، وما هنا صوابه .

(٢) ط : « ترمى اليه الآمال » ، وأثبتُّ ما فى ش .

والنَّوى مؤنثة لاغير ، وهى الوجه الذى ينويه المسافرُ من قُربٍ أو بُعدْ . ويجوز أن يكون فاعل شطَّت ضمير التى ، ونواها منصوب بتقدير فى . هذا على الرِّواية الأولى . وأمّا (شقَّت) على الرواية الثانية ففاعله ضمير رمية ، من شقَّ الأمرُ عليه ، إذا اشتدَّ وثقُل عليه . ومنه حديثُ : « لولا أن أشُقَّ على أُمَّتى لأمرتهُم بالسِّواكِ عندَ كلِّ صلاة » . و(أناها) مضارع نال خيراً نَيلاً ، أى أصابه .

وقوله : «فلا يُلبثُ الليلَ» إلخ قال شارح ديوانه : يقول زالت فذهبت ، فزوالُها يُهدِى إلىَّ خيالَها كلَّ ليلة ، وزوالها لايحبس الليل عنِّى ، فلا يلبث زوالها أن يُعِيدَ خيالها . وقال الحِرْمازى . يقول : ليت حظِّى منها أن لايلبث الليل الموكَّل على زوالِها بالتكرار ، أى يكرِّرُ زوالها علىَّ الليل بجعل الليلة ليالى. وهو مثل قوله :

كأنَّ الليل يَحبسُه علينا ضِرارٌ أو يكرُّ إلى نذورِ

أى كأنه يعود كلما كاد يَفْنَى . اهـ

وترجمة الفرزدق تقدمت فى الشاهد الثلاثين [١].

* * *

وأنشد بعده :

(جاءوا بمَذْقٍ هل رأيتَ الذئبَ قَطّْ)

على أن الجملة الاستفهامية وقعت صفة لمذق ، بتقدير : تقول عند رؤيته : هل رأيت ، إلخ . وقبله :

---

(١) الخزانة ١ : ٢١٧ .

(مازِلْتُ أسعى مَعهُمْ وأختبطْ حتى إذا جَنَّ الظلامُ واختَلْط

جاؤا بمذق إلخ . يقال خبطت فلاناً واختبطته أى سألته بغير وسِيلةٍ ما. شكا قوما وقال : لم أزل طولَ النهارِ أسعَى معهم وأسألهُم شيئاً ، حتى إذا أظلم الليل واختلط الظلام جاءُونى بلبَنٍ مخلوط بماءٍ كثير يضرب لونُه لكثرة مائه إلى لون الذئب ، فكلٌّ من رآه يستفهم عن رؤيته الذئبَ ؛ لأنه بلونه يحمل رائيَه على السؤال عن الذئب . وإنما قال هذا لأن الذئب موصوفٌ بالوُرْقة ، واللبَنُ إذا كثر ماؤه يصيرُ أوْرق .والوُرْقة بالضم : لونٌ أبيضُ يخالطه سواد .

٤٨٣

وقد تقدم الكلامُ عليه مفصّلا فى الشاهد السادس والتسعين (١).

* * *

وأنشد بعده :

(الحافظو عورة العشيرة)

هو بعض بيتٍ أصله :

(الحافظُو عورةَ العَشيرةِ لا يأتيهمُ من وَرائِهمْ وَكَفُ)

على أنه حذف بعضَ الصلة (٢) تخفيفاً ، وهو النون ، والأصل الحافظون عورة العشيرة.فألْ موصولٌ اسميٌّ بمعنى الذين،والوصف المجموع صلته،وقد حذف بعضها وهو النون.وهذا على رواية نصب عورةَ،وأمّا على رواية

(١) الخزانة ٢ : ١٠٩ .

(٢) كلمة « بعض » ساقطة من النسختين ، وإثباتها من نص الرضى ٢ : ٣٥ فى قوله : « وتارة بحذف الصلة ، إما الضمير أو نون المثنى والمجموع نحو الحافظو عورة العشيرة » .

جرِّها فحذف النون للإضافة . وقد تقدَّم الكلام عليه مفصَّلا فى الشاهد الثامن والتسعين بعد المائتين من باب الإضافة [١].

والعَورة : المكان الذى يُخاف منه العدوّ . وقال ثعلب : كلُّ مَخُوفٍ عورة. وقال كراع : عورة الرجل فى الحرب : ظهره . والعَشيرة : القبيلة . والوَكَف ، بفتح الواو والكاف ، ويروى بدله (نَطَف) بفتح النون والطاء المهملة ، وكلاهما بمعنى العيب . أى يحفظون العشيرة أن يصيبهم مايُعابون به ولا يُضيِّعون مااستُحفِظُوا فيلحقَ العشيرة عيبٌ بذلك .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادسَ عشرَ بعد الأربعمائة [٢]:

٤١٦ (بِسُودٍ نواصِيها وحُمْرٍ أكفُّها
وصُفْرٍ تَرَاقِيها وبِيضٍ خُدودُها)

على أن رجوع الضمير من نواصيها على الموصوف بسودٍ المقدَّر ، خاصٌ بالضرورة ، والقياس بنساءٍ سودٍ نواصيها .

وهذا على رواية البيت كذا ، وأما على ماسيأتى فمرجع الضمير وصفٌ مذكور فى بيتٍ قبله .

صاحب الشاهد

والبيت من أبياتٍ للحُسَين بن مُطَير ، أوردها أبو تمام فى باب النسيب (من الحماسة) وهى :

---

(١) الخزانة ٤ : ٢٧٢ .

(٢) أمالى القالى ١ : ١٦٥ والمرتضى ١ : ٤٣٥ والعمدة ٢ : ١٠ والحماسة بشرح المرزوقى ١٢٣٠ .

أبيات الشاهد

(لقد كنتُ جلداً قبل أن تُوقِد النّوى
عَلَى كبدِى ناراً بطيئاً خُمُودُها

وقد كنتُ أرجُو أنْ تموتَ صبابتى
إذا قدُمَتْ أيَّامُها وعهودُها

فقد جَعلتْ فى حَبَّةِ القلب والحشا
عِهادُ الهوى تُولَى بشوقٍ يُعيدُها

بسود نواصيها ... . البيت

مُخَصَّرةُ الأوساط زانتْ عُقودَها بأحسَنَ مماّ زيَّنَتْها عقودُها

يُمنِّيَننا حتى تَرِفّ قُلوبُنا رفيفَ الخُزامَى باتَ طَلٌّ يجودُها)

قال أمين الدين الطَّبَرْسى (فى شرح الحماسة) تبعا للخطيب التبريزى : يقول : كنت حمولاً لحوادثِ الزمان صبوراً عليها ، حتى مُنيتُ بفراق الأحبَّة ، وكنت أرجو أن تسكُنَ صبابتى وتنصرم إذا مال عليها الدهر وتقادَمتْ أيّامها ، أى أيام الصبابة . والعُهود : جمع عهد ، وهو اللقاء ههنا . والعهاد : جمع عَهْد ، وهو المطر فى أوّل السنة ، ورویَ بالنصب والرفع ، فالنصب على أنه مفعول أوّل لجَعلَت ، وتُولَى بشوق فى موضع المفعول الثانى ، ويُعيدها صفة شوق . ومعنى تُولَى :تُمطَرُ الولىَّ. والولىُّ : المطر بعد الوسمىّ . أى صيَّرت فى حبة القلب وأحشائه أمطارَ الهوى تتجددّ وتُتْبَع بولىٍّ من الشوق يردُّها كما كانت.والضمير فى يعيدها يرجع إلى عهاد .يريد أن الشّوق لاينقضى . والرفع على أن يكون جعلتْ بمعنى طفِقَتْ [١] وأقبلت، فيكون غيرَ متعدٍّ

٤٨٤

(١) ط : «بمعنى خففت» ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، وشرح الحماسة للمرزوق ١٢٢٩ .

ويرتفع عهادُ الهوى به . ويروى : «يُولَى» بالياء [١] . و«بَعيدُها» بالباء فاعل (يُولَى [٢]) . أى فقد طفقت أوائل هواها يُمطَرُ أبعدُها بشوقٍ يجدِّدها .

والباء فى قوله : (بسود) يجوز أن يتعلق بقوله تموت صبابتى ، ويجوز أن يتعلق بجعلَتْ ، إذا ارتفعت عهادُ الهوى به . يريد جعلَت العهادُ تفعل ذلك بسبب نساءٍ بهذه الصفات « مخصّرة الأوساط » ، أى دقيقة الخصور ، وقلائدهن [٣] تكتسب من التزيُّن بهنَّ إذا عُلِّقت عليهن أكثر مما يكتسبن منها إذا تحلَّين بها . اهـ

والأقرب أن تتعلق الباء فى «بسود» بقوله يُعيدها ، وهو الأنسب من جهة المعنى .

وقال الخطيب التبريزى : وإنما جاز أن يجمع حُمر وسود وغيرهما ، وإن ارتفع مابعدها بها ، لأن هذه الجموع لها نظائرُ فى الأسماء المفردة ، ولو كانت مالا نظير له فى الواحد لما جاز جمعه ، تقول : مررت برجالٍ ظِرَافٍ آباؤهم ، ولو قلت : برجال ظريفين آباؤهم لم يجز .

وقوله : «يمنِّيننا» يصف حُسن مواعيدهنّ وتقريبهن أمرَ الوصال . «حتى ترفُّ قلوبنا» أى تهتزّ نشاطاً وترتاح وتفرح . والخزامى ، بضم أوله والقصر : خِيرِىُّ البَرّ . ورفيفها : اهتزازُها . والطَّلّ : أثر الندى فى الأرض من المطر . وإنما جعل الطلَّ يجود جَوداً لأنه يفعل فى رِىِّ الخزامى ونَعْمتها مايفعل الجَودُ فى نبات الأرض . يقال رفَّ يَرِفُّ ، إذا اهتزَّ نَعمةً ونضارة .

---

(١) ط : « بولى بالباء » ، صوابه ماأثبت من ش .

(٢) ط : « بولى » ش « تولى » ، صوابهما ماأثبت .

(٣) ش : «قلائدهن» بدون واو .

وقد أورد هذه الأبيات بأكثر من هذا مع بعض تغييرٍ السيِّدُ المرتضى (فى أماليه) قال : أخبرنا أبو عبد الله المرزبانى قال : أنشدنا على بن سليمان الأخفش قال : أنشدنا أحمد بن يحيى ثعلبٌ ، للحُسَين بن مُطَير :

أبيات الشاهد

(لقد كنتُ جَلداً قبل أن يُوقِد الهوى ... على كَبِدى ناراً بطيئاً خمودُها

ولو تُركتْ نارُ الهوى لتضرَّمتْ ... ولكنَّ شوقاً كلَّ يوم يزيدُها

وقد كنت أرجو أن تموتَ صبابتى ... إذا قدُمَتْ أيامُها وعهودُها

فقد جعلتْ فى حبَّة القلبِ والحشا ... عهاد الهوى تُلوِى بشوقٍ يُعيدُها [1]

بمرتجَّة الأردافِ هِيفٍ خصورُها ... عِذابٍ ثناياها عِجافٍ قيودُها

وصُفرٍ تراقيها وحُمْر أكفُّها ... وسُودٍ نواصيها وبيضٍ خُدُودُها

يمنِّيننا حتى ترفَّ قلوبُنا ... رفيفَ الخُزامَى بات طلٌّ يجودها)اهـ

وكذا روى هذه الأبيات القالىُّ (فى أماليه) عن ابن دريد وعن ابن الأعرابى .

وكتب الشريف المرتضى على قوله « بمرتجَّة الأرداف » ... البيت : يعنى أنها عِجَاف اللِّثات . وأصُولُ الأسنان [2] هى قيودها . قال أبو العباس ثعلب : خفضُ عجاف لحن ، لأنه ليس من صفة النساء ، وسبيله أن يكون نصباً لأنه حال من الثنايا . اهـ ٤٨٥

أقول : إنّما قال ثعلب ذلك لأنَّ الضمير فى قيودُها للثنّايا . وهذا عجب منه ،فإنَّ بابَ جَرَيان الصفة على غير من هى له واسع .

---

(١) فى أمالى المرتضى : « تولَّى بشوق » .

(٢) ط : « وأصل » ، صوابه فى ش وأمالى المرتضى .

والباء فى قوله: بمرتجة متعلقة بقوله : يعيدها ، ويجوز أن تتعلقَّ بجعلَتْ أو بتموت . ومرتجة الأرداف هو مرجع الضمائر الآتية بعده ، فلا يرد ماأوردهُ الشارح المحقق ، فى البيت الشاهد .

وقوله : «مخصَّرةِ الأوساط» بالجر ، ويجوز النصب والرفع على المدح . وكذلك قوله : « وصفر تراقيها » . والبيت ماخوذٌ من قول مالك بن أسماءَ بن خارجة :

وتَزيدينَ أطيبَ الطِّيب طِيباً أنْ تَمسِّيه أينَ مثلُكِ أينا[1]

وإذا الدُّرُّ زانَ حُسنَ وجوهٍ كان للدُّرِّ حسنُ وجهِكِ زَينا

وقولُه: « وصُفر تراقيها » بالتنوين فى المواضع الأربعة ، وتراقيها فاعل صُفر ، وكذلك أكفُّها ونواصيها . والتَّراقى : جمع تَرقُوة ،وهى أعالى الصَّدر . وصفَها بالصُّفرة من الطِّيب كالزعفران . وأراد بحُمرة أكفِّها الخضاب .

وهذا البيت أورده ابن رشيق (فى العمدة) فى باب المطابقة ، قال : أنشد غير واحدٍ من العلماء : بسُودٍ نواصيها ، البيت . ورواه ابن الأعرابىّ فى نسَق أبيات : «وصُفر تراقيها وحُمرٍ أكفُّها» ... إلخ . وهذه الرواية أشكل فى الصنعة .

وروى أبو تمام (فى الحماسة) للحسين بن مُطير أيضاً ،ويشبه أن يكون الجميعُ من قصيدة واحدة :

وكنتُ أذود العينَ أن تَرِدَ البكا

فقد وَرَدَتْ ماكنتُ عنه أذودُها

---

(١) البيان ١ : ١٩٥ .

خليلىَّ ما بالعيش عَيبٌ لوَ آننا
وجَدْنا لأَيَّامِ الصِّبا مَن يُعيدها

وروى أبو تمام أيضاً لغيره ، وبعضُ الرُّواة يرويها لابن مُطيرٍ أيضاً :

ولى نظرةٌ بعد الصُّدود من الجَوَى
كنظرةِ ثكلَى قد أُصِيبَ وليدُها [١]

هل الله عافٍ عن ذنوبٍ تَسلَّفَتْ
أَمِ اللهُ إِنْ لم يعفُ عنها مُعيدها [٢]

وحسين بن مطير هو (كما قال فى الأغانى) حُسَين بنُ مطير بنِ مكمَّل ، مولى لبنى أسد بن خزيمة ثم لبنى سعد بن مالك بن ثعلبة بن دُودَانَ بنِ أسد . وكان جدُّه مكمَّل عبداً ، فأعتقه مولاه ، وقيل بل كاتَبه فسعَى فى مكاتبته حَتَّى أداها وأُعتِق .

حسين بن مطير

وحسينٌ من مخضرمى الدَّولتين الأمويَّة والعباسيَّة . شاعرٌ متقدِّم فى القصيد والرجز ، فصيح ، قد مدح بنى أمية وبنى العبَّاسِ ، وكان زيُّه وكلامُه يشبه مذاهبَ الأعراب وأَهلِ البادية ، ووفد على معن بن زائدةَ لمَّا ولىَ اليمن ، فلما دخل عليه أنشده :

---

(١) ورد هذان البيتان فى الحماسة ١٣٦٠ بشرح المرزوقى مفصولين عن بيتين آخرين للحسين بن مطير مسبوقين بقول المرزوقى : « وقال آخر » . لكنهما مع سابقيهما فى الحماسة بشرح التبريزى ٣ : ٣٠٣ مقطوعة واحدة للحسين بن مطير .

(٢) فى رواية التبريزى : « يعيدها » .

أَتيتُك إذْ لم يبق غيْرَك جابرٌ
ولا واهبٌ يعطى اللُّهَى والرغائبا (١)

فقال له معن : ياأخا بنى أسد ، ليس هذا بمدح ، إنما المدح قول نَهَار بن تَوسِعةَ فى مِسمَع بن مالك بن مِسمَع :

قلَّدَتْهُ عُرَى الأمورِ نزارٌ قبل أن يهلِكَ السَّراةُ البحورُ (٢)

قال : وأول هذا الشعر :

اظعَنِى من هَرَاة قد مَرَّ فيها حِجَجٌ مذ سكنتُهَا وشهورُ (٣)
اظعَنِى نحو مِسمَع تجِدِيهِ نِعْمَ ذا المنتَنَى ونعم المزورُ (٤)
سَوف يكفيك إنْ نَبتْ بكِ أرضٌ بخراسانَ إذ جفـاك أميـرُ
من بنى الجِصن عامر بن بَرِيحٍ لاقليلُ الندى ولا منزورُ (٥)
والذى يَفزع الكماةُ إليه حين تَدمَى من الطِّعان النُّحورُ
فاصطنِعْ ياابنَ مالكٍ آلَ بكرٍ واجبرُ العَظمَ إنَّه مكسورُ

٤٨٦

فغدَا إليه بأرجوزته التى مدحه بها ، منها :

---

(١) فى الآغانى ١٤ : ١١١ : «لما يبق» ، وما هنا صوابه .

(٢) فى الأغانى : « المجور » ، صوابه ماهنا .

(٣) ط : « قد سكنتها » ، صوابه فى ش والأغانى .

(٤) فى النسختين : « نعم ذى المنتأى » ، تحريف . أى نعم هذا الموضع الذى ينثنى إليه المادحون والراغبون .

(٥) الحصن هذا هو ثعلبة بن عكابة بن صعب . وفى الأغانى أن مسمع من بنى تيم الله بن ثعلبة . وهم بنو تيم الله بن ثعلبة بن عكابة بن صعب ، كما فى جمهرة ابن حزم ٣١٤ . وفى النسختين : « عامل بن بريح » ، وأثبت مافى الأغانى .

سلَّ سيوفا مُحدَثاً صِقالُها صابَ على أعدائه وبالُها

* وعند معنِ ذى النّدى أمثالُها *

فاستحسنَها وأجزل صلته .

قال المفضَّل الضبّيُّ : كنت يوماً محتاجا إلى درهم (١) ، وعلىَّ عشرة آلاف درهم ، إذْ جاءَنى رسول المهدىِّ فقال : أجِب أمير المؤمنين ! فتخوَّفته لأنى كنتُ خرجتُ عليه مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن ، فتطهَّرتُ ولبستُ ثوبين نظيفين ، وصِرت إليه ، فلما مَثَلْتُ بين يديه سلَّمت ، فردَّ علىَّ وأمرنى بالجلوس ، فلما سكَنَ جأشى قال لى : يامفضَّل ، أىُّ بيتٍ قالته العرب أفخر ؟ فتشكَّكت ساعة ثم قلت : بيت الخنساء . وكان مستلقياً فاستوى جالسا ثم قال : وأىُّ بيتٍ هو ؟ قلت : قولُها :

وإنّ صخْراً لتأتَمُّ الهداةُ به كأنَّه عَلَمٌ فى رأسه نارُ

فأومأ إلى إسحاقَ بنِ بزيع ثم قال : قد قلتُ له ذلك فأبَى . فقلت : الصَّوابُ ماقاله أمير المؤمنين . ثم قال : يامفضَّلُ ، أسهرَنى البارحةَ قولُ ابنِ مُطيرٍ الأسدىّ :

وقد تَغْدِرُ الدُّنيا فيُضحِى فقيرُها غنيًّا ويغْنَى بعد بؤسٍ فقيرُها

فلا تقرَبِ الأمرَ الحرامَ فإنّه حلاوتُه تفنَى ويبقَى مَريرُها

ثم قال : ألهذين البيتين ثالث ؟ قلت : نعم ياأمير المؤمنين :

(١) فى الأغانى ١٤ : ١١٢ : «كنت جالسا على بابى وأنا محتاج إلى درهم» .

وكم قد رأينا مِن تغيُّر عيشةٍ
وأخرى صفَا بعد اكدرار غديرُها [١]

وكان المهدىُّ رقيقاً ، فاستعبَرَ ثم قال : يامفضَّل ، كيف حالك ؟ قلت : كيف تكون حال من هو مأخوذٌ بعشرةِ آلاف درهم ! فأمر لى بثلاثين ألف درهم .

ودخل ابن مُطيرٍ يوماً على المهدىِّ فأنشده :

لو يعبدُ النَّاسُ يامهدىُّ أفضلَهم
ماكان فى الناس إلاّ أنت معبودُ

أضحت يمينُك من جودٍ مصوَّرةً
لا بل يمينك منها صُوِّرَ الجودُ

مِن حُسْنِ وجهِكَ تبدو الأرضُ مشرقةً
ومن بنَانِكَ يَجرى الماء فى العودِ [٢]

لو أنَّ مِنْ نورِهِ مثقالَ خردلةٍ
فى السُّود طُراًّ إذاً لابيضَّتِ السُّودُ

فأمر له لكلِّ بيتٍ بألف درهم .

والبيت الثالث رأيته مجرورا كما هو .

ومن قصيدة له فى مدح المهدى :

إذا شاهَدَ القُوّادَ سار أمامَهم
جرىءٌ على مايَتَّقون وَثـوبُ

(١) ط : «صفاء» ، صوابه فى ش والأغانى .
(٢) هذا البيت لم يرد فى الأغانى . وفيه إقواء .

٤٨٧

وإن غاب عنهم شاهدَتْهُمْ مهابةٌ
بها يقهر الأعداءَ حين يغيبُ [١]
يَعفُّ ويستحيى إذا كان خالياً
كما عفَّ واستحيا بحيثُ رقيبُ

ومن شعره المشهور فى رثاء مَعْن بن زائدة :

ألمَّا بمعـــنٍ ثم قُولَا لقبرهِ
سُقِيتَ الغوادى مَربعاً ثُمّ مربعا
أيا قبر مَعن كنتَ أوّلَ حُفرةٍ
من الأرض خُطَّت للمكارم مضجعا
أيا قبر معن كيف واريتَ جوده
وقد كان منه البرُّ والبحرُ مُترَعا
بلى ،قد وَسِعتَ الجودُ والجودُ ميتٌ
ولو كان حياً ضقتَ حتَّى تصدَّعا
أبىَ ذكرُ معن أن تموتَ فِعاله
وإن كان قَد لاقى حِماماً ومَصرعا

هذا ماانتخبته من الأغانى .

وروى السيِّدُ المرتضى (فى أماليه) بسنده عن محمد بن حُميد قال : كنّا عندَ الأصمعىِّ ، فأنشده رجلٌ أبياتَ دِعْبِل :

أيـنَ الشبَّـابُ وأيَّـةً سَلَكَــا لا أين يُطلب ضَلَّ بل هَلَكا [٢]

---

(١) ش : «بما يقهر» ، صوابه فى ط والاغانى .

(٢) هذا البيت ساقط من أمالى المرتضى ١ : ٤٣٨ .

لاتعجبى ياسَلمَ من رجلٍ ضَحِك المشيبُ برأسه فبكى
ياسلمَ مابالشَّيب منقصةٌ لا سُوقةٌ يُبقى ولا مَلِكا
قَصرَ الغَوايةَ عن هَوى قَمرٍ وجَدَ السبيلَ إليه مُشترَكا
ياليتَ شعرى كيف نومُكما ياصاحبَىَّ إذا دمى سفِكا
لاتأخُذا بظُلَامتى أحداً قلبى وطرفى فى دمِى اشتركا

فاستحسنهاَ كلٌّ من كان حاضراً فى المجلس ، وأكثروا التعجُّب من قوله :

* ضحك المشيبُ برأسه فبكى *

قال الأصمعىّ : إنما أخذ هذا من قول ابنِ مطير الأسدى :

أينَ أهلُ القِباب بالدَّهناءِ أين جيرانُنا عَلَى الأحساءِ
جاورُونا والأرض مُلبَسةٌ نَو رَ الأقاحِى تُجاد بالأنواءِ
كلَّ يوم بأُقحُوان جديـد تضَحك الأرضُ من بُكاء السماءِ
ذَهبٌ حيث ماذَهبْنا ، ودُرٌّ حيث دُرْنا ، وفِضَّة فى الفضاءِ (١)

وقد أخده مسلمٌ فى قوله :

مُستعْبِرٌ يبكى عَلَى دِمنةٍ ورأسُهُ يضحك منه المشيبْ (٢)

قال السيِّد المرتضى قدس الله روحه : ولأبى الحجناء نُصيبِ الأصغر مثلُ هذا المعنى :

فبكى الغمامُ به فأصبح روضُه
جَذلانَ يضحك بالجميم ويزهَرُ

---

(١) ديوان مسلم ٣٦١ عن الوساطة للجرجانى ٤٢ وزهر الآداب ٩٨١ ومعاهد التنصيص ١ : ١٩٩ .

ولابن المعتَز مثْله :

أَلحَّتْ عليه كلُّ طخياءَ دِيمةٍ

إذا مابكت أجفانُها ضَحِكَ الزَّهرُ

ولابن درَيدٍ مثله :

تَبسَّمَ المزنُ وانهلَّتْ مدامعُـــه

فأضحكَ الرَّوضَ جَفنُ الضَّاحك الباكى

٤٨٨ وغازل الشمسَ نورٌ ظلَّ يَلحظها

بعين مستعبرٍ بالدَّمع ضحَّـاكِ

ورُوِى عن أبى العباس المبرِّدِ (١) أنّه قال : أخذ ابنُ مُطَير قولَه :

* تضحك الأرضُ من بكاء السماءِ *

من قول دُكَينٍ الراجز :

جُنَّ النَّباتُ فى ذُراها وزكا وضَحِك المُزْنُ به حتَّى بكى

انتهى ماأَورده السِّيد فى أَماليه .

وهذا الخبر المسند إلى الأَصمعى رواه (صاحب الأغانى) بسنده إلى أبى المثنى أحمد بن يعقوب ابن أخت أبى بكر الأَصمِّ . وإنما اخترنا رواية السِّيد لأنها اشتملت على فوائد . ولم يحك صاحبُ الأغانى فى روايته إلا قوله :

لاتعجبى ياسلمَ من رجلٍ ... البيت

---

(١) فى النسختين : «وروى أبو العباس» ، والوجه ماأثبت من أمالى المرتضى .

مع أبيات ابن مُطَير [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع عشر بعد الأربعمائة [٢] :

٤١٧ (وقد يُخْرِجُ اليربوعُ مِن نافقائه
ومن جُحرهِ بالشّيحة اليُتقصّعُ
يَقول الخنَى ، وأبغضُ العُجْمِ ناطقاً
إلى ربِّنا صوتُ الحمارِ اليُجدَّعُ)

على أن أل الموصولة قد وصلت بالمضارع فى ضرورة الشعر ، كما فى اليُتقصّع واليُجدّع ، ببنائهما للمفعول .

صاحب الشاهد

وهما من مقطوعة هى سبعة أبيات لذى الخِرَق الطُّهَوىّ قد شرحناها فى أوّل شاهدٍ من شواهد الشرح . والبيت الثانى هو ثانى الأبيات ، والأول هو خامسها . وكأنه نقل البيتين من (سر الصّناعة لابن جنى) ، فإنهما كذا وقعا فيه ، والصواب أيضاً: «فيستخرج اليربوع» بالفاء كما مر .

وقد ذكر الشارحُ المحقِّق هنا أن حقَّ الإعراب فى نحو الضارب والمضروب إنّما هو لأل الموصولة ، لكن لما كانت فى صورة الحرف نقل إعرابها إلى صلتها عاريّةً كما فى إلّا بمعنى غير . وحَقّق أنّ أصلهما الضَرَبَ والضَرِبَ ، فكرهوا إدخال اللام الاسمية المشابهة للحرفية لفظاً ومعنى على صُورة الفعل . فظاهر هذا الكلام أنّ إعرابها ينقل أيضا إلى صلتها إذا كان فعلا،لأنّ علّة

(١) انظر الأغانى ١٤ : ١١١ .

(٢) نوادر أبى زيد ٦٧ والإنصاف ١٥١ ، ٣١٦ ، ٥٢٢ وابن يعيش ٣ : ١٤٤ وشرح شواهد المغنى ٥٩ والعُينى ١ : ٤٦٧ والهمع ١ : ٨٥ .

النقل موجودةٌ ، بل ولو كانت الصلة جملة اسمية . وعليه فجملة يُجدَّع ويُتَقصَّع فى محل جرٍّ على الوصفية للحمار .

فإن قلت : أل مبْنية والبناء يقابل الإعراب ، فأىُّ إعرابٍ نقل منها إلى مابعدها ؟ قلت : أراد أنها فى محلٍّ لو كان بدلها معربٌ لظهر إعرابه ، فإعرابُها مَحَلِّىّ . وقد صرَّح ابن هشام (فى تذكرته) أنَّ الجملة الواقعة صلةً لامحلَّ لها من الإعراب تطَّرد فيما عدا نحوَ قوله :

* إنِّى لك اليُنذِرُ من نيرانها فاصْطَلِ [1] *

وقوله :

* مِنَ القومِ الرسولُ اللهِ منهم *

لأنها فى هذه حالَّةٌ محلَّ المفرد المعرب [2] من قولك: الضارب والمضروب .

وبَحث مثله الدماميني (فى شرح التسهيل) فقال : أطلقوا القول بأنَّ جملة الصلة لامحلَّ لها من الإعراب ، وينبغى أن يستثنى من ذلك الجملة التى تقع صلة لأل ، لأنَّها واقعةٌ موقع المفرد .

وتعقَّبه الشُّمُنِّىُّ [3] بأنَّا لانسلم أنَّ كلَّ جملة واقعةٍ موقعَ المفرد لها محلٌّ من الإعراب، وإنما ذلك للواقعة موقعَ المفرد بالأصالة ، والواقعُ بعد أل ليس مفرداً بطريق الأصالة ، لأنهم قالوا : إنَّ صلة أل فعلٌ فى صورة الاسم ، ولهذا يعمل

---

(١) البيت بتمامه كما فى الضرائر ٢٨٨ ، وانظر معجم الشواهد :

لاتبَعَثَنَّ الحربَ إنىِّ لك الـــ ـــيُنْـــذِرُ من نيرانها فاصطـــلِ

(٢) ط : « محل المعرفة من المعرب » صوابه فى ش .

(٣) أحمد بن محمد بن محمد حسن ، شيخ الإمام السيوطى . ترجم له فى البغية ترجمة مستفيضة . وكانت حياته مابين سنتى ٨٠١ ــ ٨٧٢ . منسوب إلى مزرعة أو قرية ببعض بلاد المغرب ، كما فى الضوء اللامع .

٤٨٩ بمعنى الماضى ، ولو سُلِّم فإنما ذلك للواقعة موقع المفرد الذى له محلٌّ ، والمفرد الذى هو صلة أل لامحلَّ له ، والإعراب الذى فيه بطريق العاريَّة من أل ، فإنها لمَّا كانت فى صورة الحرف نقِل إعرابُها إلى صلتها بطريق العاريَّة . انتهى .

وعلى هذا الكلام أيضاً يردُ أنَّ علَّة النقْل موجودةٌ .

وقد خَطرَ لى بتوفيق الله تعالى ماأرجو أن يكون سديداً ، وهو أنَّ أل لمَّا كانت مبنية وكان الوصف بعدها من جنسها وهو الاسمية ، وكان صالحاً لظهور الإعراب فيه حيث كان غير مشغول بإعراب عامل من حيث كونُه صلةً ، وكان الغرض ظهور إعرابها المحلى ، نقل إعرابها إلى الوصف على سبيل العاريَّة ، وفى اليجدَّع [لمَّا[1]] كان الفعل مخالفا لها فى جنسها وكان مشغولاً بإعراب عامله وهو التجرد ، كان غير صالح لظهور إعرابٍ آخر فيه . ولو نُقل إعرابها إلى الجملة لمَا كان يظهر لفظاً ، لكونه غير صالح له . ولو نقلوه إلى محلها لنافَى الغرضَ ، وكان نقلَ إعرابٍ مما لا يظهر فيه إلى مالا يظهر فيه ، وهذا لاوجه له . فظهر الفرقُ بين نقل إعرابها إلى الوصف دون المضارع والجملة . ولله الحمدُ والمنة ، والله أعلم بالصواب .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامنَ عشرَ بعد الأربعمائة [2] :

٤١٨ (لَعمرِى لأنتَ البيتُ أُكرِمُ أهلَه
وأقعُدُ فى أفيَائه بالأصائلِ [3])

---

(١) تكملة ليست فى الأصل .

(٢) الإنصاف ٧٢٣ والهمع ١ : ٨٥ وشروح سقط الزند ٢٠٣ ، ١٦٢٠ وديوان الهذليين ١ : ١٤١ واللسان (فيأ) . وسيأتى بعد فى الشاهد ٤٥٠ ص ٥٦٤ بولاق فى الجزء السادس .

(٣) ط : «أفنائه» ، صوابه فى ش وسائر المراجع وما سيأتى فى الشرح .

على أن الكوفيِّين جوَّزوا أن يكون الاسمُ الجامد المعرف باللام موصولا كما قالوا فى هذا : إنَّ التقدير لأنت الذى أكرم أهلَه ، لكنه موصولٌ غير مبهم كسائر الأسماء الموصولة . وعند البصريين اللام غير مقصودٍ قصْدُه ، والمضارع صفة له . وفيه أمور :

الأول : كان ينبغى أن يقول : لأنت البيت الذى أكرم أهله ؛ فإنَّ صنيعَهُ يوهم أنَّ البيت عند الكوفيين بمعنى الذى ، وهو باطلٌ لم يقل به أحد ، وإنما الموصول مفهومٌ من اسم الجنس المعرَّف باللام إذا وقع بعدَه فعل أو ظرف أو مجرور .

الثانى : قوله لكنه موصول غير مبهم ، لم ينقله أحدٌ عنهم ، ولو كان قولَهم لمَا ردَّ به البصريون عليهم كما يأتى .

الثالث : كون الجواب عند البصريين بجعل اللام للجنس والجملةِ المضارعيَّة صفة للبيت ، غير منحصر فيه عندهم كما يأتى أيضاً .

قال ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) : ذهب الكوفيون إلى أنَّ الاسم المعرَّف باللام يُوصل كالذى ، واستدلُّوا بقوله :

* لعمرى لأنت البيتُ أكرِمُ أهلَه *

فأنت مبتدأ والبيت خبره ، وأُكرم صلة الخبر الذى هو البيت . وردَّ البصريون عليهم بأنه لايجوز ذلك ، لأنَّ الاسم الظاهر يدلُّ على معنى مخصوص فى نفسه ، وليس كالذى ، لأنه لايدلُّ على معنى مخصوص إلاّ بصلةٍ توضِّحه ، لأنَّه مُبْهَم ، وإذا لم يكن فى معناه فلا يجوز أن يقام مقامه .

وأما البيت المذكور فلا حجَّة لهم فيهِ من وجهين :

أحدهما:أن يكون البيت خبر المبتدأ الذى هو أنت،وأكرم خبراً آخر .

والثانى : أن يكون البيت مُبهماً لايدلُّ على معهود ، وأكرم وصفاً له فكأنَّه قال : لأنت بيتٌ أكرم أهله كما تقول : إنِّى لأمُرُّ بالرجل غيرك ومِثْلِكَ وخير منك . انتهى .

واقتصر الخفَّاف (فى شرح الجمل) على الخبرية فقال : لاحجَّة لهم فيه لاحتمال أن يكون خبراً ثانيا لأنت ، ويكون قوله أَنت البيت تعظيماً له ، أى البيتُ المعظَّمُ ، بمنزلة قولك : أَنت الرجل ، أى الرجل العظيم . ٤٩٠

وقال ابن السِّيد (فى شرح سقط الزند) : أكرم أهله عند الكوفيين صلة للبيت ، وعند البصريين جملة فى موضع الحال ، أو فى موضع خبر مبتدأ مضمر ، كأنه قال : أنا أكرم أهلَه ، ولو ظهر النصبُ فى هذه الحال لقلت مكرِماً أهله أنا؛ لأنَّها تصير حالاً على غير من هى له ، فيلزم ظهور الفاعل المضمر ، والعامل فى هذه الحال مافى قوله : لأنت البيت ، من معنى التعظيم ، كما أنَّ العامل فى جارةً من بيت الأعشى :

* يا جارتا ماأنتِ جاره [1]*

مافى قوله : «ماأنتِ» من معنى التعظيم . انتهى .

وأجاز ابن الأنبارى أن يكون أكرم أهله صلة لموصول محذوف لاللبيت ، كأنه قال:لأنت البيت الذى أُكرم أهله، لكن الموصول حذف ضرورة.

---

(١) صدره كما سبق فى ٣ : ٣٠٨ :

* بانت لتحزننا عفاره *

وهذا الوجه جارٍ على مذهب الكوفيين ، إذْ يجيزون حذفَ الموصول دون صلته فى غير ضرورة ، وهذا يأباه البصريون .

قال أبو على (فى إيضاح الشعر) : لايجوز أن تحذف الموصول وتدعَ الصلة ، لأنها تُذكر للتخصيص والإيضاح للموصول . ونظيره : أجمعون فى التوكيد ،لايجوز أن تذكره وتحذف المؤَكَّد . فإن قلت : لم لايكون كالصفة والموصوف فى جواز حذف الموصوف وذكر الصفة ؟قيل : لم تكن الصلة كالوصف إذا كان مفرداً ، ألا ترى أنَّ الوصف إذا كان مفرداً كان كالموصوف فى الإفراد ، وإذا كان مثلَه جاز وقوعُه مواقع الموصوف من حيثُ كان مفرداً مثله مع استقباحٍ لذلك . فأمَّا الصلة فلا تقع مَوَاقع المفرد من حيثُ كانت جملا ، كما لم يجز أن تُبدَل الجملة من المفردِ من حيث كان البدل فى تقدير تكرير العامل ، والعامل فى المفرد لايعمل فى لفظ الجملة . فأمَّا مَن تأوَّلَ قوله :

لعمرِى لأنت البيتُ أكرم أهله ، على تقدير لأنت البيت الذى أكرم أهله وحذف الموصول ، فليس فى البيت دلالةٌ على هذا الذى تأوّله ، وذلك أنه يجوز أن يكون أكرم أهله جملةً مستأنفة معطوفة على الأولى ، ولم يُحتج إلى حرف العطف لما فى الثانية من ذكر مافى الأولى ، كقوله تعالى : ﴿ أولئكَ أصحابُ النارِ هُمْ فيها خَالِدُون [2] ﴾ .ويجوز أن يكون قوله : لأنت البيتُ ، على جهة التعظيم ، فأجرى عليه اسم الجنس لهذا، كما تقول: أنت الرجل ، تريد به الكمال والجلَد ، فكذلك يكون المراد بالبيت . ألا ترى أنهم قد يقولون : له بيتٌ وشرف ! وإذا كان كذلك جاز أن يكون أكرم أهلَه فى موضع حال مما فى البيت من معنى الفعل ، كما أنَّ عِلماً فى قولك : أنت الرجل علماً وفهماً ،

---

(١) انظر شروح سقط الزند ١٦٢٠ .

(٢) الآية ٣٩ ، ٢٧٥ من البقرة و ٣٦ من الأعراف و ٢٧ من يونس و ١٧ من المجادلة . كما وردت مسبوقة بالفاء والواو فى آيات أخر .

ينتصب عما فى الرجل من معنى الكمال . وكما أنَّ جارةً فى قوله :

* ياجارتَا ماأنتِ جارهْ *

ينتصب عمَّا فى ماأنت [١] من معنى التعظيم ، كأنَّه قال : كَمَلْتَ فى جال علمك وبَذَّك غيرَك . فإن قلت : فهل يجوز أن يكون البيتُ بدلاً من أنت ، ويكون أكرم فى موضع خبر المبتدأ ، كأنَّه قال ، إذا أبدل البيت من أنت : أنت أُكرِمُ أهله ، أو البيت أكرم أهله ؟ قلت : إنّ قياسَ قول سيبويه عندى إنَّه لايجوز هذا . ألا ترى أنَّه لم يجز فى قولهم : «بِيَ المسكينَ كان الأمر [٢]» بدلُ المسكين من الياء . وإنَّما لم يجز ذلك لأنَّ البدل إنَّما يذكر لضربٍ من التبيين ، فإذا لم يفد ذلك لم يُستجَزْ . والمتكلم فى غاية التخصيص والتبيين ، فلم يحتج لذلك فيه إلى بدل ، وإذا كان كذلك فالمخاطب فى هذا كالمتكلم . ٤٩١

انتهى كلام أبى على ، ولكثرة فوائده نقلناه بجملته.

وقوله : (لعمرى) اللام للابتداء وعمرى مبتدأ وخبره محذوف تقديره:قسمى . أقسَمَ بعُمْره . وجملة (لأنت البيت) إلخ جوابُ القسم . و(أُكرم) فعل مضارع ، و(أهله) مفعول .

---

(١) ش مع أثر تغيير : « ينتصب مما فى ما أنت » .

(٢) فى النسختين : «فى المسكين كان الأمر» ، صوابه من سيبويه ٢ : ٧٦ س ١٥ — ١٦ من تحقيق كاتبه . ويعنى سيبويه أن إتباع «المسكين» على الإبدال من ياء المتكلم ، وكذلك من كاف المخاطب فى قولك : «بك المسكين مررت» لايجوز ، وعلله بقوله : « لأنك إذا عنيت المخاطب أو نفسك فلا يجوز أن يكون لايدرى من تعنى ، لأنك لست تحدث عن غائب » .

وكتب بعض من عاصرناه [١] (فى حاشيته على شرح القطر للفاكهى): كأنَّ الداعىَ للكوفيين على جعل البيت اسماً موصولا أنه لايصحُّ الإخبار به عن أنت على الظاهر ، بجعله اسماً معرَّفا بأل . ويمكن أن يجاب بأنَّه على حذف مضاف ، أى أنت صاحب البيت ، ونحوه .

وقوله : (أكرِمُ) فعل مضارع ، لأنَّ الصلة لاتكون إلا جملة . فما فى بعض النسخ من ضبطه على صيغة أفعل التفضيل وإضافته إلى أهله ، ليس كما ينبغى . هذا كلامه . وهو من ضيق العَطَن وعدم الاطِّلاع على المعنى ، فإنَّ البيت مستعمَلٌ فى حقيقته ،والخطاب له ، فإنّ الشاعر — وهو أبو ذؤيب الهذلى ، وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد السابع والستين [٢] — بعد أن تغزَّل بأبياتٍ خاطب دارَ حبيبته . قال الإمام المرزوقى (فى شرح أشعار الهذليين) : قوله : لعمرى لأنت البيت إلخ ، هذا رجوعٌ من أبى ذؤيب إلى ذكر البيت لتعظيم شأن أهله . وأشار بقوله وأقعد فى أفيائه ، إلى ماكان يناله منهم فيدومُ لذلك ملازمته له وحبه وإكرامُه لسُكَّانه .قال: ويروى «وأجلِسُ فى أفيائه» . ولافضْلَ [٣] بين أقعُد وأجلسُ فى المعنى ، وإنْ كان لكلٍّ منهما من التصرُّف مايستبدُّ به دون صاحبه . ألا ترى أنَّه لايقال مع القيام إلا القعود ، وأنَّه يقال للزَّمِن : هو مُقْعَدٌ وبه قُعادٌ ، ولايبنَى له من الجلوس مثل

(١) كتب مصحح المطبوعة الأولى : «قوله بعض من عاصرناه ، لعله يعنى ياسين . اهـ من هامش الأصل» . وقال الميمنى فى الإقليد ٨٣ معقبا على ذلك : «هذا خطأ ، فإنه لم يذكر يس الحمصى إلا بلفظ شيخنا . انظر حاشيته على التصريح ، وشرح الألفية له ، فى الخزانة » .

(٢) الخزانة ١ : ٤٢٢ .

(٣) كذا وردت «فضل» بالضاد المعجمة فى النسختين ، وهى صحيحة .

ذلك ، وأنه حُكى عن أعرابىٍّ يصف رجلاً :«هو كريم النُّحَاس ، جميل الجُلَّاس». ويقال فلان الجليس بمعنى النديم ، وهم جُلساء الملك . ولم يكثر لهذا المعنى مثل هذا البناء من القعود ، وإن كان الخليل قد حَكى : قعيد الرجُل : جليسه . ونظائر هذا فى اللغة كثيرة .

أبيات الشاهد

والبيت من قصيدةٍ عِدَّتُها أربعةٌ وعشرون بيتا ، فلا بأس أن تُشرَح فإنَّ فيها شواهدَ ، وهى هذه :

(أساءَلْتَ رسمَ الدار أم لم تُسائلِ
عن السَّكْن أم عن عَهدهِ بالأوائلِ

لمن طللٌ بالمنتضَى غير حائلِ
عفا بعد عهدٍ من قطارٍ ووابلِ (١)

عفا بعد عَهد الحىِّ منهم وقد يُرى
به دَعْس آثارٍ ومَبرَك جاملِ

عفا غيرَ نؤى الدارِ ماإنْ تُبينُهُ
وأقطاعِ طُفْىٍ قد عَفَت فى المعاقلِ (٢)

وإنَّ حديثاً منكِ لو تبذلينه
جَنَى النحلِ فى ألبان عُوذٍ مَطافلِ

مطافيلَ أبكارٍ حديثٍ نتاجُها
يشاب بماءٍ مثلِ ماء المفاصلِ

(١) ط : «بالمنتصى» بالصاد المهملة ، وهما لغتان ، كما سيأتى فى الشرح ، وهى فى ديوان الهذليين ١ : ١٤٠ بالضاد المعجمة .

(٢) فى الديوان : « ما أن أبينه » .

رآها الفؤادُ فاستُضِلَّ ضَلالُهُ
نِيافاً من البيض الحسان العَطابِلِ

فإن وصلَتْ حبلَ الصفاء فدُمْ لها
وإن صرمَتْه فانصرف عن تَجامُلِ [١]

لعمرى لأنت البيتُ أُكرِم أهلَه .... البيت .

وماضَرَبٌ بيضاءُ يأوِى مليكُها
إلى طُنُفٍ أعياَ بِراقٍ ونازِلِ

تُهالُ العُقابُ أن تمرَّ بِرَيْدِهِ
وتَرمِى دُروءٌ دونه بالأجادلِ

تَنَمَّى بها اليعسوبُ حتى أقرَّها ٤٩٢
إلى مألِفٍ رَحبِ المباءة عاسِلِ

فلو كان حبلاً من ثمانينَ قامةً
وتسعينَ باعاً نالها بالأناملِ [٢]

تَدلَّى عليها بالحبال مُوَثَّقا
شديدُ الوَصاةِ نابلٌ وابنُ نابلِ

إذا لسعَتْه النحلُ لم يرجُ لسعَها
وحالَفَها فى بيتِ نوبٍ عواملِ [٣]

---

(١) فى الديوان : « فانصرم » بالميم . وفى ش : « عن تحامل » ، صوابه فى ط والديوان .

(٢) فى الديوان : « فلو كان حبل » بالرفع .

(٣) فى الديوان : « وخالفها » بالخاء المعجمة ، وهما روايتان نص عليهما البغدادى .

فحطَّ عليها والضُّلوعُ كأنها
من الخوف أمثالُ السِّهام النواصلِ
فشرَّجهـــا من نُطفــةٍ رَجَبِّيــةٍ
سُلاسلةٍ من ماءِ لِصْبِ سُلاسلِ(١)
بماءِ شُنانٍ زعزعَتْ مَتْنَه الصَّبا
وجادت عليه دِيمةٌ بعدَ وابلِ
بأطيبَ من فيها إذا جئتُ طارقاً
وأشهى إذا نامت كلابُ الأسافلِ
ويأشِبُنى فيها الأُلاءِ يَلُونها
ولو عَلمُوا لم يأشِبونى بطائلِ
ولو أنَّ ماعند ابنُ بُجْرةَ عندَها
من الخمر لم تَبْلُلْ لهاَتى بناطلِ
فتلك التى لايبرحُ القلبَ حبُّها
ولا ذِكْرُها ماأرزمَتْ أمٌّ حائل
وحَتَّى يؤوب القارظانِ كلاهما
ويُنشَرَ فى الهلْكَى كليبٌ لوائلِ)

قوله : «أساءلت رسم الدار» إلخ المساءلة : مفاعلة تكون من اثنين ، وهذا اتِّساع على عادتهم.والسَّكْن:جمع ساكن،مثل تاجر وتجْر .وتقديره : أساءلت رسم الدار عن السَّكْن أم عن عهده بالأوائل أم لم تسائل،إذا جعلتَ عن السكن متعلِّقة بالفعل الأوَّل.خاطب نَفْسَه على طريق التحزُّن والتوجُّع

(١) ش : « رحبية » بالحاء المهملة ، تحريف .

فقال : أباحثَتَ رسم الدار لما وقفتَ عليها عن أخبار سكّانها كيف انتقلوا ، وإلى أين صاروا ، أو عن مُدَّة عهدِه بهم ، ومُذْ كم ارتحلوا ، ومتى ساروا ، أوَّلاً ؟ والسؤال عن السَّكْن أنفسِهم غيرُ السُّؤالِ عن مُدّة العهد بهم ، فلهذا فرَّق . والأوائل هم السَّكْنُ ، ولكن فخَّم شأنهم بأن أعاد اسمَهم الظاهر ولم يقل عن عهده بهم . ودعَتْه القافية إليه أيضا . وحسَّن ذلك ، لما لم يهجِّنْه التكريرُ ، اختلافُهُما . ويجوز أن يريد بالسكن الوحش التى استبدلتها من قُطّانها قبل ، وتلك الحالة من الدار مما يزيد فى جزع الواقف عليها ، ويستمدُّ السؤالَ على جهِة التلهُّف لها ، كما قال :

يعزُّ علىَّ أن يُرَى عِوَضَ الدُّمى بحافاته هامٌ وبُومٌ وهِجْرِسُ

وقوله : «لمن طلل» إلخ هذا وجه آخر من التحَزُّن ، كأنَّه استنكر أن تكون دارُهم بالحالة التى رآها ، فجعل سؤاله سؤال من لايُثبتها ، تعظيماً للأمر . والمنتصى : مُلتقى الواديين حيث يُناصى أحدهما صاحبه . وقال الباهلى : المنتصى : موضع . وروى أبو عَمرٍو : «المنتضى» بالضاد معجمة ، وقال : هو موضع . وقوله : «غير حائل» قال الباهلى : أراد عفا بعد عهدٍ من قِطار ووابل ، ولم يمرَّ به حولٌ . والمشهور أن يقال أحال الشىءُ إذا أتى عليه حول ، إلا أنَّ بعضهم حكى أنَّ حال لغةٌ فيه . ويجوز أن يكون حائل بمعنى متغيِّر ، يقال حال الشىء واحتال إذا تغيَّر ، كأنَّه كان دارسَ البعضِ باقىَ البعضِ ، فلم يعدّ ذلك تغيُّرا كاملا ، ومتى كانت الرسوم بهذه الصفة ذكَّرت العهودَ أشدَّ ، وجدَّدت الغمومَ أجَدَّ . ولذلك تمنى بعض الشعراء شمولَ الدروس عليها ليستريح منها فقال :

٤٩٣

ألَا ليتَ المنازلَ قد بَلينا فلا يرمين عن شُزُنٍ حزينا (١)

---

(١) البيت لابن أحمر فى اللسان والمقاييس (شزن) وشرح السبع الطوال ٢٠ .

وقوله : «بعد عهد» يجوز أن يريد بعد إلمام ، ويجوز أن يكون مصدر عُهِدت الروضة ، إذا أتى عليها العَهد ، وهو كلٌّ مطر بعد مطر ؛ وجمعه عِهاد . وإنَّما قال من قطار ووابل ، لأنَّ الوابل المطر المُروِى ، والقطار : جمع قَطْر ، وهو لما دُونَه .

وقوله : «عفا بعد عهد الحىِّ» إلخ ابتدأ يبيِّن كيف عفا ، والمعنى عفا الطلل والمكانُ بعد أن كان للحىِّ فيه عهدٌ . والعَهْد : المنزل الذى لايزالون إذا بعُدوا عنه يرجعون إليه ، كأنَّهم تركوا النزولَ به وفارقوه فعفا ، يريد عفا منهم بعد عَهدِهم ، أى بعْد أن كانوا يعهدونه ، وقد بقىَ من آثارهم ومبارك إبلهم مايُستدَلُّ به على أنَّه ربْعُهم . والدَّعس : شدَّة الوطء . وقال أبو نصر : هو تتابع الآثار . والجامل : اسمٌ للجمع يقع [1] على الذكور والإناث ، كالإبل ، وإن كان من لفظ الجمل .

وقوله : «عفا غير نؤى» الخ يقول : عفت آثارُ الدار وانمحت إلاَّ نؤياً لايُستبان منها ، وأَقطاعاً من خُوص المُقْل تمزَّقت لقدَمها ، فتفرَّقت فى الساحات وكثُرت بترديد الرِّياح لها . والنؤى : حاجزٌ يُمنع به السَّيل عن البيت . والطُّفْى واحدتها طُفْية . ومعنى عفا درس . وعفَتْ فى المعاقل : كثُرت . وهذا من الأضداد ، يقال عفا المكان ، إذا درس ، عَفاءً وعفُوًّا ، وعفته الرياح عَفاء وعُفُوًّا : كثُر ، وعفوته أَنا . والمعاقل : جمع المَعقِل ، وهو ههنا المنزل الذى نَزلوه وحَفِظُوا مالَهم فيه . والعقل : الحفظ .

وقوله : «وإنّ حديثاً منكِ» إلخ ترك وصف الدار ودروسَها وعطف إلى خطابها يغازلها . يقول : إنَّ حلاوة حَديثكِ لو تفضَّلتِ به حلاوةُ العسل مشوباً

---

(١) ط : « يقال » ، صوابه فى ش .

باللَّبن . والجَنَى أَصله الثمر المجتنَى ، فاستعاره . والعُوذُ : الحديثات النِّتاج ، واحدها عائذ . ومَطافل : جمع مُطفِل ، وهى التى معها طِفْلُها . وإنَّما نكَّرَ قوله حديثاً منكِ ، ليبين أنَّ موقع كلامها منه على كل وجهٍ ذلك الموقع . ودلَّ بقوله «لو تبذلينه » على تمنُّعها وتعذُّر ذلكَ من جهتها .

وقوله: «مطافيلَ أبكار» إلخ مطافيل بدل من قوله عوذٍ مطافل ، وأشبع فى الفاء للزومها فحدثت الياءُ . والأبكار : التى وضعت بطناً واحداً ، لأنَّ ذلك أول نتاجها ، فهى أبكارٌ وأولادها أبكار ، ولبنها أطيب وأَشهى ، فلذلك خصَّه وجعله مِزاجاً . ويُشاب صفة لألبان ، أى مشوبة بماءٍ مُتَناهٍ فى الصَّفاء . وقيل فى المفاصل إنَّها المواضع التى ينفصل فيها السَّهل من الجبل حيث يكون الرَّضراض ، فينقطع الماء به ويَصفُو [1] إذا جرى فيه . وهذا قولُ الأصمعىِّ وأبى عمرو . واعترِض عليه فقيل : هلاَّ قال بماءٍ من مياه المفاصل ، ومالَهُ يشبِّهه به ولا يجعله منه ؟ فقيل : هذا كما يقال : مثلُ فلان لايفعل كذا ، والمراد أنَّه فى نفسه لايفعل ، لأنه أُثبِتَ له مثلٌ ينتفى ذلك عنه . ألا ترى أنَّه لو جعل ذلك لنظيره لكان المدح لايَعْلَق به ، وقد عُلم أنَّ القصد إلى مدحه . وعلى هذا قد حُمِل قوله تعالى : ﴿ ليس كمثْلِهِ شىء [2] ﴾ . وقال أبو نصر :أراد بالمفاصل مفاصل الجبل حيث يقطرُ الوَشَل،وذلك أصفى من مياه المناقع والعيون.وقيل أراد يشاب بماءٍ كالدمع صفاء،فالمفاصل شؤون الرأس ،وهى تسمَّى مفاصل ومَواصل،والدمع منها يَخرج.وهذا كَما يقال:جئتك بخمرةٍ كماءِ العين وأصفى من الدمع،فالتشبيه حاصلٌ فى هذا الوجه،وهو عندى حسن. والمراد بماء

٤٩٤

(١) ط : «وتصفو» ، وأثبت ما فى ش .

(٢) الآية ١١ من سورة الشورى .

العينِ الدَّمعُ لاغير . وقال أبو سعيد : ماء المفاصل الدم ، وأراد بالماء الخمرَ وشبَّهها به . وقال ابن الأعرابى : ماء المفاصل ماء اللحم التى شَبَّه حُمرته بحمرته . وعهدة هذين القولين عليهما .

وقوله : «رآها الفؤاد» الخ أضاف الرؤية إلى الفؤاد تحقيقاً للأمر ، لأنَّ العين رائدُ القلب ، فكأنَّها أُدركت بالعين أوّلاً ، ثم تُؤُوِّلت بالفكر فى محاسنها ثانياً ، فتمكَّن الحب بإعادة النظر وبسْط الفكر . قوله : «فاستُضِلَّ ضلاله» ، قال الأصمعى : هو كما يقال جُنّ جُنونه . وكشْفُ هذا : أنَّ للنفس شهوةً فى المستحسنات قد تضلُّ بها عندها ، فتسمَّى تلك الشهوة ضَلالاً لكونها سبباً فيه ، ثم إذا غَلب عليها شىءٍ يستتبع تلك الشهوة قيل استُضِلَّ ضلالُ فلان ، أى طُلب منه أن يضلَّ فضلَّ . وقال بعضهم: أراد استُزِيدَ ضلاله ، أى زيد ضلالُه ضلالاً ؛ كأنَّه لما تفكر فى محاسنها وتقصَّاها ازداد بها وَلوعا ، فجعل ذلك استضلالاً للضلال . وقال الأخفش : هذا كما يقال:خرجت خوارجُه ، والمعنى دواخله ، فسمَّاها بما آلت به ، فكذلك أراد استُضِلّ رشادُه ، فقال ضَلاله ، لرجوعه إليه . ومثله :

* يُدعَوْنَ حُمْساً ولم يَرتَع لهُم فزَع *

أى لم يرتَعْ أمْنُهم .وهذا كثير.وقوله : نيافاً،نصبٌ على الحال . والنِّياف : الطويلة المشرفة (١) ،ومنه أناف على كذا،أى أشرف . والعَطابل: جمع عُطبول بحذف الزيادة منه ، كأنَّه كان عُطبُلاً ، وهى الطويلة الأعناق .

وقوله : «فإن وَصَلت حبلَ» إلخ يُسأل عن موقع هذا الكلام ممَّا قبله ، وعن زهده المسرف فى هذا البيت بعد ضلاله المفرط فى البيت المتقدِّم ، وكيف

---

(١) ط : « المترفة » ، صوابه فى ش وشرح السكرى .

وجهُ التئامهما على تقاربهما ، وهل يجوز أن يتجلَّد في هذا ثم يقول بَعقبِه :

* لعمرى لأنتَ البيتُ أكرمُ أهلَه *

والجواب أنَّ هذا وَفق ماتقدَّمه ، وغير مخالف له ، لكنّه أظهر الاستسلام لها ولرأيها ، فإن وصلت حبله دام على مصافاتها لايشرَكُ أحداً فى وُدّها ، وإن صرمتْ ودَّه وقف عند محدودِها فى الانصراف ومرسومِها ، لايستعمل منكراً ولا يتعاطى رَفَثا ولا هُجْرا . وهذا من الآداب المحمودة فيما يجرى عليه المتحابَّان . ويدلُّ على ماقلنا أن أبا ذؤيب أمرَ نفسَه بالدَّوام إن رأت الوصل ــ والدَّوامُ على الوصل زيادةٌ عليه وثباتٌ فيه ــ وبالانصراف عنها على أجْمَلِه إن رأت الصرّم إلى أن ترى غيره . وإذا كان الأمر كذلك فما أظهر زهداً فيها .

وقوله : «وماضَرَبٌ بيضاء» إلخ عاودَ وصفَ المرأة . والضَّرَب:الشُّهدة، ويقال استَضْرَب العسل ، إذا خَثُر فصَلُبَ . وهو ضَرَبٌ وضريب . والعَسَل فى لغتهم مؤنَّثة ، فلذلك قال بيضاء . وقوله:«يأوى مَليكُها» أراد به اليعسوب، وهو قائد النحل ، وأضاف المليك إلى العَسل توسُّعا ، وإنَّما هو مليك النحل المعسِّلة.والطّنف ، بفتح الطاء وضمها: حَيْدٌ نادرٌ من الجبل، والمعنى ماعسلٌ بيضاءُ يأوى نَحلُها إلى أنفٍ من الجبل يُعيى الراقىَ إليه والنازلَ منه.

وقوله : «تَهال العقابُ» الخ . قال الباهلى : الرَّيد : شمراخٌ فى الجبل . وقال أبو نصر:الرَّيد مانتاً من الجبَل فخرج منه حرف . والدُّروء:جمع الدّرء وهو الحَيْدُ يدفعُ مايلاقيه.ومنه تَدارأ الرجلان،إذا تدافعا . وقال الأصمعى:هو الأنف المعوّج . والمعنى أنَّ ذلك الجبل تَهاب العقابُ من المرور بحرفه ، لإشرافِه وعُلوِّه واعوجاج أطرافه وأنوفه .

وقوله : «تنمّى بها اليعسُوب» إلخ ضمير بها للنحل ولم يَجرِ لها ذِكر ، لأنّه يُستدلُّ عليها بالقصَّة . يعنى أن اليعسوب يرتفع بالنحل حتىَّ يُسكِنها فى مجمع لها ألِفَتْهُ واسعٍ ذى عَسَل . وإنّما قال هذا لأنّ النحل تتبع قائدَها فتطير بِطيرانِه وتَرجع برجوعه . والمباءة : مرجع الإبل ومَبيتها الذى تتبوّأ فيه وتأوِى إليه ، فاستعاره ههنا. وقوله : «أقرَّها إلى مألِف» عدَّاه بإلى ، لأنه فى معنى آواها وألجأها ، وهم يحملون النَّظير فى التعدية على النظير ، والنقيضَ على النقيض كثيراً .

وقوله :«فلو كان حَبْلاً من ثمانين» البيتين الضمير المؤنَّث فى نالها وعليها للخليَّة المفهومة من المقام ، وفاعل نالها : شديد الوَصاة ، وجملة تدلَّى : حالٌ بتقدير قد ، والتقدير : نالها بالأنامل شديدُ الوَصاة نابلٌ وابنُ نابِلٍ متدلّيا عليها بالحبال . ويكون مُوثقًا حالاً [(١)] من الضمير فى تدَلّى .ويجوز أن تَكون جملة تدلّى اعتراضاً بين الفعل والفاعل،ويحسِّن الاعتراضَ أنّه تفسيرٌ لنيل المشتار للعسَل كيف كان،وعلى أىِّ وجهٍ توصَّل.وروى تقديم بيتِ تَدَلّى عليها،على بيت فلو كان حبلاً ، وبه يحسُن الانتظام ، ويصير قوله فلو كان [(٢)] حبلاً من ثمانين قامة واقعاً فى موقعه ، وبياناً لحذق المشتار وحُسنِ تأتِّيه [(٣)] فيما يعانيه ، حتى لا يمتنع عليه شاقٌّ منيع . وعليه يكون شديد الوصاة فاعلَ تدلَّى ، وموثقا حال . قال الأصمعى : أراد بشديد الوَصاة الشديد الحِفاظ بما أُوصِىَ به . قال أبو نصر : بيانه : شديد عند الوَصاة لا يسترخى فيها ولا يتجوّز . وقال أبو عبيدةَ : أى يوصى أصحابَه بالحبل ويشدِّد فى الأمر ، يقول : أمسِكوه واستوثِقوا منه . وقوله :نابلٌ وابن

---

(١) ط : « حال » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « ولو » ، صوابه فى ش .

(٣) ط : « تأنيه » ، صوابه فى ش .

يقال : نَصَلت السهم ، إذا ركَّبت عليه النصل ، وأنصلته فَنَصل ، إذا نزعتَ نَصْله .

٤٩٦

وقوله : «فشرَّجها من» إلخ أى جعل العسلَ شريجين ، أى خليطين ، بالمزاج الذى صبَّه عليها ، وكل واحد من الخليطين شريج . والنطفَة : الماء . وإنَّما نسبهَا إلى رجب لأنَّ رجبَ وجمادى كانا فى زمانهم من شهور الشتاء . والسُّلاسِلة ، بالضم : التى تتسلسل فى الحلق لصفائها وعذوبتها وسهولة صفاء مَدخلها . وجعلها من ماء لِصْب بكسر اللام ، وهو شَقٌّ فى الجبل ، ليدلَّ على أنها من ماء المطر ، وأنه تنقَّلَ فى مضايق الطرق وتقطع بمدراج الشقوق والنُّقَر ، فتزيل الكدورةَ عنه ، وتَسَلسلَ فى جريه ومروره حتَّى تناهى فى مَقَرِّه ورَبَد بالرِّيح (١) فى مستنقعه . فقوله : سُلاسل صفة لماء لِصب ، وأراد به رِقَّته وسرعة مَرِّهِ فى مجاريه من المسايل والمناقع .

وقوله : «بماء شُنان» إلخ رواية الأصمعى بتنوين ماء وإجراء شنان وصفا له.قال أبو نصر : وهو أحبُّ إلىّ . والشُّنان بضم المعجمة : البارد ينشنّ من الجبل انشنانا . ومنه شنَّ عليه الغارة . وروى أبو سعيد : «بماءِ شِنانٍ» على الإضافة ، قال : والشِّنان ، بكسر المعجمة : جمع الشنَّةِ ، وهى القِربة الخَلَق ؛ والماء فيها أبرد . وقوله : «زعزعَتْ متْنَه» أى أعلاه . وقوله : «وجادت عليه» إلخ القصد فيه إلى تكثير الماء حتى يكون أصفى .

وقوله:«بأطيبَ من فيها» إلخ هذا خبر «ما» من قوله:وماضربٌ بيضاء . وإذا جئتُ ظرفٌ لطارقاً ، وإذا نامت ظرفٌ لأشهى .والمراد:وأشهى من فيها إذا نامت .والمشار إليه بإذا نامت غير المشار إليه بإذا جئت ، يدلك

(١) ش : « وربد الريح » ، صوابه فى ط . وربد : أقام .

أنَّ الوقت الذى يجىءُ فيه طارق [١] يجوز أن يكون من أول الليل ، ومن أوسطه ، وآخره، فإنَّ الوقت الذى ينام فيه كلابُ الأسافل يكون معلوماً متميِّزاً عن ساعات الليل . وقد اختُلِفَ فيه ، فقال بعضهم : هو أوّل الصبح ، لأنَّ الكلابَ إذا تحرَّك الناس تنام وتسكن . ومثله قول أبى ذؤيب فى أخرى :

بأطيب من مُقبَّلها إذا ما دنَا العَيُّوقُ واكتتم النُّبوحُ

وقيل الأسافل مراد به أسافل الحىِّ ، لأنَّ مواشيَهم لاتبيت بل لها مباءَةٌ على حِدَة ، فرُعاتها لاينامون إلا آخرَ من ينام ، لأنَّ منهم من يربِّق ، ومنهم من يَحلبُ ، وكلابهم تحرس معهم ، فلا تنام إلا آخر الليل .

وقال الباهلى : الحِوَاء يكون فيه الوجوه ، والأسافل يكون فيه الرِّعاء . وهذا كالبيان للأوَّل .

وقال أبو سعيد : الأسافل سَفِلة الناس ، ويعنى بهم هنا الرعاة ، وليس يراد به أسافل البيوت .

وقال الأخفش : الرواية « كلاب المَسافل » ، يعنى المواضِع التى تسفل الناسُ فيها . يقال أتيت المسفَل من مكة وأتيت المعْلَى منها ، وهى مسافلها ومَعاليها . والمعنى على جميع هذه الوجوه أنَّ فمها أشهى مما وصفه إذا خَلَفت الأفواهُ وتغيَّرت .

وقوله : «ويأشِبُنى فيها» إلخ يأشبنى : يَلْطخُنى ويقذفنى . يقال : أشَبَهُ بشىءٍ،إذا قذفه به.والألاءِ [٢]:اسم موصول بمعنى الذين.وعلِم هنا بمعنى عَرَف

---

(١) ش : « طارقا » ، وكلاهما صحيح .

(٢) ش : « والأولى » ، صوابه فى ط ، وهو المطابق لنص الشعر .

يقول : لو عرفوا قصَّتى معها مع تمنُّعها لم يقولوا إنى أُصبْتُ منها طائلا . والطائل : ماله فضلٌ وقدر . وروى : « بباطل » ، والمعنى : لتحرَّجوا مِن قذفى بالباطل . ويَلُونها : يَقْرُبونها . وروى : « الأُلى لا يَلُونها » أى الغرباء دون أهل بيتها .

وقوله : «ولو أن ماعند» إلخ ،ابن بُجْرة بضم الموحدة وسكون الجيم : خَمَّارٌ معروف كان بالطائف .والناطل ، هنا: جُرعةٌ من ماءٍ أو لبن أو نبيذ ، ويأتى بمعنى المكيال للخمر ، وليس مراداً هنا . وأبلَغُ مِنْ هذا : ٤٩٧

وكيف طِلابى وصلَ من لو سألته
قَذَى العين لم يُنْعِمْ وذاك زهيدُ (١)

وقوله : «فتلك التى لا يَبرح» الخ ، مامصدرية ظرفية ، وأرزمت بتقديم المهملة : حَنَّت . والحائل : الأنثى من أولاد الإبل . والسَّقْب : الذَّكر . والمعنى : تلك المرأةُ التى وصفْتُها هى التى لايفارقنى حبُّها وذكرها أبداً .

وقوله : «حتى يؤوب القارظانِ» إلخ ، المعنى : لايفارقنى حبُّها حتى يكون مالا يكون .

القارظان

القارظان أحدهما القارظ العَنَزى ، وهو يذكر بن عَنَزة بن أُسد بن ربيعة، كان يعشق[ابنته(٢)]فاطمةَ،خزيمةُ بنُ نهد،فطلبَها من أبيها فلم يزوِّجها ،ثم خرج يذكر وخزيمة يطلبان القَرَظ ــ وهو ورقٌ تدبغ به الجلود الطائفيَّة ــ

---

(١) أنعم : أجاب بنعم . وذاك ، أى الإجابة بنعم .

(٢) ابنته ، ساقطة من ش .

وتقدم الكلام عليه فى الشاهد الخامس والخمسين من باب المبتدأ والخبر [١].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع عشَر بعد الأربعمائة [٢]:

٤١٩ (وليسَ المالُ فاعلمه بمالٍ   وإنْ أغناكَ إلاَّ للذىِّ

يُريد بهِ العَلاءَ ويَصْطفيهِ   لأقربِ أقربِيهِ وللقَصِىِّ)

على أن كسرةَ الياء المشددة من (الذى) كسرةُ بناء .

والبيتان كذا رواهما ابن الشجرى (فى المجلس الرابع والسبعين من أماليه) . وقوله : (بمال) خبر ليس ، والباء زائدة ، وجملة (فاعلمْه) معترضة ، وكذلك جملة (وإن أغناك) معترضة ، وإنْ وصليَّة ، ونقل شارح شواهد الموشح عن بعضهم أنَّها نافية ، والمستثنى منه محذوف ، تقديره لأحدٍ . وجملة (يريد) بفاعله المستترِ صلةُ الذى . وروى بدله : (ينال به) . ويصطفيه معطوف على يريد . و(العَلاء) بفتح العين والمد : مفعول يريد ، وهو بمعنى الرفعة والشرف . ويَصطفيهِ بمعنى يختاره . وقوله : (لأقرب) متعلق بيصطفيه . وإضافة أقرب إلى أقربيه كقولهم : أعْلَمُ الأعلمِينَ . والقصىّ : البعيد . يقول : ليس المال فى الحقيقة مالاً لأحدٍ إلا للذى يريد بسببه عُلوَّ الدّرجة فى المجد ، ويختاره للقريب والبعيد .

٤٩٨ وروى البيت الثانى الخفّاف (فى شرح الجمل) كذا :

---

(١) الخزانة ١ : ٣٥٧ .

(٢) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٠٥ والإنصاف ٦٧٥ والهمع ١ : ٨٢ ويس ١ : ١٨١ واللسان (ضمن ١٢٨ لذا ١١١) .

تحوزُ به العَلاء وتَصطفيه لأقربِ أقربيكَ وللصَّفىِّ

بالخطاب فى المواضع الثلاثة .

وروى ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) البيتين كذا :

وليس المالُ فاعلمْه بمالٍ من الأقوام إلا للذىِّ

يُريد به العَلاء ويمتهنْه لأقربِ أقربيه وللقصىِّ

وعليها فجزم يمتهنه ضرورة ، وهو من امتهنت الشىءَ بمعنى أهنته وحقَّرته .

والبيتانِ لاعلم لى بقائلهما . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العشرون بعد الأربعمائة [١]:

٤٢٠ (والَّذِ لو شاءَ لكنت صخرا

أو جبلاً أشَمَّ مشمخرًّا)

على أن حذف الياء من (الذى) والاكتفاء بكسر الذال لغة . و (الأشَمُّ) من الشَّمم ، و [هو] الارتفاع . و(المشْمَخِرّ) : العالى المتطاول ، وقيل الراسخ . وهذا ماروَاه الخَفَّاف وغيره . ورواه ابنُ الشَّجرى (فى أماليه) وابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) :

والَّذِ لو شاء لكانت بَرًّا أو جبلاً أصمَّ مشمخِرًّا

---

(١) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٠٥ والإنصاف ٦٧٦ والهمع ١ : ٨٢ .

قال شارح (شواهد الموشح) : ضمير كانت للدُّنيا أو الأرض . والبَرُّ : خلاف البحر . والمعنى : هو الذى لو شاء أن يكون براً لكان برًّا ، ولو شاء أن يكون جبلاً [1] . انتهى .

والأصمّ من الصَّمَم ، أراد به المصمَتَ الذى لاجوفَ له .

ولاأعلم قائلَ هذا البيتِ أيضاً ، وعلمُه عند الله .

نهاية الجزء الخامس من تقسيم محققه

---

(١) كذا بإغفال جواب الشرط هنا لوجود مايدل عليه ، أى لكان جبلا .

الفهارس

(أ) فهرس التراجم

(ب) فهرس الشواهد

التوابع

باب النعت

باب العطف

باب التوكيد

المبنيات

المضمر

اسم الإشارة

الموصول

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٧/١٦٨٤